عبد الغني النابلسي

كشف السر الغامض

في شرح ديوان ابن الفارض

تحقيق ودراسة: خالد الزرعي








مكتبة الإكسير الإلكترونية
Al-Exir Electronic Library

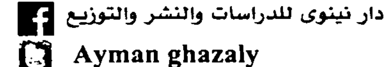
كَشْفُ السِّرِّ الغَامِضِ
شَرْحُ دِيوَانِ ابْنِ الفَارِضِ

عنوان الكتـــاب: كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض (١-٤)
اسـم المؤلــف: الشيخ عبد الغني النابلسي
تحقيـــق: خالد الزرعي
المـوضـــوع: شعر صوفي
عدد الصفحات: 2190 ص
القيـــاس: 17.5 × 25 سم
الطبعـة الأولى: 1000 / 2017 م - 1438 هـ
ISBN: 978-9933-580-60-5



سورية . دمشق . ص ب 4650
تلفاكس: 2314511 11 963+
هاتـف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org



العمليات الفنية:
التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

كشف السر الغامض
شرح ديوان ابن الفارض

تأليف الشيخ

عبد الغني النابلسي

الكتاب الأول

قدم له

الدكتور بكري علاء الدين

دراسة وتحقيق خالد الزرعي

عُمَرُ بنُ الفَارِض

هو أبو حفص، أو أبو القاسم، شرف الدين عمر بن علي بن المرشد الحمويّ الأصل، المصريّ المولد، والدار، والوفاة. المعروف بابن الفارض.

ولقد برع ابن الفارض في فنون الشعر، وأوتي حسّاً شعريّاً مرهفاً عالياً، وتمكّناً من نواصي اللّغة، وبراعة في اختيار الألفاظ، وروائع التركيب، وحُسن الصورة وإبداعها. وكان يمتلك حسّاً نقدياً متميّزاً تمكن فيه من الحكم بين الشعراء لمّا احتكموا إليه.

يقول خير الدين الزركلي في ترجمة ابن الفارض في كتابه الأعلام معرّفاً به: «أشعر المتصوّفين، يُلقّب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بما يسمّى وحدة الوجود».

اعتنى ابن الفارض في ديوانه بعلوم البلاغة؛ بيانها وبديعها، لكنّه ساقها ببراعة الفنّان ومقدرة الشعراء الكبار، حتّى إنّه يبدو للوهلة الأولى كأنّما كان يسوقها عفو الخاطر.

إنّ ابن الفارض في حبه الإلهيّ، يصور أطوار المحبّة الإلهيّة، ويكتشف عجائب الحبّ، وحقائق المعرفة، ويتذوّق عطاءات التجلّيات.

الشيخ عبد الغني النابلسي

الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، واحد من أولئك الذين لهم تأثيرهم الكبير في الأمّة في عصره وفي العصور اللاحقة؛ ذلك أنّه عالم غزير العلم متنوّعه، فهو مجموعة موسوعات علميّة متعدّدة الجوانب، فإضافة لكونه صوفياً هو أكبر شارح للتصوّف، وباعه في الحديث كبير. كذلك هو فقيه حنفيّ يُعتمد رأيه، ويُقرّ اجتهاده. وهو شاعر مكثر، له أربعة دواوين، أكبرها وأهمّها ديوان الحقائق. وهو ناظم كبير لا يعلم عدد أبيات نظمه إلّا الله. وهو مؤرِّخ فذّ لرحلاته التي قام بها إلى بغداد وطرابلس الشام، وبلاد الشام ومصر والحجاز. ويكتسب النابلسيّ رتبة مؤرّخ لوصفه الدقيق كلّ أشكال الحياة الموجودة في عصره بدقّة متناهية، فهو يصف البلدة التي ينزل بها، وأولياءها، وعلماءها، ورجالها، ومساجدها، والدروس، والمجالس، وحياتها العلميّة، والاجتماعيّة؛ فيعطينا صورة واضحة يندر وجودها في المصادر الأخرى لتلك الفترة التاريخيّة التي شحّت أخبار الحياة العلميّة بمثلها.



إلى روح الحبيب المصطفى وآله وصحبه، صلّى الله عليه وسلّم.

إلى روحيّ الشيخين عمر بن الفارض وعبد الغنيّ النابلسيّ

إلى كلّ محبٍ لأولياء الله ولابن الفارض وعبد الغنيّ النابلسيّ

إلى روح أبي محمّد عدنان الزرعي وأمّي ناديه حافظ.

إلى شريكة العمر والمعين على حمل أعباء الحياة سحر ريحاوي

إلى أبنائي وإخوتي.

إلى روحَيّ نصوح عزقول ومحمّد الزرّاق الذي كان دوماً يحثّني على إخراج هذا العمل.

إلى الأستاذ المهندس عبد الرزاق الحمصي وولده سليم.

إلى كلّ من هصر الحبّ الإلهيّ قلبه فملأه نوراً وحكمة وحياة.

إليكم جميعاً هذا الجهد المتواضع.

«لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ»[1]

لا بدّ لنا من توجيه الشكر إلى كلّ من أسهم في إخراج هذا العمل، وأخصّ بالذكر الدكتور بكري علاء الدين الذي أمدّنا بتوجيهاته وهيّأ لنا بعض المراجع ثمّ قدّم الكتاب.

الشكر للشيخ رياض خطّاب الذي راجع فصل «الحلول والاتّحاد ووحدة الوجود».

كذلك الشكر إلى دار ابن القيّم التي أسهمت في إخراج هذا العمل. والشكر الأكبر للأستاذ أيمن غزالي ودار نينوى الّتي قدّمت هذا العمل، وامتازت بطباعته، واختصّت بكلّ حقوقه، وكلّ ما يتعلّق بشؤونه.

وكذلك الشكر الجزيل إلى الأخ ياسين الشوّا الذي أخرج هذا العمل بهذه الحلّة المتميّزة.

الشكر إلى مركز الفوّال الطباعي لجهده وفضله.

إليهم جميعاً جزاكم الله خيراً.

خالد الزرعي

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، باب: مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ٧٩٤٠. قال الشيخ شعيب أرناؤوط ١٣/ ٢٢٢: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير الربيع بن مسلم -وهو الجمحي- فمن رجال مسلم. محمد بن زياد: هو القرشي الجمحيّ مولاهم.

تقديم

علينا أن نميز بين الشعر الديني الشعبي من جهة، وبين الشعر الصوفي المرتبط بنظرة فلسفية إلى الوجود. وهذا النوع الأخير من الشعر مرتبط أساساً بالتصوف الفلسفي الذي اشتهر به كل من الحلاج وابن عربي وابن سبعين. حكى المقريزي في ترجمته لأشهر الشعراء العرب الصوفيين: ابن الفارض، أن الشيخ محيي الدين بن عربي، بعث إلى ابن الفارض برسالة يطلب منه فيها الإذن بشرح قصيدته "التائية" فأجابه ابن الفارض: "كتابك المسمى بالفتوحات شرح لها". وسواء أصحت هذه القصة أم لم تصح، فإنها تعبر عن العلاقة التي تحدثنا عنها بين الشعر والتصوف الفلسفي. وكذلك فإن الششتري شاعر الصوفية في القرن الثامن الهجري يصدر عن مذهب أستاذه ابن سبعين. لذا فإن دراسة هذا اللون من الشعر الصوفي، ليست منفصلة في الأساس عن التصوف الفلسفي.

ويعدّ شعر ابن الفارض مثالاً واضحاً لهذا الاتجاه، أضف إلى ذلك اعتماده المتميز على فنون البديع والرمز السائدة في عصره، وقد نجح في تمثل الشكل الأدبي القادر على استيعاب تجربته الصوفية على أكمل وجه مما جعل ديوانه يحظى بعدد كبير من الشروح وانتشاره في أوساط العامة والمثقفين على السواء. وأشهر قصائد ديوانه "القصيدة التائية" المسماة نظم السلوك وهي "ملحمة شعرية" في التصوف لا نظير لها على الإطلاق. وفيها عرض مطول للحقائق الدينية الصوفية، وتلخيص لمذهب في "وحدة الشهود" يصف فيها ابن الفارض تجربته الصوفية الفردية الذاتية. ولو أنه أتيح له أن يعبر عن مذهبه نثراً لكان أفصح عن مذهب صوفي متكامل في وحدة الوجود.

ونحن نعلم بأن الفرق بين "وحدة الشهود" و"وحدة الوجود" هو الفرق بين التصوف القائم على الاختبار الروحي المباشر وما يرتسم في الوجدان، دون الدخول في تفاصيل المذهب، بينما يزيد عليه مذهب وحدة الوجود بالنسق المتماسك الذي يعبر به عن هذه التجربة ليصبح نظرية في الوجود، هي أقرب إلى العرض الفلسفي من مجرد وصف المعاناة الفردية الشهودية.

ومن أشهر قصائده، القصيدة الخمرية. وهي مبنية على اصطلاح الصوفية. وفيها يقول:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

لها البدر كأس وهي شمس يديرها ... هلال، وكم يبدو إذا مزجت نجم

وهو يعبر بالخمرة عن المعرفة الإلهية أو الشوق والمحبة. والحبيب هو الرسول عليه الصلاة والسلام. والمدامة: المعرفة الإلهية والشوق لشهود آثار أسماء الحضرة الإلهية الجمالية...وبنفس الطريقة يتابع الشيخ عبد الغني النابلسي، شرح ديوان ابن الفارض، مستخدماً تعمقه المتميز لفلسفة وحدة الوجود الصوفية، وكأنه كان بذلك يلبي رغبة ابن عربي التي حكاها المقريزيَ.

ولابن الفارض نظرة في الحب جعلته ينال لقب "سلطان العاشقين"

وقد مارس ابن الفارض الرياضيات والمجاهدات الصوفية واتخذ الذات الإلهية موضوعاً لحبه. وخضع هذا الحب لتطور صاعد في الأحوال والمقامات، انتهى منها إلى أرقاها، وهو "حال الفناء" عن نفسه و"البقاء" بمحبوبته... ولم يتعمد ابن الفارض في حبه ابتكار مذهب فلسفي خاصبل مرّ بأطوار كانت عنده حباً لله ووفاء لرسوله الكريم، إلا أنها تشبه من بعيد وحدة الوجود التي يقررها ابن عربي بين الله والعالم. ولسنا نستغرب انخراط أتباع ابن عربي الكبار من مثل صدر الدين القونوي وتلميذه سعيد الدين الفرغاني وعبد الرزاق القاشاني من النصف الثاني للقرن السابع الهجري في شرح "تائية ابن الفارض" دون بقية الديوان. وتبعهم عبد الغني النابلسي شارحاً ديوانه كاملاً.والشرح الذي نشر في مرسيليا في نهاية القرن التاسع عشر مع شرح البوريني كان قد أهمل شرح التائية التي تعادل نصف الديوان تقريباً. ونجد هنا ولأول مرة الشرح الكامل لديوان ابن الفارض بتحقيق الأستاذ خالد الزرعي مشكوراً.

وابن الفارض يتكلم هنا بلسان " الفناء" والوجد لا بلسان الادعاء، وهذا ما يميز مذهبه، على الرغم من كل نقاط الشبه الممكنة بينه وبين مذهب ابن عربي، مما يضفي عليه هذه اللمسة السحرية التي تجعله قريباً من مشاعر الناس مهما تفاوتت ثقافاتهم واختلفت عقائدهم بالكون وخالقه.

بكري علاءالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

لِمَاذَا اخْتَرْتَ التَّصَوُّفَ يَا بُنَيَّ؟

بينما كان الدكتور مدرِّس مادّة إعجاز القُرآن الشهير يسير بهمّة ونشاط في شارع برنيّة يمارس رياضة المشي اقتربت منه، حيّيته، ذكّرته بنفسي ـ طالبه في البكالوريا وفي دبلوم التربيّة ـ صاحب كتاب سرّ الأسرار. تذكرني، وعلى الفور بعد أن ردّ التحيّة، أطلق في وجهي صاعقة من العيار الثقيل، وكأنّه ينتظر قدومي ليسألني: يا بنيّ، **لِـمَ اخترت التصوّف**؟.

أجبته بما أقنعه، وارتاح له، وأحبّه؛ فدعاني لحضور مدارج السالكين عنده، وقصّرت ولم ألبِّ. إلّا أنّ سؤاله هذا لم يبرح فكري منذ عشرين سنة ما ذكرت هذا اللِّقاء، أو أمسكت بقلم، أو قرأت كتب التصوّف ونقدها، موافقة أو مخالفة، أو افتخاراً بمعرفة هذا الرجل العالم المبارك حفظه الله ونفع به.

بعد هذه الفترة الزمنيّة الطويلة من عمر الإنسان القصير لا بدّ أن ترتسم في صفحات النفس، وخلجات الفكر، ودقّات القلب صورة واضحة لرسالةِ حرصَ التصوّفُ وأهله على إيصالها إلى مجتمعاتنا عبر تاريخ طويل امتدّ أكثر من ألف وأربعمئة سنة.

الرسالة تتحدّث لنا عن نفسها بعيداً عن المصطلحات والتسميات والبدايات والنهايات والأفراد والجماعات والتيّارات والنظريّات والعلوم والفنون والأفكار والمعاني والخلاف والتوافق فتقول لنا:

إن التصوّف، أو الزهد، أو السلوك، أو الطريق إلى الله ـ سمِّ ما شئت ـ **يسعى** فيه أهله لإقامة التوازن الدقيق بين النفس والجسد، بين الروح والعقل، بين العوالم والرؤى الروحيّة والعوالم والرؤى الماديّة لإقامة خلافة الله على أرضه على النحو

الذي سنّه لخليفته فيها، واستعمره فيها، ورسم الصراط المستقيم لمجتمعه بجناحيّ مادّة بناء أبناء الدنيا، والقيم والمثل للمجتمع الذي يرسي أسس بقائه بعبوديّته للمستخلِف سبحانه وتعالى، واستقامته على صراطه، بصفائه ونقائه لاستمراره وبقائه، وديمومته، سعيداً، عزيزاً، كريماً. فما إنْ ينغمس الناس في الترف، والمجون، والخلاعة، والفسق، والنفاق، والظلم تهبُّ رياح الذلّة والفناء مشرَّعة بأيدي فتنٍ وصراعاتٍ وغزاةٍ وحروبٍ؛ وإذا بينابيع التصوّف الثرّة الإنسانيّة تسير بالإنسان نحو طريق الخالق، تغيّر ما بنفس أبناء الدنيا ومجتمعاتهم ليغيّر الله ما بها؛ فتعيد التوازن، والتحرر من الغازي، والظالم، وتسهم في الانعتاق من أسر الشهوة والمعصية. وهذه دول تاريخ الإسلام شاهدة؛ من حروب الإخوة وصراعاتهم ، أو صراع الغزاة وقراعهم، أو فتن شتّى، أو مصائب كبرى.

إذا غفل المرء عن أيّ شيء في أمر التصوّف الذي لا بدّ من الخوض في غمار أفكاره، أو سلوكه والسير في طريقه، فلا يغفلنّ عن حقيقة ثابتة ثبات الأرض حول مدارها، وراسخة رسوخ جبالها، ظهرت هذه الحقيقة في وعي الإنسان أم اختفت، وهي: إنّ أغلب علماء الدين وأهمّهم عندما يستحسنون صنع عالم، أو راوٍ، أو حافظ قراءات، أو مؤلّف، أو عابد، أو زاهد يقولون: «إنّه صوفيّ»؛ فانظر في شرح صحيح مسلم تجد أنّ الإمام النوويّ إذا أراد أن يمدح أحد شيوخ السنّة يلقّبه بالصوفيّ. وكذلك الإمام ابن الجوزيّ في "صفة الصفوة" عندما يترجم لأئمّة الحديث في القرن الأوّل والثاني والثالث ويريد مدحه يقول: «الصوفيّ».

كذلك الحافظ الذهبيّ في "سير أعلام النبلاء" عندما يعظّم اسم أحد المترجَمين يجعل كلمة «صوفيّ» مدحة له.

والإمام ابن حجر شارح البخاريّ يؤلّف ترجمة للشيخ الجيلانيّ، ناهيك عن أنّ جميع شرّاح البخاري من أصحاب الصلة بالصوفيّة؛ كذلك جميع أسانيد الأمّات الستّة من رواة الصوفيّين، فهم أعظم من خدم الكتاب والسنّة النبويّة المطهّرة.

لم تكن مواقف الأئمّة السلفيِّين ترفض التصوّف، ولم تكن تدين أعلامه الصالحين، كما ورد في كتاب «مواقف الأئمّة السلفيين من التصوّف» ... حتّى أولئك الذين ينتقدون التصوّف وأهله ممّن يدّعي أنّه هو على مذهب السلف الصالح مراجعهم اليوم أحمد بن تيميّة وابن قيّم الجوزيّة لو قرأ كلامهم عن الصوفيّة لاستحى من أن يتجرّأ على التصوّف وأهله؛ فابن تيميّة ألّف كتاباً سمّاه «الصوفيّة والفقراء»، وأقرّ مجلّدين من الفتاوى في الحديث عن الصوفيّة، وذكر أنّ له سنداً في الرواية عن القطب عبد القادر الجيلانيّ. وإذا ذكره يقول: «قدّس الله سرّه».

أمّا تلميذه، وناقل مذهبه، وأمينه على فكره وعلمه فاقرأ له «مدارج السالكين في شرح منازل السائرين» يكفك ويغنك عن قول آخر.

إنّ مرجع أسانيد علم القراءات هو أئمّة الصوفيّة، وكلّهم يتّحدون عند الشيخ زكريّا الأنصاريّ شارح الرسالة القشيريّة التي تعدّ بالحقّ دستور أئمّة التصوّف.

إذاً نستطيع القول: إنّ أصل التصوّف روح الكتاب والسنّة فهو التخلّص من أدناس القلب، والأخذ بطهارته، وتعريضه لنفحات الربّ، والعمل بمقتضى الكتاب والسنّة.

إنَّ علاقة أبناء التصوّف بالفقه علاقة وثيقة، ووثيقة جدّاً، لا انفصام لها في كلّ التكاليف. فكون المرء صوفيّاً لا يعني انعتاقه من أيّ إطار مفروض من أطر العبادة؛ بل على العكس تماماً، فعندما يتعمّق المرء في عبادته وفق هذه الرؤى يعطي فروضه أفقاً آخر مختبئاً خلف هذه الفروض؛ وهو القربى من فارض هذه الفروض «وما تقرّب إليّ عبد بأحبّ ممّا افترضته عليه» وهذا هو الأهمّ عند الصوفي، يقول الجنيد: «إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء، ويمشي على الماء فلا تغترّوا به حتّى تجلسوه على الأمر والنهي؛ فإنْ وجدتموه ممتثلاً للأمر منزجراً عند النهي فهو من أولياء الله الصالحين. وإنْ وجدتموه يخالف الأمر والنهي فاضربوا بكرامته عرض الحائط؛ فإنّه زنديق».

إنّ المتصوِّفة عبر التاريخ كانوا يحاولون أنْ يجلوا للناس المرآة التي في دواخلهم، كانوا يصحِّحون النوايا، يقولون للناس: إنّ الطريق إلى الله متعدّدة السبل، سبلهم متنوّعة لا تحصر؛ فهي بعدد أنفاس البشر. كلّ فرد له طريق يسير من جهته منفرداً متفرِّداً؛ هذا بكثرة عبادة، هذا بالصدقات، هذا بمساعدة الخلق، هذا بكثرة الذكر، هذا بخلوته بقلبه، هذا بفكره بتأمّله وهذا بابتكاره وإنجازه......

لكنّهم كلّهم يجمعون على أنّ التكاليف الإلهيّة لم توضع عن أحد ولو كان الرسول محمّداً صلّى الله عليه وسلّم. وهم مأمورون بها ولو كان المرء في النزع الأخير.

إنّ الفارق بين الفرد من أهل التصوّف وبين العامّي متناهٍ في الدقّة ـ ولا أقصد بالعامّي من لم يتعلّم، لا، أبداً؛ بل يدخل أيضاً من يكون عالماً في اختصاصه أيّاً كان الاختصاص ـ الفرق بينهما دقيق؛ فالمتصوّف يعكف على ذاته، يراقب نفسه، يلتقط من صفحات روحه أسطر الرؤى والمشاهدات المنيرة التي ظهرت على مرآة قلبه للكون وما فيه؛ فيتذوّق التفريق بين الحقّ والباطل دون أن ينظر في كتاب؛ وإنّما شرب من كؤوس التعب والمجاهدة، فذاق التجلّيات عبر الرسائل المتوالية التي لا تنقطع، واغترف من إشراقاته وإلهامه، وتوغل فيها، وعكف على ذاته المدركة، الواعية، العارفة أنّها مرآة الكون؛ فكان الصوفيّ عاشقاً فنّاناً ثائراً تولّه في محبوبه، وصار لا يبصر بعينه؛ وإنّما يراه متجلِّياً على مرآة ذاته العاشقة.

أمّا العامّي فقد تغافل عن إشراقات قلبه، وأصمّ أذنيه عن سماع وقع تجلّيات فطرته السليمة، وثراء باطنه على طبول دقّات قلبه، ومضى في الحياة يجري في خضمّها جري الوحوش؛ فاحتجب عن التجلّيات الإلهيّة على صفحات قلبه، واحتجبت عنه، فعتّمت مرآة قلبه، فما بات يسمع إلّا تخاريف، ووساوس وأوهاماً، مع أنّه لا يوجد أحد محروم من الفيوضات أو التجلّيات، ولكنّ بعض الناس تنبّه لها وطوّرها وتطوّر بها وارتقى في مدارجها، واعتلى معارجها. وأمّا الآخر فقد تغافل في الوقائع وانهمك فيها، وخاض لجج الحجب والغفلات، وغاب في غمارها.

إنّ علوم الدِّين كلّها عانت مِن الكذّابين والوضَّاعين عبر التاريخ الإسلاميّ؛ ذلك أنّ الحقائق يمكن أنْ تخفى ببساطة في منسوخ ينسخ منه عدّة نسخ توزّع في الأمصار، ويلفّق فيه ما يلفّق. وإن إدخال أيّ فكرة على أيّ مخطوط لا يكلّف المرء إلّا إعادة نسخه وإدخال ما تريد إرادة شياطين الإنس والجن فيه.

كذلك عانى الأشخاص من هذه الظاهرة أيّاً كان موقعهم من الحياة مفكِّرين، علماء، خلفاء، أمراء، ساسة..... أيّاً كان وصفهم؛ ففي علم الحديث ما يزال صدى صوت ذلك الزنديق على النطع ليلقى جزاءه يخاطب الخليفة العبّاسيّ: أين أنتم من ألف حديث افتريتها على لسان نبيّكم؟!. يجيبه الخليفة العبّاسيّ: وأين أنت من عبد الله ابن المبارك و... و... ينخلونه كما ينخل البرّ.

لأجل ذلك وضعت علوم الصحيح، والحسن، والضعيف؟، والموضوع، والجرح، والتعديل، والتراجم، والسير، والطبقات، والتهذيب، والكمال....

في التفسير دخلت الإسرائيليّات، فغرّبت الناس وأغربت.

في التوحيد دخل التجسيم، والتعطيل، والتشبيه، وأفكار مذاهب التوحيد، وكلّ الأمور المخالفة للعقيدة السليمة؛ فتفرّقت الأمّة بضعاً وسبعين شعبة.

فهل نترك كلّ العلوم كما هي الدعوى لترك التصوّف أم ننقّيها وننخلها كما ينخل البرّ، وكما نخل علماء الحديث الصحيح والموضوع.

إن وجود المندسّين بين الصفوف، وبين الكتب، وبين الأفكار لا يعني التوسّع في سدّ الذرائع بإغلاق الباب كلّه، وهذا أمر موجود وثابت ـ أقصد وجود المندسّين في الفكر والدين وغيرهما، واسألوا الشعراني في مقدّمة لواقح الأنوار، وأقصد أيضاً مبدأ سدّ الذرائع كردّ فعلٍ على وجود الخطأ ـ فكلاهما موجود، ووجودهما لا يعني أيضاً نبذ العِلم كلّه الذي أشرقت شموس زهد أصحابه، وسماحة أرواحهم، وتزكية نفوسهم، بدءاً من حياة الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلى اليوم، وإلى قيام الساعة.

لقد قام أصحاب هذا العلم، أو هذا الطريق، أو هذا السلوك على دعائم الحقّ، وألسنة الصدق. وثبتوا على قدم الاستقامة فنالوا أعظم الكرامة؛ فالاستقامة عين الكرامة.

وإنّ مكر أعداء الإسلام والمسلمين يكمن في خلق الشكّ وإشعال نيرانه في صدور المسلمين بعلوم دينهم؛ وعاء وجودهم، وحاضن آخرتهم؛ وذلك لزرع الاشمئزاز، ثمّ البعد، والقطيعة مع: دينهم، وعلومه، وعمّاله، وعلمائه من السلف الصالح من المحدّثين، والقرّاء، والفقهاء، والتراجمة، واللّغويّين، والأدباء، والمفكّرين، والشعراء، والمؤرّخين، صوفيّين كانوا أم غير صوفيّين؛ وذلك حتّى تأتي الأجيال اللاحقة فتنفي هذه العلوم وتنبذ كلّ العلماء؛ لأنّها وصلت عن أولئك القوم، وتزرع ما تشاء في أرض حرثتها بمكر، وبذرتها بخبث بأشتال ما لا يرضي الله ورسوله.

لم يقتصر دور المتصوّف في القرن الثاني الهجريّ على الزهد في الدنيا وزخارفها طمعاً في الآخرة ونعيمها؛ بل تعدّاه إلى الزهد في الجنّة طمعاً بمحبّة الله تعالى وعرفانه. ومع ذلك فقد انخرطوا في لجج الحياة العامّة؛ خصوصاً إنْ كان الأمر دفاعاً عن أرض إسلام، أو سعياً في نشر لوائه، في ثغور شام، أو تخوم أندلس، أو فارس، وهند وصين وغيرها.... ورأوا أنّ نصر الأمّة لا يكون إلّا بتقوى أبنائها لربّهم، متأسّين برسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي بدأ معركة بدر باللّجوء إلى الله، والدعاء، والتبتّل قبل أن يعمل السيف عمله برقاب الأعداء. وكذلك في أُحد حيث علموا أنّ مخالفة صغيرة لأوامر الله ورسوله قلبت نصراً إلى هزيمة. وانطلق ابن المبارك وأمثاله من: داوود بن نصير (ت ١٦٥هـ) والفضيل بن عياض (ت ١٨٧هـ) ورابعة العدويّة (ت ١٣٥هـ) منذ القرن الثاني للهجرة وعبر التاريخ الطويل للأمّة بعد أن فهموا رسالة التصوّف حقّ فهمها على أنّها اتّباع كامل لكلّ شريعة الله تعالى، وتطبيق لكلّ سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وتخلية القلب عن كلّ ما سوى الله من أغيار شواغل الدنيا. لم يفهموا التصوّف قعوداً مع القاعدين، ولا بقاء مع الخالفين؛ بل كانوا يشكّلون أحياناً تجمّعاً لهم في مرابض الجهاد في ثغور الشام

لـمّا واجهوا البيزنطيّين، أمثال التجمع الذي كان رأسه أبو القاسم القحطبي الصوفيّ، وأبو القاسمَ الغزيار، وأبو القاسم الملطي الصوفيّ صاحب الجنيد[1].

وإذا جاء الصليبيّون فأئمّة القادة وأئمّة الجيوش المناوئة المجاهدة رُبّوا في مدارس تصوّف الجيلانيّ، كآل زنكيّ، وعلى رأسهم نور الدين الشهيد. وهم بدورهم رَبّوا جندهم في مدارسهم الصوفيّة على كتاب «الإحياء»، على امتداد بلاد الشام ومصر، وكذلك آل أيوب فعلوا.

صحيح أنّ الغزاليّ لم يصنّف في كتابه الشهير «إحياء علوم الدين» أيّ فصل في الجهاد؛ لكنّه علم أنّ تقصير الناس في هذه الفريضة سببه حبّ الدنيا وكراهية الموت، وهو الوهن الذي أصاب الأمّة كما سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الشريف؛ لذلك الغزاليّ بنى الإحياء على مواجهة المرض، وهيّأ عقائد القادة والجند للثبات في مستنقع الموت لتحرير القدس ومصر والشام.

أمّا الإمام الشاذليّ فكان طليعة جيش الدفاع عن منصورة مصر وقد تجاوز الستّين من عمره، وكفّ بصره، وكان العزّ بن عبد السلام في جيشه.

وفي الأندلس منع المرابطون سقوط الأندلس مئتي سنة. وهم الذين رُبّوا في مدارس الشيخ الجيلانيّ بباب الأزجّ في بغداد[2].

وعلى امتداد القرون لم تنقطع جهود ، فهم طليعة المهاجمين للبيزنطيّين في آسيا وأوروبا، وهم رؤوس المدافعين مع القبائل السلجوقيّة في آسيا، وهم حربة الدولة العثمانيّة التي تشكلت نتيجة منازلة البيزنطيّين وتوسعت على مدى القرون[3].

وإذا ذُكرت جهود في تحرير البلاد والعباد من رجس الغزاة الظالمين الصليبيّين فلا بدّ من ذكر عَلَمٍ كبير في تلك المواجهة؛ وذلك لأنّ أثره امتدّ من العهد

(١) انظر عزّة حصريّة «إمام السالكين وشيخ المجاهدين الشيخ أرسلان الدمشقي» ص٢٨.
(٢) انظر ماجد عرسان الكيلاني: «هكذا ظهر صلاح الدين».
(٣) انظر عزّة حصريّة «إمام السالكين وشيخ المجاهدين الشيخ أرسلان الدمشقي» ص٢٨.

الصليبيّ إلى العصر الحديث في عهد الاحتلال الفرنسيّ، ومازال يذكر في تراثنا الشعبي حتى الساعة، وهو الشيخ أرسلان الدمشقيّ. هذا الشيخ الذي بدأ طفولته، وأمضى مراهقته وصدراً من شبابه وهو يدافع عن مسقط رأسه في قلعة جعبر. وبعد سقوطها غادرها في العشرين من عمره إلى دمشق التي اختير فيها للدفاع عنها، وبُني له الرباط[1] بجانب رباط أبي البيان، الصوفيّ الشهير وقت ذاك، فربّى جنده في رباطه تربية الصوفيّة، وأبعد الصليبيّين عن دمشق في الفترة ما بين سقوط القدس بأيدي الصليبيّين (٤٩٢)هـ وحتّى وفاته (٥٤١)هـ. وكان بحقّ مع جنوده من رهبان الليل فرسان النهار. وقد استمرّ الشيخ أرسلان مع أهل دمشق في نضاله طوال وجود الفرنسيّين، فما إن يسمع الشبّان كلمة السرّ «شيخ رسلان يا شيخ رسلان يا حامي البرّ والشام» حتّى يبادروا إلى المظاهرات ضدّ الفرنسي المحتلّ[2].

وإذا نظرنا إلى تكوين الدولة العثمانيّة نجدها قامت على أمثال الذين رابطوا في الثغور، وتآلفوا وتحالفوا مع القبائل السلجوقية في صدّ الهجمات البيزنطيّة إلى أن تشكّلت الدولة العثمانيّة التي مدح النبيّ صلّى الله عليه وسلم جيشاً فيها، وقائداً فيها «لتفتحنّ عليكم القسطنطنيّة فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»[3] واستمرّت على نهج التصوّف إلى آخر خليفة فيها.

وفي العصر الحديث إذا نظرنا في أقطار الوطن العربيّ نجد الذين اشتروا آخرتهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم من على رأس معارك التحرير من المستعمرين الجدد من أجل سلامة الأديان وتقدّم الشعوب وتحرير الأوطان.

من المغرب من يتجاوز عبد الكريم الخطّابيّ المغربيّ وثورته.

---

(١) الرباط منازل الصوفيّة مثل المخافر اليوم والمراصد المتقدّمة على الحدود يقيم فيها عدد قليل من الجنود لرصد العدو، والصدّ المبكر لهجماته المفاجئة.

(٢) المرجع السابق ص١٠٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث بشر الخثعمي، ١٨٩٥٧.

من الجزائر من ينسى الأمير عبد القادر الجزائريّ الذي قاد ثورات الجزائر، الصوفيّ صاحب كتاب «المواقف»[1].

في ليبيا نلمح شيخ الطريقة السنوسيّة عمر المختار يقود معارك إعلاء كلمَتي الحقّ والدين.

في بلاد الشام نرى أبناءها على طول البلاد وعرضها كعزّ الدين القسّام وبدر الدين الحسنيّ وأحمد الحارون وغيرهم يخوضون غمار المعارك قيادة وقتالاً مثبتين أنّ سياج الأوطان هم أبناؤه الذين يبيعون دنياهم طلباً لرضا ربّهم ومحبته، وأنّ انتشار الإسلام، وعزّة أبنائه خضع أوّلاً وأخيراً لحماسة هؤلاء الأفراد، وقوة إيمانهم العميق بصدق رسالتهم، وعظمة دعوتهم، ومثوبة خالقهم، وتلاشي كلّ جزاء أمام نشوة لذّة وصاله ومحبته.

إنّ هذا التاريخ المشرق للمتصوّفة في حياة أمّة الإسلام كافٍ وحده أن يبرز الفارق بين تصوّف المسلمين الذي هو حياة إيجابيّة وحيويّة مهذِّبة لسلوك المسلم، ومسدّدة لخطاه ممّا يقرّبه من الله تعالى، وبين التصوّف السلبيّ لغيرهم من الأمم، الذي هو هروب من الحياة، ويردّ الادّعاء الذي يحاول فيه أهله من المسلمين وغير المسلمين ربط التصوّف بالأمم السابقة، وبالمذاهب الضّالة، والفرق الأخرى ذات الانحراف البيّن.

أخيراً نقول: إنّ ما يدفع المرء ليضع أقدامه في طريق أولئك الأئمّة الهداة أيضاً هو الحقيقة التي لا يراها إلّا كلّ من فتَّح الله له بصيرته، فأوقف نفسه لله، وما رأى للأشياء خالقاً إلّا الله ، ولا دافعاً، ولامحرّكاً، ولا ممدّاً، ولا متصرّفاً، ولا موئلاً إلّا الله. بيده الملك والملكوت، وإليه يرجع الأمر كلّه. وما هذا الوجود كلّه إلّا وهم، سراب، خيال، سرعان ما يتلاشى، يذهب إلى فناء؛ فكلّ ما حولنا مذ كنّا صغاراً قد فني، الأعمار فنيت، الأجساد فنيت وتلاشت، الأحباب غابوا وتلاشوا تحت التراب، الأعداء تلاشوا تحت التراب، الصغير تلاشى، الكبير تلاشى. كلّه إلى زوال: الأحلام، الحقائق، الفنون الأفكار، الفلسفات. النظريات تموت واحدة وتحيا أخرى

لتلهث وراء الموت، أو لينشب الموت أظفاره فيها من جديد. أليس حريّاً بالمرء الذي رصد على صفحات قلبه تقلّبات ذهاب الدنيا، وفناء الأشياء أن يزهد في هذه الدنيا، وأن لا يختارها هدفاً ينشده، والرفاهية والرخاء والظفر بملاذّ الحياة ومتعها ليس هدفاً: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٢٠]. وفي الحديث: «اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصاً ولا يزدادون من الله إلّا بعداً»(1).

لا يجوز للإنسان المؤمن أن يعيش ضائعاً مهملاً، مشغولاً بالطعام والشراب، والجنس، والشهوة والنساء. ليست الدنيا كما قال أحدهم:

إنّما الدنيا طعام وشراب ومنام فإن فاتك هذه فعلى الدنيا السلام

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [٣٥/ فاطر/ ٥-٦]. «ألا وإنّ الدنيا عرض حاضر يأكل منه البرّ والفاجر ألا وإنّ الآخرة أجل صادق، يقضي فيه ملك قادر، ألَا وإنّ الخير كلّه بحذافيره من الجنّة، ألا وإنّ الشرّ بحذافيره من النار ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنّكم معرضون على أعمالكم فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» وإنّما الدنيا فرصة لنفعل ما أمرنا به بعبارات موجزة شافية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [٢٢/ الحج/ ٧٨].

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [٣/ آل عمران/ ٥٣].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقائق، ٧٩١٧.

عُمَر بن الفارض

هو أبو حفص، أو أبو القاسم، شرف الدين عمر بن علي بن المرشد الحمويّ الأصل، المصريّ المولد، والدار، والوفاة. المعروف بابن الفارض.

والفارِض بالفاء والراء المكسورة، وليس بالراء المفتوحة كما ذهب ابن المستوفي[1] المعاصر لابن الفارض وكذلك ابن خلكان أكّد هذا الضبط[2].

اشتهر بنسبه إلى بني سعد قوم حليمة السعديّة، لكنّ ابن الفارض رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في نومه وقال له: بل أنت مني، ونسبك متّصل بي[3].

اختلف المترجمون له في مولده؛ ذلك أنّه وأمثاله من الشعراء والعلماء والأجلّاء وسائر الناس لم يكن مشهوراً يوم ولد، فأهمل بعضهم يوم مولده كالذهبيّ في سير أعلام النبلاء ولسان الميزان، وذهب بعضهم إلى أنّ مولده (٥٦٦) هـ كابن العماد، وذهب أخرون إلى (٥٧٦) هـ كابن المستوفي المعاصر له، وتلاه ابن خلّكان.

ولعلّ قول الحافظ المنذريّ الذي التقى به، وسمع شعره، وسأله عن مولده

---

(١) انظر تاريخ أربل للمبارك بن أحمد بن موهوب الأربلي، المعروف بابن المستوفي (ت٦٣٧هـ)، تحقيق سامي بن سيد خمّاس السقار - دار الرشيد العراق،٢/ ٦٨١. والفارض اسم فاعل من فرض، بينما اسم المفعول مفروض. والفارض هو الذي يكتب الفروض للنساء على الرجال، والفارض أيضاً المسن من البقر ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٨] والفارض القاطع، أيّ: يقطع الأرض لما يعمل من الأعمال الشاقّة، وفرضتُ له أفرض: أثبتّ له فرضاً، ورسمت له رسماً في الديوان، أيّ: جعلت له عطاء، وكذلك في المواريث: إذا بيّنت له ما يصيبه، أو يصيب كلّ واحد من الورثة.

(٢) انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي (ابن خلكان) (ت٦٨١هـ). تحقيق د. إحسان عبّاس، دار صادر بيروت ٢ / ٤٥٤. وانظر مفردات القرآن للراغب الأصفهاني مادّة (فرض).

(٣) انظر الديباجة ص١٨٢.

فقال: «آخر الرابع من ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمس مئة» لعلّ قوله هذا هو الأرجح والأقوى والأصح.

لكن أجمع المترجمون له على أنّ وفاته (٦٣٢) هـ.

لقبه سلطان العاشقين:

أوّل من أطلق هذا اللّقب هو على نفسه؛ فالعاشقون كلّهم من رعيته كما قال:

وملك معالي العشق ملكي وجندي الـ ـمعاني وكلّ العاشقين رعيّتي[١]

وهو لقب قديم، أورده صاحب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ابن عماد الحنبلي فقال: وليس سماع الفسّاق كسماع سلطان العاشقين[٢].

ـ واشتهر في حياته بالأديب الفاضل كما وصفه المنذريّ في التكملة عندما ترجم له بقوله: «في هذه السنة في الثاني من جمادى الأولى توفي الشيخ الأديب الفاضل أبو القاسم عمر بن الشيخ أبي الحسن عليّ بن المرشد بن عليّ الحمويّ الأصل، المصريّ المولد والدار». وكذلك وصفه الذهبيّ بالأديب البليغ»[٣].

أبوه عليّ، أبو الحسن (الفارض): قدم من حماة إلى مصر. لم يذكر المترجمون والمؤرخون سبب قدومه من حماة إلى القاهرة، ولا سببه؛ ولكن يمكن للمرء ألّا ينسى أن الفترة الزمنيّة التي قدم فيها أبوه من حماة إلى مصر هي فترة الحروب الصليبيّة، وبلاد الشام ومصر آنذاك مسرح العمليّات للقائد صلاح الدين وسلفه نور الدين، ولعلّ الشيخ الصوفيّ أبا الحسن (الفارض) كان مواكباً لإحدى هذه

---

(١) انظر الديوان بيت رقم٢٩٣ من قصيدة نظم السلوك.

(٢) انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود أرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت ط١، ١٩٨٦.

(٣) قال الذهبيّ في تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام ١٤/ ٧٦: «عمر بن مرشد بن علي الأديب البليغ أبو القاسم الحموي الأصل المصري المولد والدار».

الحملات فقدم معها[1]، ثم عُيِّن في نيابة الحكم[2]، وقام بوظيفة اجتماعيّة هامّة، وهي وظيفة كتابة ما يسمّى في مصر القائمة، وهي التي كانت تكتب للنساء من الحقوق عند الزواج وتوثّق في الدواوين.

وقد كان تعيينه ذلك نظراً للمعرفة بعلمه، وصدقه، وصلاحه، وفقهه، ومكانته؛ فاشتُهر لذلك باسم "الفارض". كان عابداً، زاهداً، ورعاً. ثمّ ندبه الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين لشغل منصب قاضي القضاة. فرفض المنصب، وآثر الاعتزال في قاعة الخطابة في الأزهر ما بقي له من أنفاس حتى لقي وجه ربّه. فهيّأ له ذلك العناية بابنه عمر خير عناية. هذا يعني أنّ أباه أوّل شيوخه الذين جمعوا صفات غزارة في العلم، وزهد في الدنيا، وورع وتقوى. ولم يكتفِ بذلك؛ وإنّما كان يدفعه إلى مجالس العلم، ويأذن له في السياحة.

شيوخه:

تغفل أغلب المصادر التي كتبت عنه أسماء شيوخه؛ لكنّها تذكر في أغلبها أنّه أخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحديث الحافظ المنذريّ. وهذا أمر لابدّ له من البحث والتثبّت.

---

(١) في سنة ٥٧١هـ اتفق السلطان صلاح الدين الأيّوبي مع الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين إثر محاولة اغتياله في إعزاز على أن يحكم صلاح الدين من حماة إلى مصر، وتبقى البلاد الحلبيّة تحت حكم الصالح إسماعيل. ثمّ خرج صلاح الدين إلى مصر ٥٧٢هـ قبل ولادة عمر ابن الفارض بأربع سنوات إثر خروج مئة ألف من السودان من صعيد مصر إلى القاهرة لاستعادة الدولة الفاطمية فتصدى لها الملك العادل أبو بكر أخو صلاح الدين، ولعل أبو الحسن الفارض قد رافق هذه الحملات أو أمثالها، والله أعلم.

انظر: «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بردي، سنة ٥٧١و٥٧٢.

(٢) نيابة الحكم أي: نائب المحتكم، أي: هو من القضاة. وقد يدلّ على منصب في القضاء، أشبه اليوم بما يسمّى مدير التنفيذ في المحاكم، أو رئيس الديوان. يُعيِّنه قاضي القضاة، أو ربّما القاضي. مع الملاحظة أنني لم أعثر على أيّ نصّ صريح في تحديد هذا المنصب فيما اطّلعت عليه.

أمّا ابن عساكر الحافظ المحدّث أعظم المؤرّخين الذين ألّفوا في تاريخ المدن، صاحب كتاب تاريخ دمشق الشهير فهو: أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر). ولم يأخذ عنه ابن الفارض قطعاً؛ ذلك أنّ ابن الفارض ولد بعد وفاة أبي القاسم ابن عساكر بخمس سنوات؛ فقد توفي ابن عساكر سنة (٥٧١)هـ وولد ابن الفارض سنة (٥٧٦) هـ كما صرّح بذلك ابن الفارض نفسه للحافظ المنذريّ[١] ولم يأتِ أبو القاسم عليّ بن الحسين إلى القاهرة، لا طالباً للعلم، ولا محدّثاً، ذلك أنّ جدّ ابن عساكر يحيى القرشي حثّه على السفر إلى خراسان (إيران وأفغانستان وجنوب روسيا) لما فيها من كبار المحدّثين، ولخلو مصر منهم في ذلك الوقت.

وأمّا أبو محمّد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله (بن عساكر) فهو ابن الحافظ المحدّث المؤرخ أبي القاسم صاحب التاريخ المشهور فقد توفي سنة ٦٠٠هـ وزار مصر وحدّث فيها؛ فهو الشيخ المقصود عند كلّ من ترجم لابن الفارض كما ذكر الحافظ المنذريّ.

ومع أنّ الحافظ المنذريّ رحمه الله (٥٨١-٦٥٦هـ) عاصر ابن الفارض كلّ حياته إلاّ بضع سنين، فلم يذكره من شيوخه، وإنّما قال في معجمه: «سمعت منه **من شعره**»[٢] إذاً من شعره وليس من روايته للحديث. وكما قال ذلك في «التكملة لوفيات النقلة»: «...وقال الشعر الجيّد على طريقة التصوّف وغيرها، وحدّث. سمعت منه **من شعره**، وسألته عن مولده فقال: آخر الرابع من ذي القعدة سنة ست وسبعين؛ يعني وخمس مئة»[٣].

---

(١) انظر كتاب «التكملة لوَفَيَات النقلة» لزكيّ الدين أبو محمّد عبد العظيم المنذريّ، تحقيق بشّار عوّاد معروف، سنة ٦٣٣هـ، ص٣٨٨، ٣٨٩.

(٢) انظر المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٣) انظر: «لسان الميزان» لابن حجر، أبي الفضل أحمد بن على بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) تحقيق عبد الفتّاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلاميّة ٦ / ١٢٢.

إذاً يخلص المرء من ذلك كلّه أنّ ابن الفارض لم يأخذ من أبي القاسم ابن عساكر الأب صاحب تاريخ دمشق؛ وإنّما أخذ من أبي محمّد القاسم بن عساكر الذي نسخ تاريخ أبيه، ووضع له مختصراً، وأنّ المنذريّ لم يسمع من ابن الفارض إلّا شعره وإنْ صرّح بأنّه حدّث .

ولكن لا يحطّ هذا من قدر تحصيل ابن الفارض في علوم الدين كلّها، وعلوم اللّغة بأصولها وفروعها؛ بل على العكس، إنّ وجود أب بمستوى قاضي القضاة، وهو متفرّغ للعلم والعبادة، وهو زاهد، ويدفع ابنه في مجالس العلم ومدارسه السائدة في القاهرة على تنوعها، ومجالس الحكم وخباياه آنذاك يوفّر لابن الفارض قاعدة علميّة تؤهله ليكون باباً فريداً في هذا النوع من الشعر يعجز الشعراء عن صعود قمّته نفسها، معتمداً على ما حصّله من علوم العقيدة والحديث والتفسير والفقه والشعر والعربيّة وسائر العلوم على يديه.

ولعلّ من أهمّ شيوخه الذين أثّروا فيه أيّما تأثير شيخه البقّال، بائع البقل في دكّانه على باب المدرسة السيوفيّة، وهو الذي لم يدرِّسه في كتاب، ولم يجزه في مروياته، ولم يعرف عنه ابن الفارض شيئاً إلّا أنّه بقّال[1] لكنّه استخلفه.

سياحته:

السياحة رحلات يقوم بها المتصوِّفة السائحون في القفار، أو الجبال أو الأودية، أو التخوم، أو الثغور، بعيداً عن عيون الخلق الراصدة وتواصلها المبني على الغفلة، والعقوق، وشحيح المادّة، وقطع الحقوق، متفردين بمن أوقد في قلوبهم جذوة الحبّ التي لا تستطيع مغريات الأرض ووسائلها وأهلها أن تخمد حرّ

---

(١) البقّال علي أبو الحسن شيخ ابن الفارض، صاحب الفتح الإلهيّ، والعلم الوهبي، وكان يبيع البقول بحانوت على باب المدرسة السيوفيّة يتستر حتّى لا يعرفه أحد، ويظهر الجهل لئلّا يعكف عليه الناس. انظر طبقات الأولياء للمناوي واليافعي في كفاية المعتمد والدميري في حياة الحيوان.

لهيبها، فقد حوّل الحبّ، والذكر، والوصال، والأحوال المختلفة الآلامَ إلى ملذات، والشدائد إلى مسرّات، واستسلموا للحبّ الإلهيّ حتّى تلاشوا فيه؛ فالموت فيه حياة، والفناء فيه خلود؛ ذلك لمّا كوشفوا بجمال الملكوت الأعلى وجلاله في سياحة الخلوات، فقطفوا ثمار ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٥٠].

والسياح منهم شهيرون: إبراهيم بن أدهم، عبد القادر الجيلانيّ، ذو النون المصريّ، أبو الحسن الشاذليّ، وعمر بن الفارض.... وللسياحة في جبل المقطّم إغراءٌ للصوفيّين، وله أمان للخائفين الهاربين والمستضعفين؛ فهو قبل أن يضمّ رفات الصالحين، ومعارج أرواح المحبّين إلى محبوبهم، فيه غرس الجنّة كما ذكر ابن الفقيه في «البلدان» فقد سأل المقوقس عمرو بن العاص أنْ يبيعه سفح المقطّم كلّه بسبعين ألف دينار. فكتب عمرو إلى عمرَ بن الخطاب فقال له: سله لم أعطانا بها وهي لا تستنبت ولا تزرع؟!. فقال: إنّي أجد في الكتب أنّ فيه غرس الجنّة. فأعلم عمرو عُمَرَ ذلك، فكتب إليه: إنّا لا نعلم غراس الجنّة إلّا للمؤمنين، فاقبر فيه من مات من المسلمين، ولا تبعه بشيء. فكان أوّل قَبْرٍ قُبِرَ فيه رجل يقال له عامر فقيل عَمَرتْ[1]. ولقد عمرت بالمساجد والمدارس والقبور، والصالحين، والعلماء، والعبّاد، والأولياء. وإليه هفت سياحة ابن الفارض فتى، وشابّاً، وعلى أبواب الكهولة. وإليه سمت روحه قبراً، في موضع مرشده الذي لم يكن يعرفه قبل أنْ يُفتح عليه، موضع مراكع موسى عليه السلام.

نترك سبط ابن الفارض عليّ ينقل لنا في ديباجته حديث جدّه عن نفسه: «كنت أوّل تجريدي أستأذن والدي وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل الثاني من المقطّم، وآوي فيه، وأقيم هذه السياحة ليلاً ونهاراً»[2].

---

(١) انظر كتاب «البلدان» لأبي عبد الله أحمد بن محمّد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه ت ٢٦٥هـ، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب ١ / ١١٧.

(٢) انظر ديباجة الديوان ص١٦٦.

كان ابن الفارض يتجرَّد في جبل المقطم ليلاً ونهاراً، يمضي أيّاماً في خلواته، ثمّ يعود إلى والده القاضي، القائم بأعباء نيابة الحكم، فيلتقيه الأب الشفوق، يعانقه، يسعد بقربه، يفرح بسلامته، ويحضّره مجالسه، ويدفعه إلى مجالس العلم. ولمّا تتوق النفس إلى لقاء حبيبها من جديد بعيداً عن أعين الرقباء، يعاود ابن الفارض سياحته طالباً فتحاً ووصالاً، وهكذا يفعل فترة طويلة من عمره، حتى بعد وفاة أبيه.

ينقل لنا عليّ سبط ابن الفارض في الديباجة وغيرها من مواضع الكتاب عن خاله محمّد عن جدّه عمر بن الفارض حديثه عن أهمّ سياحة تجرّد لها، في أهمّ مراحل عمره الذي بلغ فيه ذلك الوقت قرابة الثامنة والثلاثين سنة فيقول: «حضرت من السياحة إلى المدينة، فوجدت رجلاً شيخاً بقّالاً على باب المدرسة يتوضّأ، غسل يديه، ثمّ غسل رجليه، ثمّ رأسه، ثمّ غسل وجهه. فقلت له: يا شيخ، أنت في هذه السنّ، وأنت في دار الإسلام، على باب هذه المدرسة، بين فقهاء المسلمين، وأنت تتوضّأ وضوءاً خارجاً عن الترتيب الشرعيّ؟!.

فنظر إليّ وقال: لم أتوضّأ إلّا مرتّباً، ولكنّك لا تبصر، لو أبصرت لأبصرت هكذا، وقال: يا عمر، أنت ما يفتح عليك في مصر؛ وإنّما يُفتح عليك بالحجاز، في مكّة شرّفها الله تعالى، فقد آن لك وقت الفتح؛ يا عمر أنت ما يفتح عليك بمصر. فعلمت أنّ الرجل من أولياء الله تعالى، وأنّه يتستر بالمعيشة ـ وهي بيع البقل ـ وإظهار الجهل بترتيب الوضوء. فجلست بين يديه، وقلت له: يا سيّدي، وأين أنا وأين مكّة، ولا أجد ركباً، ولا رفقة، وفي غير أشهر الحج. فنظر إليّ، وأشار بيده، وقال لي: هذه مكّة أمامك. فنظرت معه، فرأيت مكّة شرّفها الله تعالى. فتركته وطلبتها امتثالاً. فلم تبرح أمامي إلى أن دخلتها في ذلك الوقت. وجاءني الفتح حين دخلتها، وترادف ولم ينقطع .قال سبط الشيخ: وإلى هذا الفتح أشار رضي الله عنه في القصيدة الداليّة حيث قال:

يا سميري روّح بمكّـة روحـي شـادياً إنْ رغـبت في إسـعادي
كان فيها أنسي ومعراجي وقدسي ومقـامي الـمقام والفتح بادي

إذاً انقسمت سياحته إلى مرحلتين اثنتين، الأولى في جبل المقطّم، أخذ فيها نفسه بالمجاهدة بأنواع العبادات والرياضات، وكانت تحت أنظار أبيه، ثمّ استمر بها بعد وفاة أبيه. والثانية تبدأ بعد لقاء البقّال الذي ما كان يعلم ابن الفارض من حقيقة أمره شيئاً. وكانت هذه المرحلة بجوار مكّة، بين أوديتها وجبالها، لا أنيس له فيها من الخلق إلا الوحش، والفلاة، والجبال، والفضاء، مع النسك، والعفّة، وصوم النهار، وإحياء الليل، والتورّع، والزهد، والصلاة في الحرم، والطواف حول الكعبة، والتعبّد، والتهجّد، والتفكّر، والرياضات جميعها، ودوام الوصل؛ كلّ ذلك خلّص النفس من مادّيتها، ووجّه سلوكها، وربطها بخالقها، وأسعدها بوصال محبوبها، وسخّر لها كلّ شيء.

يتابع ابن الفارض قوله السابق واصفاً ما جرى معه في سياحة تلك المرحلة: «ثمّ شرعت في السياحة في أوديتها، وجبالها. وكنت أستأنس فيها بالوحش ليلاً ونهاراً. أقمت بواد كان بينه وبين مكّة عشرة أيّام للراكب المجدّ، وكنت آتي إلى مكّة منه كلّ يوم وليلة خمس مرّات، وأصلّي في الحرم الشريف الصلوات الخمس، معي سبع عظيم الخلقة، يصحبني في ذهابي وإيابي، وينخ لي كما ينخّ الجمل، ويقول لي: يا سيّدي اركب. فما ركبته قطّ ويقول يشير إلي ـ وسمعوا قوله ـ يا سيّدي اركب. فما ركبته قطّ»[1]. وكما بدأت رحلته السياحيّة بأمر الشيخ الذي لم يأمره إلّا أمر السياحة بدأت رحلة العودة بأمر الشيخ نفسه بعد خمس عشرة سنة.

فعلى صوت الشيخ أبي الحسن البقال: «مكّة أمامك» وجد مكّة أمامه وجهاً لوجه، وأقام فيها خمس عشرة سنة وفُتح عليه بها، وكوشف بها، وألّف معظم

---

(١) انظر ديباجة الديوان ص١٦٦.

أشعاره وأهمّها بها، وعلى صوته أيضاً بعد خمس عشرة سنة وهو يخاطبه يعود إلى القاهرة مستسلماً اليوم كما امتثل بالأمس. نستمع إلى سبط الشيخ في ديباجته ينقل لنا مدّة خروجه «وأمر العودة: ثمّ بعد خمس عشرة سنة سمعت الشيخ يناديني وأنا بين جبال مكّة وأوديتها: يا عمر، تعالى احضر وفاتي وانتقالي إلى الله، وصلِّ عليّ. فأتيته مسرعاً إلى القاهرة، فوجدته قد احتضر». لبّى مسرعاً، لم يستغرق ذلك من الوقت كثيراً في الدخول وكذلك في الخروج، ولعله قصد بالوقت في قوله وقت الصلاة التي أراد أن يصلّيها ما بين الظهر أو العصر، ما بين العصر أو المغرب وهكذا، والله أعلم.

سار عائداً إلى القاهرة وهي أمامه، كما سار إلى مكّة ذاهباً وهي أمامه، في الوقت كما قال، ليجد رجلاً يُحتضر، وأباً شيخاً حكيماً آمناً مطمئناً يخلِّف ابن روحه لوراثة طريقته، لا يرضى غيره إماماً ولو كان المأموم طيوراً تأخذ أرواح الأولياء والشهداء لترتع حيث يشاء الله تعالى لها أن ترتع.

يستمرّ عليّ السبط في الديباجة ناقلاً عن جدّه في الموضع نفسه: «فوجدته قد احتضر فسلّمت عليه، وسلّم عليّ. وناولني دنانير ذهب، وقال لي: جهّزني، وأعطِ حملة نعشي إلى القرافة كلّ واحد ديناراً، واتركني على الأرض في هذه البقعة، وأشار إليها بيده، فلم تزل بين عيني أنظر إليها وهي بالقرافة تحت المسجد المعروف بالعارض بالقرب من مراكع موسى عليه الصلاة والسلام بسفح المقطّم عند مجرى السيل منه، وانتظر قدوم رجل يهبط من الجبل **فصلّ أنت** وهو عليّ، وانتظرْ ما يفعل الله في أمري[1]...».

نلخّص نتائج سياحته:

١ ـ الفتح المنشود للشاعر من فور وصوله مكة.

---

(١) انظر الديباجة ص١٧٤.

٢- مجاورته بمكة خمس عشرة سنة وأثر ذلك الروحي.

٣- شهرته بمكّة واحترامه.

٤- كتابته أغلب شعره فيها وانتشاره فيها ومنها إلى شتّى الأمصار.

٥- إظهار كراماته للخلق.

٦- مبايعته لشيخه البقّال، وارتباطه به، مع أنّ الصِّلات لم تكن قبل ذلك بينهما.

٧- مكانته الكبيرة في القاهرة بعد العودة.

٨- إقامته في قاعة الخطابة في الأزهر مثل أبيه.

صفاته:

بعد عودته من مكة واستخلاف الشيخ البقّال له اشتهر ابن الفارض بين الناس بصفاته الحسنة الكثيرة التي نترك للشيخ النابلسيّ شرحها في سياق ديباجة السبط، لكنّه لابدّ من الإشارة إلى بعض منها فقد كان حسن الصحبة والعشرة، رقيق الطبع، يعشق الجمال، مهيباً سخيّاً، معتدل القامة، وجهه جميل، يمتاز بحمرة ظاهرة، وله نور في وجهه.

ثيابه حسنة، رائحته طيّبة، لا يقبل مالاً؛ ردّ ألف دينار من الملك الكامل. ينفق على من كان يرد عليه من الفقراء.

يعشق الجمال، ويطرب لسماع ما يشدّه إلى محبوبه الأوحد لدرجة الغياب عن الوعي أحياناً لفترة طويلة.

إذا حضر مجلساً ظهر على المجلس السكينة والوقار. في مجلسه ترى جماعات من المشايخ والعلماء والفقراء ورجال الدولة وسائر الناس، وكلّهم في غاية الأدب معه والتواضع بين يديه.

إذا مشى في المدينة تزاحم الناس عليه يلتمسون منه البركة والدعاء، ويلتمسون تقبيل يده فلا يُمكّن أحداً من ذلك؛ بل يصافحه.

احترمه أرباب الدولة الأيوبيّة لدرجة كبيرة، فيستأذنه الملك الكامل في تجهيز ضريح لأمّه عند قبة الإمام الشافعيّ، فلم يأذن له. ثمّ طلب منه أنّ يجهّز مكاناً يكون مزاراً له بعد موته فرفض. في الشعر صار محكّماً، كما فعل بين محمّد بن الخيميّ ونجم الدين ابن إسرائيل.

وفاتـه:

يُجمع أغلب من أرّخ لابن الفارض أنّ وفاته كانت في الثاني من جمادى الأوّلى (٦٣٢) هـ ثمّ دفن في اليوم التالي بالقرافة في موضع البقعة التي صلّى فيها على شيخه البقّال حيث مراكع موسى عليه السلام، وذلك بحسب وصيّته في سفح المقطّم تحت المسجد المعروف بالعارض. ولسبطه عليّ صاحب الديباجة أبيات في ذلك، يقول:

جـز بالقرافـة تحـت ذيـل العـارض — وقل السلام عليك يا بـن الفـارض

أبـرزت في نظـم الـسلوك عجائبـاً — وكـشفت عـن سرّ مـصون غـامض

وشربـت مـن بحـر المحبّـة والـولا — فرويـت مـن بحـر محـيط فـائضِ

وقال أبو الحسين الجزّار:

لم يبـق صـيّب مزنـة إلّا وقـد — وجبـت عليـه زيـارة ابـن الفـارض

لا غـرو أنْ يـسقي ثـراه وقـبره — بـاق ليـوم العـرض تحـت العـارض

وقد أعقب ابن الفارض ابنه محمد بن عمر بن الفارض، سمع من أبيه عمر بن الفارض ومن رواج، وأجاز له المؤيّد الطوسيّ وأبو روح وجماعة، و كتب عنه المصريّون والبرزاليّ وتوفي سنة (٦٨٩) هـ. لكنّه لم يشتهر بالشعر[1].

---

(١) انظر «تاريخ أربل» لابن المستوفي (ت٦٣٧)هـ تحقيق سامي بن سيّد خمّاس الصفار، الورقة ٢١١/ ب، ٢/ ٢٨١، الناشر دار الرشيد، العراق.

كذلك أعقب ابنه عبد الرحمن، إلّا أننا لا نجد من أخباره شيئاً عند من ترجّم لابن الفارض.

شعر ابن الفارض:

لابن الفارض أثر واحد وصل إلينا، لا ثاني له، وهو ديوانه. وهو ليس بكبير الحجم، لكنّه حظي باهتمام شديد؛ حفظاً وشرحاً وتداولاً، ابتداء من حياة الشاعر وحتّى الساعة؛ ففي أثناء وجوده في مكّة كانت قصائده تنشد وبعدها على المآذن، وكذلك في سائر الأمصار إلى اليوم لا تزال قصائده تتلى في المجالس على طول البلدان وعرضها. وكان ديوانه يُحفّظ للطلّاب صغاراً وكباراً في المدارس وكتاتيب المشايخ.

ولقد برع ابن الفارض في فنون الشعر، وأوتي حسّاً شعريّاً مرهفاً عالياً، وتمكّناً من نواصي اللّغة، وبراعة في اختيار الألفاظ، وروائع التركيب، وحُسن الصورة وإبداعها. يضاف إلى ذلك أنه كان يمتلك حسّاً نقدياً متميّزاً تمكن فيه من الحكم بين الشعراء لّما احتكموا إليه، كابن الخيمي وابن إسرائيل؛ فقد ادّعى ابن إسرائيل إحدى قصائد ابن الخيمي واحتكما إلى ابن الفارض فطلب من كلّ منهما أن ينظم على وزن معيّن وقافية محدّدة، وفاضل بين شعر كلا الشاعرين ثمّ أصدر حكمه أن القصيدة لابن الخيمي[1] وإثرها ترك ابن إسرائيل مصر نهائيّاً.

يقول خير الدين الزركلي في ترجمة ابن الفارض في كتابه الأعلام معرّفاً به: «أشعر المتصوّفين، يُلقّب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بها يسمّى وحدة الوجود».

---

(١) انظر «فوات الوَفَيَات» محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت٧٦٤)هـ، تحقيق إحسان عبّاس، ٣ / ٤١٣. كذلك وَفَيَات المشاهير والأعلام للذهبي (ت ٧٤٨)هـ، تحقيق بشّار ، د.عوّاد معروف.

بهذا التعريف بعمر بن الفارض لعلّ شاعر الشام المؤرّخ المعاصر خير الدين الزركلي حدّد مكانة ابن الفارض الشاعر الكبير بين شعراء المتصوّفين كلّهم بما لشعره من خصائص فنيّة. ولخّص أهمّ المعاني المنتشرة فيه، وأكثرها إشعاعاً ووروداً. ثمّ أشار إلى فلسفة ابن الفارض في شعره. ولو استعرضنا أكثر من كتب عن شعر ابن الفارض لما وجدنا من الدارسين من يأتي بأكثر من هذه العناصر الثلاثة؛ أولها الخصائص الفنيّة لشعره. وثانيها: المعاني التي تناولها الحبّ الإلهيّ، وثالثها فلسفة ابن الفارض في عشقه. نلاحظ أنّ كلّ دارس من دارسي ابن الفارض يلامس جزءاً من هذه الأركان الثلاثة في شعر سلطان العاشقين. ويتوسّع فيه إلى أبعد الحدود لتفسير شاعريته وعبقريته.

إنّ شعر ابن الفارض يعبّر عن تجربة ذاتيّة ومعاناة ومواجد حرّكت كوامن الشعر عنده فانساب يحمل ما عاناه ولمع في فكره بمنتهى الذكاء والدقة، وذلك في أرفع ثوب فنٍ من أفانين الشعر السائدة في عصر زاخر بالثقافات والأفكار التي يلوّنها أبناء هذا العصر بألوان الزخارف الفنيّة فيه، بيانيّة معنويّة أو بديعيّة. ولكنّ ابن الفارض يؤدّي ذلك بأرقّ عبارة وألطفها، مع إغراق في شحن العبارة بعواصف العواطف الفيّاضة، لتجعل بناء الصورة الشعريّة عنده متصاعداً حتّى ذروة الانفعال والإتقان والجمال، فيبزّ أقرانه من شعراء التصوّف كجلال الدين الروميّ والسهرورديّ والحلّاج، ولا يدركه محمّد بن الخيمي وابن إسرائيل والعفيف التلمسانيّ. ومع ذلك كلّه فقد تجاوز مجانين عشق البشر في معانيه: مجنون ليلى، وجميل بثينة، وكثيّر عزّة، وكلّ بني عذرة، وبني عامر، ومَن لفّ لفهم في فيافيهم وقفارهم، وذاب في محبوباتهم، مِن رمز الجمال عند البشر إلى ذرا لم يدركوها من أسرار العشق لجمال ربّ البشر، عشقاً يليق بجمال وجلال ربّ البشر. وقد أدّى معانيه برقّة وخيال بأعلى مقام الإتقان والحرفيّة، كحرفية المتنبي،

ورمزيّة أبي تمّام، وإيقاع جرس البحتري العذب الأخّاذ؛ كلّ ذلك مسخّر لبيان مدى الإيغال في الحبّ، وجذب الجمال، ودلال المحبّ، وأحوال المحبوب، وآثار الحبّ، وارتقاء المحبوب.

نترك شاعراً ناقداً رساماً مرهف الإحساس يحدّثنا عن عبقريّة ابن الفارض وشاعريته مفسراً لها، متلمساً دقائقها، راسماً أبعادها يقول جبران:

«وكانت روحه الظمآنة تشرب من خمرة الروح فتسكر، ثمّ تهيم سابحة مرفرفة في عالم المحسوسات حيث تطوف أحلام الشعراء وميول العشّاق وأماني المتصوّفين. ثمّ يفاجئها الصحو فتعود إلى عالم المرئيّات لتدوّن ما رأته وسمعته بلغة جميلة مؤثّرة.

إذا نظرنا إلى فنّه المجرّد وما وراء ذلك الفنّ من المظاهر النفسيّة وجدناه كاهناً في هياكل الفكر المطلق، أميراً في دولة الخيال الوسيع، قائداً في جيش المتصوّفين العظيم؛ ذلك الجيش السائر بعزم بطيء نحو مدينة الحقّ.

كان يغمض عينيه عن الدنيا ليرى ما وراءها، ويغلق أذنيه عن ضجّة أهل الأرض ليسمع أغاني اللانهاية.

هذا هو ابن الفارض، روح نقيّة كأشعّة الشمس، وقلب متّقد كالنار، وفكرة صافية كبحيرة بين الجبال. وفي شعره ما لم يحلم به الأوّلون ولم يبلغه المتأخرون»[1].

يرى المقدسي بأنه: «قد نشأ في عصر بلغت فيه الأناقة البديعية نثراً و نظماً أعلى درجاتها، فهو عصر القاضي الفاضل، والعماد الأصبهاني، و بهاء الدين زهير، وابن سناء الملك.... قد عُرفت هذه الطبقة جميعها بولعها الشديد بالصناعة اللفظيّة، وتكلّف أنواع البديع. مع ذلك قد امتاز شعر ابن الفارض برقة اللفظ مع الجزالة

---

(١) يعقوب مسكوني، مجلّة الرسالة، العدد ٥٣٣.

والمتانة، ودقة المعنى، وعمق الفكرة والسلاسة، وبصدق الحسّ، وسلامة الأسلوب، وبعد الخيال، والإغراق فيه، وجمال الصورة. هذا من الناحية الفنيّة»[1].

أما من الناحية الصوفيّة: كان ديوان شاعرنا ثمرة صالحة، ذات نزعة صوفيّة واضحة لما امتازت به نفس الشاعر من رقة الشعور، ودقة الحس، وسموّ العاطفة التي سيطرت على نفسه سيطرة قويّة...

فإذا هو يقضي حياته مقبلاً على محبوبه، كلفاً به مشوقاً إليه، مفنياً نفسه فيه، حتى ظفر من هذا كله بما قرّت به عينه، واطمأن إليه قلبه، من اتّصال ووصال، وكشف للحقيقة المطلقة التي هي عنده كل شيء في هذا الوجود، وإليها يردّ كل موجود. ومن هنا كان ديوان شاعرنا أنشودة جميلة من أناشيد الحبّ، وهتافاً صادقاً رددته نفس الشاعر في رياض القلب.

المحسّنات في شعر ابن الفارض:

اعتنى ابن الفارض في ديوانه بعلوم البلاغة؛ بيانها وبديعها، لكنّه ساقها ببراعة الفنّان ومقدرة الشعراء الكبار، حتّى إنّه يبدو للوهلة الأولى كأنّما كان يسوقها عفو الخاطر، وإنّ الدارس المدقّق لانتشار هذه الفنون في شعر ابن الفارض يرى زيادة في فنون البديع عنده عن غيرها؛ فهي تشكّل نسبة ٦٢٪ من البيان والبديع كما ذهب إليه مصطفى عبد القادر مصطفى من الله في رسالته «البديع في شعر ابن الفارض» بينما يبلغ البيان ٣٨٪ وقد توزعت بحسب الجدول المرفق كما يلي[2]:

---

(١) انظر «أمراء الشعر العربيّ في العصر العبّاسي» لأنيس المقدسي، منشورات جامعة بيروت، ١٩٦٣، ص٣٨١.

(٢) انظر «البديع في شعر عمر بن الفارض» لـ مصطفى عبد القادر مصطفى من الله بحث مقدّم لنيل الماجستير في اللغة العربيّة من جامعة أم درمان، ص١٢٩.

المحسّنات البيانيّة في شعر ابن الفارض

المحسّن المعنوي	النسبة المئويّة
الطباق	٧.١٨ ٪
المقابلة	٩.٩ ٪
إيهام التناسب أو المناسبة	٧.٥ ٪
اللفّ والنشر	٤.١ ٪
المبالغة	٠.٨ ٪
التورية	٠.٧ ٪
مراعاة النظير	٠.٠٤ ٪
تجاهل العارف	٠.٠٢ ٪
تأكيد المدح بما يشبه الذم	٠.٠١ ٪
الإرصاد	٠.٠١ ٪
المجموع	٣٨ ٪

المحسّنات البديعيّة في شعر ابن الفارض

المحسن البديعي	النسبة المئويّة
جناس التحريف	١١,٨ ٪
جناس شبه الاشتقاق	١١,٦ ٪
جناس تام	٩.١٠ ٪
جناس التصحيف	٩,٧ ٪
جناس الاشتقاق	٢.٨ ٪
الجناس الناقص	٨.٢ ٪

المحسن البديعي	النسبة المئويّة
الجناس المقلوب	٨.١ ٪
ردّ الصدر على العجز	٧.١ ٪
السجع	٥.١ ٪
الجناس المضارع	١.١ ٪
الموازنة	٥.٠ ٪
الجناس المركّب	٤.٠ ٪
الجناس المفروق	٢.٠ ٪
القلب	١.٠ ٪
المجموع	٦٢ ٪

شُرّاح ديوان ابن الفارض:

كثر شرّاح الديوان، منهم مَنْ أحصاه العلماء، ومنهم مَن لم يحصوه؛ وإن الباحث في الفكر والتاريخ العربيّ يرى أنّه ما يكاد يبرز عالم أو قارئ أو مؤرّخ أو باحث أو أديب إلاّ ويشرح مثل هذه الأمّات لذلك نكتفي بذكر ما ذكره بروكلمان من شراح ديوان الشيخ.

فمنها: شرح المدد الفائض عن شرح ديوان الشاعر عمر بن الفارض، لابن أخيه أبي الحسن علي نور الدين بن يونس بن الفارض. وشرح لعلوان الحموي (ت ٩٣٦)هـ. ومنها شرح الأزهار السنية في القُصُد الفارضية، لمحمد بن تقى الدين الزهيري (ت١٠٧٦)هـ. وشرح بدر الدين الحسن بن محمد البوريني (ت١٠٢٤)هـ. وشرح الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ (ت١١٤٣)هـ. ألّفه سنة ١٠٨٦هـ. وشرح رشيد غالب الدحداح، وهو مأخوذ من شرحي البوريني والنابلسيّ، وشرح العليمي: عبد الرحمن بن محمد (ت٩٣٧)هـ. وشرح

مجهول. وهناك شروح كثيرة لقصائد متفرّقة منها التائية الكبرى: شرح لابن عربيّ المتوفى سنة ٦٣٨هـ. شرح منتهى المدارك لسعيد بن عبد الله الفرغاني تلميذ صدر الدين القونوي (ت٧٠٠)هـ، وقد أخذ من القونوي ملاحظاته على أبيات القصيدة كما أشار السبط في الديباجة. كشف الوجوه الغرّ لمعاني نظم الدرّ لعبد الرزّاق بن أبي الغنائم الكاشاني الصوفيّ المشهور (ت٧٣٠)هـ. شرح لداود بن محمود القيصري (ت٧٥١)هـ. شرح للجامي (ت٨٩٨)هـ. وشرح مدد الفائض وكشف العارض، لعلوان بن علي بن عطية الحموي الهيتي (ت٩٣٦)هـ. شرح علي بن المعري بن العباس. شرح محمد بن عمر العلمي (ت١٠٣٨)هـ. شرح العلامة الطيبي. شرح محمد أمين أمير بادشاه ٩٨٧هـ. شرح أبي نصر محمد بن عبد الرحمن الهمذاني. وقد حاكى التائية في وزنها وقافيتها عامر بن عامر البصري بعنوان: ذات الأنوار، التائية الصغرى. و نظم السلوك: بشرح شمس الدين الفرغاني. وشرح الحسن بن محمد البوريني. وشرح محمد بن تقي الدين الزهيريّ، ولها شرح مطبوع سنة ١٣٠٢هـ بعنوان: حبك الدراري المرصعة بها حبائك الدرر تسهيل الفرائد الغر المنتحلة من قلائد الدر. أو حسن النظم والسلوك في تسهيل بدائع السلوك، لخوري أفندي جركيس صلحة السورياني الحلبي، وشرحها بالتركية إسماعيل حقي البروسوي (ت١١٣٧)هـ. الذالية بشرح محمد بن أبي بكر بن محمد الزهيري الدمشقي، (ت١٠٧٦)هـ. وبشرح الحسن بن محمد البوريني (ت١٠٢٤)هـ. الميمية الخمرية: وعليها الشروح: شرح داود بن محمد القيصري (ت٧٥١)هـ. وشرح أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت٩٤٠)هـ. وشرح محمد بن محمد شمس الدين الغمري، أكمله سنة ٩٥٩هـ. وشرح عبد الغنيّ النابلسيّ. وشرح علاء الدين بن صدقة الشامي (ت٩٧٥)هـ. وشرح بالفارسية للجامي (ت ٨٩٨)هـ بعنوان اللوامع. وشرح عبد التواب السكري القوصي الشافعي. وشرح بالتركية لإسماعيل بن أحمد الأنقراوي (ت١٠٤٢)هـ. وشرح المحبة الإلهيّة للحسين بن أبي أحمد الفتي الصوفيّ التبريزي. وشرح بالفارسية لسيّد علي الهمذاني

(ت٧٨٦)هـ. وشرح بالفارسية لإدريس بدليسي(وزير السلطان سليم الأوّل) وترجمة بالتركية بحسب شرح الجامي، من عمل صلاحي عبد الله أفندي (ت١١٧٢)هـ. وعلى الميمية تخميس لعبد القادر بن محمود القادري. اليائية وعليها شروح: شرح البرق الوامض للسيوطي (ت٩١١)هـ. شرح لمحمد بن محمد الغمري سبط المرصفي (ت٩٦٣)هـ. شرح لمحمد بن أبي بكر بن محمد الزهيري الدمشقي (ت١٠٧٦)هـ. شرح لجمال الدين بن حسن لية. شرح الحسن بن محمد البوريني. منظومة الألغاز: شرح لحسين الخبي. شرح للنابلسي. الجيمية: شرح أحمد بن محمد الخفاجي (ت١٠٦٩)هـ. الكافية بتخميس عبدالباقي بن سليمان العمري الفاروقي (ت١٢٧٠)هـ. نظم الدرر شرح محمد بن محمد السعاف: نزهة النظر[1].

شُرّاح ابن الفارض في الغَرب:

يرى جوزيف سكاتولين أنه كما ظفر ديوان ابن الفارض بعناية الشرّاح والباحثين في الشرق، فقد حظي أيضاً بانتشار واسع بين المستشرقين الغربيِّين. فوجد أن بعض أشعار ابن الفارض من بين أوائل النصوص العربيّة التي تُرجمت ونشرت في الغرب على يد العالم الهولنديّ فابريسيوس سنة ١٣٥٢م وبعد ذلك، ثمّ إنّ عدداً من المستشرقين في القرن الماضي قد حاولوا عمل الترجمات الأولى لأشعار ابن الفارض، ذكر منهم المستشرق النمساويّ هامر بورجشتال الذي كان أوّل مَن قام بترجمة التائيَّة الكبرى كلّها إلى الألمانيَّة سنة ١٤٥٣م. إلَّا أنّ ترجمته كانت غير دقيقة وغير أمينة للنصّ الأصليّ، حتّى علّق عليها مستشرق آخر وهو العلاّمة الإنجليزيّ رينولد نيكولسون بقوله: «يُنتَظَر ممَّن يقوم بترجمة نصّ أدبيّ أن يكون قد حاول فهم ذلك النصّ». وبالرغم من تلك المحاولات، فإنّه يمكن القول: إنّ ابن الفارض لم يزل شبه مجهول عند الغربيِّين حتّى بداية قرننا هذا.

---

(١) انظر «تاريخ الأدب» لكارل بروكلمان ج٥ / ٦٧ ـ ٧٧.

وكان ممَّن جدَّد الاهتمام بالشاعر ابن الفارض الصوفيّ المصريّ المستشرقُ الإيطاليّ «اجنازيو دي ماتيو» الذي قام بترجمة جديدة للتائيَّة الكبرى إلى الإيطاليَّة مع مقدّمة هامّة لفهم مذهب ابن الفارض الصوفيّ. وكانت هذه الترجمة هي التي دفعت مستشرقاً إيطاليّاً آخر، وهو كارلو نالينو إلى مضمار الجدال؛ فانتقد ترجمة دي ماتيو وفهمه لشعر ابن الفارض الصوفيّ وقدَّم الكثير من الملاحظات المهمّة حول ابن الفارض والتصوّف الإسلاميّ. وإثر ذلك الجدال، قام المستشرق الإنجليزيّ نيكلسون بترجمة وشرح جزء كبير من التائيَّة الكبرى وصل إلى ثلاثة أرباعها، وبعض القصائد الصغرى. وأخيراً قام مستشرق إنجليزيّ آخر واسمه آرثر جون أربري بتحقيق مخطوطة لديوان ابن الفارض التي ظلَّت مهملة في مجموعة تشيستر بيتي وأثبت أنّها أقدم نسخة للديوان وأنّها مختلفة شيئاً ما عن النسخ الأخرى المتداولة في المشرق. ولا شكّ أنّ هذه إضافةٌ ذات أهمِّيَّة لِـمَا عُرِف عن الشاعر، فقد نشرها أربري مع شرحٍ لُغويٍّ وصوفيّ، ممَّا يجعله العمل الأكمل فيما كُتب عن الشاعر. وإلى جانب تلك الشروح والدراسات، فهناك مجموعة من المقالات تناولت وجوهاً مختلفة من شعر ابن الفارض. نذكر منها ما كتبه المستشرق الفرنسيّ لوي غارده الذي فسَّر ابن الفارض في نور فلسفة وحدة الوجود. وما كتبه الباحث عيسى بُلاطَه عن سيرة حياة ابن الفارض، انتقد فيها الكثير من الأخبار الموروثة عن الشاعر، محاولاً إثبات أصدق صورة معبِّرة له[1].

الحبّ الإلـهيّ عند ابن الفارض:

الغزل الإلهيّ هو أهمّ وأوسع أبواب الشعر الدينيّ الذي يعتمد على ركائز عدّة منها: الحبّ الإلهيّ وأبرز ممثّليه ابن الفارض وجلال الدين الروميّ، ومنها المدائح النبويّة وممثلوه كثر منهم: كعب بن زهير، والبوصيري، وأحمد شوقي.

(١) بحث الغرب وابن الفارض من جوزيف اسكاتوليني بتصرّف.

ومنهاالحِكَم والأخلاق والزهد، وأبرز ممثّليه ابن الوردي وأبو العتاهية....

بدأ الغزل الإلهيّ ينتشر في القرن الثاني الهجريّ، وقد تطوّر مع تطوّر الفكر الصوفيّ. وهو شعر لا يختلف عن شعر الغزل العذريّ المعروف ذي المحبوب الفاني في المحبوب الباقي وأوصافه، فأشعار الغزل عادة ما توجّه سهام حبّها نحو المرأة، أمّا الغزل الإلهيّ فهو متّجه بكلِّيته إلى الله تعالى؛ فهو المحبوب الأوحد والأسمى، وهو الغاية للشاعر الفاني في محبوبه الدائم.

وعن مذهبي في الحبّ مالي مذهب　　　وإن ملتُ يوماً عنه فارقت ملّتي

يُظهر ابن الفارض في هذا البيت حقيقة مذهبه الصوفيّ، إنّه الحبّ الإلهيّ الذي اتّخذه موضوعاً لقصائده الصوفيّة. وقد استطاع أن يلخِّص أطوار هذا الحبّ الإلهيّ عند جميع الذين تذوّقوه في تاريخ التصوّف العربيّ من عهد رابعة العدوية إلى عصره وما بعد عصره.

إنّ ابن الفارض في حبه الإلهيّ، يصور أطوار المحبّة الإلهيّة، ويكتشف عجائب الحبّ، وحقائق المعرفة، ويتذوّق عطاءات التجلّيات. وقد قسّم بعض الباحثين أطوار المحبّة الإلهيّة عند ابن الفارض إلى ثلاثة أطوار: في الطور الأول قد فني المحبّ عن حظوظه وعلائقه. في الطور الثاني فني عن ذاته وعن كل شيء، ويريد ألا يكون شيئاً. في الطور الثالث أصبح فانياً عن نفسه باقياً بمحبوبه.

يرى بعض الباحثين أن شعر ابن الفارض ليس كلّه صوفيّاً أو في الحبّ الإلهيّ. ويعلل ذلك بالمعاني الموجودة في بعض الأبيات، وبأن حياة الشاعر الأولى حياة عادية، شأنه شأن أيّ شابّ في شبابه الأوّل، فقد أحبّ امرأة قاضٍ وتغزّل بها، ويستشهد الباحث بقول ابن الفارض:

أهـواه مهـفهـفاً ثقيـل الـرِدف　　　كالبدر يجلّ حسنه عن الوصف

يعني عنده: أنّ الشاعر يحبّ واحدة بثيابها التي تتطاير مهفهفة وهي ثقيلة الردف، ويعترض الباحث بأنّه لا يعقل أن يكون شعره هذا صوفيّاً، وينتقد إصرار

النابلسيّ على كون هذا الشعر في الحبّ الإلهيّ؛ فتفسير النابلسيّ الرِّدف بالتجلّيات الإلهيّة في الكون غير مقبول عنده، وإنّما الوصف للمرأة الحقيقيّة.

يقول النابلسيّ في شرح الديوان معلّقاً على البيت كلّه: «يكنّي عن صورة التجلّي الإلهيّ من حيث الأسماء الجماليّة في حقيقة الروح الأعظم الذي هو أوّل مخلوق ...».

ثم يقول النابلسيّ: «والإشارة بثقل الرِّدف إلى جميع العوالم المكتوبة بالقلم في اللّوح الذي هو نفس القلم بالنور المحمّديّ المخلوق فيه ومنه كلّ شيء»[1]. والواقع إذا سلّمنا أنْ يعيش المرء حياة الشباب الأولى بلهوها وصخبها ومتعها فهذا أمر طبيعي في مثل هذا الاعتراض للباحث المشار إليه، إلّا أنّ شاباً نشأ نشأة علميّة دينيّة في طاعة الله عابداً زاهداً ويخرج للسياحة مبكّراً ويحبّ امرأة متزوّجة فهذا أمر شنيع ليس إلّا لمتهتّك، وامرأة قاضٍ فذلك أشنع، سواء بادلته الحبّ بالحبّ أم لم تعلم به، أو علمت بحبّه ولم تلتفت إليه. مع علمنا بصفات قضاة الأمس، والحالة الاجتماعيّة السائدة. والأشدّ من ذلك أن يقول فيها شعراً متغزلاً، فهل عُهد عن شاعرنا أنّه أنشد الشعر متغزّلاً بها مبكّراً؟!. وهل بقيت أشعاره الغزليّة المبكّرة مجهولة ولم تعرف عنه؟. علماً أنّ المصادر لم تشر فيها إذا قال الشعر مبكّراً؟. أم أنّه أنشد الأشعار الغزليّة بالمرأة بعدما تمكّن من فنِّ الشعر بعد خلواته بمحبوبه، هذا المحبوب الذي لم يبقَ معه في قلب ابن الفارض أحد؛ لا من البشر، ولا من الجماد والحجر. الأمر بعد بحاجة إلى بحث وتدقيق أكثر من جهدي ومن جهد الباحث ومن جهد كثير من الباحثين.

ولا بدّ من ملاحظة أنّ المهفهف[2] الأرداف الثقيلة، والعجيزة الكبيرة، وريّا الروادف، ورُجُحُ الروادف، مع رهافة الخصر حتى يدخل الخصر في خاتم المرأة نفسها، وتزيد سعة الخاتم عن خصر محبوبات الشعراء العرب القدماء (كالهيلا

---

(١) انظر البيت رقم١ من شرح الديوان ص٢٧٤.

(٢) المهفهف: رجل مَشَقَ بَدَنُهُ فصار كأنّه غصن يميد ملاحة. انظر تاج العروس، مادّة هفف.

هوب) هذه الأوصاف كلّها من صميم أوصاف الشعراء العرب الفنيّة، الذي دفع بعض رسامي المستشرقين إلى رسم صورة ساخرة لأولئك المحبوبات؛ فوصف الردف بالثقل والرداح ورُجُحُ الروادف من ثقافة شعريّة وليس من عشق امرأة لقاضٍ أو لغيرها[1]، ولهذه الأوصاف رمز صوفيّ خاص يشير إليه شرّاح التصوّف.

ثمّة قضيّة أخرى لابدّ من الإشارة إليها عندما يغوص المرء في شعر ابن الفارض وأفكاره ومعانيه، ألا وهي أن حبّه الإلهيّ متأثر بقضايا الحبّ الإلهيّ من الثقافات الأخرى غربيّها أو شرقيّها للأمم السابقة شأنه شأن تأثّر التصوّف الإسلاميّ كلّه.

إنّ القرآن الكريم هو المصدر الأساسي في بناء الشخصيّة الإسلاميّة وكذلك في بناء الفكر الإسلاميّ عبر تاريخ الإسلام الطويل؛ وهو الذي يكرّس فكرة الحبّ الإلهيّ أو عدم الحبّ في الكثير من الآيات المباركة، ويرسم أسس المحبّة، ونظامها من خلال كمٍّ كبير من الآيات التي تتحدّث عن المحبّة وعلائقها. ولو استعرضنا لفظة حبّ ومشتقّاتها: (حُبّ حُبّب أحبّ يحبّ لا يحبّ يحبّهم يحبّونه يحبّونكم يحبّونهم يستحبّون حبّاً أحبّاؤه محبّة تحبّونها) في المعجم المفهرس لوجدنا عددها يقارب التسعين مرّة تقريباً.

إذاً لهذا المصطلح في أهم مصادر التشريع الإسلاميّ انتشار واسع، وله في البناء الوجدانيّ للشخصيّة المسلمة أهميّة كبرى، وركائز قصوى، وكلّ المساحة الواسعة، فالآيات الكثيرة فيه تطالب المسلم بالحبّ، وتشرح مفهوم المحبّة بين المحبّ والمحبوب، وتحدد شكل العلاقات بينهما، وموقع كلّ منهما من الآخر.

ولعلّ استعراضنا لعدد قليل من الآيات يبرز منحى الحبّ المعلن المتبادل بين الوجود الحقّ كما يسميه النابلسيّ وبين المحبّ الذي أعلن العشق مذهبه لمّا قال: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله وصار موسوماً بالعشق، وصار اسمه العاشق؛ فلا

(١) انظر: تطوّر الغزل بين الجاهليّة والإسلام من امرئ القيس إلى عمر ابن أبي ربيعة، للدكتور شكري فيصل رحمه الله تعالى ص١٨٠وما بعدها، دار العلم للملايين، ط٤. وانظر: الغزل عند العرب، تأليف: ج. ك.فاديه. ترجمة د. إبراهيم الكيلاني رحمه الله، ص٧٢، منشورات ورزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٩م.

تنكروا العشق أيّها الخلق، وأدّوا حقوقه عليكم وائتمروا بأوامر المحبوب طائعين منقادين مثلما جاء في آيات الحبّ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٣/ آل عمران/ ٣] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣/ آل عمران/ ٧٦] ﴿والله يحبّ المحسنين﴾ [٣/ آل عمران/ ١٧٦] ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٤٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٥٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [٥/ المائدة/ ٤٢] ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [٩/ التوبة/ ١٠٨] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [٣/ آل/ عمران/ ١٤٠] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [٥/ المائدة/ ٦٤] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [٦/ الإنعام/ ١٤١] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤].

نستقرأ أمراً من هذا العرض المصغّر لعدد من آيات الحبّ أنّ القرآن الكريم يستلزم الحبّ والغرام الإلهيّ ناهيك عن أنّ التصوّف يحتاج إليهما؛ فالذين آمنوا أشدّ حبّاً لله، وهل الحبّ الشديد سوى العشق الإلهيّ الذي أفنى ابن الفارض عمره فيه.

أمّا في السنّة النبويّة المطهرة فأحاديث الحبّ كثيرة، وهي مربوطة بالإيمان «لا يؤمن أحدكم حتّىٰ يحبّ... أحبّ...». لن أقدّم مسرداً طويلاً لها لأتتبّعها، ولكن سأتناول ما يضرع به إلى ربّه أكمل بني البشر محمّد صلّى الله عليه وسلّم بطيب المناجاة في أعطر الدعاء، وأجلّ الذكر، وأظهر العبوديّة، وأصرح أفانين العشق الإلهيّ؛ يقول صلّى الله عليه وسلّم مناجياً ربّه: «اللهمّ ارزقني حبّك وحبّ من ينفعني حبّه عندك، اللهمّ ما رزقتني ممّا أحبّ فاجعله قوّة لي فيما تحبّ، اللهمّ وما زويت عنّي ممّا أحبّ فاجعله فراغاً لي فيما تحبّ»[1]. «اللهمّ اجعل حبّك أحبّ الأشياء إليّ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عنّي حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، باب ما جاء في التوكّل، ٤٣٠. كما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه، باب: ما ذكر عن قوم مختلفين ممّا دعوا، ٢٩٥٩٢. كما أخرجه الترمذي في سننه، ٣٤٩١.

فاقرر عيني من عبادتك»[1] مناجاة نبويّة، وضراعة إلى المحبوب الخالق، ورغبة صريحة إلى من جعل القلوب بين أصبعيه أن يمكّن الحبّ الإلهيّ من قلبه، ويثبّت غرسها فيه، فلا يسري في أوصاله إلّا نشوة الحبّ، ولا رغبة عنده من رغائب الدنيا، ولا مثوبة من أطايب الآخرة ولذائذها، اللهم إلّا حبّ الله، وقوت الحبّ المعين على حبّه. لم يقتصر الأمر على ذلك فحسب؛ بل مناشدة للمحبوب أن يرزقه حبّ كلّ مَن له في حبّ مولاه نصيب؛ إنّه استشفاع بحبّ المقرّبين «وحبّ من ينفعني حبّه عندك» فهل هناك من يسامقه صلّى الله عليه وسلم في حبّ مولاه، وهل هناك من يجاريه فيه؟!. وهل في الشرق والغرب قديماً وحديثاً معلّماً للحبّ الإلهيّ يرتقي إلى نصف منزلة حبّه[2]؟!.

لن أتناول مقامات الحديثِين جزءاً جزءاً، كفانا هذان الجزءان ويكفينا ذكرهما لذي قلب عقول، وبصيرة نافذة ليدرك أن العاشقينَ وعلى رأسهم سلطانهم ورابعتهم قد أعلنوا العشق لـمّا قالوا لا إله إلّا الله ، وذابوا لّما غاصوا في الحبّ حتّى تلاشوا عندما أدركوا أنّ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] وهل الحبّ الشديد إلّا عشقهم، وهل تأسّوا إلّا بنبيّهم فما حاجتهم لتغريب أو تشريق لالتماس موقد يشحذ جذوة نار الحبّ عندهم ويبعث أوارها. اللهم افتح علينا فتوح المحبّين والمحبوبين والعاشقين العارفين، أهل البصائر المصطفين.

أخيراً لابدّ لنا في تفسير شعر ابن الفارض من تأكيد على أنّ تجربة ابن الفارض الشعريّة في رسم أطوار فنائه في محبوبه تذكرنا بجذور شعريّة مشرقة من تجارب الفناء عند الشعراء العذريّين، تلك الظاهرة التي نشأت بالحجاز متأثّرة بالإسلام ودعوته إلى جهاد النفس ومقاومة الهوى؛ فكان الفناء في المحبوب مع عفّة فرضها

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية، باب: عبّاد بن عبّاد الخواص ومنهم الباكي، ٨ / ٢٨٢.

(٢) انظر: فنون الأدب في الحديث النبوي، تأليف الأستاذ محمّد زكريّا الزعيم، ص٢٢وما بعدها، ط١، دمشق،٢٠١١.

الدين أشرقت بها روح الشعراء العذريّين؛ مع أنّ المحبوب امرأة: ليلى أو عزّة أو بثينة، أو سليمى... فكان الشعر العذريّ باباً فريداً في الشعر العربيّ لا نكاد نجد له مثيلاً في آداب الأمم الأخرى. ولكن في شعر ابن الفارض اتسع معنى الحبّ، وتعمّقت تجربته الروحيّة والفكريّة، وتفجّرت عواطفه، ونزعت من حبّ الأنثى وجمالها وجمال روحها، وما ترمز إليه إلى حبّ الوجود الحقّ والجمال المطلق ذلك الحبّ الحقيقيّ الحي الذي لا تنطفئ جذوته، وتتّقد ناره كلّما أدلج من فيض إلى فيض، ومن كشف إلى كشف، ومن تجلّ لآخر.

الحلول والاتّحاد ووحدة الوجود:

قد يكون الجمع بين هذه المعاني غير دقيق، ولكنّها ثلاثتها تصبّ بالنهاية في بوتقة واحدة، وتسبب إشكالية في الفكر الإسلاميّ بما لها من آثار دينيّة وفكريّة واجتماعية وسياسيّة ممتدة حتى عصرنا وإلى العصور التالية. وإن جهة المكانيّة بالمحصّلة النهائيّة تجمعها **معجمياً**؛ فالحلول لا بدّ فيه من مكان يحلّ الشيء به، والاتّحاد لابدّ له من متّحدينِ في مكان واحد، والوجود لا بدّ له من ذات يوجد بها.

في القاموس **الحلول**: النزول، وهيئة النزول، والحلول بالمكان من جهة التمكّن. والحلول صفة من صفات الأجسام التي هي محل الحوادث، بينما صفات الله أزليّة، لا تصح له صفة الحلول. والحلول هو اتّحاد الجسمين بحيث يكون أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمّى الساري حالًّا، والمسري فيه محلًّا[1].

والحلول: المماسّة؛ فتعالى الله عن الحلول والمماسّة علواً كبيراً.

الاتّحاد: امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً[2].

---

(١) انظر كتاب «التعريفات» لمؤلّفه علي بن محمّد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦)هـ، ١ / ٩٢، دار الكتب العلميّة، بيوت، ط١، ٩٨٣.

(٢) درّة الغوّاص المصدر السابق.

الوَحدة، بفتح الواو: الانفراد، والوِحدة بكسر الواو الارتباط والانصهار[1].

والوجود: في اللغة شغل المكان، قال في القاموس: «وجد المطلوب يَجِدُهُ ويَجُدُهُ (بضمّ الجيم) وُجْداً وجِدَةً ووجْداً ووُجوداً ووِجْداناً وإِجْداناً: أدركه». وقد استُعمل مثال فُعول في ضدّه، الفُقور والعدم، كأنّه بُنيَ على مثال ضدّه. نلاحظ من معاني الحلول والاتّحاد ووحدة الوجود كما في المصادر السابقة أنّها تتعلّق بشؤون المكان وانصهار الذات بالذات والوجود والعدم؛ لذلك لا نجد التفريق الدقيق عند أغلب الدارسين لهذه المفاهيم في التصوّف عند دراستها أو دراسة شاعر أو مفكر أو مهاجمته أو ردّ على الهجوم. فما أن يتكلّم المرء عن أحد من هذه المفردات حتّى يغوص في الآخر سواء شعر أم لم يشعر.

وقد أجمع علماء الأمّة قديماً وحديثاً على أن الخالق تبارك وتعالى مباين للمخلوقات كلّها ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [٣٨/ الشورى/ ٤١]. كما أجمعوا على أنّه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته. وأنّ القديم لا يمكن أن يكون حادثاً، وأنّ الحادث لا يمكن أن يكون قديماً. وإذا ما قلنا خالقاً فلا يمكن أن يتساوى في ذاته وأسمائه وصفاته مع المخلوق. وإذا ما قلنا اتّحاداً فهذا يعني أنّ شيئين ذاب أحدهما في الآخر حتى صارا شيئاً واحداً، وهذا لا يمكن أن يتحقّق بين الخالق والمخلوق بين الحادث والقديم الأوّل الآخر ، بين الموجود والمعدوم؛ بل مستحيل التحقُّق.

هذا يخالف معنى النزول في الأشياء واتّحاد الشيئين وشغل المكان، ومع أنّ ابن الفارض يصرح في شعره بالحلول والاتّحاد، وكذلك النابلسيّ في شرحه للأبيات التي وردت فيها، ولكنهما لم يقصدا منها ما استعرضناه من المعاني المعجميّة السابقة من المصطلحات. ولنترك النابلسيّ يقدّم لنا رؤيته

---

(١) المصدر السابق.

للمصطلحات مما ورد في شرح ديباجة سبط ابن الفارض ثمّ من شرح الديوان، فهو خير معبّر عن ذلك، وأكبر شارح له، يقول: «(الحلول): أيّ حلول الحقّ تعالى في أعيان العالم، وحاشاه رضي الله عنه من خطور ذلك في نفسه، فضلاً عن رضاه به، فضلاً عن اعتقاده ذلك، فضلاً عن دعا أمة محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ بل حاشاه أدنى أدنى مريد سالك في طريق الصوفيّة الصادقين إلى يوم القيامة من خطور ذلك في بالهم، أو من إمكانه عندهم، وكيف وهو أمر مستحيل عند المستمسكين بالعقول من علماء الكلام وغيرهم، فما بالك بالذين هم أعلى منهم من المتمسكين بالإيمان والفتح والكشف والإلهام بعد القيام بحسن المعاملة الشرعيّة في الظاهر والباطن من غير بدعة، مع الإخلاص واليقين والزهد والورع. وإن اشتبهت كلماتهم على غير أهل طريقهم، وفهم منها علماء الأفكار المنكبّون على الدنيا قبائح المفهومات؛ فإن الأعمال بالنيّات ولكل امرئ ما نوى. ولعمري لم يفهم ذلك علماء الظاهر إلّا لعذرهم في أمرهم؛ فإنهم يعتقدون كما تعتقد العوام من أن الله تعالى موجود، وكل مخلوق من مخلوقاته موجود أيضاً معه تعالى، والوجود عندهم جنس عام، مشترك بين القديم وبين الحوادث؛ وإنما يتميّز القديم عن الحوادث بالقِدم في ذاته وصفاته، وتتميز الحوادث بالحدوث من العدم في ذواتها وصفاتها. وفي حال وجودها هي مشاركة للقديم تعالى في الوجود العامّ المطلق، وهم يعلمون ماذا يترتب على اعتقادهم هذا؛ لأنهم أهل عقول وأفكار، فإذا قيل لهم يلزم على قولكم هذا تركب الحقّ تعالى من عام وخاص كبقية الماهيّات الحادثة، انتحلوا بعقولهم جواباً أسكتوا به خصمهم، وبقوا على اعتقادهم ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [٢/ البقرة/ ٣٢]، فإنّ الحلول على الحق تعالى في الحوادث يتصور عندهم عقلاً فيحتاجون إلى إقامة الدليل على استحالته وامتناعه، ويتكلفون في ذلك، كما بسطوا الكلام عليه في كتب علم الكلام. وأما عند المحققين من أهل الله تعالى أصحاب الأذواق الوجدانيّة فلا

يتصوّر الحلول أصلاً، فلا يحتاجون إلى إبطاله لعدم تصوره عندهم، وعدم خطوره في بالهم؛ فإن وجود الحقّ تعالى عندهم وجود حقيقي ليس بمفهوم لهم أصلاً؛ وإنّما يزيدهم التصديق به على الغيب، ووجود الحوادث **أثر من آثار قدرته،** وذلك بالنسبة إلى وجوده تعالى عدم صرف، فكيف الوجود يحل في العدم، ولوحلّ فما حلّ، وإنّما هو قائم بذاته تعالى أزلاً وأبداً وموجوداً في ذاته بذاته، وكلّ ما عداه من الحوادث معدوم بعدمه الأصليّ على ما هو عليه بالنسبة إلى الحقّ تعالى، وهو تعالى يكشف لمن يشاء من عباده عن كلّ ما يشاء من مخلوقاته، فيُريه ذلك موجوداً، ويصرفه عن تلك الرؤية، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ [٦/ الأنعام/ ١١٠] وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وإذا بطل الحلول بطل الاتّحاد بالأولى، وكلّ الضلالات التي تفهّمها علماء الظاهر من كلام المحققين من أهل الله تعالى، ويشنّعون بها عليهم بين العوام والجهّال لتنقص رتبتهم عندهم، ويحظون هم بالرفعة في الدنيا، والله يؤتي ملكه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[١].

وأمّا إبطال الحلول والاتّحاد ووحدة الوجود بمفهوم المنكرين المشنّعين عليه فله عند النابلسيّ في اللغة شأن يدلّ على رفضه للخلط بين الذات الإلهيّة وبين التجلّيات أو الصور الكونيّة؛ فالذات لا تدرك إلّا بالفناء فيها. أمّا التجلّيات فإنّها تخفي وراءها حقيقة الذات يقول النابلسيّ في تفسيره لقول ابن الفارض **(فكرتي)** في البيت الأربعين من نظم السلوك وهو:

وَمُنْذُ عَفَا رَسْمِي وَهِمْتُ وَهَمْتُ فِي ... وُجُودِي فَلَمْ تَظْفَرْ بِكَوْنِي فِكْرَتِي

بقوله **(فلم تظفر)**: ظَفِر به كفَرِح، وجده. وقوله **(بكوني)**: أيّ بتكويني وإيجادي. **(فكرتي)**: فاعل تظفر. والمعنى: إنّي لـمّا انمحت رسوم ذاتي بمعرفة

(١) انظر الديباجة ص٢٠١ وما بعدها.

الوجود الحقّ، وتحقّقي به سرحت فكرتي في وجودي الذي هو كناية عن ايجاد الله تعالى لي؛ فأنا **موجود**، بصيغة اسم مفعول، أيّ: واقع عليَّ إيجاد الله تعالى، **لا أنا وجود**؛ فإنّ الوجود حقيقة الحقّ تعالى وحده، وهذا معنى وحدة الوجود، والعوالم كلُّها بإيجاد الله تعالى موجودات. والإيجاد معنى مصدر له أثر ظاهر، يقال له موجودات بصيغة اسم المفعول، ولا يقال للوجود الحقّ تعالى موجود بصيغة اسم المفعول؛ لأنّه تعالى ليس بإيجاد غيره. ومن قال عنه تعالى موجود بنفسه، فكأنه يقول: إنّه أوجد نفسه، فإنّ صيغة موجود تقتضي وقوع الإيجاد عليه، فإذا كان إيجاده من نفسه لزم تقدّمه على نفسه، وهو محال أنْ يتقدّم الشيء على نفسه، ولعدم السماع في ذلك. ولا يقال له تعالى وجود أيضاً لعدم السماع؛ ولكن معناه صحيح، لأنّه بمعنى ينبوع الإيجادات للموجودات كلّها؛ فكلّ موجود له إيجاد منه، أيّ: فعل؛ فمن تحقّق بوجود نفسه علم إيجاد الله تعالى له، وعرف أنّه موجود بإيجادٍ هو فعل الله تعالى. وعرف أنّه لا وجود له، وأنّ الوجود كلَّه للحقّ تعالى، لا لغيره، وأنَّ الوجود واحد قديم أزلي، وليس إيجاد الله تعالى للأشياء الموجودات كما ذكرنا بتقييم وجوده على الأشياء، ولا بتولدها منه؛ وإنّما ذلك بطريق التجلّي والظهور، كما قال سبحانه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٦٩] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] أيّ: منوِّرهما بنوره، ونوره وجوده؛ لأنّه يجعل المعدومات موجودات، كما أنّ النور يجعل الظلمات منيرات، والذوق يكشف ما لا يكشف العلم[1]. إنّ معنى الاتّحاد عند ابن الفارض كما يراه النابلسيّ إنّما هو فناء الأشياء المخلوقة كلّها وتلاشيها حتى لا يبقى من صفاتها شيء؛ فالشاعر يفنى عن ذاته وصفاته الفرديّة فناء تامّاً ولا يبقى في الوجود إلّا صفات المحبوب يقول ابن الفارض:

---

(١) انظر ص٥٣٢.

فَفِي الصَّحْـوِ بَعْـدَ الـمَحْـوِ لَـمْ أَكُ غَيْرَهَا وَذَاتِي بِذَاتِي إِذْ تَـجَلَّتْ تَـحَلَّتِ

يقول النابلسيّ في شرح معنى الاتّحاد:

أَفَادَ اتِّخَاذِي حُبَّهَـا لاتّـحـادنا نَـوَادِرَ عَـنْ عَادِ المحبّين شَـذَّتِ

وقوله (لاتّحادنا): بالحاء والدّال المهملتين، وهو اطّلاعي على أنّ ذاتي وذاتها واحدة في الحقيقة. وكذلك صفاتي وصفاتها صفات واحدة في نفس الأمر، على معنى ذاتي وصفاتي تقاديرها العدميّة الفانية التي هي عدم صرف في وجودها الحقّ الحقيقيّ، ولا وجود إلا وجودها ظاهر لي بتقاديرها العدميّة الفانية؛ فأنا من حيث كلّ ما يظهر مِنِّي ويصدر عَنِّي هي لا غيرها. وأمّا من حيث صور ما يظهر منِّي ويصدر عنِّي فتقادير عدميّة، وصور فانية، ما شمّت رائحة الوجود، ولا يمكن أن تشمّ رائحة الوجود أصلاً؛ وإنّما هذا المسمى مخلوقات عند المخلوقات على تناويع أجناسها وأنواعها وأشخاصها فيما مضى. وما هو مستقبل وما هو حاضر من الأزل إلى الأبد هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الوجود الحقّ الحقيقيّ، ظاهر بجميع التصاوير والتقادير العدميّة الفانية، يفعل بها ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو منزَّه مقدّس عنها جميعها، ولا يشغله منها شيء عن شيء، وسِع كلّ شيء رحمة وعلماً، ورحمته وسعت كلّ شيء. وليس هو عين شيء من الأشياء أصلاً، ولا شيء من الأشياء عينه أصلاً؛ لأنّه لا شيء معه، وهو مع كلّ شيء. ولولا معيَّتُه للأشياء لما كانت الأشياء بالأشياء غير كائنة إلا بوجوده الذي معها، وهذا معنى الاتّحاد عند المصنّف قُدِّس سرّه كما قدّمناه».

وقد تتلاشى ذات الشاعر حتى تفنى في ذات المحبوبة فتصبح ذات المحبوبة هي ذات الشاعر:

ذَهَلْتُ بِهَا عَنِّي بِحَيْثُ ظَنَنْتُنِي سِوَايَ وَلَـمْ أَقْصِدْ سِوَايَ مَظِنَّتِي

إنّ ابن الفارض في اتّحاده لم يعد يرى إلّا حقيقته، وهي حقيقة المحبوبة التي هي نفسها حقيقته؛ فلم تعد ترى ذاته إلّا ذاته نفسها بعدما غاص في فناء الفناء

وَأَشْهَدْتُنِي إِيَّايَ إِذْ لا سِوَايَ فِي شُهُوْدِيَ مَوْجُوْدٌ فَيَقْضِي بِزَحْمَةِ

وقوله (**لا سواي في شهودي**): أيّ لا غيري في شهود، أيّ: معاينة ذاتي الحقيقيّة لذاتي الحقيقيّة.

يرى الباحث «جوزيف سكاتوليني» أنّ اتّحاد ابن الفارض له ثلاثة مستويات من الصيرورة الذاتيّة كما سمّاها، وهي تظهر بوضوح في عبارات ابن الفارض تكشف عن عمق ذاته في اتّحاده، وهذه المستويات هي كما مرّ في الأبيات الأخيرة المذكورة: ١- أنا إيّاها. ٢- هي إيّاي. ٣- أنا إيّاي. وفي هذه المرحلة يدخل الشاعر في حالة السكر والنشوة؛ إذ لا يرى في الحقيقة إلّا حبيبته وبالأحرى لا يرى في نهاية المطاف إلّا ذاته[١].

وهذا الكلام في حقيقته ما هو إلّا ترجمة عمليّة للاتّحاد المعنويّ في قول الشاعر جلال الدين الروميّ:

أنا من أهـوى ومن أهـوى أنا نحن روحان حللنـا بدنـا

هذا الاتّحاد المعنويّ فيما يراه ابن تيميّة كاتّحاد أحد المحبّين بالآخر الذي يحبّ أحدهما الآخر، ويبغض ما يبغضه، ويقول مثل ما يقول، ويفعل مثل ما يفعل، وهذا تشابه وتماثل، لا اتّحاد العين بالعين، إذا كان قد استغرق في محبوبه حتّى فني فيه عن رؤية نفسه، كقول أحدهم: «غبت بك عنّي فظننت أنّك أنّي»[٢].

نخلص إلى أنّ الاتّحاد هو: شهود الوجود الحق الواحد المطلق، الذي الكلّ موجود بالحق، فيتحد به الكلّ من حيث كون كلّ شيء موجوداً به، معدوماً بنفسه، لا من حيث أن له وجوداً خاصّاً اتّحد به، فإنه محال[٣].

---

(١) انظر عمر بن الفارض وحياته الصوفيّة من خلال قصيدته التائيّة لجوزيف اسكاتوليني ص٢٢.

(٢) انظر مجموعة رسائل ابن تيميّة ص٥٢.

(٣) انظر «التعريفات» للجرجاني ١ / ٨.

أخيراً نقول في مفاهيم الحلول والاتّحاد ووحدة الوجود: إنّ ابن الفارض لا يقصد بذلك الجمع بين الله وبين العالَم وتمازجهما في حقيقة واحدة جمعاً حسيّاً. لا، أبداً، إنّه فيها لا يرى العالم والمخلوقات كلّها، وإنّما يرى الله تبارك وتعالى فقط، لا وجود للمخلوقات، ولا مجال للقول بالاتّحاد بين جوهرين: الجوهرالإلهيّ، والجوهر المادّي المحسوس. فأبناء البشر عندما يحبّ المرء امرأة أو عندما تحبّ امرأة رجلاً لا يرى كلّ منهما إلّا صاحبه، ولا يرى معه شيئاً آخر ولو كان العالم كلّه، كما قيل عن يوسف عليه السلام لمّا قال لزليخة: «كيف أنت؟. فقالت: كنتُ أنا ولمّا أحببتُك صرتُ أنتَ». إنّ ابن الفارض قد أمضى حياته كلّها من صباه الأوّل إلى آخر حياته عاشقاً لربّه فكيف لا يراه وحده؟ وكيف يرى حقيقة أخرى غير حقيقته؟. وكيف يكون له همّ آخر غير هَمِّ رؤية مطلوبه؟. إنّه لا يرى العالم كلّه بما فيه، ولا يقدّم في شعره إلّا عشقه لحبيبه؛ فَهِمَ الناس شعره أم لم يفهموه، أصابوا في تفسير ما يراه أم أخطؤوه، رموه بالعشق أو الكفر أم لم يرموه.

ولينظر المرء إلى قرار براءته يتلوه ابن الفارض متمسكاً بالكتاب والسنّة، نابذا الحلول والاتّحاد بمفهوم الطاعنين، مفسراً لهما بمفهومه رضي الله عنه:

وكيـف وباسـم الحـقِّ ظـلّ تخلّقـي ... تكـون أراجيـفُ الـضلال مُخيفتـي

وهـا دِحيـةً وافى الأمـينَ نبيّنـا ... بـصورته في بـدء وحـي النبـوءة

أجبريـلُ قـل لي كـان دحيـة إذْ بـدا ... لـمُهدي الهـدى في صـورةٍ بـشريةِ

وفي علمـه عـن حاضرِيـه مزيّـةٌ ... بماهيَّـة المرئـيّ مـن غـير مريـة

ولي مـن أتـمِّ الـرؤيتين إشـارة ... تُنـزِّه عـن رأي الحلـول عقيـدتي

يـرى ملكـاً يـوحي إليـه وغـيرُه ... يـرى رجـلاً يُـدعى لديـه بـصحبة

وفي الذكر ذكرُ اللبس ليس بمنكر ... ولم أعـدُ عـن حكمَـيْ كتـاب وسـنّة

بسم الله الرحمن الرحيم

في كلِّ أمّة أعلام مؤثرون فيها، سواء في حياتهم أم بعد موتهم، والشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، واحد من أولئك الذين لهم تأثيرهم الكبير في الأمّة في عصره وفي العصور اللاحقة؛ ذلك أنّه عالم غزير العلم متنوّعه، وقد لا أكون مبالغاً إذا قلت إنّه مجموعة موسوعات علميّة متعدّدة الجوانب، فإضافة لكونه صوفيّاً هو أكبر شارح للتصوّف، وخصوصاً لتصوّف ابن عربيّ. وباعه في الحديث كبير. كذلك هو فقيه حنفيّ يُعتمد رأيه، ويُقرّ اجتهاده. وهو شاعر مكثر، له أربعة دواوين، أكبرها وأهمّها ديوان الحقائق. وهو ناظم كبير لا يعلم عدد أبيات نظمه إلّا الله. وهو مؤرِّخ فذّ لرحلاته التي قام بها إلى بغداد وطرابلس الشام، وبلاد الشام ومصر والحجاز. ويكتسب النابلسيّ رتبة مؤرّخ لوصفه الدقيق كلّ أشكال الحياة الموجودة في عصره بدقّة متناهية، فهو يصف البلدة التي ينزل بها، وأولياءها، وعلماءها، ورجالها، ومساجدها، والدروس، والمجالس، وحياتها العلميّة، والاجتماعيّة؛ فيعطينا صورة واضحة يندر وجودها في المصادر الأخرى لتلك الفترة التاريخيّة التي شحّت أخبار الحياة العلميّة بمثلها.

نسب الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ قدس سره:

نتقله كما أورده الدكتور محمّد راتب النابلسيّ في شجرة عائلته، وقد بدأنا من الشيخ عبد الغنيّ المترجم له، وتركنا كلّ ما كان بعد حياته:

«**سيدي الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ**[1] وجعل في أعلى علّيّين مقره ابن المرحوم

---

(١) لقّب بالنابلسيّ لأنّ جدّه الرابع إبراهيم «برهان الدين» خرج من القدس إلى نابلس، وأقام فيها مدّة من الزمن، ثم خرج منها إلى دمشق، واستقرّ فيها؛ فاكتسب لقب النابلسيّ بعد أن كان المقدسي.

ذي السر الخفي * **الشيخ إسماعيل الحنفيّ*** [**ابن عبد الغنيّ** بن **إسماعيل**][1] ابن المرحوم الأمجد * **الشيخ أحمد** * ابن المرحوم ذي التكريم * **الشيخ إبراهيم** * ابن المرحوم ذي التبجيل * **الشيخ إسماعيل** * ابن المرحوم من الرحيم * **الشيخ إبراهيم** * ابن المرحوم **الشيخ عبد الله** * ابن العلم المفرد * المرحوم **الشيخ محمد** * ابن المرحوم المحسان **الشيخ عبد الرحمن** * ابن الغريق في النعيم * المرحوم **الشيخ إبراهيم** * ابن الممنوح بمنح المنان * **الشيخ عبد الرحمن** * ابن المرحوم ذي التعظيم * **الشيخ إبراهيم** * ابن المرحوم ذي الجاه * **الشيخ سعد الله** * ابن المتلبس لله في الطاعة * المرحوم **الشيخ جماعه** * ابن ذي المكارم * المرحوم **الشيخ حازم** * ابن المرحوم الواصلي * **الشيخ صخر الدين الكناني المقدسي الشهير بالبابلي** * ابن الراسخ العلم ذي التمكين * **الشيخ موفق الدين** * ابن ذي السر الممتد **الشيخ أحمد** * ابن العلم المفرد * **الشيخ محمد** * ابن الواضح الكرامة المقدام **الشيخ قدامه الإمام** * ابن المرحوم ذي الأقدام **الشيخ هشام** ابن الجبل المتين * **الشيخ نصر الدين** * ابن ذي الوجه الوضاح * **الشيخ فتاح** * ابن ذي الطلعة الشريفة * **الشيخ حذيفة** * ابن البطل الأمجد * **الشيخ محمد** * ابن ذي الحسب المرغوب * **الشيخ يعقوب** * ابن ذي الثغر الباسم * **الشيخ قاسم** * ابن ذي الرفد العميم * **الشيخ إبراهيم** * ابن ذي المجد الأثيل * **الشيخ إسماعيل** * ابن ذي السر الأوحد * **الشيخ محمد** * ابن الإمام العالم * **الشيخ سالم** * ابن الإمام الجليل المشتهر * سيدي **عبد الله بن عمر** * ابن الإمام الأواب * الناطق بالصواب * الموافق نصه نص الكتاب * **سيدنا عمر بن الخطاب** أمير المؤمنين رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) العبارة من «سلك الدرر» ٣/ ٣٠.

مولده ونشأته وعمله:

ولد بدمشق ـ رضي الله عنه ـ في خامس ذي الحجة سنة خمسين وألف. وكان والده قد سافر إلى الروم وهو حَمْل؛ فبشر والدته به المجذوب الصالح الشيخ محمود، المدفون بتربة الشيخ يوسف القَميني[1] بسفح قاسيون، وأعطاها درهماً فضة، وقال لها سميه عبد الغنيّ؛ فإنه منصور. وتوفي الشيخ محمود المذكور قبل ولادة الشيخ عبد الغنيّ بيوم واحد. وقد أشار إلى ذلك الشيخ النابلسيّ نفسه في كتابه «الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام والحجاز» عندما تحدّث عن زيارة قبر الشيخ يوسف القميني وقبر خادمه محمود الذي بشّر أمّه بولادته، وطلب منها أنْ تحنّكه بتراب تربته قبل أن يُبنى قبره[2]، وللنابلسيّ قصيدة في مدح الشيخين عندما جُدّد بناء مقامهما منها:

---

(١) قال في القاموس: القَمين كأمير، أتّون الحمّام. قال الشيخ النابلسيّ معرّفاً بالشيخ القَميني: «كان رجلاً من المجاذيب المولّهين في الله، يأوي إلى حمّام نور الدين الشهيد في سوق البزورية، سوق القمح سابقاً. وقال ابن شهبة في تاريخ الإسلام كان يأوي إلى القمامين والمزابل وكان يلبس طوالاً تكنس الأرض، ولا يلتفت إلى أحد، والناس يعتقدون الصلاح ويحكون عنه عجائب وغرائب. ودفن في تربة المولّهين بالصالحيّة ، ولم يتخلّف عن جنازته إلّا القليل. توفي سنة سبع وخمسين وستمائة». وأمّا الشيخ محمود ـ واسمه محمود الحلواني ـ فإنّه كان من المولّهين في الله تعالى أيضاً، وكان يخدم مزار الشيخ يوسف المذكور، وكان ساكناً فيه بأهله وعياله. وكان يعتقد فيه الناس الصلاح والخير، وله وقائع كثيرة وكرامات شهيرة. ولنا فيهما رسالة مستقلّة سميناها: «الحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود». وقد مات الشيخ محمود سنة خمسين وألف للهجرة النبويّة وهي سنة مولدنا. فإن مولدنا كان في اليوم الثاني من وفاته، وقد أوصى والدتنا قبل أن يموت بأنّها تأتي بنا إلى قبره، وأنّ تحنّكنا بتراب قبره قبل أن يُبنى، ففعلت ذلك والحمد لله تعالى. وللوالدة رحمها الله تعالى معه وقائع وكرامات كثيرة ذكرنا بعضها في رسالتنا. «الحوض المورود المذكورة». انظر الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام والحجاز للشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ تقديم وإعداد د. أحمد عبد المجيد هريدي ص١٧ـ١٨، طباعة الهيئة المصريّة للكتاب ١٩٨٦م.

(٢) انظر «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبّي ١/١٠٨.

ذاك القميني بحر بالعلا فمن عنه الندا فاض والإكرام والجود
محقّق عارف ذو أدب ومن أهل رجال الله معدود
والبدر سيّدنا محمود من بهرت أوصافه فهو بالحاجات مقصود
له الكرامات في حال الحياة ومن بعد المات وماذا الأمر مجحود

منذ نعومة أظفار الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ عُني بالقرآن الكريم، فقد دفعه والده إلى حفظه، وشغله بقراءة القرآن، وختمه وهو ابن خمس سنين، وحفظ مقدّمات الفنون كلّها؛ ألفيّة ابن مالك في النحو، والكنز في الفقه، والشاطبيّة في القراءات، والرحبيّة في الفرائض، والجزريّة في التجويد. ولّما بلغ الشيخ عبد الغنيّ الثانية عشر عاماً توفي والده في سنة اثنتين وستين وألف؛ فنشأ يتيماً، موفقاً. وقد اشتهر والده بالعلم والفضل وقوّة الحافظة العجيبة، وله مؤلّفات كثيرة ذكر منها الشيخ عبد الغنيّ في شرحه للديوان «الأحكام شرح الدرر» في الفقه الحنفيّ في اثني عشر مجلّداً، وله حاشية على «شرح المنهاج لابن حجر»، وكان كثير الأسفار إلى بلاد الروم (تركيّة) وله أشعار كثيرة.

وأمّا والدته فهي زينب بنت الشيخ محمّد بن الشيخ برهان الدين بن إبراهيم بن أحمد بن يحيي الدويكي الدمشقيّ. كانت ذات صلاح، وتقوى، وعطف على ابنها اليتيم، وكانت تحنو عليه وتعينه. وكانت ذات شأن كما قال ابنها عليهما رحمة الله؛ فقد أخبر النابلسيّ في «الحقيقة والمجاز»: «وكانت رحمها الله بارّة بنا، مشفق علينا، ماتت قبل رحلتنا هذه بيومين من شوال من سنة أربع ومائة وألف أواخر الطاعون. وقد جاء أحد المولّهين أشعث أغبر من النبك حيث أخبر أنّه قيل له: اذهب إلى الشام واحضر هذه الجنازة العظيمة البركة؛ فإنّ الطاعون الحاصل بالشام يختم بها، ولم يكن يعلم حقيقة الأمر بعد. وقد رفع الطاعون بعد ذلك»[1].

(١) انظر «الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز» للشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ ص١٤.

لم يمارس الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ من الأعمال إلّا طلب العلم والتدريس؛ فقد درّس بالجامع الأموي لمّا بلغ العشرين من عمره. في الخامسة والعشرين ارتحل إلى أدرنة حاضرة الخلافة العثمانيّة أنذاك، ثم سافر منها إلى استانبول. وعاد إلى دمشق فعيّن قاضي في حيّ الميدان. وانتخبه أهل دمشق مفتياً ١١١٣هـ، وأقرّه والي دمشق، إلّا أنّ السلطان عين مفتياً غيره بعد ست أشهر.

أولاده:

١ ـ الشيخ إسماعيل بن عبد الغنيّ توفي سنة ١١٦٣هـ ودفن في حجرته في بيت الشيخ عبد الغنيّ بالصالحيّة.

٢- زينب بنت عبد الغنيّ: زوجة الشيخ صادق الخرّاط، ولدت له ثلاث بنات. بعد وفاته تزوجها الشيخ الغزي (جدّ كمال الدين محمّد الغزي) مولّف «الوِرد الأُنسي والقدسيّ حياة النابلسيّ»، فولدت له كمال الدين (محمّد شريف الغزي) توفيت سنة ١١٧٣هـ.

٣ – طاهرة بنت عبد الغنيّ النابلسيّ، تزوّجها أوّلاً الغزي محمّد بن شمس الدين. ولمّا توفيت تزوّج أختها زينب سنة ١١٤٣هـ ودفنت بسفح قاسيون.

شيوخه وإجازاته:

ـ لعلّ والده الشيخ إسماعيل بن عبد الغنيّ أوّل مشايخه وأهمّهم، قرأ عليه القرآن، وختمه وعمره خمس سنوات، وحفظ مقدّمات الفنون كلّها. وحضر دروس والده في الفقه في كتابه «الأحكام شرح الدرر» في الجامع الأموي، ودروسه في المدرسة السليميّة، وأجازه فيه، وربّما لا أكون مبالغاً إذا قلت: إنّ من أهمّ ما ورث الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ عن أبيه حافظته القويّة، وروحه العلميّة، وربّما يجوز لي القول أنّه قد حصّل معظم علومه مع حداثة سنّه.

ـ نجم الدين محمّد بن محمّد الغزي العامريّ، قرأ عليه مصطلح الحديث كشرح «النخبة» و«شرح ألفيّة العراقي». وأجازه في عموم إجازاته.

ـ محمّد كمال الدين الحسينيّ الحسنيّ الشهير بابن حمزة، نقيب الأشراف بدمشق، قرأ عليه جملة من الفنون.

ـ عليّ الشبراملسي الشافعيّ أجازه إجازات كثيرة.

ـ عبد الباقي الحنبليّ البعليّ الأثريّ، قرأ عليه مصطلح الحديث، و"شرح الألفية للقاضي وللمصنّف، وأجازه إجازة عامّة وإجازة خاصّة.

ـ عبد القادر مصطفى الصفّوريّ، قرأ عليه عدّة فنون، وأجازه.

ـ محمّد بن تاج الدين المحاسني أخذ عنه التفسير والنحو.

ـ أحمد بن محمّد القلعيّ، قرأ عليه الفقه والأصول، ولازمه ملازمة تامّة.

ـ كمال الدين محمّد بن يحيى الحلبي الأصل، الدمشقيّ الشافعيّ، الشهير بالفرضي. قرأ عليه العربيّة والحساب والفرائض.

ـ محمّد بن يحيى (نجم الدين)، قرأ عليه مبادئ العلوم.

ـ إبراهيم بن منصور الفتّال.

ـ محمّد بن أحمد الأسطواني.

ـ محمّد بن الكرديّ نزيل دمشق، قرأ عليه النحو والمعاني والبيان والصرف والمنطق.

ـ محمّد بن محمّد العيثاويّ.

ـ محمّد بن بركات الكوافي.

ـ ملّا حسين بن اسكندر الرومي الحنفيّ، نزيل دمشق.

دروسه:

ابتدأ في قراءة الدروس وإلقائها والتصنيف لما بلغ عشرين عاماً وأدمن المطالعة في كتب الشيخ محيي الدين ابن العربيّ، قدس الله سره، وكتب السادة الصوفيّة كابن سبعين، والعفيف التلمساني؛ فعادت عليه بركة أنفاسهم؛ فأتاه الفتح اللّدنّيّ؛ فنظم بديعيّة في مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ واستبعد بعض المنكرين

أن تكون من نظمه؛ فاقتُرِح عليه أن يشرحها، فشرحها في مدة شهر شرحاً لطيفاً في مجلد. ثم نظم بديعية أخرى، والتزم فيها تسمية النوع.

وشرع في إلقاء الدروس بالجامع الأمويّ فأقرأ بكرة النهار في عدة فنون، وبعد العصر في الجامع الصغير، ثم الأربعين النووية ثم الاذكار النووية وغيرها. وكان يدرِّس البيضاوي في صالحية دمشق بالسليميّة جوار الشيخ الأكبر قدس سرهما. وابتدأ بالدرس من سنة خمس عشرة ومائة وألف.

بعض أحواله:

بايعه في آخر عمره سنة وفاته جميع العباد بالملأ العام بين الأنام. وقد صدر له في أول أمره أحوال غريبة، وأطوار عجيبة، واستقام في داره الكائنة بقرب الجامع الأمويّ في سوق العنبرانيين مدة سبع سنوات؛ لم يخرج منها. وأسدل شعره، ولم يقلم أظفاره، وبقي في حالة عجيبة. وصارت تعتريه السودا[1] في أوقاته، وصارت الحساد تتكلم فيه بكلام لا يليق به من أنه يترك الصلوات الخمس، وأنه يهجو الناس بشعره؛ وهو ـ رضي الله عنه ـ بريءٌ من ذلك. وقامت عليه أهالي دمشق لتبنّيه مذهب ابن عربيّ. وصدر منهم في حقه الأفعال غير المرضية؛ حتى إنه هجاهم، وتكلم بها فعلوه معه[2]. ولم يزل حتى أظهره الله للوجود، وأشرقت به الأيام، ورفل في حلل الإقبال

---

(١) السودا: ربّما هو المرض المعروف اليوم بالشدّة العاطفيّة التي تؤدي إلى حدوث اضطرابات نفسيّة خطيرة يمكن أن تؤدّي عند بعض الأشخاص إلى الانتحار، وهو يصيب الدماغ والقلب والكبد، يمتنع فيه المريض عن الطعام والشراب لانشغال الكبد، ويمتنع عن النوم لانشغال العقل بالتفكير والتخيّل.

(٢) نقل الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ في مخطوط «غاية المطلوب في محبّة المحبوب» عن الذهبيّ في «التذهيب مختصر التهذيب»، أنّه قيل لعمرو بن العاص: صف الأمصار. فقال: أهل الشام أطوع الناس للمخلوق وأعصاهم للخالق، وأهل مصر أكسبهم صغاراً وأجمعهم كباراً، وأهل الحجاز أسرع إلى الفتنة وأعجزهم عنها، وأهل العراق أطلب الناس للعلم وأبعدهم منه. ثمّ يعقّب النابلسيّ: هذا حال أهل الشام في الزمان الأوّل فكيف الحال بزماننا هذ والأمر لا يزداد =

والسعود، وبادرت الناس للتملّي باجتلاء بركاته، **والترجّي لصالح دعواته، ووردت عليه أفواج الواردين**، وصار كهف الحاضرين والوافدين، واستجير من سائر الأقطار والبلاد، وعمّت نفحاته وعلومه الأنام والعباد[1].

مؤلّفاته:

وتآليفه ومصنفاته كثيرة، وكلّها حسنة، متداولة، مفيدة، قد تصل إلى سبعمئة مؤلَّف في شتى العلوم: القراءات والتفسير والحديث والتوحيد والفقه واللغة والطبّ والزراعة والرحلات والتصوّف والشعر وعلومه. وله من الأشعار أربعة دواوين، ومن النظم ما لا يحصى. ولا بدّ لنا من ملاحظة هذا الكمِّ الهائل من المؤلّفات ومن أنّ نصنفها في **ثلاثة اتجاهات**:

الأوّل علوم الدين: القراءات والفقه والتفسير والحديث... نأخذ مثلاً على هذا الاتجاه مخطوطة «صرف العَنَان إلى قراء حَفْص بن سليمان». وقد طبعه أسامة عطايا مع «روح البيانات في معاني القراءات». حيث أرسى النابلسيّ في هذا المخطوط دعائم قراءة حفص الوافدة إلى بلاد الشام والأقاليم في عصره بعد أن كانت قراءة أبي عمرو البصري هي السائدة، وقد تعامل النابلسيّ مع الاختلاطات

=

إلّا شدّة. ولعمري فهم معذورون عقلاً لا شرعاً بإضاعتهم الكمال، ورؤيتهم النقص في أشرف الخصال؛ فإنّ غالبهم نشأوا في الفسق، وربّوا منه وعاشوا عليه، فلا يعرفون غيره، وطهارة الطباع لا توجد عندهم إلّا في المعصومين. انظر غاية المطلوب في محبّة المحبوب الورقة ١٦-١٧(مخطوط). ولعل الشيخ قال هذا الكلام بعد أن تكلّم في حقّه كثير من الناس، وعابوا عليه شاعريته في وصف الحب والجمال، وإجازته في وجه المرأة والغلمان شرط أن تكون الطويّة سليمة من المعصية، فردّ عليهم باعتزاله الناس، وألّف هذا المخطوط الذي حشد فيه كثيراً من الأحاديث والأقوال والأبيات للشعراء في الجمال تؤيّد صحّة ما ذهب إليه في الفقه والحديث والأدب والحكمة من مصادرها وقال قصيدته في هجائهم التي مطلعها:

أتعبتني بقر الشام   وهي في نقض وإبرام

(١) انظر «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» للمرادي ٣/ ٣٠.

الناتجة عن تصارع القراءتين بمنتهى ذكاءِ العالِـم الحاذق المجرِّب المحنَّك، فكان ينظم أحكام القراءة الوافدة شعراً بالتدريج وينشره ليسهل تحفيظها شيئاً فشيئاً، إلى أن استوفى نظمه كلَّ أحكام القراءة، ثمّ وضع لها شرحاً بسيطاً سهلاً فراجت بين طلَّاب العلم لديه عبر عشرات السنين التي عاشها، ثم عمَّت العوام وصارت القراءة السائدة التي لا تجد منازعاً[1].

والمنحى الثاني: شرح التصوّف والدفاع عن وإعداد مناهج تدريسه بما يسهّله للطلاب الذين يدوّنون مخطوطاته بإشرافه وتصحيحها ومقابلتها بشكل يجعل منه الشارح الأكبر للتصوف في التاريخ العربيّ، والمرشد للمريدين والسالكين، والمدقّق والمصحِّح لنسخ مؤلّفاته. وقد ترك لنا تراثاً ضخماً لا يدانيه مؤلّف آخر في عصره وفي العصور التالية. هذا التراث الضخم الذي نحن بحاجة ماسّة لإخراجه وشرحه والعناية به ـ فلم يخرج إلى اليوم إلّا ١٠٪ منه على أحسن تقدير ـ بقلم وليّ، عارف، متمكّن من علوم الحقيقة والطريقة فيّاض الأفكار، ثرّ العلوم والعطاء، مخلص، وهو نادر جدّاً.

نشير من هذا التراث إلى شذرات قليلة مثل: «السرّ المختبي في ضريح ابن عربيّ» ويبحث النابلسيّ فيه فيما يراه أهل دمشق في زمنه، وحتى زمننا الحاضر عند الكثير؛ فهم يرون أنّ في الضريح معاني وأسرار يعرفها من يقترب ويتذوّق ويستشعر روحانيّة في المكان.

وإلى منتقدي ابن عربيّ ردّ عند الشيخ النابلسيّ بعنوان: «الردّ المتين على منتقص العارف محييّ الدين».

وإذا لام الناس الشاعر الششتري على تسامحه فيما رآه من هدوء حياة الرهبان والدعة والسكينة واستخدام مصطلحات مسيحيّة عندهم وهي لا تروقهم فإنّ الشيخ النابلسيّ يراه افتراء فكتب: «ردّ المفتري عن الطعن في الششتري».

---

(١) انظر: «صَرْف العَنان إلى قراءة حفص بن سليمان» تأليف الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، ومعه «روح البيانات في معاني القراءات» تأليف أسامة هيثم عطايا، ص١١.

وإذا حرّكت المواجيد الصوفيّين وانتابهم انفعالات خاصّة فلا بدّ للنابلسي أن يكتب رسالة في «التنبيه من النوم في حكم مواجيد القوم» تقدّم علامات واضحة للسلوك عرفت بالفتوحات الربّانيّة أو الفيض الرحماني، أو التجلّيات، أو الإشراقات، أو الإلهامات التي يمر بها السالك.

وعندما يُذكر السلوك فـ «أنوار السلوك» منارات تحدّد الدخول في طريق التصوّف بمصطلح السلوك.

عندما يسود التكفير بسبب مصطلحات انتشرت على ألسنتهم تضيء ما في أفكارهم ونفوسهم مثل مصطلح وحدة الوجود فلا بدّ للشيخ النابلسيّ من أن يكتب: «إيضاح المعنى المقصود من وحدة الوجود». لعلّنا نتناول المقصود بهذا المصطلح فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

المنحى الثالث: الفتاوى وتقديم الآراء والحلول للمشكلات الفقهيّة المعاصرة له سواء في فقه الطبّ أو التجارة أو الصناعة أو أيّ أمر يحتاجه الإنسان من أمور الحياة الاجتماعية بشكل يدفعني لأقول عنه: إنّه فقيه الحياة في عصره الذي عرف ما يتغير من الأحكام بتغيّر الأزمان. ولا أظن أن يكون بعض الباحثين قد غالى في إعلاء شأن آراء الشيخ النابلسيّ التجديديّة حتّى عدّه أوّل من بدأ عندهم نهوض الأمّة من جديد قبل حملة نابليون بسبعين سنة[1]. لكن مهما يكن من أمر فإنّ النابلسيّ فقيه عصره، وابن عصره يتفاعل مع ما يستجدّ، ويصدر أحكامه الفقهية رضي من رضي، وسخط من سخط. وإن نظرة عجلى لبعض كتبه أو مخطوطاته تدلّ على ذلك دلالة واضحة، وانظر إن شئت «الأبحاث المخلصة في كي الحمصة للعلاج بالكي»، و«اتحاف من بادر في حكم النوشادر» هل تدخل في باب السكْر. رسالة صغيرة في مناسك الحج

---

(١) انظر «وحدة الوجود وإرهاصات النهضة العربيّة» للدكتور بكري علاء الدين. محاضرة ضمن احتفاليّة دمشق عاصمة الثقافة العربيّة.

والضروري للحاجّ «الابتهاج بمناسك الحاجّ». و«إشراق العالَم في أحكام المظالم» كيف يتصرّف الإنسان ويبحث عن الأمل إذا انتشر الظلم. «الكواكب المشرقة في حكم حزام المنطقة». «تحفة القضيّة في الفرق بين الرشوة والهديّة». ورسالة في «مسألة الحشيش وأحكام الدخان». «التنفير من التكفير». «الكشف والبيان فيما يتعلّق بالنسيان». «تعطير الأنام في تفسير الأحلام» وهو مطبوع وشائع شعبياً حتّى عند من لا يهتمّون بالعلم والثقافة. وقد يدهش المرء عندما يعلم حضور الشيخ النابلسيّ لأوّل حفلة عزف كمان بدمشق في عصره[1].

ولقد آثرتُ أن أذكر من أعماله ما ذكره المرادي في سلك الدرر لمعرفة مدى ارتباط الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ بعصره وفقهه، وتاريخ فكره، ووجدان أمّته، ونشراً لذكر هذه الأعمال، وإشادة بها لمن أراد الاطّلاع عليها وعلى عظمة هذا الرجل، ولحقّه على أمّته في معرفة علمائها وعظمائها. وهي تدلّ على ارتباط صاحبها بأعلام عظام مثله كابن الفارض وابن عربيّ وغيره في تاريخ الوعي للوجدان العربيّ الفكري والحضاريّ الإسلاميّ والإنسانيّ، ولتنضم أعماله إلى الكتاب الذي نحن بصدده: "كشف السرّ الغامض في شرح ديوان ابن الفارض"، هذه الموسوعة اللغويّة الصوفيّة الشعريّة الفلسفيّة.

فمن تصانيفه كما ذكرها المرادي في سلك الدرر: التحرير الحاوي بشرح تفسير البيضاوي، وصل فيه من أول سورة البقر إلى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٩٨] في ثلاث مجلدات، وشرع في الرابع. ومنها: بواطن القرآن ومواطن العرفان، كله منظوم على قافية التاء المثناة وصل فيه إلى سورة براءة، فبلغ نحو الخمسة آلاف بيت. ومنها كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين. والحديقة النديّة شرح الطريقة المحمدية للبركوي الرومي. وذخائر المواريث في الدلالة على

(١) المرجع السابق.

مواضع الأحاديث. وجواهر النصوص في حل كلمات الفصوص، للشيخ محيي الدين ابن العربيّ، قدس سره. وكشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض. وزهر الحديقة في ترجمة رجال الطريقة. وخمرة الحان ورنة الألحان، شرح رسالة الشيخ أرسلان. أو تحريك الإقليد في فتح باب التوحيد. ولمعان البرق النجدي شرح تجليات محمود أفندي الرومي. المدفون باسكدار.

والمعارف الغيبية شرح العينية الجيلية. وإطلاق القيود شرح مرآة الوجود. والظل الممدود في معنى وحدة الوجود. ورائحة الجنة شرح اضاءة الدجنّة. وفتح المعين المبدي شرح منظومة سعدي أفندي. ودفع الاختلاف من كلام القاضي والكشاف. وإيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود. وكتاب الوجود الحق والخطاب الصدق. ونهاية السول في حلية الرسول صلى الله عليه وسلم. ومفتاح المعية شرح الرسالة النقشبندية. وبقية الله خير بعد الفناء في السير. والمجالس الشامية في مواعظ أهل البلاد الرومية. وتوفيق الرتبة في تحقيق الخطبة. وطلوع الصباح على خطبة المصباح. والجواب التام عن حقيقة الكلام. وتحقيق الانتصار في اتفاق الأشعري والماتريدي على الاختيار. وكتاب الجواب عن الأسئلة المِئَة والإحدى والستين. وبرهان الثبوت في تربة هاروت وماروت. ولَمَعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار. وتحقيق الذوق والرشف في معنى المخالفة بين أهل الكشف. وروض الأنام في بيان الإجازة في المنام. وصفوة الأصفياء في بيان الفضيلة بين الأنبياء. والكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري. وأنوار السلوك في أسرار الملوك. ورفع الريب عن حضرة الغيب. وتحريك سلسلة الوداد في مسألة خلق أفعال العباد. وزبدة الفائدة في الجواب عن الأبيات الواردة. والنظر المشرفي في معنى قول الشيخ عمر بن الفارض: عرفت أم لم تعرفِ. والسر المختبي في ضريح ابن العربيّ رضي الله عنه. والمقام الأسمى في امتزاج الأسما. وقطرة السماء ونظرة العلماء. والفتوحات المدنيّة في الحضرات المحمديّة والفتح

المكي والمنح الملكي. والجواب المعتمد عن سؤالات أهل صفد. ولمعة النور المضيئة شرح الأبيات السبعة الزائدة من الخمرية الفارضية. والحامل في الملك والمحمول في الفلك في أخلاق النبوة والرسالة والخلافة في الملك. والنفحات المنتشرة في الجواب عن الأسئلة العشرة عن أقسام البدعة. والقول الأبين في شرح عقيدة أبي مدين؛ وهو المسمى بابن عراق. وكشف النور عن أصحاب القبور. وفيه كرامات الأولياء بعد الموت. وبذل الإحسان في تحقيق معنى الإنسان والقول العاصم في قراءة حفص عن عاصم. «نظماً على قافية القاف وشرح هذا النظم». صرف العنان إلى قراءة حفص بن سليمان. والجواب المنثور والمنظوم عن سؤال المفهوم. وكتاب علم الملاحة في علم الفلاحة. وتعطير الأنام في تعبير المنام. والقول السديد في جواز خلف الوعيد والرد على الرجل العنيد. وردّ التعنيف على المعنِّف وإثبات جهل هذا المصنِّف. وهدية الفقير وتحيّة الوزير. والقلائد الفرائد في موائد الفوائد. «في فقه الحنفيّة على ترتيب أبواب الفقه». وكتاب ريع الإفادات في ربع العبادات. وكتاب المطالب الوفيه شرح الفرائد السنية. «منظومة الشيخ أحمد الصفدي». وديوان الإلهيّات الذي سمّاه ديوان الحقائق وميدان الرقائق. وديوان المدائح النبوية المسمّى بنفحة القبول في مدحة الرسول. «وهو مرتب على الحروف». وديوان المدائح المطلقة والمراسلات والألغاز وغير ذلك. وديوان الغزليات المسمّى خمرة بابل وغناء البلابل. وغيث القبول همى في معنى جعلا له شركاء فيما آتاهما. ورفع الكساء عن عبارة البيضاوي في سورة النساء. وجمع الأشكال ومنع الإشكال عن عبارة تفسير البغوي. والجواب عن عبارة في الأربعين النووية في قوله رويناه. ورفع الستور عن متعلق الجار والمجرور في عبارة خسرو. والشمس على جناح طائر في مقام الواقف الساتر. والعقد النظيم في القدر العظيم. ـ في شرح بيت من بردة المديح ـ وعذر الأئمة في نصح الأمة. وجمع الأسرار في منع الأشرار عن الظن في الصوفيّة الأخيار. وجواب سؤال ورد من

طرف بطرك النصارى في التوحيد. وفتح الكبير بفتح راء التكبير. ورسالة في سؤال عن حديث نبوي. وتحقيق النظر في تحقيق النظر في وقف معلوم. وجواب سؤال في شرط واقف من المدينة المنورة. وكشف الستر عن فريضة الوتر. ونخبة المسألة شرح التحفة المرسلة في التوحيد. وبسط الذراعين بالوصيد في بيان الحقيقة والمجاز في التوحيد. ورفع الاشتباه عن علمية اسم الله. وحق اليقين وهداية المتقين. ورسالة في تعبير رؤيا سئل عنها وإرشاد المتملّي في تبليغ غير المصلي. وكفاية المستفيد في علم التجويد. ورسالة في نكاح المتعة على الشريعة. وصدح الحمامة في شروط الإمامة. وتحفة الناسك في بيان المناسك وبغية المكتفي في جواز الحقّ الخفي. والردّ الوفي على جواب الحصكفي في رسالة الخف الخفي. وحلية الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز. ورنة النسيم وغنة الرخيم. وفتح الانغلاق في مسألة على الطلاق. والخضرة الأنسية في الرحلة القدسية. والردّ المتين على منتقص العارف محيي الدين. والحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز. ووسائل التحقيق في رسائل التدقيق في مكاتبات علمية. وإيضاح الدلالات في سماع الآلات. وتخيير العباد في سكنى البلاد. ورفع الضرورة عن حج الصرورة. ورسالة في الحث على الجهاد واشتباك الأسنه في الجواب عن الفرض والسنة. والابتهاج في مناسك الحاج. والأجوبة الإنسيّة عن الأسئلة القدسية. وتطييب النفوس في حكم المقادم والرؤس. والغيث المنبجس في حكم المصبوغ بالنجس. وإشراق المعالم في أحكام المظالم. ورسالة في احترام الخبز. وإتحاف من بادر إلى حكم النوشادر. والكشف والتبيان عمّا يتعلق بالنسيان. والنعم السوابغ في إحرام المدني من رابغ. وسرعة الانتباه لمسألة الاشتباه. «في فقه الحنفيّة» ورسالة في جواب سؤال من بيت المقدس. وتحفة الراكع الساجد في جواز الاعتكاف في فناء المساجد. وجواب سؤال ورد من مكّة المشرفة عن الاقتداء من جوف الكعبة. وخلاصة التحقيق في حكم التقليد والتلفيق. وإبانة النص في

مسألة القصّ، أي: قصّ اللحية. والأجوبة البته عن الأسئلة السته. ورفع العناد عن حكم التفويض والاسناد في نظم الوقف. وتشحيذ الأذهان في تطهير الأدهان. وتحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية. وتفوه الصور شرح عقود الدرر فيما يفتى به على قول زفر. والكشف عن الأغلاط التسعة من بيت الساعة من القاموس. ورسالة في حكم التسعير من الحكام. وتقريب الكلام على الأفهام في معنى وحدة الوجود. والنسيم الربيعي في التجاذب البديعي. وتنبيه من يلهو عن صحة الذكر بالاسم هو. والكواكب المشرقة في حكم استعمال المنطقة من الفضة. ونتيجة العلوم ونصيحة علماء الرسوم في شرح مقالات السر هندي المعلوم. ورسالة في معنى البيتين: «رأت قمر السماء فاذكرتني... إلى آخره». وتكميل النعوت في لزوم البيوت. وسؤال ورد في بيت المقدس ومعه جواب منه. والجواب الشريف للحضرة الشريفة أنّ مذهب أبي يوسف ومحمد هو مذهب أبي حنيفة. وتنبيه الأفهام على عمدة الحكّام. شرح منظومة القاضي محب الدين الحموي وأنوار. الشموس في خطب الدروس. ومجموع خطب التفسير. «وصل فيه إلى ستمائة خطبة واثنتين وثلاثين» والأجوبة المنظومة عن الأسئلة المعلومة من جهة المقدس. والتحفة النابلسيّة في الرحلة الطرابلسيّة. والعبير في التعبير نظماً من بحر الرجز. وتحصيل الأجر في حكم أذان الفجر. وقلائد المرجان في عقائد الإيمان. والأنوارالإلهيّة شرح المقدمة السنوسية. وغاية الوجازة في تكرار الصلاة على الجنازة. وشرح أوراد الشيخ عبد القادر الكيلاني. وكفاية الغلام في أركان الإسلام. ومنظومة مئة وخمسون بيتاً. ورشحات الأقلام شرح كفاية الغلام. والفتح الرباني والفيض الرحماني. وبذل الصلات في بيان الصلاة على مذهب الحنفيّة. ونور الأفئدة شرح المرشدة. وإسباغ المنّة في أنهار الجنة. ونهاية المراد شرح هدية ابن العماد في فقه الحنفيّة، وإزالة الخفا عن حلية المصطفى صلى الله عليه وسلم. ونزهة الواجد في الصلاة على الجنائز في المساجد. وصرف الأعنّة إلى عقائد

أهل السنّة. وسلوى النديم وتذكرة العديم. والنوافح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة. والجوهر الكلّي شرح عمدة المصلّي ـ وهي المقدمة الكيدانية ـ وحلية القاري في صفات الباري. والكوكب الوقّاد في حسن الاعتقاد. وكوكب الصبح في إزالة ليلة القبح. والعقود اللؤلؤية في طريق المولوية. والصراط السوي شرح ديباجة المثنوي. وبداية المريد ونهاية السعيد. ونسمات الأسحار في مدح النبي المختار. «وهي البديعية» وشرحها: نفحات الأزهار على نسمات الأسحار. والقول المعتبر في بيان النظر ورسالة في العقائد. وحلاوة الآلا في التعبير إجمالا. والمقاصد الممحّصة في بيان كي الحمصة. ورسالة أخرى في كي الحمصة. وزيادة البسطة في بيان العلم نقطة. واللؤلؤ المكنون في حكم الأخبار عما سيكون. وردّ الجاهل إلى الصواب في جواز إضافة التأثير إلى الأسباب والقول المختار في الرد على الجاهل المحتار. ودفع الإيهام جواب سؤال. والكوكب المتلالي شرح قصيدة الغزاليّ. وردّ المفتري عن الطعن في الششتري. والتنبيه من النوم في حكم مواجيد القوم. وإتحاف الساري في زيارة الشيخ مدرك الفزاري. وديوان الخطب المسمى بيوانع الرطب في بدائع الخطب. والحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود. ومخرج الملتقى ومنهج المرتقى. ومنظومة في ملوك بني عثمان. وثواب المدرك لزيارة الست زينب والشيخ مدرك. وعيون الأمثال العديمة المثال. وغاية المطلوب في محبة المحبوب ومناغاة القديم ومناجاة الحكيم. والطلعة البدرية شرح القصيدة المضرية. والكتابة العليّة على الرسالة الجنبلاطية. وركوب التقييد بالإذعان في وجوب التقليد في الإيمان. وردّ الحجج الداحضة. وشرح نظم قبضة النور المسمّى نفخة الصور ونفحة الزهور. ومفتاح الفتوح في مشكاة الجسم. وزجاجة النفس ومصباح الروح. وصفوة الضمير في نصرة الوزير. وشرح نظم السنوسية المسمّى باللطائف الإنسيّة على نظم العقيدة السنوسية. وتحقيق معنى المعبود في صورة كل معبود. ورسالة في قوله عليه السلام: «من صلّى عليَّ واحدة

صلّى الله عليه عشراً». وأنس الخاطر في معنى من قال: أنا مؤمن؛ فهو كافر. وتحرير عين الإثبات في تقرير عين الأثبات. وتشريف التقريب في تنزيه القرآن عن التعريب. والجواب العلي عن حال الولي. وفتح العين عن الفرق بين التسميتين. «يعني تسمية المسلمين وتسمية النصارى» والروض المعطار بروائق الأشعار. والصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان. وله رضي الله عنه غير ذلك من التصانيف والتحريرات والكتابات والنظم.

وقد ألقى الله محبّته في قلوب أهل العلم فأقبلوا على مؤلّفاته ينسخونها ويتداولونها؛ ولعلّ هذا ما يبرّر كثرة نُسَخ مخطوطاته، وانتشارها في العالم الإسلاميّ كلّه فلا تكاد تخلو مكتبة عامّة من مكتبات المدن الإسلاميّة إلّا وفيها قدراً من مخطوطاته.

رحلاته وحجّه:

وارتحل أولاً إلى دار الخلافة في سنة خمس وسبعين وألف؛ فاستقام بها قليلاً. وفي سنة مئة بعد الألف ذهب إلى زيارة البقاع وجبل لبنان. ثم في سنة إحدى ومئة بعد الألف ذهب إلى زيارة القدس والخليل. ثم في سنة خمس ومئة وألف ذهب إلى مصر، ومن ثمة إلى الحجاز؛ وهي رحلته الكبرى. وفي سنة اثنتي عشرة ومئة وألف ذهب إلى طرابلس الشام نحو أربعين يوماً، وصنف فيها رحلة صغيرة ولم تشتهر. وانتقل من دمشق من دار أسلافه إلى صالحيتها في ابتداء سنة تسع عشرة ومئة وألف إلى دارهم المعروفة بهم الآن، إلى أن مات بها.

كانت أمنية الحج باعث الرحلة الكبيرة التي قام بها الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ سنة (١١٠٥)هـ في الشام ومصر والحجاز؛ وهو يخصّص لهذه الرحلة كما قدمنا كتاباً خاصاً عنوانه: «الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز». وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام، يخصص القسم الأول منه لرحلة الشام وفلسطين، والثاني للرّحلة المصرية، والثالث لرحلة الحجاز؛ **ويدوّن النابلسيّ**

رحلته **بطريقة اليوميات**، فيذكر تنقلاته وزياراته ومشاهداته، ويستطرد في أحيان كثيرة إلى ذكر النبذ التاريخية والأدبية؛ وقد بدأ رحلته من مدينة دمشق في غرة المحرم سنة (١١٠٥) هـ، وطاف أولاً بمدن الشام وثغوره، ووصل إلى الحدود المصريّة حسبما يذكر في يومياته في اليوم الثالث بعد المئة من بدء الرحلة وذلك في ١٤ ربيع الثاني سنة (١١٠٥) هـ، ولبث فيها ثمانين يوماً، وغادر القاهرة في السادس من رجب (سنة ١١٠٥) هـ في ركب من الشاميّين والمصريّين.

لقد قدم إلينا النابلسيّ ملاحظات لها قيمتها في دراسة المجتمع المصري في خاتمة القرن السابع عشر؛ ولعل أنفس ما فيها أقواله عن معالم القاهرة ومعاهدها، فهذه الأقوال في ذكر أبواب القاهرة وبركة الأزبكية وجزيرة الروضة والمزارات الشهيرة وغيرها ما يفيد في تعرف خطط القاهرة في هذا العصر، وهي تعتبر حلقة في مجموعة الآثار التي لدينا عن الخطط والعمران، ثم إن أحاديثه عن أعيان القاهرة وعن مجالسهم من الصور التي لها قيمتها في معرفة أبناء مجتمع هذا العصر، ولنذكر أن العصر الذي يحدثنا عنه النابلسيّ يسبق بداية العصر الذي يحدثنا عنه الجبرتي بنحو خمسين عاماً فقط، ومن ثم ففي وسعنا أن نصل بين المواد المشتركة في هذين الأثرين في دراسة المجتمع المصريّ في القرن الثامن عشر[1].

مكانته وأخلاقه:

كان عالماً، مالكاً أزمّة البراعة واليراعة، فقيهاً متبحراً، يدري الفقه ويقرره، والتفسير ويحرره. غواصاً على المسائل. خبيراً بكيفية الاستدلال والدلائل. ذا طبع منقاد، وبديهة مطواعه، كما قيل:

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه تفتح نوراً أو تنظم جوهراً، مصون اللسان عن

---

(١) انظر: د. يوسف زيدان، حلقة تلفزيونيّة بعنوان: «الأولياء»، ذات الرقم (٢٩) عن الشيخ عبد الغنيّ النابلسي.

اللغو والشتم. لا يخوض فيما لا يعنيه، ولا يحقد على أحد، يحب الصالحين والفقراء وطلبة العلم. ويكرمهم، ويجلّهم، ويبذل جاهه بالشفاعات الحسنة لولاة الأمور؛ فتقبل، ولا تُرَدّ. معرضاً عن النظر إلى الشهوات، لا لذّة له إلا في نشر العلم وكتابته. رحيب الصدر ،كثير السخاء.

وله كرامات لا تُحصى، وكان لا يحب أن تظهر عليه ولا أن تحكي عنه. هذا مع اقبال الناس عليه، ومحبتهم له، واعتقادهم فيه، وتشافههم بعض كراماته حتّى هذه الساعة. ورأى في أواخر عمره من العزّ والجاه ورفعة القدر ما لا يوصف، ومتعه الله بقوته وعقله؛ فكان يصلي النافلة من قيام، ويصلّي التراويح في داره إماماً بالناس إلى أن مات. ويقرأ الخط الدقيق. ويكتب في تصانيفه كشرح البيضاوي وغيره بعد أن جاوز التسعين.

وأمّا إحصاء فضائله فلا تطاق بترجمة؛ فهو الأستاذ الأعظم، والملاذ الأعصم، والعارف الكامل، والعالم الكبير، العامل القطب الربّاني والغوث الصمداني، مَن أظهره الله فأشرقت به شموس الإرشاد والعلوم، وأظهر خفيّات ما رقّ عن الأفهام، وصيّر المجهول معلوم. يقول المرادي في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: «وقد حاز تاريخي هذا كمال الفخر حيث احتوى على مثل هذا الإمام الذي أنجبه الدهر، وجاد به العصر، وهو أعظم من ترجمته: علماً، وولاية، وزهداً، وشهرة، ودراية».

مرضه وموته:

مَرِضَ رضي الله عنه في السادس عشر من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومئة وألف وانتقل بالوفاة عصر يوم الأحد الرابع والعشرين من الشهر المذكور. وجهّز يوم الإثنين الخامس والعشرين من الشهر، وصُلّي عليه في داره، ودفن بالقبة التي أنشأها في أواخر سنة ست وعشرين ومئة وألف. وغلّقت البلد يوم موته. وانتشرت الناس في جبل الصالحية لكون البيت امتلأ وغصّ بالخلق. وبنى حفيده

الشيخ مصطفى النابلسيّ إلى جانب ضريحه جامعاً حسناً بخطبة، والآن يتبرك به ويزار. لا سيّما في صبيحة يوم السبت رضي الله عنه. وقد صنف ابن سبطه صاحبنا العالم كمال الدين محمد الغزي العامري في ترجمته كتاباً مستقلاً سماه: «الوِرد القدسي والوارد الأنسي في ترجمة العارف عبد الغنيّ النابلسيّ» فمن أراد الزيادة على ما ذكرناه فعليه به فإنه جامع للعجب العجاب من ترجمته قدس الله سره[1].

الخواطر عند النابلسيّ:

قد ترد خواطر على النابلسيّ وهو يكتب في بعض المواضع مثل ٥٨/ب؛ فيتساءل عن بقاء القلب واللسان من غير فناء، كيف يكون العارف الكامل الفاني؟. وكيف لا يطعن ذلك في التوحيد؟. وكيف لا يشفع التوحيد عند المحبوب بإبقاء ذلك، وإبقاؤه ينقص التوحيد الكامل الحقيقيّ!. فسمع عند ذلك هاتفاً يقول: بقاء بالاعتبار. فعلمت أنّ الأمور الاعتباريّة لا تغيّر الحقائق عمّا هي عليه.

كذلك يفتح عليه شعراً وهو يكتب في ص٣٦١، يقول: وقد فتح علينا في أثناء هذه الكتابة بقولنا:

جاءني الساقي بكأس من طلا	يتجلّى بين ندمان العيان
في رياض وزهور نفحت	وطيور سجعت سجع القيان
فشربت الكاس والساقي ونـد	ماني المزرين بالغيد الحسان
وشربت الدنّ والإبريق في	سكرتي ثمّ مكاني والزمان
وسقاني بعده الساقي فها	أنا صاحٍ بعد سكري في أمان
كلّنا في كلّنا في كلّنا	أنا سكران وصاحٍ يا فلان

(١) معظم الترجمة من «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» بتصرّف كبير زيادة أو نقصان.

كذلك الأبيات التي وردت عليه في ص١٥٥٢، وغيرها.

التربية (السلوك) والمربّون والمناهج في شرح النابلسيّ:

يشبّه ابن الفارض المشايخ المربّين بألوية الجيش كما في قوله:

وَفَوْقَ لِوَاءِ الـجَيْشِ لَوْ رُقِمَ اسْمُهَا ... لَأَسْكَرَ مَنْ تَحْتَ اللِّوَا ذَلِكَ الرَّقْمُ

فيلتقط النابلسيّ هذا التشبيه ليبيّن تصنيفه للمشايخ، وطرقهم، ومناهجهم، ومريديهم، مستفيداً من قواعد ابن رزّوق في تصنيفه. ويرى أنّ لكلّ شيخ طريقة منشورة تجعل منه من المشايخ الكاملين المحقّقين التي يمشي تحتها المريدون السالكون في حرب نفوسهم لقطع مسافاتها إلى معرفة ربّهم، **فلواء جيش القادريّة** الذي رفعه شيخنا العارف بالله تعالى عبد القادر الجيلانيّ قدّس الله سرّه للمريدين السالكين على طريقته هو **الذلّ والانكسار**، ولواء جيش المحيوية الذي رفعه شيخنا العارف بالله تعالى، الشيخ الأكبر محييّ الدين بن عربيّ، قدّس الله ، سرّه للمريدين السالكين على طريقته هو **العلم النافع**، والعمل الرافع. ولواء جيش الشاذليّة الذي رفعه العارف الكامل أبو الحسن الشاذليّ، قدّس الله، سرّه للمريدين السالكين، على طريقته هو: **ترك التدبير** حتّى صنّف في طريقه ذلك تلميذ تلميذه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري، قدّس الله سرّه، كتابه الذي سمّاه: «التنوير في إسقاط التدبير». وهكذا كلّ شيخ له طريقة خاصّة هي لواؤه المنشور، وعلمه المشهور. وقد أشار إلى نحو ذلك الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد التونسيّ المعروف برزّوق، قدّس الله سرّه. وهو شاذليّ الطريقة في كتابه قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة، قال: قاعدة تعدّدُ وجوه الحُسْن يقضي بتعدّد وجوه الاستحسان، وحصول الحُسْن لكلّ مستحسن، فمن ثمّة كان لكلّ فريق طريق، **فللعامّي تصوّف** حوته كتب المحاسبي ومن نحا نحوه. **وللفقيه تصوّف** رامه ابن الحاج في مدخله. **وللمحدّث تصوّف** حام حوله أبو بكر بن

العربيّ في سراجه. **وللعابد تصوّف** دار عليه الغزاليّ في منهاجه. **وللمتريِّض تصوّف** نبّه عليه القشيري في رسالته. **وللناسك تصوّف** حواه القوت والإحياء. **وللحكيم تصوّف أدخله الحاتمي**. وهو الشيخ الأكبر في كتبه. **وللمنطقيّ تصوّف** نحا إليه ابن سبعين في تآليفه. **وللطبائعي تصوّف** جاء به البوني في أسراره. **وللأصولي تصوّف** قام به الشاذليّ في تحقيقيه؛ فليعتبر كلّ بأصله من محلِّه. وبالله التوفيق. ثمّ قال قاعدة في اختلاف المسالك راحة للسالك، وإعانة له على ما أراد من بلوغ الأرب، والتوصّل للمراد؛ فلذلك اختلفت طرق القوم، ووجوه سلوكهم؛ فمن ناسك يؤثر الفضائل بكلّ حال، ومن عابد يتمسّك بصحيح الأعمال. ومن. زاهد يفرّ من الخلائق. ومن عارف يتعلّق بالحقائق. ومن ورع تحقّق المقام بالاحتياط. ومن متمسِّك يتعلّق بالقوم في كلّ مناط، ومن مريد يقوم بمعاملة البساط. **والكلّ في دائرة الحقّ بإقامة الشريعة، والفرار من كلّ ذميمة وشنيعة**. ثم ّ قال قاعدة: لا يلزم من اختلاف المسالك اختلاف المقصد؛ بل قد يكون متّحداً مع اختلاف مسالك كالعبادة، والزهادة، والمعرفة، مسالك لقرب الحقّ على سبيل الكرامة، وكلّها متداخلة؛ فلا بدّ للعارف من عبادة، وإلّا فلا عبرة بمعرفته إذا لم يعبد معروفه، ولا بدّ له من زهادة، وإلّا فلا حقيقة عنده إذا لم يعرض عمّا سواه، ولا بدّ للعابد منهما؛ إذْ لا عبادة إلّا بمعرفة، ولا فراغ للعبادة إلّا بزهد كذلك، إذْ لا زهد إلّا بمعرفة، ولا زهد إلّا بعبادة. والادّعاء بطالة. نعم، من غلب عليه العمل فعابد، أو الترك فزاهد، أو النظر لتصريف الحقّ فعارف. والكلّ صوفيّة، والله أعلم. ثمّ قال قاعدة: لا بدّ من معرفة عبادة وزهادة لكلّ عابد وعارف وزاهد؛ ولكن من غلب عليه طلب العمل كان عابداُ، ومعرفته وزهده تبع لعبادته. ومن غلب عليه ترك الفضول كان زاهداً. وعبادته ومعرفته تبع لزهده. ومن غلب عليه النظر للحقّ بإسقاط الخلق كان عارفاً. وعبادته وزهده تبع لأصله. فالنسب تابعة للأصول، وإلّا

فالطرق متداخلة. ومن فهم غير ذلك فقد أخطأ. نعم يخفف الأمر، ويقوى بحسب البساط. والله أعلم. قاعدة ضبط النفس بأصل يرجع إليه في العلم، والعمل لازم لمنع التشعّب والتشغّب، فلزم الاقتداء بشيخ قد تحقّق اتّباعه للسنّة، وتمكّنه من المعرفة ليرجع إليه فيما يرد أو يراد، مع التقاط الفوائد الراجعة لأصله من خارج، إذ الحكمة ضالّة المؤمن، وهو كالنحلة ترعى كلّ طيّب ثمّ لا تنبت غير جَبْحَها، و(الجَبْحُ): بالجيم والباء الموحّدة والحاء المهملة، ويثلّث: خليّة العسل. وجمعه أَجْبُح وأَجْبَاح، كذا في القاموس. وإلّا لم يُنتفع بعسلها، وقد تشاجر فقراء الأندلس من المتأخّرين في الاكتفاء بالكتب من المشايخ، ثمّ كتبوا للبلاد فكلّ أجاب بحسب فتحه. وجملة الأجوبة دائرة على ثلاث، ولها النظر للمشايخ، فشيخ التعليم تكفي عنه الكتب للَبيب حاذق، يعرف موارد العلوم. وشيخ التربية تكفي عن الصحبة لديِّنٍ عاقل ناصح. وشيخ الترقية يكفي عنه اللقاء والتبرّك. وأخذ كلٍّ من وجه واحد. ثمّ الثاني النظر لحال الطالب؛ فالبليد لا بدّ له من شيخ يربِّيه. واللبيب تكفيه الكتب في الترقية لكنّه لا يسْلَم من رعونة نفسه وإنْ وصل لابتلاء العبد برؤية سببه. الثالث النظر للمجاهدات؛ فالتقوى لا تحتاج إلى شيخ لبيانها وعمومها. والاستقامة تحتاج إلى شيخ في تمييز الأصلح منها، وقد يكتفي دونه اللبيب بالكتب ومجاهدة الكشف. والترقية لا بدّ فيها من شيخ يُرجع إليه في فتوحها كرجوعه عليه الصلاة والسلام للعرض على ورقة لعلمه بأخبار النبوّة، ومبادئ ظهورها حين فاجأه الحقّ، وهذه الطريقة قريبة من الأولى، والسنّة معها، والله أعلم. قاعدة تشعب الأصل قاض بالتشعب في الفرع، وكلّ طريق للقوم لم يرجعوا بها لأصل واحد؛ بل لأصول غير الشاذليّة؛ فإنّهم بنوها، على أصل واحد، وهو إسقاط التدبير مع الحقّ تعالى فيما دبّره من القهريات والأمريات، ففروعهم راجعة إلى اتّباع الكتاب والسنّة، وشهود المنّة، والتسليم للحكم بملاحظة الحكمة، وهذه نكتة مذاهب القوم وحولها يحومون،

لكنّهم لم يصرِّحوا بوجوهها كهذه الطائفة. قاعدة مطالبة الشخص على قدر حاله، ومخاطبته بما يقتضيه وجود أصله، فلا يطالب عامّي بزائد على التقوى، وفقيه بزائد على الاستقامة، ويطالب المريد بالصدق بعد تحصيل الأولَينِ. والعارف بالورع؛ فعامّي لا تقوى له: فاجر. وفقيه لا استقامة له: مقصِّر. ومريد لا صدق له: متلاعب. وعارف لا ورع له: ناقص. وأصل التصوّف دائر على الأحسن، هذا إنْ تحررت طريقته فواجبه في الأحكام الورع، ولازمه في السنن التحفّظ. وحاله في الآداب دائر مع قلبه؛ ولذلك اختلفت أحواله فيه. فَلْيَعتَبِرْ كلٌّ في محلِّه، ولا يطالب بشيء في غير وجهه. إلى هنا كلام سيدي أحمد رزّوق الشاذليّ قدّس الله سرّه؛ فإشارة الناظم هنا قدّس الله سرّه بلواء الجيش إلى طريقة من الطرق المذكورة. وفوقيّة اللواء كناية عن ابتداء أمر المريد في أوّل سلوكه في ذلك الطريق المخصوص، وأهم ما يكون فيه، وأعلى، وأتمّ، وأكمل، وألزم، وأوجب ما يتعيّن عليه تقديمه[1].

رأيه في الشعر:

وأما الشعر عند النابلسيّ فهو «الكلام الموزون المرتبط بالكتاب والسنّة، يقول النابلسيّ معرّفاً بالشعر ودوره» وأصله من نَظَمَ الخَرَز، قال في المصباح: «نَظَمْتُ الخَرَز نَظْماً، من باب ضرب: جعلتُه في سِلْك وهو النظام بالكسر. ونَظَمْت الشعر نَظْماً». والمعنى: نثر الكلام ونظمه قصائد وأشعار إلهيّة، ولا يسمّى ذلك شعراً، لأنّ الشعر حديث النفس فيما تشعر به من المعاني، قال تعالى في شأن نبيِّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [٣٦/يس/٦٩] والذكر والقرآن حقّ، والشعر باطل. ومن هنا إيراد المعاني الإلهيّة

(١) انظر ص١٤٩٦ وما بعدها.

التي يُفتح بها على قلوب الأولياء العارفين بربّهم فينظمونها أو ينثرونها، كما قال الجنيد، قدس الله سرّه: «عِلْمُنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنّة». وقال الشيخ الأكبر، قدّس الله سرّه: «لا نقبل شيئاً من عِلْمنا هذا إلّا بشاهدي عدل من الكتاب والسنّة؛ فلهذا لم يكن كلامهم شعراً». قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كلامنـــا ليـس بشـعـر ولا ... مـن شـاعر بـل وارث مصـطفى

أنطـقـــه الله بـــه مثـل مـا ... أنطـق أهـل الديـن والاصطـفا

في عقيدة النابلسيّ:

يعرض النابلسيّ لمعنى فناء الإنسان في الوجود الحق، مبيّنا عقيدته فيه، بشكل يذكرنا بالشعراني في قلائد الجواهر عندما يذكر عقيدة ابن عربيّ، يقول الشيخ النابلسيّ: «فالفناء في الحقّ تعالى يقتضي ظهور بقائه، وانكشاف دوامه، وثبوته لعبده الفاني فيه دواماً وثبوتاً محقّقاً، ولا يلزم من الفناء الحاصل للعبد السالك أن يكون عدماً صرفاً؛ وإنّما يكون معدوماً مقداراً بتقدير الله تعالى في الأزل، معلوماً بعلمه القديم مخصوصاً بتخصيص إرادته تعالى، ومشيئته القديمة. ولم يذهب عنه إلّا دعوى الوجود مع الحقّ تعالى؛ فإنّ الوجود الظاهر عليه وعلى جميع المخلوقات؛ إنّما هو الوجود الواحد الحقّ القديم الذي هو غير مركّب، ولا متبعّض، ولا متجزّئ، وليس بجسم، ولا عرض، ولا معنى، ولا مقدار له، ولا له كيف، ولا كم متّصل، ولا منفصل. لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. ولا وجود غيره، ولا خير إلّا خيره. لا حلّ في شيء، ولا اتّحد بشيء. ولا شريك له، تنزّه عن الصاحبة والولد. ولم يكن له كفواً أحد»[1].

---

(١) انظر ص١٧٠٠.

السلوك (الطريق) عند النابلسيّ:

وأما السلوك إلى المحبوب عنده فهو الطريق الموصل يقول: «طريقكِ الموصل إليكِ، وهو الشريعة المحمَّديّة؛ ظاهراً بأحكام العبادات والمعاملات، وباطناً بالأخلاق المحمودة: كالزهد، والتقوى، والورع، والتوكّل، والصبر، والشكر، وترك الأخلاق المذمومة كحُبِّ الدنيا، وفعل المعاصي وحبِّها، والانهماك في الشهوات ولو مباحة، وتتبُع الرُّخص، والحرص، وطول الأمل، والجزع، والغفلة عن نعم الله تعالى. وهذا هو الطريق الموصل إلى معرفة الحقّ سبحانه، ويتبع ذلك الصدق والإخلاص»[١].

لغة النابلسيّ:

استطاع الشيخ النابلسيّ في كتابه هذا أنّ يكون متميّزاً عن أهل عصره في أدائه اللغويّ؛ فقد عبّر عن معانيه المختارة في شرحه تعبيراً سهلاً دقيقاً، يتناوبه على غير تساوٍ أو ترتيب الخلو من مظاهر الزينة والصنعة اللفظيّة التي كانت تشغل بال كتّاب عصره وما بعده وحتّى نهاية القرن التاسع عشر في تعبيرهم عن حاجات أنفسهم، وعن حقائق عصرهم وجلّ موضوعاتهم.

وإذا تنوّعت الأفكار التي يعالجها المؤلّف تبعاً للمواضيع الواردة في أبيات ابن الفارض موضوع الشرح فلا بدّ من تنوّع وسائل الأداء اللغوي؛ فتارة يكون التعبير جافّاً لا مجال للصورة الفنيّة أو للزينة اللفظيّة، وتارة تكاد تخرج من إطارها الزمني لتحمل الكثير من خصائص الأسلوب العلميّ ببساطته ووضوحه وحمله للفكرة العلميّة والمادّة العلميّة، وكأنّه قد انعتق من عقال عصره وأسر أساليبه، محطِّماً قيود الجمود، مصدِّعاً الجدار السميك الفاصل للكتّاب في عصره عن الحياة،

---

(١) انظر ص٥٣٩.

ليكتب في عصرنا اليوم، وفي مجلّات عصرنا التخصصيّة؛ كمجلّة الفيزياء، أو الفلسفة والدين، أو الفن والمجتمع. وتارة نرى في شرح النابلسيّ ملامح العصر الذي يعيش فيه، ووسائل أداء أبنائه ولكن ليس لدرجة الإغراق؛ فهو لا يرتدي البزّة الرسميّة لكتّاب الدواوين الذين كانوا يكتبون بالإرث من الصنعة والتزيين اللفظي، فمن لا يكتب به عندهم لا يعدّ من الكتّاب؛ وربما لا يجد جعالته في الدواوين.

إنّ الناظر في قول النابلسيّ التالي لا يرى أيّ اختلاف في لغة النابلسيّ عن لغة أيٍّ منّا اليوم، أو عن لغة أيّ واعظ، أو أيّ شيخ من الناحية الدينيّة أو الاجتماعيّة: يقول النابلسيّ: «أما السلوك إلى المحبوب عنده فهو الطريق الموصل، طريقكِ الموصل إليكِ ـ وهو الشريعة المحمَّديّة ـ ظاهراً بأحكام العبادات والمعاملات، وباطناً بالأخلاق المحمودة: كالزهد، والتقوى، والورع، والتوكّل، والصبر، والشكر، وترك الأخلاق المذمومة كحُبِّ الدنيا، وفعل المعاصي وحبِّها، والانهماك في الشهوات ولو مباحة، وتتبُّع الرُّخص، والحرص، وطول الأمل، والجزع، والغفلة عن نعم الله تعالى. وهذا هو الطريق الموصل إلى معرفة الحقّ سبحانه، ويتبع ذلك الصدق والإخلاص»(١).

وأمّا تفسير النابلسيّ للسماع عند المتصوِّف، وعند الإنسان عموماً فالثوب اللغوي يشفّ كاشفاً الوظيفة النفسية التي تحملها اللغة، مقترنة بالوظيفة الاجتماعية لتبيّن تفاوت في التجاوب للدوافع الروحانيّة في نزوعها نحو الجمال المطلق، ببساطة ووضوح ودقّة؛ ولكن مع الجودة اللغويّة، والألفاظ المنتقاة بعناية، والتوازن في العبارات، وذلك في تفسير قول ابن الفارض قضيتي في البيت:

شَهِيْدٌ بَحَالِي في السَّمَاعِ لِجَاذِبِي   فَضَـاءٌ مَقَرِّي أَوْ مَـمَرٌّ قَضِيَّـتِـي

---

(١) انظر ص٥٣٩.

...والمعنى: ما تمرّ عليه قضيَّتي، أيّ: تعرض، ويتكرر عروضها لديه، وهو حضرات الأسماء الجلاليّة، فإنّ منشأ النفوس بأجمعها من عالم الجلال الرحماني؛ ولهذا تجذبها الأسماء الجلاليّة إليها عند سماع المحرّك المطرب والمبيّن المعرب، فإنّ نغمات الألحان تذكّر الأرواح عهد الجمال المطلق المنتشية منه، فتضرب الجسد بقواها لتخرج منه، فتردّها العوارض النفسانيّة لانبعاثها عن الأسماء الجلاليّة وانتشائها منها؛ ولهذا يرقص الجسم عند السماع ويتواجد، ويضطرب بحسب حاله؛ فالقاصر الحال تكثر حركاته ارتفاعاً وانخفاضاً، وكلّما كمل حاله قلَّت حركاته في السماع لقرّة عينه بكمال حضوره حتّى ترجع حركاته روحانيّة أمريّة، كما قيل للجنيد قدّس سرّه: ما لنا نراك لا تضطرب في السماع ؟!. فقال: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [٢٧/ النمل/ ٨٨]. فمعنى البيت الذي يشهد بصدق حالي في وقت حضور السماع، وكوني أضطرب فيه باطناً وظاهراً هو سعة مَقرِّي الروحانيّ لإطلاق عالم الأرواح، أو موضع مرور نفسي من سعة العلم الإلهيّ لقوّة جاذبي الروحانيّ للجمال المطلق[1].

اللغة والتربية:

لقد امتلك النابلسيّ ناصية اللغة، وطوّعها لما يريد أن يحمّلها من وظائف: فلسفية صوفيّة، أو نفسيّة، أو اجتماعية، واستجابت اللغة طائعة، مستسلمة، متفاعلة مع موضوعه المعالج، فقفزت فوق القرون الثلاثة لتعيش بيننا اليوم دون أن نعلم، وكأنّ قائلها يعيش اليوم معنا، وأتعجّب إذ يربط الباحثون نضج النثر الفني بنهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، بينما يرجعون بداية تطوّر النثر الفني إلى الجبرتي الذي ولد بعد وفاة النابلسيّ بأربع وعشرين سنة، في

---

(١) انظر: ص٩٠٦.

تاريخه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار». والأنكى من ذلك أن يحصر بعض الباحثين تطور النثر العربيّ في بلد واحد كما استنتج د. شوقي ضيف في خاتمة تاريخ الأدب، وينعت العصر المملوكي والعثماني بالتقليد والجمود وفيه فشا التأليف المعجمي والموسوعي ودوائر المعارف، هذا النوع من التأليف الذي يكون النثر فيه طليقاً حراً مرسلاً لا قيود فيه كشرح النابلسيّ الذي نحن بصدده. وربما يصح القول إنّ المادّة العلميّة الموسوعيّة فرضت طريقة أدائه خالياً من أسر التقييد بالمحسّنات والزخارف والقيود؛ ولكن القدرة لديه، والعبقريّة عنده تتجلّى في القدرة على القفز فوق العصر وأدوات تعبيره بأعلى أداء لغويّ حرّ مرسل أستطيع أن أنعته: فنيّ.

وإذا كانت التربيّة هي الهدف الأسمى لخلق جيل قادر على حمل الرسالة الإنسانية الحضاريّة فالنابلسيّ من المربّين القلة الذين يعتنون فيمن يربّون، من نواحي التربية كلّها: متعلمها ومعلمها ومناهجها وطرائقها وفلسفتها. وكلّ ذلك لابدّ له من وعاء يحتويه، ولغة تؤدّي معانيه ووظائفه، وقد استطاع النابلسيّ تطويع لغته لأداء كلّ ذلك بتميّز واقتدار تجاوز عصره بكثير، يقول في تكوين القيم والاتّجاهات عند الإنسان منذ طفولته، ثمّ يوضح أثر التهذيب بأداء لغوي سليم معاصر، شفاف عن المعنى، مرسل إرسالاً لا صنعة فيه ولا تزيين، وإن عدم الركاكة فيه إلّا أنّه لا يعدم جودة الصوغ وجمال العبارة، وسلاستها وجمالها، واختيار الألفاظ، المناسبة للمعاني المطروقة، ممّا يؤهله ليكون من كتّاب عصرنا اليوم. يقول: «**(الأشْكَال)**: بفتح الهمزة، جمع شَكْل، بفتح الشين المعجمة وسكون الكاف وباللام»، قال في المصباح: «الشَكْل: المَثَل، يقال: هذا شَكْل هذا». والمراد هنا الصور الحسيّة والمعنويّة/ [١٩٦/ أ] وهي جميع العوالم الجسمانيّة والروحانيّة

والخياليّة والعقليّة والوهميّة؛ بل كلّ ما خلق الله تعالى، فإنّ ذلك كلّه صور مختلفة. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [٥٩/الحشر/ ٢٤]. فجميع الصور له تعالى تخليقاً وتصويراً، ولا صورة له تعالى من حيث هو بحكم قوله سبحانه: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴾ [٢٧/النمل/ ٩٢] وإنّما ضرّ الغافلين المحجوبين في ابتداء إدراكهم للأشياء حين كانوا أطفالاً صغاراً أفاقوا على الدنيا، وعلى أنفسهم وغيرهم، فأدركوا أنّ الصور والأشكال على خلاف ما هي عليه في أنفسها بلا تحقّق ذوقي، ولا كشف عرفانيّ. ثمّ لم يزالوا يكبرون إلى أنْ بلغوا وصاروا رجالاً، وإدراكهم الأوّل الذي أدركوه في أوّل ما فاقوا على الدنيا هو إدراكهم للعوالم كلّها، وقد تمكّنوا فيه بكثرة تكراره على نفوسهم، وتمرّنوا عليه. ومعلوم أنّ الطفل الصغير في أوّل شعوره بنفسه وبغيره لا يشعر إلّا بحسب استعداده وطبعه، فيرسخ في ذلك، ويتمرّن عليه. ثمّ إذا كبر وبلغ الحلم، وتعلّم العلوم المبنيَّة على مثل ذلك يكون بالنسبة إلى العارفين المحقّقين لا يعرف شيئاً من الأشياء التي خلقها الله تعالى أصلاً؛ لا لنفسه، ولا لغيره. فيبني على ذلك عقائده، وأعماله، وجميع أحواله الشرعيّة والعاديّة، وينطبع على ذلك حتى يلهمه الله تعالى الرياضة الشرعيّة بالتقوى، وفهم كلام الله تعالى، وكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالفهم المستند عنده إلى الله تعالى على وجه الإخلاص إن فعل الله تعالى به ذلك، وتفضّل عليه، وألهمه رشده؛ فعند ذلك تنفتح بصيرته بنور الهداية والتوفيق، ويدرك الأشياء على ما هي عليه بإذعان منه وتحقيق. فهنالك يعرف ربّه، وينال قربه. وإلّا فهو من: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [١٨/ الكهف/ ١٠٤][1].

---

(١) انظر :ص ٨٩٦وما بعدها.

الوظيفة الاجتماعيّة تجعل اللغة شفّافة:

إن أداء النابلسيّ اللغوي أكثر شفافية ودقّة عندما يعبر عن عادات اجتماعيّة وظواهر فنيّة سائدة في المجتمع، ومن الأمر المحبّب الرائع أن يتكلّم عن خيال الظلّ المنتشر في المجتمع العربيّ آنذاك، ويفسّر تشكّل الظلال الناتجة عن جسم بين منبع ضوئي وستارة ينعكس عليها، بمفهوم ما نعرفه اليوم بـ (كركوز وعواظ) يقول: «وقوله (**فطيف**): الفاء للتفريع على ما قبله. والطَّيْفُ: من طاف الخيال طَيفاً، من باب باع: أَلَـمَّ وأتى. والطَائِف ما أَطَافَ بالإنسان من الجِن والإنس والخيال، كذا في المصباح. وقوله (**خيال الظلِّ**): أيّ الخيال الذي هو الظلّ. وأصله ظلّ الشجرة الذي يكون بالغداة، وغير الشجرة أيضاً، والفَيء بالعَشِي، ذكره في المصباح عن ثعلب. والمُراد بطيف خيال الظلّ هما خيالات الصور التي يتخذها بعض الناس بوضع ستر من القماش الرقيق في داخله ضوء شمعة أو سراج، ثمّ تعرض تلك الصور بين الضوء والستر بإنسان يجلس خلف الستر يحرِّكها مما يسميه الناس خيال الإزار. وفيه يقول القائل:

رأيت خيال الستر أكبر عبرة ... لـمن هو في علم الـحقيقـة راقي
شخوص وأشباح تمر وتنقضي ... وتفـني جميعاً والمحرِّك باقي»[1]

كذلك من المدهش أن يفسر النابلسيّ الأحوال أو المقامات الصوفيّة المتعلّقة بحواس الإنسان فيدخل المصطلحات العلميّة، وتحسبه يعالج بلغة معاصرة علم الأحياء أو الفيزياء بألفاظه العلميّة الدقيقة يقول في شرح البيت:

وَلِلشَّمِّ أَحْكَامُ اطِّرَادِ القِيَاسِ فِي اتْـ ... ـتِحَادِ صِفَاتِي أَوْ بِعَكْسِ القَضِيَّةِ

(**وللشمّ**): أيّ للقوّة التي أدرك بها الروائح. وقوله (**أَحكام**): جمع حكم. وقوله

---

(١) انظر: ص ١١٨٩.

(**اطّراد القياس**) أيّ: جريانه كما تقدّم. وقوله (**في اتّحاد صفاتي**): أيّ كونها واحدة، وتعددها بسبب محالها وأماكنها التي تظهر فيها، فقوّة الشمّ هي قوّة السمع، وقوة البصر، وقوّة النطق، وقوّة البطش. قوله (**أو بعكس القضيّة**): بأن تظهر كلّ قوّة من هذه القوى بقوّة الشمّ فتعمل عملها طرداً وعكساً[1].

اللغة والتكفير:

يرى النابلسيّ منع تكفير الإنسان، والتماس الأعذار له إن احتُمل إيجاده، وذلك بلغتنا المعاصرة المنعتقة من أسر التقليد، والخالية من الخيال المحنّط يقول: وقوله (**العَذْلُ**): أيّ اللوم والتعنيف، كما هو عادة المتفقّهة في المذاهب، يفتّشون عند عيوب الناس وذنوبهم، ولا يلتفتون إلى عيوب نفوسهم وذنوبهم، لتحسين ظنونهم بأنفسهم، وتأويلهم كلّ ما يفعلونه من المخالفات، ولا يؤَوِّلُون ما يرونه من ذنوب غيرهم. وقد قال الإمام النوويّ ـ من كبار فقهاء الشافعيّة ـ: «يجب على الإنسان أنْ يحمل أخاه على المحامل الحسنة إلى سبعين وجهاً؛ فإنْ عجز يقول: لعلّ له عذراً لا أعلمه». وقد وجدت كتاباً مستقلّاً سمّاه مصنّفه «تحفة الأكياس في تحسين الظنّ بالناس»[2] وأمّا فيما يوهم الكفر فقد قال في «تنوير الأبصار».

ولا يُفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره خلاف، ولو رواية ضعيفة؛ فمَنْ شأنه وعادته اللوم والتعنيف، لا يغدو إليه الناظم، ولا يسرع إلى قبول قوله، والعمل بمقتضى ظنونه في بعض ما يذهب إليه، ويمكن أنْ يكون قوله (**لمن بيننا سعي**): يعني بالإفساد والفتنة، وهو الشيطان المقارن له، الذي شأنه دائماً الوسوسة، وإيقاع العداوة بين الإنسان وربّه، بتهوين

---

(١) انظر: ص١١٠٧.

(٢) وهو مخطوط للشيخ أحمد المصري الشهير بالفولي، من شيوخ الأزهر الشريف.وسيصدر بتحقيق خالد الزرعي إن شاء الله تعالى.

المعاصي عليه، والمخالفات ليقع فيها، فيغضب عليه ربّه. وكونه يسعى إليه ويعدو لعلمه بالحفظ له، والصيانة منه، من جهة الحقّ تعالى. كما نُقل عن أبي مدين، الغوث، قدّس الله سرّه، أنّه قيل له: كيف أنت مع الشيطان؟. فقال أرأيتم لو بال أحدكم في البحر فهل ينجس ببوله؟. قالوا: لا. فقال: هكذا حالي معه». وعدم غدوه، وعدم ميله إلى اللائمين والمعنِّفين له؛ لأنّهم يؤذون بجهلهم أحواله الصادقة؛ ولهذا قال بعد ذلك على طريقة اللف والنشر المرتّب[1].

تنقيبه في المعاجم واختياره منها:

يستخدم المادّة المعجميّة من القاموس أو من الصحاح أو المنجد أو مفردات القرآن، **أحياناً بتصرّف** بحسب ما يقتضيه المعنى، فيقول حينذاك بعد ذكر المادّة كذا في القاموس، مثل [١٣٦/ ب]، وغيرها كثير لم أحصه. أمّا عندما ينقل بدقّة يقول: قال في القاموس أو الصحاح....

وهو يختار المعنى المطلوب بمنتهى الدقّة مهما كانت المادة كبيرة ومتشعّبة، وقد يخالف هذه القاعدة؛ ولكنّه يتمتّع بذوق لغوي عالي يفاضل بين ما يصلح لما أورده من المعاني المعجميّة وما لا يصلح بذوق لغوي متميّز وإحساس عالي . والأمثلة على ذلك كثيرة جدّاً، على سبيل المثال لا الحصر [١٨٧/ ب] و[١٨٨/ أ]. وأمّا إذا لم يذكر القاموس أو المصباح، أو الصحاح أو المفردات فهو قد أخذ من مصدر آخر نشير إليه إن عثرنا عليه.

تعريبه لأبيات من التركيّة:

أتقن الشيخ النابلسيّ التركيّة والفارسيّة؛ فهو قد عرّب أبياتاً في مدح ابن عربيّ عرضت عليه باللغة التركيّة والفارسيّة في كتاب آخر، يقول: وقد عُرضت عليّ

---

(١) انظر: ص١٤٥٩ وما بعدها.

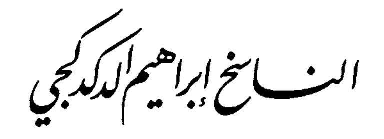
أبيات باللغة التركيّة في مدح الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه لبعض فضلاء الأروام، فقلت في تعريبها والأحقّ أن تكون عربيّة في مدح ابن العربيّ.

طيب محيي الدين مسك الورى فاح لكن كلّ أنف لا يشم
وعلوم خرجت من فمه كلّ فهم بهداها لا يلمّ
قوسه من ذا الذي يرمي به غرض التحقيق يا قوم هلمّوا[1]

ويلفت انتباهنا قوله والأحقّ أن تكون عربيّة من حيث روحه القوميّة المعتزّة بالعروبة لغة، وأفراداً عظاماً، وأمّة، وتاريخاً، ودولاً.

* * *

(١)انظر [٣٥٢/ أ- ب].



هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالدكدكجي، الحنفيّ، التركمانيّ الأصل، الدمشقي. ولد بدمشق سنة ١١٠٤هـ. وأرّخ ميلاده الاستاذ الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ بقوله: «بإبراهيم الذي وفى». نشأ في كنف والده بطاعة وصيانة. وحضر دروس علماء عصره. قرأ المعاني والبيان والنحو على شيخ الاسلام الشمس محمد الغزي العامريّ؛ مفتي دمشق. وعلى الشيخ محمد أبي المواهب مفتي الحنابلة بين العشاءين بالجامع الأموي. وكذلك على المعمر الشمس محمد بن علي الكاملي في رمضان بعد صلاة الصبح في الجامع الأموي. وكذلك على الشيخ المحدث يونس الأزهريّ. ولازم الأستاذ الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ كوالده في غالب أوقاته. وحضر دروسه. واستجاز له والده من دمشق وغيرها جماً غفيراً من العلماء؛ كعبد الله البصريّ المكّي، وعثمان النحاس، وأبي المواهب الحنبلي، ومحمد الكامل، وسعدي بن عبد الرحمن بن حمزة، المحدّث، ومحمّد بن محمّد البديري الدمياطيّ، ابن الميتة، وعبد الكريم بن عبد الله العباسيّ الحنفيّ، المفتيّ، المدنيّ. وأبو الطاهر محمد بن إبراهيم الكورانيّ، ومهر، وغيرهم. وبرع، وصار له فضل ونباهة لا تنكر، مع طبع رقيق، ولطف. ولما توفّي والده صار يقرأ العشر مكانه في درس الاستاذ النابلسيّ. ومن شعره القصيدة التي لم يعرف له غيرها يمتدح بها الشيخ السيد طه الحلبي، ومطلعها قوله:

انـزع الكأس يا نديـم وهاتـه ... ثم نـهنه كـرى جفون سقاته

وكانت وفاته مطعوناً شهيداً في يوم الخميس تاسع عشر رجب سنة ١١٣٢هـ. ودفن في التربة الكبرى من مرج الدحداح بطرفها القبلي. والدكدكجي نسبة تركية؛

وهو صانع الدكديك؛ وهو باللغة التركية ما يوضع ساتراً على ظهر الحصان. والجيم باللغة التركية كياء النسبة في اللغة العربيّة[1].

ولإتمام الفائدة، ونظراً لصلة أبيه بالشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ نرى من الضروري ترجمة الغزي مستفيدين من سلك الدرر بتصرّف.

هو محمد الدكدكجيّ ابن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، التركمانيّ الأصل الدمشقيّ المولد، المعروف بالدكدكجيّ، الحنفيّ، الصوفيّ. كان فاضلاً، كاملاً، مهيباً، صالحاً، ديناً، صوفيّاً. أخلاقه شريفة. رزقه الله الصوت الحسن في الترتيل. ولد بدمشق، ونشأ بها. وقرأ القرآن العظيم وجوّده على الشيخ محمد الميدانيّ. وطلب العلم فلزم شيخ الإسلام الشيخ محمداً أبا المواهب الحنبليّ؛ فقرأ عليه الشاطبيّة وختمة كاملة جمعاً للسبعة من طريقها. وقرأ عليه «شرح ألفيّة المصطلح» لشيخ الاسلام زكريّا. وسمع عليه صحيح البخاريّ وبعض صحيح مسلم، وسمع عليه كثيراً من كتب الحديث والمصطلح والتجويد والقراءات. وحضر دروس المحقق الشيخ: إبراهيم الفتّال. وقرأ عليه شرح القطر لمصنّفه، وشرح الألفية لابن عقيل. ولازم دروس الأستاذ الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ وكتب كثيراً من مصنفاته بخطه الحسن. وسافر في خدمته في رحلته الكبرى وكان الأستاذ شديد المحبة له، ولابنه إبراهيم. وله من المؤلّفات رسالة سمّاها تهويل الأمر على شارب الخمر، وديوان شعر، منه ما قاله مداعباً رجلاً من أهل الخلاعة يلقب بالعفريت:

إنّ شخصاً شغل المجلس بالـ	ـلهو والمزح وأنواع الغنا
يُضحك العالم في أفعاله	يجلب البشر وينفي الحزنا
وكذا في كل وقت دأبه	ليس يُلفى مثله في عصرنا

---

(١) انظر «سلك الدرر» للمرادي ١/ ١٩.

فسألناه من الأنس ترى أنت أم جن تشكلت لنا
فبدا منه جواب مازحاً قال: عفريت من الجنِّ أنا

وأشعاره كثيرة دوّنها الكمال الغزي في ديوان. وكان للنّاس به محبة عظيمة، واعتقاد وافر. وألّف مؤلّفات نافعة منها: شرحه على دلائل الخيرات، وشرح على حزب البحر للشاذليّ، وشرح على طيبة النشر في القراءات العشر، وتراجم رجال سلسلة طريقة الشاذليّة، وشرح على الجزريّة، وديوان خطب، وجمع بخطه الحسن المضبوط عدة مجاميع علميّة وأدبيّة، وبيّض غالب مؤلفات شيخه الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ بخطّه. كانت ولادته بدمشق في شعبان سنة ١٠٨٠هـ، وتوفي ليلة الجمعة ثامن عشر ذي الحجّة سنة ١١٣١هـ. ووقع في ساعة موته مطر عظيم، واستمر المطر حتى غُسِّل وكُفِّن يوم الجمعة، وصُلّي عليه بالجامع الأموي بعد جمعتها، ودُفن بتربة الغرباء بمرج الدحداح. وتمثّل الشمس محمد الغزي العامري يوم وفاته بقول الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

بكت السماء عليه ساعة موته بمدامع كاللؤلؤ المنثور
وكأنها فرحت بمصعد روحه لما سمت وتعلّقت بالنور
أوَليس دمع الغيث يهمي بارداً وكذا تكون مدامع المسرور[1]

* * *

(١) انظر «سلك الدرر» للمرادي ٤/ ٢٥.

- يعدّ كتاب كشف السرّ الغامض شرح ديوان ابن الفارض للشيخ عبد الغنيّ (ت١١٤٣هـ) من المخطوطات الكبيرة نسبيّاً؛ فهو خمس مئة وثمانية أوراق، معدّل الأسطر في الصفحة الواحدة أربعين سطراً، قد تزيد قليلاً وقد تقلّ أحياناً بحسب نسبة ورود أبيات الشعر فيها. خطّها نسخ معتاد جميل واضح.

- وقد اعتمدنا في عملنا في هذا الكتاب على صورة مخطوط من مكتبة الأسد الوطنيّة برقم عام ٨٢٨٥. وهي من وقف نقيب السادة الأشراف آل حمزة هديّة في ملكية المكتبة الظاهريّة، ثمّ آلت لملكيّة مكتبة الأسد الوطنيّة.

- كذلك تمّ مقابلة هذه النسخة بمطبوع للشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ القسم الأوّل، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم إصدار البابيّ الحلبيّ ١٩٧٢م. وهو دون نظم السلوك التي قال في مقدّمته إنّها ستصدر في كتاب بقسم خاص، ولم تصدر فيما علمت.

كما اعتمدنا شرح المناقب لجامعه الفاضل رشيد بن غالب من شرحَيّ حسن البوريني، والعلّامة الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ الطبعة الأولى للمطبعة الشرفيّة. أيضاً دون قصيدة نظم السلوك.

- كذلك تمت متابعة الأشعار بمقارنة مع نسخة الديوان طباعة دار صادر، وهي تكاد تتطابق مع نسخة النابلسيّ إلّا في بعض الألفاظ المختلفة، وذلك نادراً، مع تقديم بعض القصائد وتأخير بعضها الآخر. وكذلك تمّت متابعة الأشعار على طبعة الديوان مع معاني الأبيات وإعرابها، منشورات الشريف الرضي، بقلم أمين الخوري، ط٤، بيروت، ١٩٠٤.

- وقد تمّ مقابلة الأشعار أيضاً مع ديوان ابن الفارض، تحقيق جوزيبي سكاتولين، طباعة المعهد العلميّ الفرنسيّ للآثار الشرقيّة بالقاهرة. وقد اعتمد

اسكاتولين مخطوطة يوسف آغا بمكتبة قونية، تاريخها (٦٤٠-٧٧٣)هـ. وقد رآها الأصحّ قراءة للنصوص، والأشدّ تماسكاً في رواية نصّ الديوان. ثمّ سجّل في هوامشه فروقاً لها مع سبع مخطوطات في مكتبات دبلن والسليمانيّة وبرلين وليدن واستانبول، وسجّل تاريخ كلّ مخطوط. كذلك قابل عمله على ثلاثة عشر مطبوعاً، وذكر تاريخها وأماكن طباعتها، وذكر الفروق كذلك في الروايات.

ولا شكّ أن جهده كبير، وعمله شاقّ، ومشكور عليه، ولكن لا بدّ لنا من القول: إنّ قدم مخطوطته لا يعفيها من تبعيّتها للمخطوط الذي اعتمدناه، ذلك أنّ اسكاتولين لم يعتمد نسخة كُتبت في حياة الشيخ النابلسيّ كهذه المخطوطة التي اعتمدناها، فقد صرّح ناسخها إبراهيم الدكدكجيّ في ستّين موضعاً أنّه قابلها على نسخة المؤلّف، مقابلة من نسخته أو سماعاً من فمه. والنابلسيّ الأقرب عهداً من مؤلّف ديوان ابن الفارض قد اعتمد طر قاً أربعة معنعنة لكبار المحدّثين والعلماء والشرّاح والمحقّقين الذين سمعوا الديوان شفاهاً وكتابة من ثلاث طرق:

١- من ابن الفارض مباشرة. ٢- من ابنه محمّد. ٣- من سبطه عليّ.

لذلك لا يمكننا أن نثق بمخطوطات اسكاتولين الأربعة التي رآها تسحب الثقة من عليّ سبط ابن الفارض كوثوقنا بروايات النابلسيّ للديوان وذلك لأنّ الإسناد المعنعن المشافه والمكتوب عن ابن الفارض وعن ابنه وعن سبطه أثبت في القيمة العلميّة من غيره. أمّا روايات الديوان التي اعتمدها النابلسيّ فهي كما قال[1]:

«وقد صحّت لنا ـ ولله الحمد ـ رواية هذا الديوان المبارك، **وجميع ما ثبت للشيخ عمر بن الفارض من القصائد، والمؤلفات، والمرويات:**

١- وهو أننا نروي ذلك بعموم الإجازة عن شيخنا الإمام العلّامة، العمدة الفهّامة، والدنا المرحوم الشيخ إسماعيل بن عبد الغنيّ بن إسماعيل الشهير

---

(١) انظر ص ١٤١و١٤٢.

بالنابلسيّ عن الإمام العلّامة أبي العباس أحمد بن محمد المقّري، التلمسانيّ، المالكيّ، وعن عمه قدوة الأئمة ، وسند الأمّة أبي عثمان سعيد بن أحمد المقّريّ، مفتي تلمسان ستّين سنة، عن أبي زيد عبد الرحمن بن عليّ بن أحمد العاصمي المعروف بسُقَين.

٢- ونرويه عالياً عن شيخنا، شيخ الإسلام، مسند دمشق الشام، نجم الدين محمد الغزي العامريّ عن شيخ الإسلام والده بدر الدين محمّد الغزي العامريّ وهو وسُقَين عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاريّ، عن شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ الكنانيّ، عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد الغزيّ، وأبي علي محمد بن أحمد بن محمد الفاضليّ، كلاهما عن أبي النون يونس بن إبراهيم الدبوسيّ عن الحافظ زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد القويّ المنذريّ، عن ناظمه سلطان العشاق، شرف الدين أبي حفص عمر المعروف بابن الفارض.

٣- ونرويه أيضاً عن شيخنا علّامة الدنيا أبي الضياء نور الدين علي الشبراملسيّ الأزهريّ فيما كتبه لي من مصر المحروسة، عن العلّامة نور الدين عليّ الأجهوري، عن العلّامة نور الدين عليّ القرافي عن الحافظ جلال الدين السيوطيّ.

٤- ونرويه عن شيخنا النجم الغزي، عن والده البدر الغزيّ، عن الحافظ السيوطيّ رحمه الله تعالى، قال في شرح يائية ابن الفارض [٥/ أ] ما نصه: أخبرني بهذه القصيدة وسائر الديوان محمد بن عقيل، إجازة مكاتبة من حلب، عن أبي طلحة محمّد بن عليّ بن يوسف الحرّاويّ عن الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطيّ، عن الحافظ زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد القويّ المنذريّ، عن الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض، قدّس الله سره.

٥- وأخبرني به شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين يحيى بن محمّد بن المناويّ الشافعيّ، إجازة عن قاضي القضاة وليّ الدين أبي زُرعة، عن بن الحافظ

أبي الفضل العراقيّ عن أبي الحرم القلانسيّ، عن أبي حامد محمّد بن الشيخ شرف الدين عمر ابن الفارض، إجازة عن والده صاحب الديوان، قدس الله سره.

– اعتمدت روايات الديوان كما ذكرها النابلسيّ في شرحه وترتيبها نفسه كما أورده، وأهملت التقديم والتأخير عند غيره. مع الملاحظة أن الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ اعتمد لضبط الديوان وترتيبه وكلماته التي تناولها بالشرح على الروايات الخمس التي ذكر سندها في نهاية الصفحة [٤/ ب] وبداية [٥/ أ]، وقد ذكرناها أعلاه وهي في الصفحة ١٤١ و١٤٢ من هذا الكتاب.

– وقد ذكر الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ أنّه قابل مادّة شرحه على عدّة نسخ كما أشار في [١٢/ ب] سطر ٨، و[٢٦/ ب] سطر ١٥، وغيرها كثير.

– ناسخ المخطوط إبراهيم الدكدكجيّ **قابل ما نسخه على** الشيخ النابلسيّ وعلى نسخة الشيخ كما صرّح في ما يقارب ستّين موضعاً؛ إذ كان كلّ خمسة أوراق غالباً ما يكتب على حاشية المخطوط كلمة بلغ، وذلك بعد المئة ورقة الأولى. وقد كتب في مواضع أخرى بلغ مقابلة أو سماعاً على المؤلّف، أو على شيخنا المؤلّف قدّس الله سرّه، أو على نسخة المؤلّف. وقد أشرنا إلى ذلك في مكانه عند الوصول إليه. ممّا يدلّ على أنّ الناسخ كان يستمع إلى الشيخ النابلسيّ مشافهة، ويتابع سماعه على نسخته، وقارن مخطوطه بمخطوط المؤلف نظراً للعلاقة المتميّزة التي كانت تربط بينهما، ومن قبله أبوه العالم الشاعر المتصوّف محمّد الدكدكجيّ الذي يرتبط بعلاقة وثيقة مع الشيخ تلمذةً وصداقةً وعلماً ومرافقةَ رحلاتٍ. علماً أنّ الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ كان يدرّس كتبه ويشرف على نسخها لطلّابه[1].

– قمت بنسخ المخطوط على الحاسب، وتفصيله، وترقيمه، وتخريج آياته، وأحاديثه، ومقابلته مع الشروح الأخرى، ومع روايات الديوان الأخرى.

---

(١) انظر «الوجود.الحقّ والخطاب الصدق» للدكتور بكري علاء الدين مقدمة التحقيق ص١.

- وضعت الآيات ضمن قوسين مزهرين ﴿ ﴾ وأسماء السور وأرقام الآيات بين حاصرتين صغيرتين [] والأحاديث ضمن حاصرتين «». وما لم يرد في النص وضعته في حاصرتين [].

ـ رقمت الورقة الواحدة للمخطوط الأصلي [أ] و[ب] مثلاً: [١/ أ و ١/ ب].

- وضعت الكلمة المشروحة من مقدّمة السبط أو من أبيات ابن الفارض بين قوسين ( ) لتمييزها عن كلمات الشارح النابلسيّ.

- قمت بضبط الأبيات ضبطاً كاملاً بالشكل.

- ضبطت من المعاجم كلّ ما استشهد به الشيخ النابلسيّ من الكلمات ضبطاً كاملاً. وأهملت ضبط الكلمة التي لم يقصدها بالشرح إلّا الضروري.

- خرّجت كثيراً من الأعلام والأمكنة، وأهملت ما تعسّر عليّ الحصول على مصادره دون أن أشير إلى ذلك. كما أهملت تخريج رجال الأسانيد التي ذكرها الشيخ لكثرتها؛ فالكتاب ليس في مسانيد الحديث.

- أهملت الإشارة إلى الفروق في النسخ إذ اعتمدت المخطوط الأصلي، دون الإشارة إلى ذلك، إلّا في نسخة قونية عند اسكاتولين فقد أثبتُّ في الحواشي فروقها مع نسخة النابلسيّ، ورمزت لها بـ (ق). ولا بدّ هنا من تسجيل ملاحظة، وهي: إنّ من يدرس رواية قونية ويقارنها برواية النابلسيّ يدرك بمنتهى السهولة مقدار انطباق رواية النابلسيّ على المعاني المقصودة، وبعد الأخرى قليلاً أو كثيراً عنه، خصوصاً بعد العودة للمعاجم.

- أمّا إذا اعتمدت الشروح الأخرى أشرت إلى ذلك، وهو نادر جدّاً. كذلك لم أسجل الفروق في بعض أحرف العطف كالفاء والواو. وذلك لكثرتها، ولضخامة المادّة، وكثرة مثل هذه المواضع.

- أحياناً يذكر المنقوص في حالتي الرفع والجر بياء نقوم بحذفها دون الإشارة إليها، لكثرة المواضع التي يحدث فيها ذلك. وكذلك وضع نقطتين للألف

المقصورة نقوم بحذفها دون الإشارة أيضاً، للتخفيف من الحواشي التي تثقل ظهر القارئ، وتزيد من حجم الكتاب كثيراً. وكذلك عدم وضع الهمزات في آخر الكلمة أو في أوّلها أو على الألف مع إهمال الإشارة إلى كلّ الأخطاء النحويّة أو الناتجة عن تطوّر الإملاء.

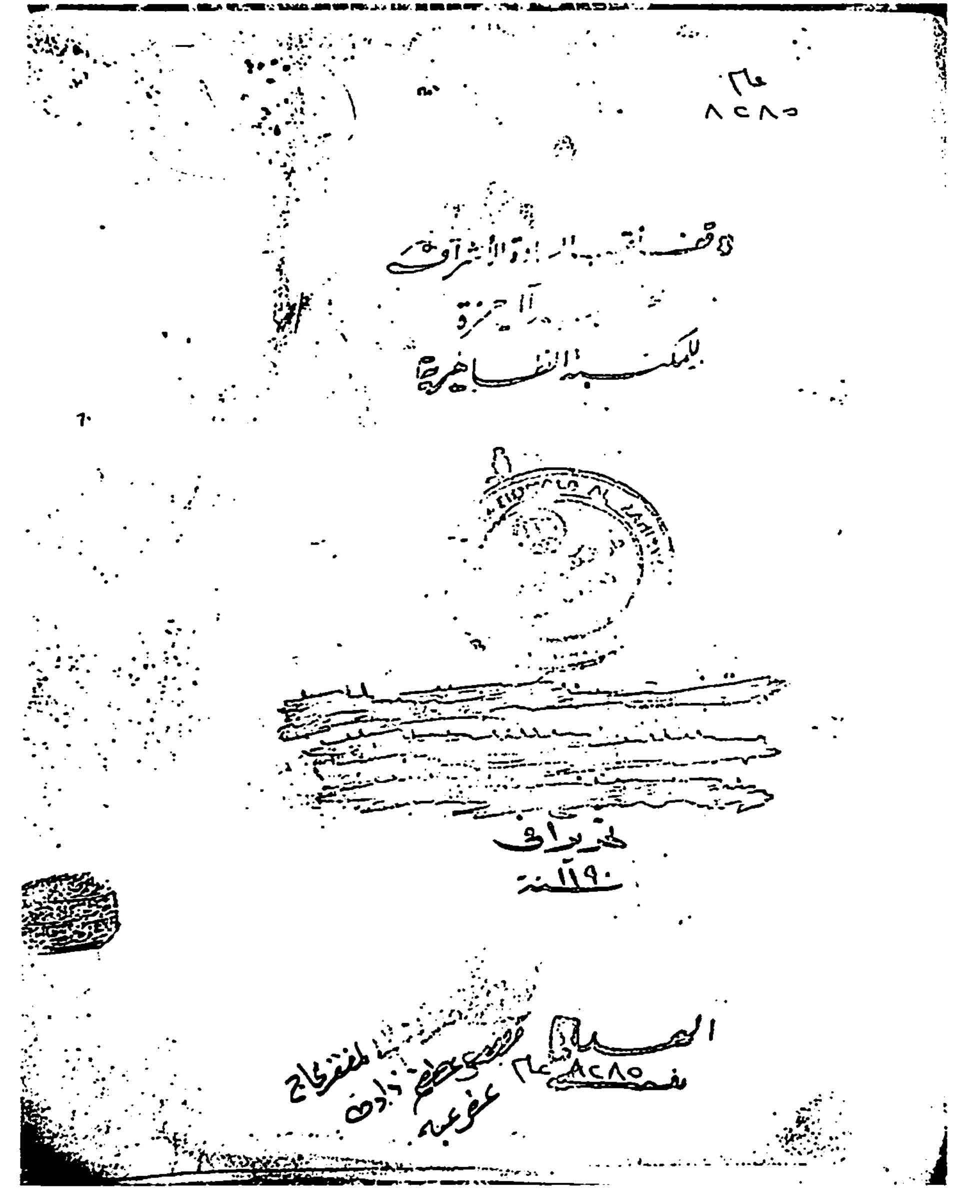
- أحيانا كنت أجد بياضاً في صورة المخطوط أو سواداً لا يتضح بعض الألفاظ فيه، فكنت آخذه من المطبوع، ثم من شرح ابن غالب الذي جمع شرح البوريني وشرح النابلسيّ. ولكنّ ذلك في مواضع قليلة نادرة جداً كما في ص[٢٢/ب] مثلاً. علماً أنّ المطبوع فيه نقص عن المخطوط في كثير من العبارات، فلم نشر إلى النقص. وشرح ابن غالب مختصر جدّاً.

- قمنا بالاستفادة من روايات نسخ ديوان ابن الفارض المخطوطة خصوصاً في مقدّمة السبط الإلكترونيّة لمكتبة الرياض ذوات الأرقام: ٧٤٠٢ و٢٥٧٧ و٤٩٧٤ و٦٨١٦.

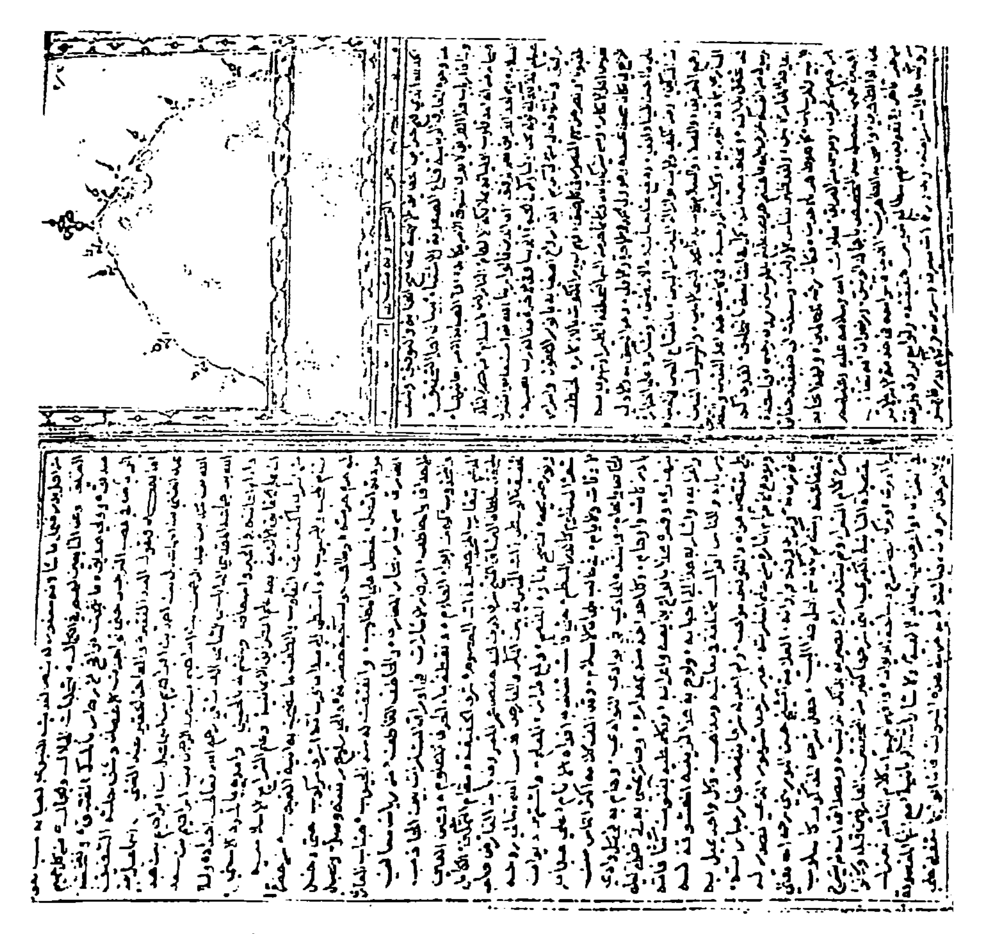
وأخيراً لابد من الإشارة إلى أنه في مكتبة الأسد الوطنية سبع نسخ أخرى بعضها مأخوذ عن هذه النسخة كما صرّح بذلك علي العجلوني بأنه فرغ من نسخته سنة ١١٣٠هـ عن هذه النسخة وهي ذات الرقم ٥٢٣٧، والمخطوطات ذات الأرقام: نسخة ١٦٨٥٦، نسخة ٤٩٠٧ - ٤٩٠٨، نسخة ٥٥٦٨ - ٥٥٦٩، نسخة ٨٦٦٧، نسخة ١٦٧٢٢، نسخة ١٧١٣٧.

- اعتمدت كثيراً على مصادر ومراجع الشاملة الإلكترونيّة في أغلب الأماكن.

وبعد: فقد بذلنا جهداً في إخراج هذا الكتاب؛ فإن أصبنا فبتوفيق الله تعالى وعونه، وإن أخطأنا فمن تقصيرنا وفقرنا؛ فالعبد ضعيف مهما فعل؛ نسأل الله عفوه ورضاه ووِدّه ورضوانه.



صورة الورقة الأولى من مخطوط شرح ديوان ابن الفارض



صورة الورقة الثانية من مخطوط شرح ديوان ابن الفارض

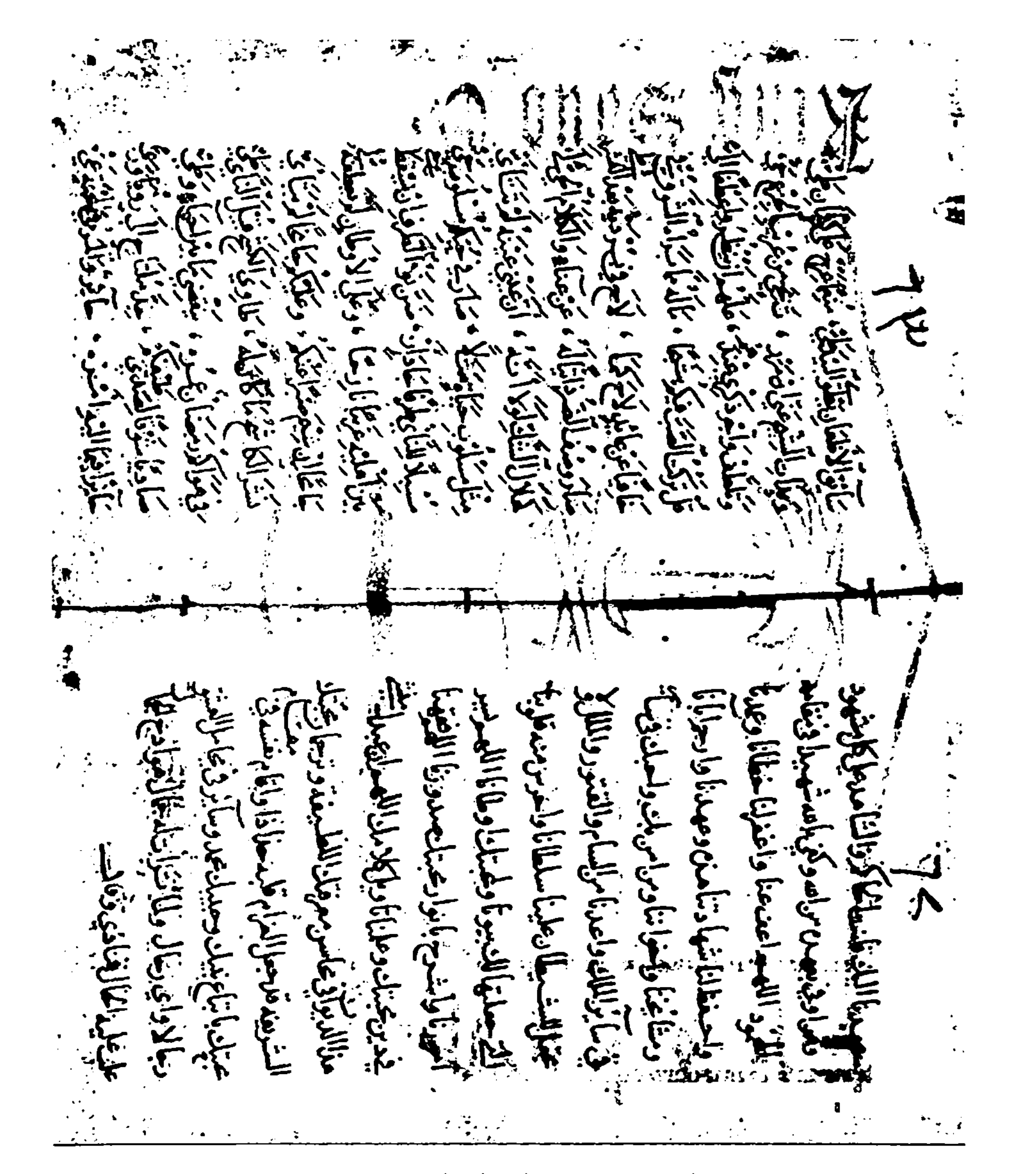
الورقة ٣٧ من صورة مخطوط شرح الديوان

يقال قدم الرجل البلد يقدم من باب تعب قدوما ومقدما بفتح الميم والدال كذا في
المصباح وقوله وما نافية وقوله قدمت بتشديد الدال المهملة يقال قدمت
الشيء خلاف اخرته وقوله لي اي لاجلي وقوله عملا مفعول قدمت اي
عملا صالحا يكون سببا لنجاتي ولنعيم حياتي وقوله الا غرامي اي حبي اللازم
وعشقي الملازم المجاب الحب الالهي وقوله واشواقي جمع شوق وقوله واقدامي
بكسر الهمزة مصدر اقدم على الشيء اقداما اذا اقبل عليه منهمكا به يعني
ليس لي عمل صالح غير محبتي الالهية واشواقي الي لقاء الحضرة الربانية
واقدامي واقبالي عليه بالكلية

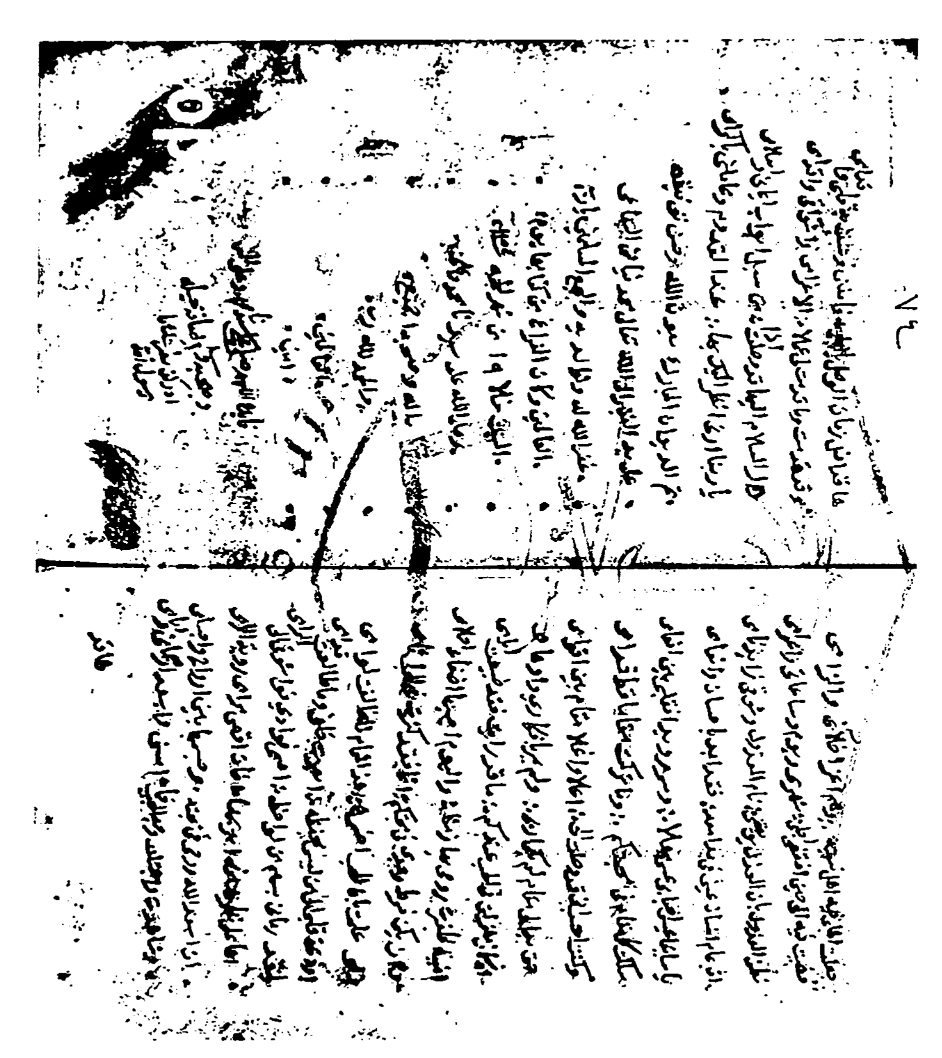
دار السلام اي السلامة من جميع الآفات وهي الجنة وقوله اليها اي الي دار
السلام والجار والمجرور متعلق بوصلت قدم عليه للحصر اي لا الي غيرها
وهي النار وهذا اشارة الي ما وقع للشيخ عمر ابن الفارض رضي الله عنه يموته المذيل
علي ابياته علي لسانه وقوله قد وصلت اي تحقيقا حصل الوصول وقوله
اذا بالتنوين اي في ذلك الحين وقوله من سبل بسكون الباء الموحدة لغة في سبل
بضمها وهما جمع سبيل قال في المصباح السبيل الطريق وجمعه سبل وسبل
وقوله ابواب جمع باب وقوله ايماني اي بالله تعالي وبجميع ما يجب الايمان
به وقوله واسلامي اي تسليمي وانقيادي ظاهرا وباطنا لكل ذلك وقوله
يا ربنا اي يا مالكنا ومالك جميع امورنا وقوله ارني انظر اليك كما قال موسي
عليه السلام رب ارني انظر اليك ولكن قال ذلك موسي عليه السلام في
حياته الدنيا والشيخ قدس الله سره قيل علي لسانه في حياته الآخرة وبه كما اشير
اليه بقوله بها اي بدار السلام وهي جنة الآخرة قال تعالي وجوه يومئذ
ناضرة الي ربها ناظرة وقوله عند القدوم اي الاقبال عليك بعد الموت وقوله
وعاملني باكرام جملة دعائية ختم بها قصيدته الميمية تبركا بذكر الرؤية
الربانية عسي صاحب هذا التذييل يلتحق بمقام صاحب الاصل في
حالته المرضية ونسال الله تعالي ان يلحقنا باوليائه في مقامات قربه
ويتحفنا في دنيانا واخرتنا بالكمالات المحمدية ويجعلنا من حزبه وان ييسر لنا
كل عسير كما يسر علينا اتمام هذا الشرح المنير وقد اتفق الفراغ منه عشية
يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة [illegible] من الهجرة النبوية
علي صاحبها افضل صلاة واكمل تحية [illegible] تمام هذا الشرح [illegible]
ولابن الفارض الديوان لما حكي عنه نظما جوهريا
عنيت بشرحه هذا الديوان تكاملا ارخوه الفارضيا
والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله علي سيدنا محمد وعلي اله واصحابه اجمعين
وقد وافق الفراغ من نسخ هذا الشرح المبارك علي يد العبد الفقير علي الحلبوني
مولدا الدمشقي موطنا الشافعي مذهبا غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولاخوانه
من المسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات وذلك يوم الجمعة المبارك سلخ شهر ذي الحجة الحرام
عام [illegible]

صورة الورقة الاخيرة من المخطوط

صورة الورقة الأولى مخطوط الديوان رقم ٧٤٠٢ مكتبة الرياض



الورقة ٦٢ من المخطوط رقم ٢٥٧٧



الورقة الأخيرة من الديوان رقم٤٩٧٤

كلّ المصادر التي اطّلعت عليها لا تشير إلى شيء من ترجمته، ولا حتّى اسم أبيه. ولم يُعرف في المصادر إلّا بعليّ سبط ابن الفارض، ولعلّ اسم أبيه يوسف كما ورد في بعض كتب المعاصرين.

وصفه الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ بالشيخ الكامل، وقال: «قدّس الله سرّه». أيّ: عامل النابلسيّ سبط ابن الفارض كما عامل جدّه ابن الفارض وغيره من الأولياء بالاحترام والتقدير والتقديس، كذلك وصفه بالعالم العامل.

وأقدم ما وصل إلى يديّ عنه ما ذكره العسقلاني صاحب الدرر؛ فقد ذكر لقاء يوسف بن الكيّال مع عالم الحديث ابن العجمي[1] فحدّثه عن لقائه بسبط ابن الفارض، وسمع منه قصيدة نظم السلوك ومقدّمة الديوان (الديباجة). وحكم سبط ابن العجمي على يوسف الكيّال بالصدق والتقشّف والعفّة والوقار، ولم يجزم بصدق أو تكذيب في خبره؛ لأنّه ليس من أهل الحديث، يقول في ترجمة يوسف بن الكيّال:

يوسف بن الكيّال الحلبيّ الصوفيّ:

«ذكر الشيخ برهان الدين سبط ابن العجمي أنه حدَّثه بالتائيّة لابن الفارض المسمّاة «نظم السلوك»، وأنه **سمعها على سبط ابن الفارض بسماعه من جدّه، وأنّه سمع على**

(١) إبراهيم بن محمد بن خليل الطَّرَابُلُسي ثم الحلبي، أبو الوفاء، برهان الدين: عالم بالحديث ورجاله، من كبار الشافعيّة. أصله من طرابلس الشام، ومولده ووفاته في حلب. وفي أيّامه هاجمها تيمورلنك. يقال له: البرهان الحلبي، وسبط ابن العجمي. وهو والد المؤرخ أحمد بن إبراهيم (ت٨٨٤هـ). رحل إلى دمشق وفلسطين ومصر والحجاز، وأخذ عن علمائها. انظر الأعلام للزركلي ١/ ٦٥.

السبط أيضا الترجمة التي جمعها لجدّه، وهي في أوّل ديوانه. قَال: وما أظنه متعمّداً للكذب؛ لأنّه مولى متقشّف، متعفّف، كثير السكون؛ ولكنّه ليس من أهل الحديث فيعرف استقامة شيء أم لا، وكان أكثر إقامته بقلعة المسلمين من معاملة حلب»[1].

ـ لهذا النصّ أهميته في إثبات صحّة نسبة الديباجة (المقدّمة) إلى السبط بما فيها كلّ الأخبار الواردة فيها، ودحض كلّ ما تُرمى به هذه المقدّمة من المعادين المغالين المتجرئين على أهل الله. فقد قرأت لمن ينكر هذه المقدمة ويزعم ـ مفترياً ـ أنّها كذب.

– وقد كان الشيخ عليّ سبط ابن الفارض راوية شعر جدّه، تلقّاه عن الشيخ محمّد بن عمر بن الفارض كتابة بأخذه منه نسخة الديوان، وسماعاً بصوته العذب. وأنّه أمانة حملها السبط بتكليف من خاله محمّد بن عمر بن الفارض، لا بل كلّفه بمتابعة القصيدة المفقودة التي عجز عن الوصول إليها طوال ستين سنة. وهذا إضافة للأمانة التي حمّلها له اعترافاً بقدرته على جمع شعر جّده وخدمته، فحمل الأمانة، ووصل إلى القصيدة المطلوبة، ورأى أنّ هذا مكاشفة من خاله ولد الشيخ. ولعلّ معظم ما جاء في مقدّمة الديوان من أحوال الشيخ كان كذلك نقلاً عن خاله محمّد؛ بينما لا يذكر شيئاً عن خاله عبد الرحمن.

ـ وهو ذو شهرة ومكانة جعلته مقصداً لكلّ أحباب ابن الفارض وابنه محمّد، وكلّ أهل السلوك. وعنه يُسمع ديوان ابن الفارض، ويؤخذ رواية في مجلس الأمير المحبّ لأولياء الله نجم الدين قاسم بن أميرداد ابن الأمير عزّ الدين إيبك الذي بسببه وجد القصيدة عند المنشد برهان الدين إبراهيم[2] فأرسل السبط عليّ

(١) «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، لابن حجر العسقلاني، المحقق: مراقبة/ محمد عبد المعيد ضان، ذكر من اسمه محمود، ٦ / ٢٥٨.

(٢) في نسخة الديوان رقم ٢٥٧٧ يقول الناسخ: إنّ النسخة كانت عند المنشد جمال الدين عبد الله بن الشيخ مجد الدين إسماعيل الدمشقي صديق المنشد برهان الدين إبراهيم، وعنه أخذها. انظر الورقة ١٨١ من مخطوطة الديوان رقم ٢٥٧٧، مكتبة مصطفى الإلكترونيّة.

ابنه إبراهيم ونقلها بخطّه؛ فاكتمل الديوان، وأدّى الأمانة.

ـ وقد أعقب الشيخ عليّ سبط ابن الفارض ولداً اسمه إبراهيم، وهو موضع ثقة أبيه علميّاً، نقل له قصيدة ابن الفارض المفقودة بخطّه الموجودة عند برهان الدين إبراهيم المنشد.

ـ وقد طعن فيه البقاعيّ كما طعن في جدّه ابن الفارض(١).

ـ وهو شاعر، تدلّ قصيدته أبرق بدا ـ التي وضعها عوضاً عن القصيدة المفقودة لابن الفارض واستلهم معانيها من البيت الأوّل الذي كان عنده من قصيدة ابن الفارض ـ تدلّ على شاعريّة وتمكّن من الفنّ، وقطع لمراحل كبيرة في طريق السلوك وفن الشعر. وإن الأفكار والمعاني الصوفيّة والأسلوب والمصطلحات الصوفيّة المستخدمة التي يسوقها في قصيدته تتشابه مع مثيلاتها في قصيدة ابن الفارض ومصطلحاتها، لذلك قال النابلسيّ وغيره: نَفَسُهُ يشابه نَفَس ابن الفارض؛ لأنّه مستمد من المشكاة نفسها ومن تجلّياتها.

ـ وهو ذو نَفَس شعري طويل؛ فقد بنى على بيت الشيخ جدّه (أبرق بدا) ستِّين بيتاً؛ بينما قصيدة ابن الفارض التي وجدها خمس وعشرون بيتاً. ولعلّ القصيدة التي وضعها ابن الفارض ستّين بيتاً؛ ولكن المنشدينِ برهان الدين إبراهيم وجمال الدين عبد الله بن الشيخ مجد الدين إسماعيل ما كان عندهما إلّا هذا القدر. والخال محمّد بن الفارض قد حدّث ابن أخته عليّ السبط عن القصيدة وأخبره أنّها ستّين بيتاً فكتب الرجل ستّين بيتاً.

ـ وتتناثر مقطّعات عليّ سبط ابن الفارض في بطون الكتب، وهي بحاجة إلى معرفة ما بقي منها وجمعها للمعرفة الدقيقة بهذا الرجل الذي خدم التصوّف والشعر العربيّ بأعمق تجربة صوفيّة في الحبّ الإلهيّ وأندرها وأغناها؛ فقد فتح ديوان ابن الفارض ومقدِّمة سبطه عليّ باباً كبيراً واسعاً لدراسته ونقده ودراسة التصوّف

(١) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن لمحمود توفيق محمّد سعد ١/ ١٠٠.

ودراسة كلّ ما يتعلّق به من جميع الأوجه المعرفيّة فكراً وفلسفة وعقيدة وفناً، وعلى رأس ذلك كلّه تجربة خاصّة، ومكانة فريدة في الحبّ الإلهيّ بين الحياتين الدنيا والآخرة، ربّما لم يكشف عن حقيقة أخرى غيرها في التاريخ الإسلاميّ.

ومن المقطّعات الشعرية ما كتبه الشيخ عليّ السبط هذه الأبيات الثلاثة الشهيرة على قبر ابن الفارض:

جز بالقرافة ذيل العارضِ ... وقل السلام عليك يا بن الفارضِ
أبرزت في نظم السلوك عجائباً ... وكشفت عن سرّ مصون غامض
وشربت من بحر المحبّة والولا ... ورويت من بحر محيط فائض

- وعلى ما يبدو لي أنّ شأنه شأن جدّه مغرم بالبحر؛ لذلك تتناثر مقطّعاته في بطون الكتب، يقول في وصف منتزه المشتهى على النيل الذي كان يتأمّل فيه جدّه وينظر إلى النيل:

لقد بسطت في بحر جسمك بسطة ... أشار إليها بالوفاء الأصابع
فيا مشتهاها أنت مقياس قدسها ... أنت الذي في روضة الحسن يانع

- مقدّمة ديباجته تدلّ على قدرته وتمكنه من الخطابة، ومعرفة أركانها. ويدلّ دعاؤه في نهايتها على ثقافته الدينيّة، وعمق إيغاله في طريق السلوك.

- وهو ذو حسّ نقدي دلّ على ثقافة شعريّة، وقدرة في علم النقد، ورهافة حسّ في تذوّق المعاني، فقد كان يتدارس مع أصحابه وإخوانه أيّ البيتين أبلغ: بيت جدّه الذي يقول فيه:

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وبيت البوصيري:

فإنّ من جودك الدنيا وضرّتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فرجّح صاحبه بيت البوصيري أنّه أبلغ، بينما قال السبط: بيت صاحب البردة فنّ من فنون الوصف النبويّ والمدح النبويّ؛ فهو داخل تحت تلك الفنون التي

أشار إليها الشيخ عمر رضي الله عنه في بيته يوم القيامة، فاعترف الصاحب بذلك وقال: فلا أبلغ من هذا البيت المذكور. فسجد السبط شكراً لله تعالى.

- وقد آثرت وضع كامل الديباجة للديوان التي بدأ النابلسيّ شرحه بها كلمة إثر كلمة دون أن يورد نصّ الديباجة كاملة، بينما ذكر كلّ بيت من الديوان قبل أن يباشر في شرحه في القصائد، ثمّ شرحه كلمة فأخرى. وإتماماً للتوضيح وللفائدة ونظراً لأهميتها؛ فهي المصدر الأساسي والوحيد لحياة الشاعر الكبير، ولشعره، ولبيان أسرار وتجليات نادراً ما كُشف عن مثلها في التاريخ عند أهل السلوك، أوردها كاملة بعد جمعها من الشرح، مع مقارنتها بنسخ مخطوط الديوان، ودون تدوين الفوارق. وقد وضعت المفردات التي للسبط في المقدّمة بين قوسين ( ) منذ بداية شرح الديوان تمييزاً لها عن كلام النابلسيّ في شرحه لهذه المفردات. كذلك وضعت كلّ مفردة من مفردات أشعار ابن الفارض بين قوسين ( ) تمييزاً لها عن كلام النابلسيّ.

يقول عليّ سبط ابن الفارض رضي الله عنهما في مقدّمته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختصّ حبيبه الأسنى بمقام قاب قوسين أو أدنى، وقرن اسمه الشريف بأعظم أسمائه الحسنى. وأ شهد أن لا إله إلّا الله، وليّ عبّاده. وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، وليّ عباده وحبيب عبّاده.

وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وحبيبه تعالى وخليله، صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله الشرفاء، وأصحابه الخلفاء والحلفاء. وعلى إخوانه من الأنبياء، ومَن اتبعه مِن الأولياء، صلاة تنتشر نفحاتها على أرواحهم الطاهرة، وتسبغ نعمها عليهم باطنة وظاهرة، وسلّم تسليماً تحمله الملائكة، وتبلغه إلى روضاتهم الطيّبة المباركة الطاهرة، وتسبغ نعمها عليهم باطنة وظاهرة. وسلّم تسليماً تحمله الملائكة وتبلغه إلى أرواحهم الطيبة المباركة.

قال المعترف بذنبه، المغترف من نهر عطاء ربّه عليّ سبط الشيخ عمر بن الفارض، الراجي كرم ربّه الفائض، عفا الله عن أخطائه وعمده، وتداركه برحمة من عنده:

نظرت في نسخة ديوان شيخنا قدّس الله سرّه، وشرح صدره له بالنظر إليه، وسرّه، فرأيت النسّاخ جهلوا بعض كلامه، واشتبه عليهم شيء من جناسه، فصحفوه، وأخرجوه بذلك عن أصله، ولم يردّوه إلى أهله. فاستخرت الله تعالى واستعنت به من تحرير هذه النسخة المباركة من الديوان، وسلكت فيها بكلامه مسالكه، معتمداً على نسخة عندي من أثره محرّرة، وصحفها عن التحريف والتصحيف مطهّرة، تلقيتها من ولده سيّدي الشيخ كمال الدين محمّد، جمع الله بينهما في مقعد صدق، وحبذا ذلك المقعد وقرأت عليه ما فيها قراءة تصحيح وحفظه للمعاني. وسمعته يورده بأعذب لغة. وأخبرني أنّه قرأه وسمعه كذلك على الشيخ والده. ولم تفته سوى قصيدة واحدة كان نظمها في حال التجريد بالحجاز بأودية مكّة وجبالها. وكان أهل مكّة يعلّمونها لصغار أولادهم في المكاتب، وينشدونها في وقت الأسحار على المآذن، ولم أرها في نسخة من ديوانه؛ لأنّه نظمها بالحجاز، والديوان أملاه بالقاهرة عند مقامه بها بعد التجريد.

وقال لي ولده: ولي أتطلّبها مدّة سنين ولم أجدها عند أحد من أصحاب الشيخ، ولم أذكر منها سوى هذا البيت، وهو مطلعها:

أبرق بدا من جانب الغور لامع ... أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع

عهد إليّ ولده رحمه الله أن أجتهد في طلبها، وأن أجمع شملها بأخواتها، فاجتهدت في ذلك كلّ الاجتهاد، فلم أرها في إنشاء، ولا سمعتها في إنشاد. ولي أتطلّبها من أربعين سنة. وقد استسننت في التذييل على هذا البيت سنّة حسنة، وطرقت الكثير [من] أبيات قصائده، والتمست منها من حسن مقاصدها المسؤول من وقف على هذا التذييل ان يسبل عليه ذيل ستره الجميل. فمن أين لي أن آتي بمثل النظم البديع، وهل يبلغ الضالع شأو الضليع، فنسأل الله تعالى المسامحة، وأن

يرشدنا في محبّته الأنفاس الصالحة. وبحمد الله ما خرج التذييل على هذا البيت المصون، وأتلو سماعه يا ليت قومي يعلمون.

وقد أثبت قصيدته في آخر هذه النسخة بعد ذكر قصائد الشيخ المطوّلة، وجعلتها منهم أخيرة. وإن كانت لهم في السبق أوّلة لأخواتها ختاماً على قلب سامعها برداً وسلاماً.

ثمّ بعد ذلك وجدت القصيدة التي كانت مفقودة الصورة، وذكرت سبب رجوعها، وسبب إشراق شمسها بعد غروبها عن ربوعها، وأثبتّها بعد ذكر السبب في آخر هذا الديوان المنتخب.

وأخبرني ولده أنّه قابل وضبط نسخته المشار إليها على نسخة كانت عنده بخطّ الشيخ رضي الله عنه، وأنّ ابن شيخ الشيوخ استعارها منه، وحلف له أنّه يعيدها إليه، ولم يردّها بعد ذلك عليه.

أخبرني الشيخ أبو القاسم المنفلوطي عندما حضر من بلاد منفلوط إلى القاهرة في سنة خمس وثلاثين، وسبعمئة أنّ النسخة المذكورة موجودة عنده الآن، وهي معه، وأنّها اتصلت إليه من أسلافه، واتّصلت من أسلافه من الشيخ صفي الدين بن أبي منصور. ووعدني أن يحضرها إليّ، وسافر إلى بلاد منفلوط ولم يحضرها.

وبلغني أنّ الشيخ أبا القاسم شيخ زاوية، وله فيها صولة مشهودة. وقد صارت هذه النسخة لهما ثالثة، ولصحّتها وارثة؛ لأنّها مؤلّفة منهما والله الموفّق للسداد، والهادي للرشاد.

وأودعت في صدرها أسراراً من كراماته المشهورة، ومن حسن شكله الذي خلقه الله تعالى في أجمل صورة. ومن فهم معاني كلامه دلّت معرفته على مقامه، ومن اختصّه الله تعالى بمحبّته وأنسه يعرف المحبّ بين أهله المحبّة من جنسه. وقد جعل الله المحبّين له خزائن أسراره المصونة، ومعادن يحبّهم ويحبّونه فيحبّهم ويحبّونه؛ فمن ذلك ما أخبرني به سيّدي ولده المشار إليه، قال:

كان الشيخ معتدل القامة، وجهه جميل، حسن، مشرّب بحمرة ظاهرة. وإذا استمع تواجد، وغلب عليه الحال يزداد جمالاً ونوراً، ويتحدّر العرق من سائر جسده حتّى يسيل تحت قدميه على الأرض. ولم أر في العرب ولا العجم مثل شكله، وأنا أشبه الناس به في الصورة.

وكان عليه نور وخفر وجلالة، وكان أيضاً إذا حضر مجلساً يظهر على أهل ذلك المجلس سكون وسكينة. ورأيت جماعة من مشا يخ الفقهاء والفقراء وأكابر الدولة الأمراء والوزراء والقضاة ورؤساءهم عنده في مجلسه وهم في غاية ما يكون من الأدب معه والاتّضاع والتذلّل. وإذا خاطبوه كأنّهم يخاطبون ملكاً عظيماً.

وكان إذا مشى في المدينة يزدحم الناس عليه يلتمسون من البركة والدعاء ويقصدون تقبيل يده فلا يمكّن أحداً من ذلك. وكانت ثيابه حسنة ورائحة طيّبة .

وكان ينفق على من يرد عليه نفقة متّسعة. وكان يعطي للغير عطاء جزيلاً. ولم يكن يتسبّب في تحصيل شيء من الدنيا، ولا يقبل من أحد.

وبعث إليه السلطان محمّد الكامل رحمه الله تعالى ألف دينار من الذهب فردّها إليه. وسأله أن يجهّز له ضريحاً عند قبر أمّه في داخل قبّة الإمام الشافعي رضي الله عنه فلم يأذن له بذلك. ثمّ استأذنه أيضاً الملك المذكور أن يجهّز له مكاناً يكون مزاراً يعرف به، فلم ينعم له بذلك. وسأذكر سبب ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقال ولده: سمعت الشيخ يقول: كنت أوّل تجريدي من عادة أهل الدنيا استأذن من والدي وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل الثاني من جبل المقطّم، فآوي إليه فيه، وأقيم في هذه السياحة ليلاً ونهاراً مدّة أيّام، ثمّ أعود إلى والدي رحمه الله تعالى ومراعاة قلبه. وكان والدي يومئذ خليفة المحتكم العزيز بالقاهرة ومصر المحروستين، وكان والدي من أكابر أهل العلم وأهل العمل، فيجد سروراً برجوعي إليه، ويلزمني في مجالس الحكم ومدارس. ثمّ أشتاق إلى التجريد؛

فأستأذنه، وأعود إلى السياحة. وما برحت أفعل ذلك مرّة بعد أخرى إلى أن سأل والدي الملك أن يكون قاضي القضاة، فامتنع ونزل عن منصب الحكم، واعتزل الناس، وانقطع إلى الله تعالى بقاعة الخطابة في الجامع الأزهر إلى أن توفي. فعاودت التجريد، ولزمت السياحة وسلوك طريقة الحقيقة ليلاً ونهاراً، فلم يفتح عليّ بشيء. فحضرت من السياحة إلى المدينة، فوجدت رجلاً شيخاً بقّالاً على باب المدرسة يتوضّأ، غسل يديه ثمّ رجليه، ثمّ مسح برأسه، ثمّ غسل وجهه. فقلت له: يا شيخ، أنت في هذا السنّ وأنت في دار الإسلام على باب هذه المدرسة، بين فقهاء المسلمين وأنت تتوضّأ وضوءاً خارجاً عن الترتيب الشرعيّ فنظر وقال: لم أتوضّأ إلّا مرتّباً لكنّك لا تبصر، ولو أبصرت أبصرت هكذا، يا عمر أنت ما يفتح عليك في مصر؛ وإنّما يفتح عليك بالحجاز في مكّة شرّفها الله تعالى ـ فأكبّ على أقدامه ـ فاقصدها؛ فقد آن لك وقت الفتح. قال: فعلمت أنّ الرجل من أولياء الله تعالى، وأنّه يتستّر بالمعيشة وإظهار الجهل بترتيب الوضوء. فجلست بين يديه، وقلت: يا سيّدي، وأين أنا من مكّة؟! ولا أجد ركباً ولا رفقة في غير أشهر الحجّ!. فنظر إليّ وأشار بيده، وقال لي: هذه مكّة أمامك. فنظرت معه، فرأيت مكّة شرّفها الله تعالى. فتركته وطلبتها. فلم تبرح أمامي إلى أن دخلتها في ذلك الوقت. وجاءني الفتح حين دخلتها، وترادف، ولم ينقطع.

وإلى هذا الفتح أشار رضي الله عنه في القصيدة الداليّة:

يا سميري روّح بمكّة روحي	شادياً إن رغبت في إسعادي
كان فيها أنسي ومعراج قدسي	ومقام المقام والفتح بادي

قال: ثمّ شرعت في السياحة في أوديتها وجبالها، وكنت أستأنس فيها بالوحش ليلاً ونهاراً.

قلت: وإلى هذا المعنى أشار رضي الله عنه بقوله في القصيدة التائيّة المكسورة القافية اللطيفة، حيث قال وأحسن في المقال:

وجنّبني حبّيك وصل معاشري		وحبّني ما عشت قطع عشيرتي
وأبعدني عن أربعي بعد أربع		وبالوحش أنسي إذ من الإنس وحشتي
فلي بعد أوطاني سكون الفلا		وبالوحش أنسي إذ من الأنس

قال: وأقمت بواد كان بينه وبين مكّة عشرة أيّام للراكب المجدّ، وكنت آتي إلى مكّة كلّ يوم وليلة، وأصلّي في الحرم الشريف الصلوات الخمس، وكان معي سبع عظيم الخلقة يصحبني في ذهابي وفي إيابي، وينخّ لي كما ينخّ الجمل، ويقول لي: يا سيّدي اركب عليّ. فما ركبته قط. ويقول لي يشير إليّ أن اركبْ. فما ركبته قطّ.

وتحدّث بعض جماعة من أكابر المشايخ المجاورين بالحرم الشريف في تجهيز مركوب لي، يكون عندي في البريّة. فرأوه أحضر عليه إلى الحرم الشريف وأرجع كلّما أردت. فظهر لهم وسمعوا قوله: «يا سيّدي اركب عليّ» فرأوه يشير إليّ فما ركبته فاستغفروا الله العظيم، وكشفوا رؤوسهم واعتذروا إليّ.

ثمّ بعد مضي خمسة عشرة سنة سمعت الشيخ البقّال يناديني وأنا بين جبال مكّة وأوديتها: يا عمر تعال إلى القاهرة احضر وفاتي وانتقالي إلى الله ، وصلِّ عليّ. فأتيته مسرعاً، فوجدته قد احتُضر. فسلّمت عليه، وسلّم عليّ. وناولني دنانير ذهب وقال: جهّزني، وأعطِ حملة نعشي إلى القرافة كلّ واحد ديناراً. واتركني في هذه البقعة، وأشار إليها بيده. فلم تزل بين عينيّ أنظر إليها، وهي بالقرافة تحت المسجد المعروف بالعارض، بالقرب من مراكع موسى عليه الصلاة والسلام بسفح المقطّم، عند مجرى السيل منه. قال: وانتظر قدوم رجل يهبط إليك من الجبل، فصلِّ أنت وهو عليّ، وانتظرْ ما يفعل الله في أمري.

فهبط إليّ رجل من الجبل كما يهبط الطائر المسرع، لم أره يمشي على رجليه. فعرفته بشخصه؛ رجل كنت أراه يصفع قفاه ورقبته في الأسواق، فقال: يا عمر، تقدّم فصلِّ بنا على الشيخ. فتقدّمت، وصلّيت إماماً. ورأيت طيوراً خضراً وبيضاً

وصفوفاً بين السماء والأرض يصلّون معنا. ورأيت طائراً منهم أخضر اللون عظيم الخلقة، قد هبط عند رجليه وابتلعه، وارتفع إليهم. وطاروا جميعاً ولهم زجل بالتسبيح إلى أن غابوا عنّا في السماء. فسألته عن ذلك فقال: يا عمر، أما سمعت: «إنّ أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح» وهذا الرجل كان منهم يا عمر، وكنت معهم؛ وإنّما وقع منّي هفوة فطردت عنهم، فها أنا أصفع في الأسواق ندماً وتأديباً على تلك الهفوة.

قال رضي الله عنه ثمّ ارتفع إلى الجبل كالطير إلى أن غاب عنّي.

قال ولد الشيخ عمر: قال والدي: يا محمّد، إنّما حكيت لك هذا لأرغّبك في سلوك طريقنا، فلا تذكره لأحد من الناس. فلم أذكره لأحد حتّى توفّي رضي الله عنه بحسب وصيّته.

قلت: وفي هذه البقعة المباركة دفن فيها الشيخ رضي الله عنه بحسب وصيّته، وضريحه بها معروف. وفي ذلك قال بعض الفضلاء يرثيه، وهو أبو حسن الجزار الشاعر المشهور:

لم يبقَ صيّب مزنة إلّا وقد ... وجبت عليه زيارة ابن الفارض
لا غرو أن يسقى ثراه وقبره ... باقٍ ليوم العرض تحت العارض

وقلت أنا أيضاً:

جز بالقرافة تحت ذيل العارض ... وقل السلام عليك يا بن الفارض
أبرزت في نظم السلوك عجائباً ... وكشفت عن سرّ مصون غامض
وشربت من بحر المحبّة والولا ... فرويت من بحر محيط فأبيض

وقال ولده: رأيت الشيخ نائماً مستلقياً على ظهره وهو يقول: صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله، رافعاً صوته، مشيراً بإصبعه اليمنى واليسرى. واستيقظ من نومه وهو يقول كذلك، ويشير بإصبعه كما

كان يفعل وهو نائم. فأخبرته بما رأيته وبما سمعته منه، وسألته عن سبب ذلك فقال: يا ولدي، رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام، وقال لي: يا عمر، لمن تنتسب؟. فقلت: يا رسول الله، أنتسب إلى بني سعد، قبيلة حليمة السعدية، مرضعتك يا رسول الله. فقال: لا؛ بل أنت منّي، ونسبك متّصل بي. فقلت: يا رسول الله، إنّي أحفظ نسبي عن أبي وجدّي إلى بني سعد. فقال: لا، ماداً لا صوته الردع لي والزجر عن تلك المقالة. بل أنت منّي، ونسبك متّصل فقلت: صدقت يا رسول الله مكرراً ذلك. ثلاث مرات مشيراً بإصبعيّ كما رأيت وسمعت.

قلت: رأيت ولده. المشار إليه واقفاً: وأصابع يديه مبسوطتان على ركبتيه، وقال: رأيت والدي واقفاً وأصابع يديه مبسوطة على ركبتيه مثل وقوفي هذا. وقال: هذا من علامات الشرف إمّا أن تكون نسبة الأهليّة أو نسبة المحبّة، والنسبة التي هي عند أهل المحبّة أشرف من نسبة الأبوّة، وهي النسبة التي جعلت بلال الحبشي، وجعلت أبا عبد الله سلمان الفارسي، وجعلت صهيب من أهل البيت، وأُبعد عنها أبو طالب، ولم يتشرّف بها، ولم تنفعه نسبة العمومة التي هي أقرب الأنساب الأهليّة لما حجبته المشيئةالإلهيّة عن الهداية الربانيّة. وكذلك تبرأ إبراهيم الخليل عليه السلام من أبيه آزر لمّا تبيّن له أنّه. عدوٌ لله . وإلى هذا النسب الشريف أشار شيخنا في القصيدة اليائيّة حيث قال:

نسب أقرب في شرع الهوى   بيننا من نسب من أبويّ

قلت: ورأيت في المنام كأنني في الحضرة الشريفة المحمّديّة وكأنّ عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جماعة كثيرة من الأنبياء والأولياء، وكأنّ الشريف شمس الدين محمّد الأيكي نقيب الأشراف وقاضي العساكر المنصورة قدّس الله روحه ونوّر ضريحه مع الجماعة في الحضرة الشريفة ولم أعرف أحداً منهم بصورته سواه، وكأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمر بإثبات نسبة الشيخ صُبيح الحبشي إليه. ورأيت رجلاً معه المكتوب الذي يُشهد فيه بالنسبة وهو يدور على الجماعة

الحاضرين يأخذ خطوطهم فيه، فلمّا وصل إليّ ناولني المكتوب. وقال لي: اكتب. فقلت له: أنا ما رأيت الشيخ صبيح، ولا عاصرته ولا أعرف نسبته وإنّما رأيت أولاده، وهم أصحابي فصرخ عليّ صرخة عظيمة وجدت لها رعباً عظيماً، وقال لي: اكتب كما أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُكتب. فقلت له: وكيف أمر سيّدنا رسول الله صلّى الله وسلّم أن يُكتب. فقال: اكتب أشهد أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم متّصل النسب بالشيخ صبيح. فكتبت كما أمر رسول الله صلّى الله عليه أن يُكتب.

وقال ولده: سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول وأنا أسمع: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام وقال لي: يا عمر، ما سمَّيت قصيدتك؟. فقلت له: يا رسول الله، سمّيتها لوائح الجَنان وروائح الجِنان. فقال: لا؛ بل سمِّها: نظم السلوك. فسمّيتها بذلك.

وقال: حضر في مجلس الشيخ رجل، وسمّاه؛ فأُنسيت اسمه ما هو، وكان من أكابر علماء أهل زمانه. واستأذنه في شرح القصيدة التائيّة الكبرى نظم السلوك فقال: كم مجلّد تشرحها؟. فقال: أشرحها في مجلّدين. فتبسّم الشيخ رضي الله عنه وقال: لو شئت لشرحت كلّ بيت منها في مجلّدين.

قلت: سمعت الشيخ شمس الدين محمّد الأيكي شيخ الشيوخ بخانقاة سعيد السعداء يقول لسيدي الشيخ كمال الدين محمّد ولد الشيخ رضي الله عنه وقد حضر إلى زيارته ومعه الشيخ نور الدين النقشواني وكذلك جماعة من أكابر الصوفيّة، وكان ذلك في آواخر دولة المنصور على أعدائه الملك المظفر قلاوون تغمده الله تعالى برحمته: يا سيّدي، الحمد لله الذي عشت ورأيتك وكأنّي اليوم رأيت سيّدي الشيخ شرف الدين والدك وأنا على مذهب شيخنا صدر الدين في محبّة الشيخ واعتقاد صدق كلامه، والاشتغال بقصيدته نظم السلوك، وذكر منها أبياتاً من جملتها هذا البيت:

ولولا حجاب الكون قلت وإنّما قيامي بأحكام الظاهر مسكتي

وشرع يتكلّم على معاني الأبيات التي ذكرها من القصيدة المذكورة بلسان أهل المعرفة. ويقول: كان شيخنا يحضر في مجلسه جماعة من العلماء ومن طلبة العلم، ويتكلّم فنون من العلم. ثمّ يختم كلامه بذكر بيت من القصيدة؛ نظم السلوك، ويتكلم عليه بالعجمي كلاماً غريباً لدنيّاً لا يفهمه إلا صاحب ذوق وشوق. وكان في ثاني يوم يقول ظهر لي في معنى البيت الذي تكلّمنا عنه بالأمس معنى آخر، ويتكلّم بأعجب مما تكلّم به بالأمس وقد استشهد في كتابه النفحات بقول الشيخ عمر بن الفارض من التائيّة:

وأنت على ما أنت عنّي نازح وليس الثريّا للثرى بقريبة

وكان يقول: ينبغي للصوفيّ أن يحفظ هذه القصيدة التائيّة ويشرحها على من يفهمها.

قال الشيخ شمس الدين الأيكي رحمه الله وكان الشيخ الكامل سعيد الفرغاني قد أقبل بهمته على فهم ما يذكره الشيخ صدر الدين القونوي من شرح القصيدة المذكورة ويعلقه عنده بالعجمي بحسب ما كان يقرره له صدر الدين. ثمّ بعد ذلك عرّبه أي نقله إلى اللغة العربيّة. وعمل شرحه المشهور في مقدار مجلّدين كلّ نصف منهما. وهو للفرغاني من نَفَس شيخنا صدر الدين رحمه الله .

قلت وما برحت أطلب الشرح المذكور إلى أن رأيت الشيخ كريم الدين؛ شيخ الشيوخ بالخانقاه الصلاحيّة عند الشيخ عمر السعودي في الطبقة التي هي على باب زاويته بالقرافة. وأخبرني أنّ الشرح للفرغاني فاستعرته واستنسخته منه. وهو عندي الآن. وقد أجاد فيه ـ رحمه الله تعالى ـ وفتح باباً في شرح القصيدة. لم يفتحه غيره قبله.

قلت: وأخبرني القاضي جمال الدين عبد الله بن سيدنا ومولانا الشيخ جلال الدين محمّد القزويني قاضي القضاة بالشام المحروسة ثم قاضي القضاة بالديار

المصريّة أنّ والده محمد القزويني حرس الله جلاله وحفظ صفاته شرح القصيدة.

وقال ولده: كأن الشيخ رضي الله عنه في غالب أوقاته ما يزال دهشاً، وما يزال بصره شاخصاً، لا يسمع من يكلّمه ولا يراه؛ فتارة يكون واقفاً، وتارة يكون قاعداً، وتارة يكون مضطجعاً على جنبه وتارة يكون مستلقياً على ظهره مسجّى كما يسجّى الميت. وتمرُّ عليه عشرة أيام متواصلة وأقلّ من ذلك المقدار وأكثر وهو على هذه الحالة ولا يأكل ولا يشرب ولا يتكلّم ولا يتحرّك فهو كما قيل:

ترى المحبّين صرعى في ديارهمُ ... كفتيةِ الكهف لا يدرون كم لبثوا

والله لو حلف العشّاق أنّهم ... صرعى من الحبّ أو موتى لما حنثوا

ثمّ إنّه كان رضي الله عنه. يستفيق وينبعث من هذه الغيبة، ويكون أوّل كلامه أنّه يملي من القصيدة نظم السلوك ما فتح الله عليه.

قلت: طالعت في مجموع بخط رجل فاضل فرأيت من جملته القصيدة التائيّة المعروفة بنظم السلوك، ورأيت قبلها ترجمة هذه صورتها: قال الشيخ المحقق شرف الدين عمر بن الفارض نوّر الله مضجعه هذه القصيدة الغرّاء والفريدة الزهراء التي لم يُنسج على مِنوالها ولا سمح خاطر بمثالها، وتكاد تخرج عن طوق وُسع البشر؛ يعني ألفاظاً ومعاني. وكان سمّاها: أوّلاً أنفاس الجنان وروائح الجَنان ثمّ سمّاها لوائح الجَنان وروائح الجِنان. ثمّ رأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال له سمِّها نظم السلوك.

وحكى جماعة يوثق بهم ممن صحبوه وباطنوه أنه لم ينظمها على حدِّ نظم الشعراء أشعارهم؛ بل كان تحصل له جذبات يغيب بها عن حواسه نحو الأسبوع والعشرة أيام، فإذا أفاق من ذلك أملى ما فتح الله عليه منها نحو الثلاثين والأربعين والخمسين بيتاً ثمّ يدع حتى يعاوده ذلك الحال. ومن تأملها حق التأمل فيها بأن كان من العارفين علم أنّ لها نبأً وشأناً عظيماً صانها الله تعالى عن غير أهلها. ثمّ كتب القصيدة بعد هذه الترجمة.

ويُحكى أنّه لـمّا فُوِّض أمر الوزارة إلى القاضي تقيّ الدين عبد الرحمن بن بنت الأغر رحمه الله تعالى في أيام الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي رحمه الله تعالى وقع في حقّ شيخ الشيوخ شمس الدين محمّد الأيكي في مجلس حافل بالخانقاه الصلاحيّة وقال له: أنت تأمر الصوفيّة بالاشتغال بنظم سلوك قصيدة ابن الفارض وهو يميل إلى الحلول وأهانه بالكلام. فدعا عليه. وقال له: مثّل الله بك كما مَثَّلتَ بي. فعُزِل عُقيب ذلك المجلس عن الوزارة في آخر الدولة المنصوريّة بسؤاله. ثمّ عُزِل من القضاء في الدولة الأشرفيّة، ومُثِّل به. وحُبس مدّة، ونُسب إلى سوء الاعتقاد، ونُسب إلى أنّه وقع في كلام يفسق به، وشهد عليه بالزور من لا خَلاق له. وكأنّ ذلك الأمر لأجل غرض للصاحب شمس الدين محمّد بن السعلوس، وقد أهان شمس الدين محمّد الأيكي، فأهانه شمس الدين محمّد السلعوس عفا الله تعالى عنه.

ومما قيل فيه:

وحاشاه من قول عليه مزوّر ... وما علمتْ سوءاً عليه الملائكُ

وكان ذلك القِصاص من أجل وقوعه في حق الخواص.

وقال جامع هذا الديوان: وكان يرسلني في الباطن إلى من يسعى في خلاصه من الأمراء ليشفعوا له ويتسببوا في إنقاذه ومشايخ الفقراء. وكان إذا اشتد عليه الخِناق يقول: اشتدي أزمة تنفرجي ويكرر ذلك مراراً. فلمّا منّ الله عليه بالخلاص من هذه النكبة ومَنَّ عليه بحصول تفريج هذه الكربة حضرتُ عنده أنا وسعد الدين الحارثي الحنبلي المحدّث، أي: صاحب علم الحديث الشريف. وكان من أعزّ أصحابه وسمعته يستغفر الله تعالى، ويحمده، ويشكره على حُسْن العاقبة مما أصابه والسلامة من ذلك. فعرَّضت له بذكر واقعته مع الشيخ شمس الدين الأيكي ووقوعه في حقِّه وفي حقِّ شيخنا، وأنّه نَسَبَهُما إلى اعتقاد الحلول وهما بريئان منه. وقلت له كيف يُتصوَّر أن الشيخ في قصيدته المسماة نظم السلوك إلى

الحلول وقد نزّه عقيدته عنه بقوله فيها:

وكيف وباسم الحقّ ظلّ تخلّقي ... تكون أراجيفُ الضلال مُخيفتي

وها دِحيةٌ وافى الأمينَ نبيّنا ... بصورته في بدء وحي النبوءة

أجبريلُ قل لي كان دحية إذْ بدا ... لمُهدي الهدى في صورةٍ بشريةِ

وفي علمه عن حاضِريه مزيّةٌ ... بماهيَّة المرئيّ من غير مرية

ولي من أتمِّ الرؤيتين إشارة ... تُنزِّه عن رأي الحلول عقيدتي

يرى ملكاً يوحي إليه وغيرُه ... يرى رجلاً يُدعى لديه بصحبة

وفي الذكر ذكرُ اللبس ليس بمنكر ... ولم أعدُ عن حكمَيْ كتاب وسنّة

فقال أنا أحَبُّ الناس في نظم الشيخ، وحفظت ديوانه وأنا شاب، وانتفعت بحفظه. وهذه الأبيات السبعة ما كأنّي قط سمعتها في قصيدته إلى الحلول في شيء. وأنا استغفر الله مما جرى منّي من الكلام في حقّه.

فقلت له: وما جرى منك في حقّ الشيخ شمس الدين الأيكي، فقال: نعم، وما برحت في قلق من دعائه إلى أن حلّت بي هذه المحبّة فالله يغفر لي وله، وأنا تائب إلى الله تعالى من الوقوع في حقّ أحد من أهل هذا الطريق؛ فمنهم وقوعي أُصبت، وبالتوسّل إلى الله ببركتهم سلمت. ثمّ حجّ بعد ذلك الأمر وامتدح رسول الله صلّى الله عليه وسلم بقصيدة وأنشدها عند الروضة الشريفة وهو مكشوف الرأس وبكى هو، وبكى الناس أيضاً معه بكاء شديداً، ودعوا على أعدائه. وقرأ خادم أم الملك السعيد ـ وكان حسن الصوت ـ عشراً من القرآن العظيم، وهو قول الله عز وجلّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [٢٤/النور/ ٥٥] فاستبشروا بذلك العشر المقروء، واستبشر الناس، وعلموا أن الله تعالى قد تقبّل دعاءهم. ولـمّا حضر إلى بلاده مصر المحروسة من

الحجاز الشريف وجد أعداءه الذين سلقوه بالألسنة قد هلك منهم من هلك عن بيِّنة ثمّ فُوِّض إليه القضاء. وما برح متولّياً لمنصب القضاء إلى أن قُضي عليه، فرحمه الله رحمة واسعة، وجعله الله تعالى. في روضات الجِنان مضاجعه.

ورأيته في المنام ووجهه كالقمر وعليه نور يتلألأ، وعليه ثياب دنسة فسألته عن ذلك. فقال هذا نور العلم، وهذه ثياب الحكم. ثمّ رأيته أيضاً بعد ذلك في المنام وهو يخطب على منبر الخطابة في الجامع الأزهر. وممّا حفظت من كلامه قوله: وسيعود شعارنا إلى ما كان عليه.

وقال لي ولده: سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول: حصلت منّي هفوة فوجدت من ذلك مؤاخذة شديدة في باطني وانحصرت باطناً وظاهراً حين كادت روحي تخرج من جسدي، فخرجت هائماً كالهارب من ذنب عظيم فعله وهو مطلوب فطلعت إلى جبل المقطّم وقصدت مواطن سياحتي وأنا أبكي وأستغيث، وأستغفر الله فلم ينفرج ما بي. فنزلت إلى القرافة، ومرّغتُ وجهي في التراب بين القبور، فلم ينفرج ما بي. فقصدت مدينة مصر، ودخلت جامع عمرو بن العاص، ووقفت في صحن الجامع خائفاً مذعوراً، وجددّت البكاء والتضرُّع والاستغفار. ولم ينفرج ما بي فغلب عليّ حال مزعج لم أجد مثله قط فصرخت، وقلت:

مَن ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحُسنى فقط

فسمعت قائلاً يقول بين السماء والأرض أسمع صوته ولا أرى شخصه:

محمّد الهادي الذي ... عليه جبريل هَبَط

وقال لي ولده رحمه الله تعالى: رأيت الشيخ رضي الله عنه نهض ورقص زماناً طويلاً، وتواجد وجداً عظيماً وتحدّر منه عرق كثير حتى سال تحت قدميه وخرَّ إلى الأرض واضطرب اضطراباً شديداً ولم يكن عنده أحد غيري ثمّ سكن حاله وسجد لله تعالى فسألته عن سبب ذلك فقال يا ولدي، فتح الله عليّ بمعنى في بيت لم يفتح عليّ بمثله وهو هذا البيت:

وعلى تفنُّن واصفيه بحُسْنه يفنى الزمان وفيه ما لم يُوصَفِ

وقد بحثت يوماً مع بعض الإخوان على أنّ هذا البيت في مدح الحضرة المحمّديّة أيها أبلغ هذا أم قول صاحب البردة:

فإنّ من جودك الدنيا وضرَّتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فكان يقول: إن بيت صاحب البردة أبلغ. فقلت له: في بيت صاحب البردة فنٌّ من فنون الوصف النبويّ، والمدح المحمديّ؛ فهو داخل تحت تلك الفنون التي أشار إليها الشيخ عمر رضي الله في بيته إلى يوم القيامة. فاعترف بذلك؛ فلا أبلغ من هذا البيت المذكور؛ ولهذا سجد شكراً عليه لله تعالى كما مرّ.

وحكى لي قال: كان الشيخ رحمه الله ماشياً في السوق بالقاهرة فمرّ على جماعة من الحَرَسَة وهم يضربون بالناقوس ولعلهم كانوا من النصارى، يتطرّبون بذلك أومن المسلمين، ويقصدون بذلك التطرب. ويغنّون هذين البيتين وهما:

مولايَ سهرنا نبتغي منك وصال

مولايَ فلم تسمح فنمنا في خيال

فلمّا سمعهم الشيخ رضي الله عنه صرخ صرخة عظيمة ورقص رقصاً كثيراً في وسط السوق، ورقص معه ناس كثير من المارِّين في الطريق حتى صارت جَوْلَة وسماع عظيم، وتواجد الناس إلى أن سقط أكثرهم إلى الأرض والحرس يكرِّرون ذلك. وخلع الشيخ كل ما كان عليه من الثياب. ورمى بها إليهم وخلع الناس ثيابهم معه وحُمل بين أيدي الناس إلى الجامع الأزهر وهو عريان، مكشوف الرأس، ولم يبقَ عليه سوى لباسه. وأقام في هذه السكرة أياماً ثلاثة ملقى على ظهره مسجّى كما يسجّى الميت، فلمّا أفاق جاء الحرّاس إليه ومعهم ثيابه فرموها بين يديه فلم يأخذها وبذل الناس لهم فيها ثمناً كثيراً، فمنهم مَنْ باع ومنهم مَنْ امتنع عن بيع نصيبه. وأبقاه عنده تبركاً به.

وحكى لي رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ ماشياً في يوم من الأيام في السوق بالقاهرة بالشارع الأعظم في المحلات والأزقّة بالقرب من مسجد ابن عثمان. وكنت معه، وإذا بنائحة تنوح، وتندب على امرأة ميتة في طِبْقة، والنساء يجاذبنها وهي تقول:

سِتِّي ، مُتِّي ! مِنْ حقاً　　　إي والله ! حقاً حقاً !!

فلمّا سمعها الشيخ صرخ صرخة عظيمة، وخرّ مغشيّاً عليه فلمّا أفاق صار يقول ويكرر مراراً قوله:

نفسي متّي من حقاً　　　إي والله حقّاً حقّاً

وحكى لي رحمه الله قال: كان الشيخ رضي الله عنه جالساً في الجامع الأزهر على باب قاعة الخطابة، بالقرب من منبر الخطابة، وعنده جماعة من الأمراء والفقراء، وفيهم جماعة من مشايخ الأعجام المجاورين بالجامع الأزهر وغيرهم. وكلّما ذكروا حالاً من أحوال الدنيا مثل الطشت خانة، والفرش خانة، وغير ذلك يقولون هذا. فبينما هم يتفاوضون في هذا الكلام ويفخّمون زَخْم العجم والمؤذنون رفعوا أصواتهم بالأذان جملة واحدة، فقال الشيخ: وهذا زخم العرب. وصرخ صرخة عظيمة، وتواجد، وصرخ كلّ من كان حاضراً حتى كانت لهم في الجامع ضجّة عظيمة.

وحكى لي أيضاً رحمه الله قال: كان السلطان الملك الكامل رحمه الله يحب أهل العلم، ويحاضرهم في مجلس مختص بهم، وكان يميل إلى فن الأدب. فتذاكروا عنده في وقت أصعب القوافي، فقال السلطان مِن أصعبها قافية الياء الساكنة، فمن كان يحفظ شيئاً منها فليذكره فتذاكروا ذلك، فلم يتجاوز أحد منهم عشرة أبيات. فقال السلطان: أنا أحفظ منها خمسين بيتا. وذكرها فاستحسن الجماعة ذلك منه، فقال القاضي شرف الدين كاتب سرّه: أنا أحفظ منها مئة وخمسين بيتاً قصيدة واحدة، فقال السلطان: يا شرف الدين، جمعت في خزائني أكثر دواوين الشعراء في الجاهليّة

والإسلام، وأنا أحبّ هذه القافية فلم أجد فيها أكثر من الذي ذكرت لكم، فأنشدني هذه الأبيات التي ذكرتها، فأنشده قصيدة الشيخ اليائيّة التي مطلعها قوله:

سائق الأظعان يطوي البيدَ طيّ   منعماً عرِّج على كثبان طيّ

فقال: يا شرف الدين لمن هذه القصيدة فلم أسمع بمثلها! وهذا الشعر نَفَس محبّ صادق. فقال هذا نظم الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض. فقال: وفي أيّ مكان مقامه؟. فقال: كان مجاوراً بمكة وفي هذا الزمان حضر إلى القاهرة. وهو الآن مقيم بقاعة الخطابة في الجامع الأزهر فقال: خذ منّي ألف دينار وتوجَّه إلى عنده، وقل له عنِّي: ولدك محمّد. يسلِّم عليك، ويسألك أن تقبل هذه منه برسم الفقراء الواردين عليك. فإذا قبلها منك اسأله الحضور إلى عندنا لنأخذ حظنا منه ومن بركته. فقال مولاي السلطان يعفيني من هذا الأمر؛ فإنّي لا أستطيع أن أخاطبه، وإن خاطبته لأجل مولانا السلطان فإنّه لا يأخذ الذهب، ولا يحضر، ولا أقدر بعد ذلك أن أدخل إليه أصلاً حياء منه. فقال: لا بدّ من ذلك. فأخذ الذهب، وتركه مع إنسان صحبته، وقصد مكان الشيخ فوجده واقفاً على الباب ينتظره، فابتدأه بالكلام وقال: يا شرف الدين، ما لك ولذكري في مجلس السلطان! ردّ الذهب إليه، ولا ترجع تجيئني إلى سنة جزاء له على ما صدر منه. فرجع، وقال للسلطان: وددت أن أفارق الدنيا ولا أفارق رؤية الشيخ سنة. وأخبره بما قاله له. فقال السلطان: مثل هذا الشيخ الكاملي يكون في زماني، وفي بلادي، ولا أزوره، فلا بدّ لي من زيارته ورؤيته، فنزل السلطان لأجل زيارته في الليل إلى المدينة من قلعة الجبل مستخفياً هو وفخر الدين عثمان الكامل معه. وبات في دار المهمندار التي قبالة الجامع الأزهر ودخل إلى الجامع بعد العشاء ومعه جماعة من الأمراء، ووقفوا على باب قاعة الخطابة التي بجوار المنبر. فخرج الشيخ من الباب الآخر الذي بظاهر الجامع ولم يجتمع به، وسافر إلى ثغر الإسكندريّة. وأقام بالمنار أيّاماً ثمّ رجع إلى الجامع الأزهر.

وبلغ السلطان حضوره، وأنّه متوعّك المزاج، فأرسل إليه فخر الدين يستأذنه أن يجهّز له. ضريحاً عند قبر أمّه بقبّة الإمام الشافعي رضي الله عنه. فلم يأذن له بذلك. ثمّ استأذنه أيضاً أن يبني له تربة تكون له مزاراً مختصاً به، فلم يأذن له بذلك. ثمّ نصل من ذلك التوعّك وعافاه الله تعالى منه.

قلت: حضر إلى عندي في مسجدي على نيّة الزيارة القاضي أمين الدين بن الرقاوي، وكان له اعتقاد حسن في الشيخ، تلقاه من والده؛ فإنّه كان من أعزّ أصحاب الشيخ، وحضر معه جماعة رؤوساً. منهم القاضي جمال الدين إبراهيم بن الشيخ بهاء الدين بن الشيخ جمال الدين إبراهيم السيوطي، أمام السلطان. فحكى لنا أنّ والده حكى له عن جدّه أنه قال: مشيت مع الشيخ شرف الدين في الجامع الأزهر إلى باب زويلة. وأخبرني أنه متوجه إلى جامع مصر، فسألته أن أرافقه، فأجاب. فطلبت مكارياً، وقلت كم لك إلى جامع مصر، فقال: اركبوا معي على الفتوح فقلت: له لا بد أن تشارطنا، فعزّ ذلك على الشيخ، وقال: نعم نركب معك على الفتوح. فركبنا معه. فوجدنا في الطريق فخر الدين عثمان الكاملي فترجّل، وترجل معه أصحابه، فسلّم على الشيخ، وأراد أنْ يقبّل يده. فرفع الشيخ يده، ومسح بها على رأسه ووجهه، ودعا له وقال له: اركب، بارك الله فيك وعليك. فركب، وانصرف، وتبعنا فارس من جهته، فاستند إليّ وقال لي: قل للشيخ: هذه مائة دينار يقبلها من الأمير على الفتوح. فقلت ذلك للشيخ. فقال: نحن ركبنا مع المكاري على الفتوح؛ وهذه فتوح، فتوجه له، وأمر بها للمكاري، فرجع الفارس إلى عند الأمير، وأخبره بذلك فبعث إليه مثلها عنها. فقال: أعطها للمكاري. فقلت له هذه مئة دينار ثانية. فقال: عرفت بها فتوجّهْ فأعطها له؛ فأعطيته المئة الدينار الثانية. فلما وصلنا إلى الجامع ونزلنا عن الدواب اعتذر الشيخ إلى المكاري، ودعا له.

وحكى ولده قال: كان للشيخ رضي الله عنه أربعينيّات متواصلة ليلاً ونهاراً، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام. وفي بعض أيام أربعينيّته اشتهت نفسه عليّة هريسة،

وكان آخر أيام الأربعين، فقال: يا نفس، أما تصبري بقيّة هذا اليوم وتفطري على الهريسة، فأبت وقالت لا بدّ من الهريسة في هذا الوقت، قال الشيخ: فاشتريت الهريسة وجئت إلى عند قبة الشرابي، ورفعت أوّل لقمة إلى فمي، فانشق جدار القبة وخرج منه شاب جميل الوجه، حسن الهيئة، أبيض الثياب، عطر الرائحة، وقال: تفُّ عليك. فقلت: نعم إن أكلتها فرميت اللقمة من يدي قبل أن تصل إلى فمي، وتركت-الهريسة، وخرجت من الحرم إلى السياحة، وأدّبت نفسي بزيادة عشرة أيام في المواصلة لتتمة الخمسين يوماً.

وحكى لي ولده رحمه الله، قال: لمّا حج الشيخ شهاب الدين السهروردي شيخ الصوفيّة قدّس الله روحه ونوّر ضريحه آخر حجة في سنة ثمان وعشرين وستمئة، وكانت وقفة الجمعة، وحجّ معه خلق كثير من أهل العراق. فرأى كثرة ازدحام الناس عليه في الطواف بالبيت والوقوف بعرفة، واقتدائهم بأقواله وأفعاله، وبلغه أن الشيخ في الحرم؛ فاشتاق إلى رؤيته، وبكى، وقال في سرّه يا ترى هل أنا عند الله كما يظنّ هؤلاء القوم فيّ، ويا ترى هل ذُكرت في حضرة المحبوب في هذا اليوم. فظهر له الشيخ رضي الله عنه، وقال يا سهروردي:

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثمّ على ما فيك من عِوَج

فصرخ الشيخ شهاب الدين، وخلع كلّ ما كان عليه، وخلع المشايخ والقوم الحاضرون كل ما كان عليهم، وطلب الشيخ فلم يجده، فقال: هذا إخبار من كان في الحضرة. ثمّ اجتمعا في الحرم الشريف واعتنقا، وتحدّثا سرّاً زمناً طويلاً؛ واستأذن والدي يلبسني ويلبس أخي عبد الرحمن خرقة الصوفيّة على طريقته، فلم يأذن له، وقال له ليست هذه طريقتنا. فلم يزل يعاوده إلى أن أذن له ذلك. فلبست منه أنا وأخي، فلبس معنا بإذن والدي أيضاً شهاب الدين بن الخيمي وأخوه شمس الدين؛ فإنّهما كانا عند والدي من العزّة عليه في منزلة الأولاد. ولبس منه في ذلك الوقت جماعة كثيرة بحضور الشيخ، وحضور جماعة من المشايخ الكاملين مثل ابن عجيل اليمني وغيره، رضي الله عنهم.

وحكى لي قال: كان الشيخ عمر رضي الله عنه يقيم في شهر رمضان في الحرم لا يخرج إلى السياحة، ويطوي نهاره بالصيام مع ليله، ويحيي ليله. قلت: وقد أشار إلى ذلك بقوله في القصيدة اليائيّة:

في هواكم رمضانٌ عمرُه ينقضي ما بين إحياء وطيّ

قال رحمه الله: فشدّ والدي في وسطه مئزراً، وائتزر به وتأزّر. وكذلك فعل المجاورون بالحرم المكي مثله من أوّل الشهر، وهم في طلب ليلة القدر، فتارة يطوفون، وتارة يصلّون، وأنا معهم. فخرجت ليلة من الحرم في العشر الأواخر لأزيل حقنة بظاهر الحرم، فرأيت البيت والحرم ودور مكة وجبالها ساجدين لله تعالى، ورأيت أنواراً عظيمة بين السماء والأرض، فوجدت هيبة ورعباً شديداً، وجئت إلى والدي مهرولاً فأخبرته بذلك. فصرخ صرخة عظيمة، وقال للمجاورين الواقفين في طلب القدر: هذا ولدي خرج يبول خارج الحرم المكي؛ فرأى ليلة القدر. فصرخ الناس معه إلى أن علا ضجيجهم، والدعاء والصلاة والطواف. وخرج والدي في أودية مكة هائماً في السياحة، ولم يدخل الحرم إلى يوم العيد في تلك السنة.

وحكى لي رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ عمر رضي الله عنه يتردد إلى المسجد المعروف في مصر بالمُشتهى. وكان تردده في أيّام وفاء النيل، ويحبّ مشاهدة البحر، وفيه قال من جملة أبيات له في آخر ديوانه:

وطني مصرُ وفيها وطري ولعيني مُشتهاها مشتهاها

فتوجه إليه يوماً، فسمع قصّاراً يقصر مقطعاً ويضرب به على الحجر وهو يقول ويكرر:

قطَّع قلبي هذا المقطع ما قال يصفو أو يتقطّع

فما زال يكرر هذا السجع كلّ ساعة بعد ساعة، ويضطرب اضطراباً شديداً، ويتقلّب على الأرض، ثمّ يسكن اضطرابه حتى يُظن أنه قد مات. ثمّ يستفيق،

ويتحدّث معنا بكلام لدنّيّ ما سمعنا مثله قط، ولا نحسن أن نعبّر عنه. ثمّ يضطرب على سماع كلامه ويستمع، ويعود إلى حال وجده. ودخل إلينا رجل من أصحابه فلمّا رأى الشيخ وشاهد حاله قال:

أموتُ إذا ذكرتُكَ ثمّ أحيا فكم أحيا عليك وكم أموتُ

فوثب الشيخ قائماً، واعتنقه، وقال له: أعد ما قلت فسكت الرجل شفقة منه عليه وسأله أن يرفق بنفسه، وذكر له شيئاً من حاله عند غلبة الوجد عليه فقال:

إنْ خَتَمَ اللهُ بغفرانه فكلّ ما لاقيتُه سهلُ

ولم يزل على هذا الحال من سماع قول القصار إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

هذا ذكر سبب رحلة الشيخ برهان الدين إبراهيم بن معاذ بن شدّاد بن ماجد الجعبري الشافعي من بلاد جعبر لزيارة شيخنا. قال: وذلك أنّي كنت في مسجدي، فورد عليّ في باطني انقباض شديد وحصر مديد أوّل الليل إلى أول طلوع الفجر، فصليت الصبح فيه، وخرجت منه عازماً على زيارة ضريح الشيخ، فجزت تحت مسجد الشيخ برهان الدين، فسمعته يتكلّم في ميعاده فطلعت إليه لأحضر ميعاد الشيخ الجعبري، ودخلت المسجد. فسمعته يقول هذا البيت من نظم السلوك:

فلم تهْوَني ما لم تكن فيَّ فانياً ولم تفنَ ما لم تُجتلى فيكَ صورتي

فلمّا رآني قال: لا إله إلا الله ، كنت أتكلّم في معنى كلام الرجل فساق الله سِرَّه ثمّ أقبل عليّ، ومرّ بيده المباركة على وجهي وصدري، فشرح الله صدري، وزال عنّي ما كنت أجده. وأقمت زماناً أجد في باطني سروراً وشرحاً.

وشرع يتكلّم في معنى هذا البيت بكلام عجيب، ولفظ غريب، ثمّ أُخبرت بعد هذا الميعاد أن سبب ذكر الشيخ هذا البيت أن الشيخ الجعبري رحمه الله تعالى. قال: كنت في السياحة بجعبر، أو قال بالفرات القريب منها وأنا أخاطب روحي، وأناجيها بتلذّذي بفنائي، وبينما أنا كذلك فمر بي رجل كالبرق وهو يقول:

فلم تهوَني ما لم تكن فيّ فانياً ولم تفنَ ما لم تُجتلى فيك صورتي

قال الجعبري: فعلمت أن هذا النظم نَفَس مُحِبّ صادق. فوثبت إلى ذلك الرجل، وأمسكت به، وقلت: من أين لك هذا النَفَس؟! فقال: هذا نَفَس أخي شرف الدين عمر ابن الفارض. فقلت له وأين هذا الرجل؟. فقال: كنت أجد نَفَسه من جانب الحجاز، والآن أجد نَفَسه من جانب مصر المحروسة، وهو مُحتضَر، أو حضر أجله، وقد أُمرت من جهة الله بالتوجّه إليه، وأن أحضر انتقاله إلى حضرة الله تعالى، وأصلِّي عليه. وها أنا ذاهب إلى مصر. فلمّا التفت إلى جانب مصر التفتُ معه فشممت أثر رائحة الرجل، فتتبعت أثر تلك الرائحة إلى أن دخلت عليه في ذلك الوقت في مصر وهو مُحتضر، فقلت له: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا إبراهيم، اجلس، وأبشر؛ فأنت من أولياء الله تعالى. فقلت له: يا سيِّدي هذه البُشرى جاءتني من الله تعالى على لسانك، وأريد أن أسمع منك دليلاً يطمئن به قلبي؛ فإنّ اسمي إبراهيم، ولي من سرّ مقام هذا الاسم الإبراهيمي نصيب حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٠] فقال له نعم، سألت الله تعالى أن يحضر وفاتي وانتقالي إليه تعالى جماعة من الأولياء، وأنّه قد أتى بك أولهم فأنت منهم.

وقال الشيخ إبراهيم الجعبري رحمه الله تعالى للشيخ عمر بن الفارض: كنت سألت جماعة من الأولياء عن مسألة إلهيّة فلم يجبني أحد منهم عنها فسألته عنها قلت له: يا سيِّدي هل أحاط أحد بالله علماً؟. فنظر إليّ نظر معظِّم لي وقال: نعم، إذا حيَّطهم. يا إبراهيم، وأنت منهم.

وقال الشيخ إبراهيم الجعبري: ثمّ رأيت ما قد رأيت. ثمّ رأيت الجنّة قد تمثلت له. فلمّا نظر إليها قال: آهٍ... وصرخ صرخة عظيمة مادّاً بها صوته، وبكى بكاء شديداً وتغيّر لونه وقال:

إن كان منزلتي في الحبّ عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي
أمنيّة ظفرت روحي بها زمنـا واليوم أحسبها أضغاث أحلام

فقلت له: يا سيِّدي، هذا مقام كريم. فقال: يا إبراهيم، رابعة العدويّة تقول وهي امرأة: وعزَّتك يا ربِّ ما عبدتك خوفاً من نارك التي أعددتها لمن عصاك، ولا رغبة في جنّتك التي أعددتها لمن أطاعك؛ بل عبدتك كرامة لوجهك الكريم، محبّة فيك؛ إذ أنت الأحق والأولى أن يُحبّ. وليس هذا المقام مكشف لي عنه الآن هو المقام الذي كنت أطلبه وقضيت عمري في السلوك. ثمّ بعد ذلك سكن قلقه، وتبسّم، وسلّم عليّ، وودّعني، وقال: احضر وفاتي وتجهيزي مع الجماعة، وصلِّ عليّ معهم، واجلس عند قبري ثلاثة أيام بلياليهنّ، ثّم بعد ذلك توجّه إلى بلادك.

ثمّ اشتغل عنِّي بمخاطبة ومناجاة، فسمعت قائلاً يقول له أسمع صوته ولا أرى شخصه: يا عمر فما تروم فقال:

أروم وقد طال الـمدى منك نظـرة وكم من دماء دون مرماي طلت

ثمّ تهلّل وجهه، وابتسم، وقضى نحبه فرحاً مسروراً. فعلمت أنّه قد أُعطي مرامه. وكنّا عنده جماعة كثيرة فيهم من أعرفه من الأولياء، وفيهم من لا أعرفه منهم. وكان منهم الرجل الذي كان سبب المعرفة به وهو ينشد: (فلم تهوني ما لم تكن فيّ فانياً).

وحضرت غسله وجنازته، ولم أرَ في عمري جنازة أعظم منها. وازدحم الناس على حمل نعشه. فحملوه من مصر إلى تربة القرافة. ورأيت طيوراً بيضاً وخضراً ترفرف عليه، وصلينا عليه عند قبره. ولم يتجهّز جهاز حفره إلى آخر النهار، والناس يجتمعون حوله، والحال هم مختلفون في أمره فقال قوم: هذا تأديب في حقِّه؛ فإنّه كان يدّعي في المحبّة مقاماً عظيماً وهو كاذب في ذلك، فعاقبه الله تعالى بتأخير دفنه. ودعواه المحبة في مثل قوله رضي الله عنه:

يحشر العاشقون تحت لوائي | وجميع الملاح تحت لواكا
كلّ من في حماك يهواك لكن | أنا وحدي بكل من في حماكا

وقال قوم آخرون من عوام المعتقدين عليه: هذا التأخير في دفنه آخر ما يلقى الولي من أعراض الدنيا.

وكلّهم محجوبون عن مشاهدة مقامه إلا من شاء الله، وأنا أنظر بما فتح الله تعالى عليّ به من الكشف إلى الروح الشريفة المحمديّة عليها أفضل الصلاة والسلام وهي تصلي إماماً، وأرواح الأنبياء والملائكة والأولياء من الأنس والجنّ يصلون عليه مع روح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، طائفة بعد طائفة، وأنا أصلّي مع كلّ طائفة إلى آخرهم. فتجهّز القبر، ودُفن الشيخ فيه. وأقمت عنده ثلاثة أيام بلياليهن وأنا أشاهد من حاله ما لا تحتمل عقولكم شرحه. ثمّ توجهت إلى جعبر. وكانت هذه السفرة أول دخولي مصر ولسان الحال يقول لي هذا البيت :

جزاكَ الله عن ذي السعي خيراً ولكن جئت في الزمن الأخير

ثمّ جئت بعد ذلك إلى مصر، وأقمت فيها إلى زماننا.

قال مصنّف هذه الديباجة: حكى لي ولده الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ إبراهيم الجعبري ـ جمع الله بينهما في المقام الأحمد ـ قال: زرت مع والدي رحمه الله تعالى قبر الشيخ شرف الدين رضي الله، ومعنا جماعة من الكبار، فوجدناه عنده تراباً كثيراً فصرخ الشيخ:

مساكين أهل العشق حتى قبورهم | عليها تراب الذلّ بين المقابر

وحمل الشيخ التراب في حجره وحملنا معه إلى أن نظفنا ما حول القبر.

وتوفي رضي الله عنهما بالقاهرة المحروسة بجامع الأزهر بقاعة الخطابة، وذلك الثاني من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستّمئة ودُفن من الغد بالقرافة بسفح المُقطّب عند مجرى السيل، تحت المسجد المبارك المعروف بالعارض الذي هو أعلى الجبل المذكور.

وقال مصنف هذه الديباجة: سمعت الشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذريّ المحدّث يسأله عن تاريخ مولده فقال: بالقاهرة المحروسة، آخر الرابع من سنة سبع وسبعين وخمسمئة. وكذلك سمعته يخبر القاضي شمس الدين بن خلّكان لمّا سأله عن مولده رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وهذا ما انتهى إليه الكلام من هذه الترجمة. وسكتُّ عن ذكر أحوال خارقة مبهمة خوفاً من رديء الانتقاد أو سيِّئ الاعتقاد، وقد سمَّيت هذه الترجمة عنوان الديوان، وجعلتها تبصرة للمحبّين والإخوان، وتذكرة بعدي للأولاد بمآثر الآباء والأجداد. وسألت الله تعالى أن يسلك بي وبهم مسالكه، وأن يجعلنا عزّ وجلّ ذريّة طيبة مباركة، وأجزت أن يرووه إجازة عنّي بسنده، كما أسندت سماعه إلى الشيخ عن ولده، وأشير على من طالعه وارتقى مطالِعَه بنظم السلوك في طريقة الملوك، ويتنسك بطريقتها التي تشرفت سلوكها زهّاد الملوك فنسأل الله تعالى أن يفتح لنا أبواب فهمها الفتّاح العليم كما قال سبحانه: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [٣٥ فاطر/٢] ويمنح قلوبنا علماً من علمها حتى نسرح تحت أستارها، ونشرح ما خفي من أسرارها، ونسفر لثامها، ونشرب مُدامُها؛ فإنّ دنان قوافيها مستورة في ختامها، وحسان معانيها مقصورة في خيامها؛ فلا يفهم رمزها ويستخرج كنزها إلا من بلغ أشده في مسيره، وسلك طريق ناظمها، وطرق طريق غيره واتبعه في سفره، وقبض قبضة من أثره، واستطاع موسى قلبه المحمّدي صبراً على متابعة خضره، وأحاط خُبراً بسِيَر محبّته وخبره؛ فما هُدي هذه الطريق إلا من أمدّه الله بالتوفيق، وأهّلهُ بين أهلها لسلوكها وأهّله فيها ملكا أو ملِكاً من مُلُوكها؛ فإنّها سبيل مَنْ دعا إلى الله على بصيرة، وأصبحت طُرُق المحبّة اتِّباعه منيرة؛ فإنّ الله تعالى أرسله إليه داعياً بإذنه، وراعياً إلى محبّته بعينه وأذنه، وجَعَله لأوليائه سراجاً منيراً، قد أُوتي من تبعه في محبّة الله خيراً كثيراً، فما عرف الله وسمعه إلا ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا

﴿سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [٤٨/ الفتح/ ٢٩] وقد مدّت المحبّة عليهم ظلّها وشربوا وابلها وطَلَّها ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٥]. ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [٤٨/ الفتح/ ٢٦] وحازوا متابعة صاحب المقام المحمود وجازوا صُحبته إلى الجنّة تحت لواء الحمد المعقود له، وشربوا من الكوثر؛ وهو حوضه المورود، وفازوا معه بالنظر إلى وجه حبيبهم، وهذا هو غاية المقصود من الحبيب المشهود. وما نالوا هذا المقام الأعظم إلا باتّباع نبيِّهم حبيب حبيبهم صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وأصحابه، وعلى كلّ مَن أسلم وجهه لله فأسلم وجهه معه وآمن به وأسلم، وعلى إخوانه من الأنبياء والملائكة كلّما هبّ هواء وتنسم، وكلّما وجه محبّ بمحبّة الله وتبسّم. صَلاة دائمة ما دامت السموات تُتلى بركاتها على ألسنة أهل السُنَّة والفَرْض، وتُجلى عليهم في الطول والعرض، إلى يوم البعث والعَرض.

اللهم يا من له الأسماء الحسنى التي هي أسمى وأحسن الأسماء، يا من جعل كلمة المحبّة بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٢]؛ أصلها ثابت وفرعها في السماء، وغرس في قلوب المحبّين فرعها وأصلها، وأنزل سكينتها عليهم، وكانوا أحق بها وأهلها، وجعل نورها يتوقّد من شجرة مباركة؛ وهو النور الشريف المحمّديّ الذي سجدت له في وجه آدم الملائكة.

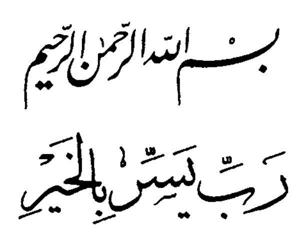
اللهم إنّك آتيتنا حرمته وجاهه، وجعلت لنا عندك باتّباعه في محبّتك وعبوديتك، اللهم فكما جعلتنا من أمّته أحينا وأمتنا على محبّتك في ملّته، وابعثنا إليك تحت لوائه، واللواء المعقود إلى مقامه المحمود. اللهمّ إنّك قد أخذتنا كلّنا ذرِّيّة من الظهور قبل الظهور وأشهدتنا على أنفسنا فقلت ألست بربّكم فقلنا بلى؛ فزدتنا بذلك نوراً على نور.

اللهمّ فكما عهدت إلينا بهذه الشهادة في القِدم وجعلت لنا بها عندك يا ربنا قدم صدق ـ وحبّذا هو من قدم ـ وأنعمت علينا، وجعلتنا من أهلها، وأظهرتنا في دنياك طاهرين ظاهرين على عدوِّنا وعدوِّك بقولها وفعلها، وأحسنت إلينا، ورزقتنا

الحُسنى، والنظر إلى وجهك الكريم، وفضلتنا على كثير من خلقك بهذه الشهادة. اللهم فافتح لنا أبواب رحمتك، وأنظمنا في سِلك عِقد عَقد أهل معرفتك، واشهد لنا بها بين يديك، وهذا اللهمّ عهدك إلينا وهذا عهدنا إليك؛ فأنت الحاكم الشاهد على كلّ مشهود في مقامه المحمود. اللهمّ اعفُ عنّا، واغفر لنا خطأنا وعَمْدَنا من الذنوب، واحفظ لنا شهادتنا هذه وعهدنا. وارحم آباءنا ومشايخنا وإخواننا، ومن آمن بك وأحبّك في سائر الملل. وأعذنا من السأم و الفتور والملل. ولا تجعل للشيطان علينا سلطاناً. واحرس منه قلوبنا التي جعلتها لك بيوتاً، ولمحبّتك أوطاناً. اللهم يَسِّر لنا أمورنا واشرح بأنوار محبّتك صدورنا. اللهم فقّهنا في محبّتك، وعلّمنا تأويل كلامك، وفهّمنا كلام أهل معرفتك حتى نهتدي بهم في السير إذا وفدنا عليك نقتدي بسلوكهم الذي يوصلنا إليك. اللهم إنّ عبدك منشئ هذا الديوان في محاسن معرفتك اللطيفة وتُرْجُمان سلطنة محبّتك الشريفة قد جعل الغرام قلبه جُذاذاً، ووجد بتلف مُهْجَتِهِ في هواك لَذاذاً، وتلت مثاني الجلال سورها، وَجَلَت عليه معاني الجمال صورها، وراقب أفلاك المعرفة؛ فأطلعت شمسها وقمرها، فهام بما لا تدركه الأفهام، وأقام نفسه في مقام محبَّتك باتّباع نبيّك وحبيبك محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام، وسائر في محامل العشق ولمّا تراءت له جِمال هوادج الجَمال غلب عليه الحال فنادى فقال:

سَائِقَ الأَظْعْانِ يَطْوِي البِيْدَ طَيْ ... مُنْعِما عَـرِّجْ عَلَى كُثْبَـانِ طَـيْ

* * *



[٢/أ] الحمد لله الذي فتح خزائن الحقائق الإلهيّة بمفاتيح العناية والتوفيق، وكشف عن وجوه المعارف الربّانيّة قناعَ الصعوبة والاشتباه ببيان أهل التحقيق، وبيان أرباب هذا الطريق:

لا يعرف الشوق إلّا من يكابده ولا الصبابة إلّا من يعانيها

فسبحانه من إله أمدَّ قلوب أوليائه بملائكة الإلهام، النازلين بالسلام من حضرة الملك السلام، فهم لهذا الفريق نعم الرفيق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ـ إلى قوله ـ ﴿أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [٤١/ فصلت/ ٣٠-٣١] مقالة رب بعبده رفيق.

وتبارك وتعالى من مولى كريم، أيد أرواح أصفيائه بأنوار العقول، وأسرار القبول، ونصر حزبهم المنصور في كل ضيق؛ فهم طيور الملكوت بالأذكار، لخطف نفوس أهل الإنكار: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [٢٢/ الحج/ ٣١].

نحمده وهو ولي الحمد في الآخرة والأولى، وهو الأحقّ به، والأوْلى على ما أحسن وأوْلى، ودفع عنا بعنايته ما لا نطيق. ونشكره على الطهارة من الشركين، ومن الكيف والأين، وإزالة البين من البين بانفتاح العين في العين، وجمع التفريق.

والصلاة والسلام على سيدنا محمّد النبي الأمين، والرسول المبين، الساري بمادته النوريّة، وكلّيته الروحيّة في كلّ شيء عند أهل اليقين والتصديق.

فمن تحقّق بذاته، وتخلّق بصفاته كمل في المتابعة بالتخليق ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩/ التوبة/ ١٢٨-١٢٩] فيا سعادة أهل هذا المقام الأنيق!.

ولقد ظهر بلباس الأولين، وسبق إلى حقيقة حقائق الأنبياء والمرسلين، كما هو ظاهر بالآخرين، فكان رحمة للعالمين، ولهذا نجا به إبراهيم من الحريق وموسى من الغريق، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين؛ تعميما لتفصيله بعد التخصيص بإجماله الوثيق. ورضوان الله تعالى عن آله الطاهرين، وأصحابه الظاهرين الذين قاموا معه في خدمة الآمر بالأمر، من غير تأخّر، ولا تعويق؛ فهم مطالع شموس حقيقته، ولوامع بروق طريقته، وكواكب سماوات شريعته، وبدور كمالات سيرته وسريرته؛ فكم بدر ظهر /[٢/ ب] من أهل بدر فعمل ما شاء؛ لأنه مغفور له بنص الحديث النبويّ لصيانة نسب تقواه العريق.

وعن التابعين لهم في الكمال بتجلّيات الجلال والجمال، من كل حميم صديق، وولي صدّيق ما نفحت نوافح الأزهار بالمسك الفتيق، ونفحته الرياض في قصب النرجس حتى تواجدت الأغصان، وشق حلته الشقيق.

أما بعد: فيقول العبد الفقير، والعاجز، الحقير، عبد الغنيّ بن إسماعيل بن عبد الغنيّ بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن إبراهيم عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، المقدسيّ، النابلسيّ، الشاميّ، الدمشقيّ. رحم الله تعالى أجداده وأسلافه، وأدام إعانته في الخير وإسعافه، وختم له بالحسنى، وأمده بالمدد الأسنى.

إن علم الحقائق الإلهيّة - بعد علم الطرائق الإيمانيّة وعلم الشرائع الإسلاميّة - من أشرف ما كشفت عنه القلوب، وألطف ما نضحت به آنية الغيوب من حضرة

مقام المحبّ والمحبوب. [وإن ممن شرب من رائق زلاله أعذب كوب][1] وامتطى إلى ميدان فرسانه أشرف مركوب حتى دخل إلى حرم حرمته، وطاف حول كعبة حضرته، وإلى رفيع رتبته وصل، وبحبل مودته اتّصل، فحصل على المطلوب، وانفتقت له منه الجيوب، جنابُ العارف، الغارف من تيّار بحار المعارف، والخاطف القاطف من رياض معاني الأحداق والمعاطف، أزهارَ الإشارات في أوراق البشارات بين الجاذب والمجذوب، كهفُ إيواء العلوم، ونقطة باء الحرف المعلوم، وعين العين المدغم بتقارب المخرجين في ذات المعصوم، شرف الحقيقة ومقام التمكين، الكامل المحقّق، سلطان العشّاق، الشيخ شرف الدين، أبو حفص عمر المعروف بابن الفارض، صاحب الحقيقة الوسطى ذات الخيرية بين البكر والفارض، قدّس الله تعالى روحه، ونوّر ضريحه. فنضح إناؤه المفعم، ولمع طرازه المُعْلم، واشتهر ديوان شعره المنظوم كالدرِّ المنظّم، حتى قامت تغنّي به أفواه الأنام على عيدان الأوقات والأيام، في غالب بلدان الإسلام. وقد أَلِف كلامه أكثر الناس من الخاص والعام، وأنشده الحادي في بوادي النوادي، وهام به في كل واد، بإدراكات وأوهام، وكل أحد أخذ منه بمقداره، وصار يمشي في ظلمة ليله بنهاره، وفسره هذا بأنواع بدائعه وإعرابه، وتكلَّم عليه [هذا] بفنون كثافاته وإغرابه، وأشار به هذا إلى أحبابه، ولوّح به هذا لزينبه المعشوقة له وربابه. وللناس أقوال مختلفة في معانيه ومذاهب. وكلّ واحد يميل به على مقتضى هواه، والتوفيق مواهب.

ولم أجد له شرحاً ينفض غبار عبارته، ويودع الأفهام إثارة من علم إشارته، غير شرحه المشهور الذي تصدّر له عالم زمانه، وفريد وقته وأوانه، العلّامة الشيخ

(١) الكلام بين قوسين من المطبوع نظراً لأنّ هناك تحويلة إلى الهامش في المخطوط من قبل الناسخ بينما نجد الحاشية غير موجودة، قد لحقها الحذف.

حسن البورينيّ[1] رحمه الله تعالى وعفا عنه، ولكنه [لـمّا] لم يكن من أهل هذا البيت جعل شرحه المذكور كأسلوب شرح كلام الشعراء، ولم يتقد سراج بصيرته بذلك الزيت، ومصداقه أنه لم يشرح التائيّة الكبرى، التي شرحها كثير من المحقّقين العارفين قبله، وكانوا بها أدرى، وترك أيضاً شرح (ديباجة الديوان)، وأفهم الجميع أن كلام الناظم تغزّل بالغزلان، وأعرض عن المعاني الإلهيّة والإشارات الربّانيّة، مع أنها المقصودة في كلام أهل العرفان. فيا ليته لم يدخل إلى هذه البيوت؛ فإن أبوابها مقفلة على/ [٣/ أ] من لم يلج عالم الملكوت نعم إنه ـ رحمه الله بالهوى، ولكل امرئ ما نوى- ضبط الكلمات والألفاظ، وخدم الأوزان الشعرية والنكات الأدبية؛ فأعجب الحفاظ، ومَنْ ينظر بالألحاظ، فجزاه الله تعالى الجزاء الجزيل، وأثنى عليه الثناء الجميل؛ فإن روائح الحدائق تفوح.

ولقد أخذتني الغيرة الإيمانيّة، وحرّكتني الحمية الربّانيّة على كلام أهل الله تعالى- الذي ليس بشعر ولا من شاعر- أن يُشرح بالمعاني الغزليّة التي عكفت عليها أفهام الغافلين، وأخذت منهم بالمشاعر، كما قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي[2] قدّس الله سرّه:

كلامنا ليس بشعر ولا من شاعر بل وارث مصطفى
أنطقه الله به مثلما أنطق أهل الدّين والاصطفا

(١) الحسن بن محمّد بن محمّد بن حسن الصفّوري البورينيّ، من بورين في ساحل فلسطين. ٩٦٣-١٠٢٤هـ. مفسّر مؤرِّخ أديب شاعر. من تصانيفه الكثيرة: حاشية أنوار التنزيل للبيضاوي، البحر الفائض في شرح ديوان ابن الفارض، انظر معجم المؤلّفين، ج٣ ص٢٩١، المحبّي: خلاصة الأثرج٢ص١٠٥.

(٢) محمّد بن علي بن محمّد، محيي الدين، لقّب بالشيخ الأكبر، ولد في مرسية بالأندلس، ارتحل إلى المشرق. له الكثير من المؤلفات، منها: الفتوحات المكّيّة وهو من أهمّ كتبه و«مواقع النجوم» الذي صدر بتحقيقنا: خالد الزرعي وعبد الناصر سري. وله ديوان شعر شرحه بنفسه، سمّاه: «ترجمان الأشواق».

ولقد نظم الشيخ الأكبر، قدّس الله سره، ديوانه المسمّى «ترجمان الأشواق» بلسان الغزل، ثم قال في شرحه: وكان سبب شرحي لهذه الأبيات أن الولد بدر الحبشي[1] والولد إسماعيل بن سودكين[2] سألاني في ذلك؛ وهو أنهما سمعا بعض الفقهاء بمدينة حلب ينكر أن هذا من الأسرار الربّانيّة والتنزيلات الإلهيّة، وأن الشيخ يتستّر، لكونه منسوباً إلى الدين والصلاح، فشرعت في شرح ذلك. وقرأ عليّ بعضه القاضي ابن العديم بحضرة جماعة من الفقهاء، فلما سمعه ذلك المُنكِر الذي أنكره تاب إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ورجع عن الإنكار على الفقراء وما يأتون به في أقاويلهم من الغزل والتشبيب، ويقصدون بذلك الأسرار الإلهيّة إلى آخر كلامه الدالّ على مقصوده ومرامه؛ فإن لسان الغزل إذا كان كناية عن غيره، والهزل كناية عن الجدّ فلا مُشاحة في الاصطلاح بين أهل الدين والصلاح، فلا يُحمل الكلام إلا على ذلك، ولا يُسلك فيه غير هذه المسالك، ومن لم يعرف الاصطلاح فليُسلِّم؛ فإنه أسلم، والله أعلم.

ولا يخفى أن المعنى الغزليّ المفهوم عند العموم لا يسوِّغ لأحد أن يتّهم أهل الله به، وليتعظ اللبيب الناصح لنفسه وينتبه. ويستحيل عند جميع العارفين بالله تعالى أن يكون مرادهم فيما يتكلمون به غير الله، وقد أشار إلى ذلك العارف الكامل أبو مدين الغوث[3] قدّس الله سره من قصيدة له بقوله عن الحقيقة الإلهيّة:

---

(١) بدر الحبشي: عاش قبل (٦٣٨هـ ـ ١٢٤٠م)، صوفيّ، من آثاره: الانباه على طريق الله، وهو بعض ما سمعه من شيخه ابن عربي. انظر معجم المؤلّفين ج٣ ص٣٩.

(٢) إسماعيل بن سودكين، نسبه إلى نور الدين الشهيد، (ت٦٤٦)هـ. تلميذ ابن عربي، وقد كتب أغلب كتبه. له شعر وله مؤلّفات عديدة، منها في التصوّف:شرح التجلّيات الإلهيّة لابن عربي، ولواقح الأسرار ولوائح الأنوار في سبعة أجزاء، انظر الأعلام للزركلي١٣/ ٣٧٢.

(٣) أبو مدين: شعيب بن الحسين، ولد في إشبيلية وتوفي بتلمسان ودفن فيها سنة٥٩١هـ على اختلاف في سنة الوفاة. شيخ أهل المغرب كبير الصوفيّة فيها، كان من أهل العمل والاجتهاد، منقطع القرين في العبادة والنسك، وكراماته مشهورة. آخر كلامه: الله الحيّ ثمّ فاضت روحه. انظر الوافي بالوفيات ج٥ ص٣٠٨.

عرفنا بها كلّ الوجود ولم نزل إلى أن بها كل المعارف أنكرنا

يعني: فأنكرنا أنّها غير هذه الحقيقة الإلهيّة، وقد أشار إلى ذلك المصنّف قدّس الله سره بقوله:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً قضيتُ بِردَّتي

وذلك لمعرفته بهذه الحقيقة المذكورة، حتى يكاد العارف أن يقول: إن جميع معاني كلماتي الثلاث التي أتكلم بها: الاسم والفعل والحرف هي هذه الحقيقة المذكورة.

وقد أشار إلى ذلك العارف الكبير الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه بأبياته التي في أول ديوانه «ترجمان الأشواق» وهي قوله:

كلُّ ما أذكره من طلل أو ربوع أو مغانٍ كل ما

وكذا إن قلت ها أو قلت يا فأشارات إليها وإمّا

وكذا إن قلت هي أو قلت هو أو هُمُ أو هُن جمعاً أو هما

وكذا إن قلت قد أنجد بي قدرٌ في شعرنا أو أَتْهَما

وكذا الزهر إذا قلت بكت وكذا الزهر إذا ما ابتسما [٣/ب]

أو أنادي بحداة يمّموا بانة الحاجر أو وُرْق الحمى

أو بدور في خدور أفلت أو شموس أو بنات أنجما

أو بروقٍ أو رعود أو صَبا أو رياح أو جنوب أو شمال

أو طريقٍ أو عقيق أو نقا أو خيال أو جبال أو رِمال

أو خليل أو رحيل أو ربا أو غياض أو رياض أو حمى

أو نــــساء كاعبـــاتٍ نهَّـــد   طالعـــات كـــشموسٍ أو دُمـــى

كـــلّ مـــا أذكـــره ممـــا جـــرى   ذكـــره أو مثلـــه إن تفهـــما

منـــه أسرار وأنـــوار جـــلا   أو عـــلا جـــاء بهـــا ركـــب الـــسم

لفـــؤادي أو فـــؤاد مـــن لـــه   مثـــل مـــا لي مـــن شروط العُلـــم

صـــفةٌ علويّـــةٌ قدّســـيةٌ   أعْلمـــتْ أن لـــصدقي قـــدما

فـــاصرف الخـــاطر عـــن ظاهرهـــا   واطلـــب البـــاطن حتـــى تعلـــما

ولله درّ بهاء الدين زهير- الشاعر المشهور- وإن لم يُعرف من هذا الفريق؛ ولكن في بعض شعره رائحة من روائح هذا الزهير حيث قال:

يـــا مَـــن أكابـــد فيـــه مـــا أكابـــده   مـــولايَ أَصـــبرُ حتـــى يحكـــم الله

وقوله (حتى يحكم الله): يمكن أن يكون تعمية هنا، وإنما خطابه لله، فهو يكابد ما يكابده، أي: يجاهد ليشاهد من حضرة الربوبية، أو غيره من الحضرات. والأمر موقوف على حكم الاسم الجامع اسم الله، ثم قال بعده:

ســـميتُ غـــيرَك محبـــوبي مغالطـــة   لمعـــشر فيـــك فـــاهوا بـــها فـــاهوا

أقـــول زيـــد وزيـــد لـــست أعرفـــه   وإنـــما هـــو لفـــظ أنـــت معنـــاه

وكـــم ذكـــرت مـــسمّى لا اكـــتراث بـــه   حتّـــى يجـــرّ إليّ ذكـــراك ذكـــراه

ومن هذا القبيل قول المصنّف قدّس الله سره:

فلـــو قيـــل مـــن تهـــوى وصرحـــت   لقـــالوا كنـــى أو مـــسه طيـــف جِنَّـــة

يعني: كان الغافلون يقولون: كنى عن محبوبته بما ذكر. أو أنه أصابه جنون؛ لأن هذا المراد الذي ذكرنا لا يُسلّم الغافلون أنه ممكن أصلاً، فضلاً عن كونه واقعاً حاصلاً لشخص بعينه؛ لبعد عقولهم عنه بتمكنهم في الإعراض عن الحقّ تعالى،

وتألُّفهم واعتيادهم على إدراك الأغيار، واحتجابهم عن معارف أهل الله تعالى، ذوي الأسرار.

والحاصل: إن شرح كلام أهل الله تعالى كله إنما يُشرح بالله في حقّ الله لا غير. والذي يعدل عن ذلك فقد حرّف الكلم عن مواضعه.

هذا وقد رأينا ما يؤيِّد ما ذكرنا؛ وذلك أنه ذكر الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في الفتوحات المكّيّة، في الباب الثامن والتسعين وثلاث مئة قال: «روينا عن منصور ابن عمار[1] أنه رآه إنسان بعد موته - وكان من الواعظين - فقال له: يا منصور، ما لقيت؟. فقال: أوقفني الحقّ تعالى بين يديه، وقال لي: يا منصور، بمَ تقربت إليَّ؟. فقلت له: كنت أعظ الناس وأذكِّرهم. فقال: يا منصور، بشعر زينب وسعاد تطلب القرب مني، وتعظ عبادي، وذكر لي أشعاراً كنت أنشدها على المنبر مما قاله أهل المحبّة في محبوباتهم. فشدّد عليّ، ثم قال لي: إنّ بعض أوليائي حضر مجلسك، فقلتَ في ذلك المجلس: اللهمّ اغفرْ لأقسانا قلباً، وأجمدنا عيناً. فقال ذلك الوليّ الذي حضر عندك: اللهمّ اغفر لَمن هذه صفته، فاطّلعتُ، فلم أرَ أجمد عيناً، ولا أقسى قلباً منك، فاستجبت فيك دعاء وليّي فغفرت لك». فلا ينبغي أن/[٤/أ] يُنشد واعظ في مجلسه إلا الشعر الذي قصد فيه قائله ذكر الله بلسان التغزل أو بغيره؛ فإنه من الكلام الذي أهلَّ الله به، فهو حلال قولاً وسماعاً؛ فإنه مما ذكر اسم الله عليه ولا ينبغي أن يُنشد في حقّ الله تعالى شعراً قصد به قائله في أوّل وضعه غير الله نسيباً كان، أو مديحاً؛ فإنه بمنزلة من يتوضأ بالنجاسة قربةً إلى الله؛ فإنّ القول في المحدث حدث بلا شك. وقد نبَّه الله في كتابه على هذه المنزلة بقوله:

---

(١) منصور بن عمّار، كنيته أبو السري، أصله من مرو، أقام بالبصرة، وكن من أحسن الناس كلاماً في الموعظة، وكان من حكماء المشايخ. وأسند الحديث، مات ببغداد سنة ٢٢٥هـ. انظر طبقات الصوفيّة ج١ص٤٩.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [٦/ الأنعام/ ١١٩] وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٢١] وقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [٥/ المائدة/ ٣] والشعر في غير الله مما أُهِلَّ لغير الله به، فإنّه للنيّة أثر في الأشياء، والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [٩٨/ البيّنة/ ٥] والإخلاص النيّة. وهذا الشاعر ما نوى بشعره إلا التغزل في محبوبه، أو المديح فيمن ليس له بأهل لما شاهد به فيه. ولقد كتب إليّ شخص من إخواني بكتاب يعظمني فيه؛ بحيث أنه لقّبني فيه بثلاثة وستين لقباً، فكتبت إليه: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [٤٣/ الزخرف/ ١٩] وذكرت له مع هذا في جواب كتابه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «لا أزكّي على الله أحداً ولكن يقول: أحسبه كذا، أو أظنّه كذا»[1]. ويقول الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [٥٣/ النجم/ ٣٢]. فلو نوى جانب الحقّ هذا القائل ابتداءً في أي صورة شاء ربّما كان ذلك القول قربة إلى الله، فإنّ الأعمال بالنيّات، وإنّما لكل امرىء ما نوى؛ فإنّ الله مطّلع على ما في نفس الإنسان، ولله يوم تبلى فيه السرائر، وكلّ ما كان قربة إلى الله شرعاً فهو ممّا ذُكِر اسم الله عليه، وأُهِلَّ به لله. وإن كان بلفظ التغزّل، وذكر الأماكن والبساتين والجوار. وكان القصد بهذا كلّه ما يناسبها من الاعتبار في المعارف الإلهيّة، والعلوم الربّانيّة فلا بأس. وإن أنكر ذلك المُنكِر فإنّ لنا أصلاً نرجع إليه فيه، وهو أنّ الله تعالى يتجلّى يوم القيامة لعباده في صورة يُنكر فيها، حتى يتعوّذوا منها، فيقولون: نعوذ بالله منك لست ربّنا، وهو يقول: أنا ربكم، وهو هو تعالى. وهنا سرّ في تجلّيه، فابحث عنه في معرفة العقائد واختلافها. كذلك هذه الألفاظ وإن كان صورة المسمّى فيها في الظاهر غير الله

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الهبة وفضلها. باب: إذا زكّى رجل رجلاً كفاه، ٢٥١٩ .

ـ وهو خلاف ما نواه به القائل ـ فإنّ الله تعالى لا يعامله إلا بما نواه في ذلك. ويدلّ عليه أحوال القائل، كما قيل: ينظر إلى القول وقائله. يريدون: وحال قائله ما هو. فإن كان وليّاً فهو الولاء وإن خشن، وإن كان عدوّاً فهو البَذاء وإن حَسُن، كما نذكر نحن في أشعارنا؛ فإنها كلّها معارف إلهيّة في صورة مختلفة: من نسيب، ومديح، وأسماء نساء، وصفاتهنّ، وأنهار، وأماكن، ونجوم. وقد شرحنا من ذلك نظماً لنا بمكّة سمّيناه: «ترجمان الأشواق»، وشرحناه في كتاب سمّيناه «الذخائر والأعلاق»؛ فإنّ بعض فقهاء حلب اعترض علينا في كوننا ذكرنا أنّ جميع ما نظمنا في هذا الترجمان إنما المراد به معارف إلهيّة وأمثالها، فقال: «إنّما فعل ذلك لكونه منسوباً إلى الدين، فما أراد أن ينسب إليه مثل هذا الغزل والتشبيب فجزاه الله خيراً لهذه المقالة؛ فإنها حركت دواعينا. فلما وقف على شرحه تاب إلى الله من ذلك ورجع». انتهى كلامه.

هذا وقد رأيت شرحاً آخر على قصائد الديوان، بلسان الإشارة العرفانيّة، وعذب عبارة ذلك اللسان، للشيخ الإمام العامل، والفاضل العلّامة الكامل، الشيخ محمّد العَلمي المقدسيّ[1]، تغمده الله برحمته، أرسله إلى جهتي بعض أولاده، فجزاه الله تعالى الخير على مقصوده ذلك ومراده. وقد أجمل فيه لطائف معاني الديوان، وقفل أبوابه على /[٤/ب] أهل السلوك والعرفان، فإذا جاءها من جهته طارق لم يجد الفتح فيقنع بالإيمان. وجعله ـ رحمه الله تعالى ـ كلَّه بالأسجاع، ولم يُفهمه للقلوب، وأطرب به الأسماع وأعرض عن شرح الديباجة، وعن القصيدة التائيّة الكبرى كذلك، ولم أجد المقاطيع، ولا الألغاز مشروحة فيه، والله أعلم بما هنالك.

---

(١) محمّد العلمي، المقدسيّ، الرفاعي، صوفيّ مشهور، زاهد من أهل الطرق، توفي (١٠١٨)هـ، انظر معجم المؤلّفين ج٣ص٢٨.

ولقد كنت بُرهة من الزمان أتحدث بين الإخوان بكتابة شرح لطيف على جميع الديوان- وإن كان فيه من كلام الغير ما عساه يكون؛ فإنه لأجل عين واحدة تكرم عيون ـ أسلك فيه مسلك الإشارة إلى بواطن المعاني بظواهر المباني،على حسب الفتح الربّانيّ، والفيض الصمدانيّ؛ لينتفع به القاصي والداني، على حسب ما تيسّر لي من الفهوم، وينكشف لي من إشارات العلوم، بمدد الحيّ القيّوم؛ إذ لا مادة لي غير ذلك أستمدّ منه، وأصدر عنه؛ فإنه عمدتي على كلّ حال. ومنه كانت تربيتي في حجور الكمال، فحرّكتني بواعث فضله العميم، وحثتني أيادي إحسانه القديم، أن أشرعُ في تصنيف الشرح المذكور، متكلاً على كرمه الفيّاض، وعلمه الذي تنفد دونه البحور، حتى أمسكت قلم التوفيق، وغمسته في دواة التحقيق، وأجريته على قرطاس الإحساس؛ لأن فيه تذكرة ومتاعاً للناس. وسمّيته: كشف السرّ الغامض في شرح ديوان ابن الفارض. والله المسؤول أن يمنحني عناية من عنده، ويزل لي من عطائه ورفده، وأن يكفيني شرّ الحاسدين، ويرفع عنّي ظلمات بغي المعاندين، وأن يلطف بي في الدارين، ويجعلني من خير الفريقين؛ إنه جواد كريم، غفور رحيم. وقد صحّت لنا - ولله الحمد ـ رواية هذا الديوان المبارك، وجميع ما ثبت للشيخ عمر بن الفارض من القصائد، والمؤلفات، والمرويات. وهو أننا نروي ذلك بعموم الإجازة عن شيخنا الإمام العلّامة، العمدة الفهّامة، والدنا المرحوم الشيخ إسماعيل بن عبد الغنيّ بن إسماعيل.الشهير بالنابلسيّ[1] عن الإمام العلّامة أبي العباس أحمد بن محمّد المقّريّ، التلمسانيّ، المالكيّ،

وعن عمّه قدوة الأئمّة، وسند الأمّة أبي عثمان سعيد بن أحمد المقّريّ، مفتي تلمسان ستين سنة، عن أبي زيد عبد الرحمن بن علي بن أحمد العاصمي المعروف

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الغنيّ بن إسماعيل بن أحمد، الفقيه الأديب. له كتاب الأحكام في شرح الدرر ومقدّمات التفسير. توفي سنة ١٠٦٢هـ. انظر: خلاصة الأثر ج١ ص ٤٠٨.

بسُقَين. ونرويه ـ عالياً ـ عن شيخنا، شيخ الإسلام، مسند دمشق الشام، نجم الدين محمّد الغزّيّ العامريّ عن شيخ الإسلام والده بدر الدين محمّد الغزّيّ العامريّ وهو وسُقَين عن شيخ الإسلام القاضي زكريّا الأنصاريّ، عن شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ الكنانيّ، عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد الغزّيّ، وأبي علي محمّد بن أحمد بن محمّد الفاضليّ، كلاهما عن أبي النون يونس بن إبراهيم الدبوسيّ عن الحافظ زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذريّ، عن ناظمه سلطان العشّاق، شرف الدين أبي حفص عمر المعروف بابن الفارض.

ونرويه أيضاً عن شيخنا علّامة الدنيا أبي الضياء نور الدين علي الشبراملسي الأزهريّ فيما كتبه لي من مصر المحروسة، عن العلّامة نور الدين علي الأجهوري، عن العلّامة نور الدين علي القرافي عن الحافظ جلال الدين السيوطيّ.

ونرويه عن شيخنا النجم الغزّيّ، عن والده البدر الغزّيّ، عن الحافظ السيوطيّ رحمه الله تعالى، قال في شرح يائية ابن الفارض / [٥/ أ] ما نصه: أخبرني بهذه القصيدة وسائر الديوان محمّد بن عقيل، إجازة مكاتبة من حلب، عن أبي طلحة محمّد بن علي بن يوسف الحرّاوي عن الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطيّ، عن الحافظ زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد القويّ المنذريّ، عن الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض، قدّس الله سره. وأخبرني به شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين يحيى بن محمّد بن المناويّ الشافعيّ، إجازة عن قاضي القضاة ولي الدين أبي زُرعة، عن بن الحافظ أبي الفضل العراقي عن أبي الحرم القلانسي، عن أبي حامد محمّد بن الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض، إجازة عن والده صاحب الديوان، قدّس الله سره. ولنشرع في شرح الديباجة أولاً بحسب الإمكان، وبالله المستعان، وعليه التكلان، فنقول، ومن الله القبول.

شرح ديباجة الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

أي: بمعونة الاسم الجامع للأسماء، ابتداء هذا الأمر ليكون الوجود اللفظيّ والرسميّ على طبق الوجود العينيّ والعلميّ، فتنكشف الأمثال المضروبة للحقيقة المطلوبة، فإن أسماء الله تعالى واسطة بين الذات والآثار؛ إذ هي التعيّنات الأزليّة منهما، فإذا وُجد ذلك في اللفظ والرسم فقد طابق العين والعلم.

و(**الرحمن الرحيم**): اسمان مشتقان من الرحمة، وبها ظهر الوجود العينيّ، فتفصّلت جميع الأنواع في الحسِّ والعقل، فمعنى (**بسم الله**): حضرة الغيب، ومعنى (**الرحمن الرحيم**): حضرة الشهادة الدافعة الريب. أو معنى **بسم الله** تحقيق الذات. ومعنى (**الرحمن الرحيم**) ثبوت مراتب الأسماء والصفات. أو معنى (**بسم الله**) حقيقة الوجود، و معنى (**الرحمن الرحيم**) أعيان المقادير والحدود، أو معنى (**بسم الله**) تقدير الأعيان في الأزل. ومعنى (**الرحمن الرحيم**) إيجادها في ما لم يزل. أو معنى (**بسم الله**) حصول الجمع بالحقّ. ومعنى (**الرحمن الرحيم**) التمييز بالفرق. أو معنى (**بسم الله**) إثبات الأكوان بالإيجاد. ومعنى (**الرحمن الرحيم**) تدبيرها على حكم الاستقامة والفساد. أو (**بسم الله**) إشارة إلى عالم الأرواح. و(**الرحمن الرحيم**) إشارة إلى عالم النفوس والأشباح. أو (**بسم الله**) إشارة إلى حضرة الحقّ الفاخرة. و(**الرحمن الرحيم**) إشارة إلى الدنيا والآخرة.

(**الحمد لله**): أي الشكر لمقدِّر الجميع وموجدهم، بحكم اسمه السميع البصير، واللام لاستغراق الجنس، أي: الظهور بالوجود من كل شيء موجود لله تعالى، المطلق دون غيره من جملة القيود (**الذي اختصّ**): أبلغ من خصّ؛ لزيادة المبنى في

متَّحد الصيغة؛ فإنّه يدلّ على زيادة المعنى كقطع وقطّع، بتشديد أحدهما، بخلاف حذَروحاذر.

(حبيبه): أي محبوبه، والمحبّة منه تعالى صفة قديمة تقتضي حضور محبوبه لديه، وخلع حلته، وهي الوجود عليه. والأشياء كلّها حاضرة عنده تعالى من الأزل، وهي في غيب ذواتها، فلمّا نزل إليها بها لوصف المحبّة القائمة به أحضرها عندها، فزال غيبها عنها، فأخبرها أنه يحبّها، وأنّها تحبّه بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فحبّه لها اقتضى حبّها له؛ فإنَّ حبّه لها أثبت أعيانها في التقدير، وحبَّها له وصف أعيانها بالوجود والتصوير، وحبّها له هو عين نزوله إليها بها؛ فهي كلّها مخلوقة من نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ فالمحبيّة والمحبوبيّة له صلّى الله عليه وسلّم؛ فهو المحبّ والمحبوب، وهو كلّ محبّ، وهو كلّ محبوب، والمحبّ هو المحبوب باعتبار النزول إليهم بهم كما ذكرنا؛ فالمحبّ جاهل بالأمر في نفسه، مدّعٍ ما ليس له بين أبناء جنسه، والمحبوب متحقّق عارف، ومن بحر الفضائل غارف؛ ولهذا/ [٥/ ب] قال: (حبيبه) ولم يقل: (محبّه).(الأسنى) من السناء بالمدّ: وهو الرفعة، أو السنا بالقصر: وهو الضياء والنور؛ وهو صلّى الله عليه وسلّم، مرتفع على الجميع؛ لأنّه وجودها الأول، وهي وجوده الثاني، والفرق بينهما بالاعتبار، وهو أيضاً محض النور في حالة الظهور، وإن استعير لما سواه اسم المذكور. قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ١] أي فكان نوراً محمّديّاً محضاً، ثمّ اعتُبر كونه إنساناً فذكر باسم الغير، فصار شيئاً، وهو هالك، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. ثم سمِّي إنساناً لنسيانه نفسه ما هي؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [٣٦/ يس/ ٧٧] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ [٢٠/ طه/ ١١٥]. وهناك ما لا يقال من أسنى الأحوال. (بمقام): متعلّق باختصّ، والمقام يقتضي الدوام والثبوت، والحال للتحول والزوال، ومحمّد صلّى الله عليه وسلّم كان ثابتاً

على قدم الرسوخ؛ فهو صاحب مقام لا حال. (قاب): وهو ما بين مقبض القوس ومدخل الوتر، فلكل قوس قابان أو قاب. أي: قدر، كما يقال: بينهما قَاب قوسَين، وقِيب قَوس، وقَاد قَوْس، وقِيد قوس، أي: قَدْر قَوْس، ذكره الجوهري .(قوسين): تثنية قَوْس، وقيل: إنه من القلب. أراد قابي قوس. (أو أدنى): أي أقرب من ذلك؛ وهو قوله تعالى في قرب محمّد صلّى الله عليه وسلّم منه تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [٥٣-/ النجم/ ٨-٩] أي: دنا منه ربّه؛ لأنه محبوب ربّه، والمحبوب مطلوب لا طالب؛ وهو كمال التحقيق بها الأمر عليه في نفسه، وهوأن الدنوّ من جهته تعالى، ولا شيء من جهة العبد أصلاً. (فتدلّى): أي نزل إليه ربّه بوصفه بالوجود في مقام الشهود. (فكان): أي ربّه تعالى، أو هو عليه السلام (من ربّه): سبحانه. (قاب قوسين): أي مقدار قرب القاب من القوسين إذا وضع كلّ واحد منهما مقابلاً للآخر؛ بحيث تخرج منها دائرة مقسومة بالوترين. وأفرد القاب مع إضافته إلى القوسين؛ فيكون أربعة أقواب، لكل قوس قابان لإرادة الجنس، أو إشارة إلى أن كلّ قاب، أي: طرف من الدائرة المحمّديّة عين الطرف الآخر، فكان الأطراف الأربعة طرف واحد قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣] فهي الأطراف الأربعة، والمبتدأ هو والخبر غير المبتدأ باعتبار، وعينه باعتبار آخر، كقولك: زيد قائم؛ الموصوف بالقيام خبر لقولك زيد، وهو زيد في المعنى. وكذلك هنا فإن النور المحمّدي الذي هو أول مخلوق كما ورد في الحديث: «أول ما خلق الله نور نبيّك يا جابر». ثم خلق منه كلّ ظاهرٍ بالصورة، وكان باطناً بالمادة لعدم اعتبارها في حال اعتبار الصورة، ثم لـمّا أخبر تعالى أنّه هو عين النور المحمّدي باعتبار، وغيره باعتبار كما ذكرنا أخبر أنّه تعالى أيضاً بالنسبة إلى جميع الصور كذلك، فقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣] فظهرت الدائرة المحمّديّة باعتباراتها الأربع، وكان القرب فيها عين قوله تعالى هو في الموضعين، فقال صلّى الله عليه وسلّم بلسان الجمع: «لايزال

عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»[1] وهو عين الدنوّ والتدلّي منه تعالى في قاب القوسين، وهي الأعضاء الأربعة. وقوله **(أو أدنى)**: هو الظهور الذاتي/ [٦/ أ] النافي لمراتب الأسماء والصفات؛ فلا دنو ولا تدلّي، ولجميع مراتب الآثار؛ فلا قاب، ولا قوسين. وهنا انتهى سير الجميع، ومحيت دائرة التربيع، **(وقرن)**: أي الله تعالى. **(اسمه)**: أي اسم محمّد صلّى الله عليه وسلّم. **(الشريف)**: أي الرفيع القدر **(بأعظم أسمائه)** تعالى الحسنى، وهو اسم الله؛ فإنّه الاسم الأعظم على ما عليه الأكثر. ذكر اسمه مع اسمه في الشهادتين، كما ورد في حديث جبريل عليه السلام حين سأله عن الإسلام، فقال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله»[2] إلى آخره.

وهو صلّى الله عليه وسلّم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وكان يوحى إليه عليه السلام بالقرآن وبالسنّة أيضاً، كما ذكرناه في كتابنا: «الحديقة النديّة شرح الطريقة المحمّديّة» **(وأشهد)**: أي أكشف وأعاين. **(أن لا إله)**: أي معبود بغاية الذّل له، وهو معنى العبادة؛ ولهذا ورد في الحديث: «تعس عبد

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: التواضع، ٦١٣٧، عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ ممّا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته». انظر: كتاب سرّ الأسرار للشيخ عبد القادر الجيلاني بتحقيقنا، مشترك، ص١٣٦، ففيه تعليق مفيد على هذا الحديث مفيد وشافٍ للدكتور عبد الكريم اليافي رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب : الإيمان وقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «بني الإسلام على خمس» ٨، كما رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام،١٢. كذلك في باب معرفة الإيمان ج١/ ص١١٤.

الدرهم تعس عبد الدينار»[1]. وهو إشارة إلى أن من أذلّ نفسه لشيء غاية ما يمكنه من الذلّ؛ فقد عَبَدَ ذلك الشيء. والمؤمن صاحب كشف ومعاينة؛ فهو يذلّ لكلّ شيءٍ غاية الذلّ، ولا شيء عنده؛ لأن كلّ شيء هالك، فلا يعبد إلا الله تعالى عن كشف ومعاينة. (**وليّ**): فعيل بمعنى فاعل، أي: متولّي جميع أمور عباده، أي: المؤمنين به كما ذكرنا؛ فالوليّ له الولاية على عبيده وعباده، فلا ينفذ منهم تصرف في ظواهرهم وبواطنهم إلّا بإذنه تعالى، ولا يأذن سبحانه إلا بخير، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٢٨] وقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [٤/ النساء/ ٧٩]. وإذا أراد سبحانه أن يخلق الشرّ أَذِن للنفوس أن تريد، فلا تريد إلا الشرّ فيخلقه لها، وهو قوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [٤/ النساء/ ٧٩]. (**وحبيب**): أي محبوب. (**عبّاده**): بالتشديد، جمع عابد، أي: هو تعالى المحبوب لمن يعبده بالصدق والإخلاص؛ فإنه تعالى يقبل منه عبادته، ويظهر له على حسب استعداده في مقام الأفعال، فيُحسن إليه في الدنيا. فإذا رأى عليه إحسان ربّه أحبّ ربّه تعالى، وكذلك إذا رأى جماله سبحانه في حضرة أفعاله الحسنة. (**وأشهد**): أي أكشف، وأعاين أيضاً. (**أنّ محمّداً**): بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلّى الله عليه وسلّم (**عبده**): أي عبد الله تعالى (**ورسوله**): أي [رسول] الله تعالى إلى كافة العالمين. (**وحبيبه تعالى**): أي محبوبه كما مرّ. و(**خليله**): أي صاحب زيادة محبته الواصلة إلى خُلَّته، وأصلها من التخلّل. والوجود المطلق تخلّل تقديره العدميّ بصفة القيّوميّة عليه، ثمّ كشف له عنه، أو تخلّل التقدير العدمي ذلك الوجود المطلق عن كَشف وشهود بالحال المخصوص؛ فهو خليله، قال عليه السلام: «لو

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاريّ، في صحيحه كتاب: في كتاب الجهاد، باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، ٢٨٨٧، وفي كتاب الرقاق، باب: الحراسة في باب ما يتّقى من فتنة المال، ٦٤٣٥عن أبي هريرة، بلفظ: تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة؛ إنْ أُعطي رضي، وإنْ لَمْ يُعطَ لم يرضَ.

كنت متخذاً خليلاً غير ربّي لاتخذت أبا بكر»[1]. فأثبت خُلّته لله تعالى. وفي نفس الأمر ذلك خُلّة الله تعالى له كما قدّمناه في المحبّة. (صلّى الله): أي أنزل رحمته تعالى العامة بالإيجاد، والخاصة بالإمداد. (وعليه): أي على محمّد رسول الله صلوات الله عليه وسلامه. (وعلى آله): أي أنسابه، وذوي قرابته المؤمنين به صلّى الله عليه وسلّم، أو كلّ مؤمن به إلى يوم القيامة. (الشرفا): جمع شريف.

(وأصحابه): أي كلّ من لقيه عليه السلام مؤمناً به ومات على الإيمان. أو من شهد نوره الساري في الأعيان بأنواع الكشف والبيان، وهو الكامل في الإيمان، والمعرفة والإيقان. وذلك باق إلى يوم القيامة، كما أشار صلّى الله عليه وسلّم إلى ذلك بقوله: «إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني»[2] . رواه أحمد بن حنبل: ٢٣١٩٦، والبخاري: ٦٣٧، ومسلم: ١٣٩٥، وأبو داوود: ٥٣٩، والنسائي: ٦٩٥، عن أبي قتاده يخاطب عليه السلام بذلك أصحابه إلى يوم القيامة./ [٦/ ب]

(الخلفاء) بالخاء المعجمة، جمع: خليفة، وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ؛ رضي الله عنهم، وورثتهم في مقام الكمال الاختصاصي إلى يوم القيامة. (والحلفاء): بالحاء المهملة، جمع: حليف. بمعنى المحالف، أي: المعاهد؛ يعني: المعاهدين له على نصرة الدين، ودوام القيام بالطاعة واليقين؛ وهم بقيّة الصحابة، وأتباع أهل الإرشاد والتسليك في مقام الإحسان إلى آخر الزمان. (وعلى إخوانه): صلّى الله عليه وسلّم. (من الأنبياء): فيشمل المرسلين منهم عليهم السلام، ومن اتبعه ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في كماله الظاهر والباطن. (من الأولياء): أصحا ب الدوائر الكبرى. قال عليه السلام: «وددت أني لقيت إخواني

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبيّ: لو كنت متّخذاً خليلاً، ٣٦٥٧.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الأذان، باب متى يقوم الناس إذا رأوا الإمام عند الإقامة، ٦٣٧، ٦٣٨.

الذين آمنوا بي ولم يروني»[1] رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك، أي: لم يروني في العالم الجسمانيّ.

(**صلاة**): مصدر مؤكّد لقوله صلّى. (**تنشر**): بالبناء للمفعول أو بالبناء للفاعل. (**نفحاتها**): مرفوع أو منصوب: أي نفحات الصلاة؛ يعني: (**تفوح**) جمع نفحة: وهي الرائحة الطيّبة: (**على أرواحهم**): أي أرواح الآل، والأصحاب، والأنبياء، والأولياء. (**الطاهرة**): من دنس الارتياب والشكوك، ووسخ المعاصي والذنوب بالتوبة في عامّة الأصحاب والأولياء، وبالعصمة في الأنبياء، وبالحفظ في خاصّة الأصحاب والأولياء. (**وتسبغ**): بالبناء للمفعول، أو للفاعل من أسبغ: إذا عمّ وشمل، يقال: درع سابغة، أي تعمّ وتشمل، أو تعمِّم وتمم. (**نعمها**): أي الصلاة: جمع نعمة، أي: النعم الحاصلة من الله تعالى بسببها. (**عليهم**): أي المذكورين. (**باطنة**): أي تلك النعم، حال من النعم. و(**ظاهرة**) كذلك. قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [٣١/ لقمان/ ٢٠] وعكس هنا لأجل القافية في السجع، ولأنّ هذا الكتاب في علم الباطن، وليشير إلى أنه أهمّ بالنظر إلى العابد الذي أتقن الظاهر؛ فإتمام النعم في الباطن بالإسلام والإيمان والإحسان، وبما فوق ذلك من المراتب الحسان، وغيرها من الأخلاق الكاملة، والخصال الفاضلة. أو باطنة قبل ظهورها من حضرة التقدير في علم القدير، بتقديرها من الأزل، وإتمامها في الظاهر بالأرزاق المحسوسة، والسلامة من الآفات الدنيويّة والأخرويّة، والحفظ من المعاصي ونحو ذلك. (**أو ظاهرة**): بعد إيجادها من تقديرها الأزلي. (**وسلّم**): بصيغة الماضي، معطوف على صلّى. (**تسليماً**): مصدر مؤكد للفعل، وقد جمع بينها

---

(١) رواه أحمد في مسند أنس بن مالك، ١٢٩١٥، ج٢٦، ص٤٤٨. وأخرج بن عساكر عن البراء، بلفظ: وددت أنّي لقيت إخواني. قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك، قال: أنتم أصحابي، وإخواني قوم يجيئون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ثمّ قال: يا أبا بكر، ألا تحبّ قوماً بلغهم أنك تحبّني، فأحبّوك بحبّك أياي، فأحبّهم، أحبّهم الله.

لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٥٦]؛ فتأكيد الصلاة هنا لزيادة التثبيت من امتثال الأمر، ولا تأكيد في الآية لعدم الحاجة إليه. وتأكيد السلام فيهما مخافة التهاون بالاكتفاء بأحدهما في حصول كمال الأجر والثواب، وإلّا فإنها سواء في الاجتزاء كما روى النسائي بإسناده إلى أبي طلحة: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاء ذات يوم والبِشر في وجهه، فقلنا: إنّا لنرى البشر في وجهك. فقال: «إنّه أتاني الملك، فقال: يا محمّد، إنّ ربك يقول: أما يرضيك أنّه لا يصلّي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً»[1]. **(تحمله)**: أي ذلك التسليم. الملائكة عليهم السلام **(وتبلّغه)**: أي ذلك التسليم. **(إلى أرواحهم)**: أي المذكورين.

(الطيبة المباركة): نعتان للأرواح وجميع الملائكة، باعتبار الأشخاص من الطرفين، وإلا فإنه ملك واحد. والوارد في الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ لله تعالى ملكاً أعطاه سمع العباد؛ فليس من أحد يصلّي عليَّ إلا أبلغنيها / [٧/ أ] وإني سألت ربِّي ألا يصلّي عليَّ عبد صلاة إلا صلّى عليه عشر أمثالها»[2] رواه الطبرانيّ عن عمار بن ياسر. وفي رواية أبي داوود قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «صلّوا عليَّ وسلّموا يبلغني حيث كنتم»[3].

---

(١) رواه أحمد في مسند أنس بن مالك،١٢٩١٥، ج٢٦ص٤٤٨. وأخرج بن عساكر عن البراء، ٢٥٢٦٥، بلفظ: «وددت أنّي لقيت إخواني. قالوا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟. قال: أنتم أصحابي، وإخواني قوم يجيئون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ثمّ قال: يا أبا بكر، ألا تحبّ قوماً بلغهم أنّك تحبّني فأحبّوك بحبّك أياي، فأحبّهم، أحبّهم الله».

(٢) رواه الطبرانيّ في الجامع الصغير، ١٠١٢، عن عبيد الله بن عمر بلفظ: «إنّ جبريل أتاني فقال: من صلّى عليك من أمّتك واحدة صلّى الله عليه عشراً، ورفعه عشر درجات». كما ذكره السيوطيّ في الحبائك في أخبار الملائك، باب: الملك الموكل بالقرآن عليه السلام، ج١، ص١٢١. قال عنه الألبانيّ: حسن، انظر الصحيح الجامع للألبانيّ، ٢١٧٦.

(٣) قطعة من أحاديث كثيرة جدّاً، أقتصر منها بما أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الصوم باب: فضل الصوم، ١٨٩٤.

(قال الفقير): أي المفتقر بمعنى المحتاج إلى ربّه تعالى في جميع أحواله. ومتى وجد في نفسه أنه استغنى عن ربّه تعالى بشيء ولو بنفسه فليس مفتقر. قال صلّى الله عليه وسلّم: «والذي نفسي بيده»[1]. وإذا كانت نفسه بيد الله تعالى، فجميع أحواله كذلك. **(المعترف)**: أي المقرّ بذنبه: أي بكونه مذنباً. **(المغترف)** بالغين المعجمة، أي: المتناول بيده. **(من نهر عطاء)**: أي فضل وكرم **(ربه)**: سبحانه. إقراراً منه بالنعم الإلهيّة بعد الإقرار بالإساءة والمخالفة، الشيخ الإمام الكامل **(عليّ)**: اسمه. **(سبطه)**: أي ابن بنت **(الشيخ)** العارف بالله تعالى، الكامل: **(عمر)** بن أبي الحسن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبي حفص. أو أبي القاسم، [المنعوت بشرف الدين][1] **(بن الفارض)**. ويقال: ابن المفرِض. قدم أبوه من حماة إلى مصر فقطنها، وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام. ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض. ثم وُلد له بمصر الشيخ عمر المذكور في ذي القعدة سنة ست وخمسين أوستّين وخمسمئة. نشأ تحت كنف أبيه في عفاف، وصيانة، وعبادة، وديانة؛ بل زهدٍ، وقناعة، وورع. أسدل عليه لباسه وقناعه. فلما شبّ وترعرع اشتغل بفقه الشافعيّة. أخذ الحديث عن الحافظ ابن عساكر[2]، وأخذ عنه الحافظ

---

(١) العبارة من المطبوع.

(٢) ابن عساكر، توفي سنة ٥٧١، قال ابن كثير في البداية والنهاية: ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر، أبو القاسم، الدمشقيّ، أحد أكابر حفّاظ الحديث، ومن عُني به: سماعاً، وجمعاً، وتصنيفاً، واطّلاعاً، وحفظاً، لأسانيده ومتونه، وإتقاناً لأساليبه وفنونه. وصنّف تاريخ الشام في ثمانين مجلّداً. وقد ندر على من تقدّمه من المؤرِّخين، وأتعب من جاء بعده من المتأخّرين. له أطراف الكتب الستّة، والشيوخ النبل، وتبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعريّ. وغير ذلك من المصنّفات الكبار والصغار. ومات في الحادي عشرمن رجب، وله من العمر اثنتان وسبعون سنة. وحضر السلطان صلاح الدين جنازته. ودفن في باب الصغير.

المنذريّ[1] وغيره. ثمّ حبّب إليه الخلاء، وسلوك طريق الصوفية؛ فتزهّد، وتجرّد. ذكره المناويّ[2] في «طبقات الأولياء». وذكر أيضاً في آخر ترجمة الشيخ الأكبر أنه ذكر البسطاميّ[3] أنّ ابن الفارض والصدر القونويّ[4]. أخذا عن الشيخ الأكبر ابن العربي قدّس الله سرّهم وجعل الجنّة مقرّهم. **(الراجي كرم ربه)** تعالى. **(الفائض)**: أي الكثير الوافي. **(عفا الله)**: تعالى **(عن أخطائه)**: أي على سبط الشيخ. **(وعمده)**: في جميع أحواله الظاهرة والباطنة. **(وتداركه)**: سبحانه. **(برحمة من عنده)**: تعالى.

(نظرت وما بعده): مقول القول **(في نسخة من ديوان شيخنا)**، وهو جدّه لأمه. **(قدّس)**: أي طَهُر من دنس الأغيار. **(الله)** تعالى.(سرّه): أي قلبه. **(وشرح)**: أي كشف وأبان الله تعالى. (صدره له): وهو وعاء القلب، فلم يشغل حواسه الباطنة والظاهرة عن نفسه بشاغل، فصار صدره مكشوفاً له. ثُمّ أطلق ذلك على مجرد التمتع والاستلذاذ **(بالنظر إليه)**: أي إلى الله تعالى. يعني: برؤيته سبحانه بالقلب

---

(١) الحافظ المنذريّ، قال ابن الغزّيّ في كتاب ديوان الإسلام، باب في الأنساب: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، الحافظ، الزاهد، المحدّث، الشيخ أبو محمّد المصريّ، الشافعيّ، مؤلّف كتاب الترغيب والترهيب، وشرح التنبيه، ومختصر صحيح مسلم، ومختصرسنن أبي داوود، وغيره، توفي سنة ٦٥٦هـ.

(٢) المناويّ، محمّد بن عبد الرؤوف المناويّ، أحد كبار العلماء بالدين والفنون، جدّه من قبل الأمّهات الحافظ زين الدين العراقيّ، وجدّه لأبيه قاضي القضاة يحيى المناويّ، كما ذكر في مقدمة كتابه «فيض القدير في شرح الجامع الصغير». من كتبه: الكواكب الدرّيّة في تراجم السادة الصوفيّة توفّي سنة ١٠٣١هـ.

(٣) البسطاميّ، أبو الفضل، محمّد بن علي.

(٤) قال الصفديّ في الوافي في الوفيات ج٢ ص٢٣٣: «صدر الدين القونويّ، محمّد بن اسحق بن يوسف، الشيخ الكبير، صدر الدين أبو عبد الله، صحب الشيخ محيي الدين بن عربي، وله تصانيف في السلوك: النفحات، و تحفة الشكور، وتجلّيات، و تفسير الفاتحة في مجلّدة. توفي بقونية سنة اثنتين وسبعين وستمئة وهو ابن اثنتان وثلاثون». وهو ربيب ابن عربي، توفي سنة ٦٧٢هـ.

في الدنيا، وبالعين في الآخرة. (وسرَّه): من السرور، وهو الفرح. أي: أفرحه بذلك. قال الشيخ عبد الرؤوف المناويّ في طبقاته في ترجمة الشيخ رحمه الله تعالى: «وناهيك بديوانه الذي اعترف بحسنه الموافق والمخالف والمعادي والمحالف، سيّما القصيدة التائيّة. وقد اعتنى بشرحها جمع من الأعيان. وعلى الخمريّة وغيرها عدة شروح. وقال بعض أهل الرسوخ إن الديوان كلّه مشروح. وقد أثنى على ديوانه حتى من كان سيء الاعتقاد فيه، منهم ابنُ أبي حجلة[1] الذي عزره السراج الهندي[2] بسبب الوقيعة فيه. فقال هو من أرق الدواوين شعراً، وأنفسها دُراً، برّاً، وبحراً، وأسرعها للقلب جرحاً، وأكثرها على الطول والطلول نَوْحاً؛ إذ هو صادر عن نفثة مصدور، وعاشق مهجور، وقلب بحَرِّ النوى مكسور. والناس يلهجون بقوافيه، وما أودع من القوى فيه. وكثر حتى قلَّ من لا رأى ديوانه، أوطنت بأُذنيه قصائده الطنّانة. قال الكمال الأدفوي[3]: وأحسنه القصيدة الفائيَّة / [٧/ ب] التي أولها: (**قلبي يحدثني بأنك متلفي**)، واللاميّة (**هو الحبّ فاسلمْ بالحشى ما الهوى**

---

(١) قال في معجم المؤلّفين، ج٢ص٢١٠: أحمد بن يحي بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجلة التلمسانيّ، المعروف بابن أبي حجلة (شهاب الدين، أبو العباس) أديب ناظم، ناثر. ولد بتلمسان، وقدم القاهرة، ودخل دمشق، ثم قدم إلى الحج فلم يرجع، وتوفي في ذي الحجة. من آثاره: سكردان السلطان، أدب الغصن، أطيب الطيب، منطق الطير، وديوان الصبابة.

(٢) السراج الهنديّ، عمر بن اسحاق، سراج الدين الهنديّ، قاضي قضاة الحنفيّة، من مدينة دهلي، قدم القاهرة، كان واسع العلم، كثير الإقدام والمهابة، يتعصّب للصوفيّة الاتحاديّة، عزّر ابن أبي حجلة، لكلامه في ابن الفارض، ولايته نحو أربع سنين. وله شرح المغني، والهداية، وبديع الساعاتي، وتائيّة ابن الفارض. كان يكتب بخطّه مولدي سنة أربع وسبعمئة. انظر «أنباء الغمر بأبناء العمر» لابن حجر العسقلانيّ.

(٣) الكمال الأدفوي: قال ابن حجر العسقلانيّ في «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، باب حرف الجيم، ج١ص١٨٢: جعفر بن ثعلب بن جعفر بن علي المطهر بن نوفل، كمال الدين أبو الفضل الأديب الشافعيّ، ولد سنة ٦٨٠هـ، لازم ابن دقيق العيد وغيره، كان عالماً فاضلاً متقلّلا من الدنيا. توفي ٧٤٨هـ. انظر طبقات الشافعيّة للسبكي ٩/ ٤٠٧.

سهلُ)، والكافيّة التي أولها (**تِهْ دلالاً فأنت أهل لذاكا**)[1]» انتهى.

وقال بعضهم: إن كلام الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله تعالى دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق، ولا يُشكل ذلك بكلام الملائكة والنبيين عليهم السلام؛ لأنه من كلام الخالق. أمّا الملائكة عليهم السلام فلقوله تعالى: ﴿**وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ**﴾ [٢١/الأنبياء/ ٢٧]. والكلام من العمل؛ فهو بأمر الله تعالى، لا بأمر نفوسهم بمنزلة الكلام اللفظيّ القرآنيّ الذي ليس هو من تأليف المخلوقين. وأمّا الأنبياء عليهم السلام فكان يوحى إليهم بالسنّة، كما يوحى إليهم بالكتاب. قال الله تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ**﴾ [٥٣/ النجم/ ٣و٤]. ولا يشكل أيضاً بكلام غيره من الخلفاء العارفين من الصحابة وغيرهم؛ لأن علوّ الكلام لا يقتضي علوّ المقام. (**فرأيت النسّاخ**): جمع ناسخ، وهو الكاتب؛ أي الذين كتبوا الديوان. (**جهلوا بعض كلامه**): أي الديوان. (**وما عرفوه**) لقصورهم عن ذلك. (**واشتبه**): أي دخل في أشباهه. فالتبس (**عليه شيء من جِناسه**) البديعي. (**فصحّفوه**): أي غيّروه وبدّلوه. (**وأخرجوه بذلك**): أي بسبب التصحيف. (**عن أصله**) الصحيح. (**ولم يردّوه**): أي يرجعوه. (**إلى أهله**) العارفين به. (**فاستخرت الله تعالى**): أي طلبت منه الإرشاد إلى ما هو الخيرة من أمري. وللاستخارة صلاة معروفة؛ فقد يراد بذلك فعل الصلا ة والدعاء الذي يذكر بعدها. (**واستعنت**): أي طلبت المعونة. (**به**) تعالى (**في تحرير**): أي تصحيح وضبط. (**هذه النسخة**) من الديوان (**المباركة**): أي ذات البركة؛ وهي النماء والخير.

(**وسلكت فيها**): أي في هذه النسخة (**بكلامه**): أي الديوان، أو الشيخ رحمه الله تعالى. (**مسالكه**): أي مسالك الكلام بردّ كلّ شيء إلى أصله. (**معتمداً في ذلك**) السلوك المذكور (**على نسخة**) من الديوان صحيحة كانت (**عندي من أثره**): أي

---

(١) انظر طبقات الأولياء للمناوي ج٢ ص٢٢٤ مخطوط.

الشيخ قدّس الله سرّه. (**محررة**): أي مضبوطة. (**وصحفُها**): جمع صحيفة، أي صفحاتها وأوراقها. (عن التحريف) بتغيير الحركات. (**والتصحيف**) بتغير النقاط بالزيادة أو النقصان، كجعل الباء ياءً أو تاءً أو ثاءً وبالعكس. (**مطهّرة**): أي خالية من ذلك. (**تلقيتها**): أي تلك النسخة الصحيحة. (من **ولده**): أي ولد الشيخ عمر صاحب الديوان. (**سيدي الشيخ كمال الدين**) لقبه (**محمّد**). اسمه ابن الشيخ عمر الفارض (**جمع الله**): تعالى. (**بينهما**): أي بينه وبين أبيه (**عنده**) سبحانه. (**في مقعد**): أي موضع قعود. يعني: دوام واستقرار على (**صدق**) في جميع الأحوال.

(**وحبذا**): أي حبب إليّ ذا، ثمّ أطلقت وأريد بها مطلق المدح. (**ذلك المقعد**) الذي هو مقعد الصدق. (**وقرأت عليه**): أي على ولد الشيخ المذكور. (**ما فيها**): أي في تلك النسخة. (قراءة تصحيح) للألفاظ. (**وحفظ**) للمعاني. (**وسمعته**): أي ابن الشيخ المذكور. (**يورده**): أي ما في تلك النسخة. (**بأعذب لغة**): أي بلفظ أعذب ما يكون من الألفاظ. أي أحلى ما يكون. (**وأخبرني أنه**): أي ابن الشيخ المذكور. (**قرأه**): أي ما في تلك النسخة. (**وسمعه كذلك**): أي بالصفة التي كان يوردها (**على الشيخ**) عمر (**والده**) قدّس الله روحهما. (**ولم تفتْه سوى قصيدة واحدة**) من قصائد والده. (**كان نظمها**) والده رحمه الله تعالى. (**في حال التجريد**) عن العلائق الدنيويّة، والانقطاع إلى عبادة ربّ البريّة. (**بالحجاز**): أي في بلاد الحجاز. (**بأودية**): جمع وادي. (**مكّة**) المشرّفة . (**وجبالها**): جمع جبل، أيام مجاورته هناك. (**وكان أهل مكّة يعلِّمونها**): أي تلك القصيدة. (**لصغار أولادهم في المكاتب**): جمع مكتب؛ وهو البيت/ [٨/ أ] الذي فيه تعليم الأطفال الكتابة وقراءة القرآن. (**وينشدونها**): أي تلك القصيدة. (**في وقت الأسحار**) جمع سحر؛ وهو آخر الليل، قبيل الفجر على (**المواذن**): جمع مِئذنة بكسر الميم: موضع الأذان. (**ولم أرها**): أي تلك القصيدة في نسخة من (**ديوانه**): أي ديوان والده. (**لأنه**): أي والده رحمه الله تعالى. (**نظمها**): أي

تلك القصيدة **(بالحجاز)** في مكّة المشرّفة. **(والديوان أملاه)**: أي أنشأه وأنشده. **(بالقاهرة)**: أي مصر المحروسة. **(عند مقامه)**: أي إقامته **(بها)**: أي بالقاهرة. **(بعد)**: تمام حال **(التجريد)** ورجوعه إلى وطنه الأصليّ. ولم تكن معه إذ ذاك تلك القصيدة. **(وقال ولده)**: أي ولد الشيخ المذكور رحمه الله تعالى. **(ولي أتطلبها)**: أي تلك القصيدة. **(مدة سنين)** كثيرة. **(ولم أجدها)**: أي القصيدة. **(عند أحد من أصحاب الشيخ)**: والده رحمه الله تعالى **(ولم أذكر)**: أي أتذكر. **(منها)**: أي من القصيدة. **(سوى هذا البيت وهو)**: أي **(مطلعها)**: أي القصيدة كما سنشرحه في موضعه إن شاء الله تعالى:

أبــرقٌ بــدا مــن جانــب الغــور لامــع　　　أم ارتفعــت عــن وجــه لــيلى البراقــع

وقال سبط الشيخ محرر نسخة هذا الديوان: **(عهد إليّ)**: أي أوصاني. **(ولده)**: أي ولد الشيخ **(رحمه الله)** تعالى **(أنْ اجتهد في طلبها)**: أي القصيدة **(وأنْ اجمع شملها بأخواتها)** : أي القصيدة في ديوان أدبها. **(فاجتهدت في ذلك)**: أي في طلبها. **(كلّ الاجتهاد)**: أي غاية ما يمكنني منه. **(فلم أرها)**: أي القصيدة **(في إنشاء)**: أي ضمن كلام مؤلّف لأحد من الناس **(ولا سمعتها)**: أي القصيدة. **(في إنشاد)**: أي ينشدها أحد أصلاً. **(ولي أتطلبها)**: أي القصيدة **(من)** مدة **(أربعين سنة)**. وقد **(استسننت)**: أي طلبت عمل السنّة. يعني: الطريقة المسلوكة **(في التذييل)**: أي جعل الذيل. يعني: التكميل **(على هذا البيت)** المذكور حتى يصير قصيدة مستقلة. **(سنّة)** مفعول لقول استسننت مؤكد له. **(حسنة)** نعت لسنّة. وطرقت **(الكثير)** من قولهم: طارق خير لمن يطرق الباب. **(أبيات)** جمع بيت. **(قصائده)**: أي الناظم رحمه الله تعالى. يعني: تأملتها وافتكرت في معانيها وأساليب نظامها لأحذو على حذوها في التذييل المذكور. **(والتمست)**: أي طلبت **(منها)**: أي من أبيات القصائد الحالة **(الحسنى)**: تأنيث الأحسن **(من حسن**

مقاصدها): أي الناظم قدّس الله سرّه. (**المسؤول**): أي المطلوب. (**منه فتوة**): أي كرم. (**من وقف**): أي اطّلع (**على هذا التذييل**) المذكور في نسخة هذا الديوان. (**أن يسبل**): أن يرخي (**عليه**): أي التذييل. (**ذيل ستره الجميل**): أي الحسن، كناية عن الإعراض عمّا لا يصلح من ذلك، وعدم التحدث به. (**فمن أين لي**): أي كيف يمكنني (**أن آتي بمثل ذلك النظم البديع**): أي المبتدَع، بصيغة اسم المفعول. يعني: المخترَع الذي لم يسبقه أحد إلى نظيره. (**وهل يبلغ**): أي يدرك (**الضالع**): وهو البعير الأعرج. (**شأو**): أي غاية.

(**الضليع**) وهو الفرس التامّ الخلق، الغليظ الألواح الكثير العصب، كذا في القاموس. (**فنسأل الله تعالى**): أي نطلب منه سبحانه (**المسامحة**) عمّا قصدناه من دعوى المحاكاة لنظم الأصل، أو من ذكر غير نظم صاحب الأصل في جملة نظمه وإن وقع التصريح بأنّه من غير نظمه، (**وأن يرشدنا**): أي يدلنا ويوصلنا. (**في محبته**): أي ناظم الديوان قدّس الله سرّه. إلى حصول (**الأنفاس الصالحة**): أي الحسنة المرضية في محاكاة النظم ومجاراته. وبحمد الله تعالى (**ما خرج التذييل**): أي التكميل (**على هذا البيت**) المذكور حتى يصير قصيدة عن كونه/ [٨/ ب] صادراً من أهل هذا البيت (**المصون**): أي المحفوظ من طوارق الأغيار في الليل والنهار. (**وأتلو**): أي أقرأ عند (**سماعه**): أي هذا التذييل: ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ [٣٦/ يس/ ٢٦]. وهو اكتفاء من الآية لإفادة معنى المدح للتذييل المذكور. أي: يا ليت قومي يعلمون به كما علمته لكمال شرفه. (**وقد أثبتُّ**) بتشديد التاء مضمومة. (**قصيدته**): أي التذييل. يعني: جعلتها ثابتة في أواخر هذه النسخة من الديوان (**بعد ذكر قصائد**): جمع قصيدة (**الشيخ**): صاحب الديوان قدّس الله سره. (**المطوَّلة**): أي الطويلة دون المقاطع القصيرة. (**وجعلتها**): أي تلك القصيدة. (**معهم**): أي مع بقيّة القصائد التي للناظم رحمه الله تعالى على طريقة الاستعارة والتشبيه بمن يعقل، حيث جعل لذلك معية وسبقاً، وإلا فالقياس

معها. **(آخرة)**: أي متأخرة عنهم في الذكر. **(وإن كانت)**: أي تلك القصيدة. **(لهم)**: أي لتلك القصائد. **(في السبق)**: مبالغة في المدح لها؛ لأنّها حصلت ببركة أنفاس الناظم قدّس الله سره. **(أوّلة)**: أي متقدمه لتكون علة لجعلها آخرة. **(لأخواتها)** من تلك القصائد. **(ختاماً)**: أي خاتمة لهم. وتكون أيضاً على **(قلب سامعها)**: أي تلك القصيدة **(برداً)** بحيث تبرد غلته من طلب تلك المفقودة لقنعه عنها بهذه الموجودة **(وسلاماً)**: أي أماناً من الهمِّ والحزن. **(ثم بعد ذلك)**: أي بعد تمام التذييل المذكور. **(وجدت القصيدة)**: أي المذكورة أنها من نظم الشيخ قدّس الله سرّه. **(التي كانت)**: أي تلك القصيدة من هذا الديوان. **(مفقودة الصورة)**: أي لا وجود لصورتها فيه. **(وذكرت سبب رجوعها)**: أي القصيدة المفقودة في آخر الديوان كما يأتي إن شاء الله تعالى.

(وسبب إشراق شمسها): أي القصيدة. **(بعد غروبها عن ربوعها)**: أي موطنها من بقية القصائد التي في الديوان. **(وأثبتها)**: أي تلك لقصيدة. **(بعد ذكر السبب)** لرجوعها **(في آخر هذا الديوان المنتخَب)**: بصيغة اسم المفعول. **(من الانتخاب)** بالخاء المعجمة، أي: الانتقاء.**(وأخبرني ولده)**: أي ولد الناظم رحمه الله تعالى، أنّه **(قابل)**: أي صحح **(وضبط نسخته)** من الديوان **(المشار إليها)** فيما سبق **(على نسخة)** أخرى **(كانت)**: أي تلك النسخة **(عنده)**: أي عند ولد الشيخ. **(بخط الشيخ)** بيده **(رضي الله عنه)**. **(و)** أخبرني ولده أيضاً **(أن ابن شيخ الشيوخ)** بمصر. **(استعارها)**: أي تلك النسخة التي بخط الشيخ رضي الله عنه. **(منه)**: أي من ولد الشيخ. **(وحلف)**: أي أقسم بالله تعالى **(له)**: أي لولد الشيخ الناظم. **(أنّه)**: أي ابن شيخ الشيوخ **(يعيدها)**: أي النسخة **(إليه)**: إلى ابن الشيخ الناظم. **(ولم يردَّها)**: أي النسخة **(بعد ذلك)**: أي بعد القسم المذكور. **(عليه)**: أي على ابن الشيخ الناظم رحمهم الله تعالى. **(أخبرني الشيخ أبو القاسم المنفلوطيّ)**: نسبة إلى منفلوط من بلاد الصعيد بمصر عندما حضر من بلاد **(منفلوط إلى)** مصر

(**القاهرة في سنة خمس وثلاثين وسبع مئة**) من الهجرة النبويّة. (**أن النسخة**) من الديوان (**المذكورة**): أي التي هي بخط الشيخ قدّس سره (**موجودة عنده الآن**): أي في ذلك الوقت. (**وهي**): أي النسخة. (**معه**): أي مع الشيخ أبي القاسم المذكور بالقاهرة. (**وأنها**): أي النسخة (**اتّصلت إليه**): أي إلى أبي القاسم المذكور من (**أسلافه**): أي آبائه وأجداده. (**واتّصلت**): أي تلك النسخة. (**إلى أسلافه من الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور**) رحمه الله تعالى. (**ووعدني أنّه يحضرها**): أي النسخة. (**إليّ**): أي يطلعني عليها. (**وسافر**): أي أبو القاسم. (**إلى بلاد منفلوط ولم يحضرها**): أي النسخة إليّ. (**وبلغني أن الشيخ أبا القاسم**): المذكور (**شيخ زاوية**) على جماعة من المريدين بالبلدة المذكورة، وهي منفلوط. (**وله**): أي/ [٩/ أ] لأبي القاسم المذكور. (**فيها**): أي في الزاوية، أو البلدة. (**صولة**): أي سلطة (**مشهودة**) على المريدين. (**وقد صارت هذه النسخة**) المشروع في عملها (**لهما**): أي للنسختين المذكورتين: النسخة التي تلقّاها من ولد الشيخ، والنسخة التي هي بخط الشيخ، رحمهما الله تعالى. (**ثالثة، ولصحتهما**): أي النسختين المذكورتين. (**وارثة لأنها مؤلّفة منهما والله الموفق للسداد**): بفتح المهملة؛ وهو الصواب، والقصد من القول والعمل. و رجل مُسدّد: إذا كان يعمل بالسَّدَاد، والقصد السَّدَاد والاستقامة. وكذلك السَّدَد مقصور عنه، ذكره الجوهري في الصحاح . (**والهادي**) من الهداية: وهي الدلالة والإيصال. (**إلى الرَّشَاد**): وهو خلاف الغَيّ، وقد رَشَدَ بالفتح يَرْشُدُ رُشْداً بالضمّ، ورَشِدَ يَرْشَدُ رَشَداً لغة فيه، وأَرْشَدَهُ الله، ذكره الجوهري. (**وأودعت**): أي ذكرت. (**في صدرها**): أي هذه النسخة الثالثة.

(**أسراراً**) جمع سر: وهو الأمر الخفي. والمراد به العظيم الجليل. (**من كراماته**): أي الشيخ الناظم قدّس الله سرّه، وهي جمع كرامة: اسم للأمر الخارق للعادة الذي يخلقه الله تعالى للوليّ تكريماً له؛ لأنّه آثر الاستقامة على منهج الصواب وحسن الحال المرضي عند الله تعالى؛ فهي في حياة الوليّ وبعد وفاته. (**المشهورة**)

بين الناس. ومن بيان **(حسن شكله)**: أي هيئته. **(الذي خلقه الله تعالى)** عليه **(في أجمل صورة)** من صور الجمال المتحلّية بملابس الكمال. **(وَمَنْ فهم معاني كلامه)**: أي الشيخ الناظم قدّس الله سرّه بالفهم الربّانيّ، والإلهام الصمدانيّ. **(دلّت معرفته)** التي تحصل عنده. **(على مقامه)**: أي مقام الناظم، رحمه الله تعالى، فيعرف شرف ما كان عليه من أنواع الكمال في تجلّيات الجلال والجمال. **(ومن اختصه الله تعالى)**: من بين قومه. **(بمحبّته)** سبحانه **(وأُنسه)**: أي الأنس به تعالى **(يعرف المحبّ)** لله تعالى **(بين أهل المحبّة)** الإلهيّة **(من جنسه)** لأنه جانسه وشاكله فيعرفه. ومن لا يكون كذلك فلا يعرف المحبّ، قال الشاعر:

فاز باللذة أرباب الهوى ... فهو حلو وعذاب الحبِّ عذبُ

ولأهل العشق عذر واضح ... وعلى من لم يمت في الحبّ عتب

فلذيذ الحبّ لا يعرفه ... أحد في عمره إلا المحبّ

وقال عمارة اليمني[1] من قصيدة له:

من كان لا يعشق الأجياد والحدقا ... ثمّ ادّعى لذّة الدنيا فما صدقا

في العشق معنى لطيف ليس يعرفه ... من البرية إلا كل من عشقا

(وقد جعل): أي الله تعالى **(المحبّين له)** سبحانه. **(خزائن)**: جمع خِزانة بكسر الخاء المعجمة، ولا تفتح. **(أسراره)** تعالى. **(المصونة)**: أي المحفوظة عن عيون الأغيار، بحيث لا يعرفهم سواهم. **(ومعادن)**: جمع معدِن بكسر الدال المهملة: أي مواضع ظهور معنى قوله تعالى **(يحبّهم)**: وهو الجمع. **(ويحبّونه)**: وهو الفرق. **(فيحبّهم)** بهم، ولا هم؛ بل هو، **(فيحبّونه)** به، ولا هم؛ فهو محبّ نفسه بنفسه،

---

(١) عمارة اليمنيّ: فقيه شافعيّ وشاعر يمنيّ، مدح أمراء الدولة الفاطميّة، وأجاد بمدحهم، ثمّ رثاهم بعد زوال دولتهم على يد صلاح الدين الأيوبي. قام مع من قام لإحياء الدولة الفاطميّة فقتله صلاح الدين ٥٥٠هـ، انظر: صبح الأعشى للقلقشندي، ٢/ ٢٩و٥ / ٢٨٨.

ولكن ظهر بهم واستتر لهم؛ فهو المحبّ والمحبوب، والطالب والمطلوب؛ فقد أنتجت المحبّة المعرفة؛ لأن الشيء لا يجهل نفسه وإن خرج عنها باشتغاله بغيره. فإذا انعدم عنده ذلك الغير يرجع إلى العين الواحدة، فكان هو تلك العين الواحدة حتى [لا](1) تذهب المحبّة بذهاب الغير، فترجع إلى المعرفة، ويسكن الطلب الوهميّ/[٩/ ب] حتى تقرُّ العين بالعين، وتنعطف على الواحد حقيقة الاثنين، حيث لا كيف ولا أين؛ (**فمن ذلك**): أي من جملة ما أودعَه في صدر هذا الديوان من حسن شكل النَّاظم قدّس الله سرّه. (**ما أخبرني به سيِّدي**) بكسر الياء مشدّدة، أي: من له السّيادة على (**ولده**): أي ولد الناظم: الشيخ كمال الدين محمّد (**المشار إليه**) فيما سبق رحمة الله تعالى عليه، (**قال**): أي ولده المذكور في وصفه: (**كان الشيخ**) عمر بن الفارض قدّس الله سرّه. (**معتدل القامة**): أي ليس بطويل ولا بقصير. (**وجهه جميل**): أي ذو جمال تلتذّ العيون بالنظر إليه.

(**حسن، مشرَّب**): بتشديد الراء، مفتوحة، أي: ممزوج (**بحُمرة ظاهرة**) للرائي. (**وإذا استمع**): أي حضر في مكان السماع. (**وتواجد**): أي استدعى الوجد بنوع من التكلّف. قال صلّى الله عليه وسلم: «ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»(2) فقد أمرهم بتكلف ما ليس عندهم؛ وهو أمر مطلوب؛ لأن غايته الوقوع على الوجد الاضطراري، وحصول الخشوع القلبي، (**وغلب عليه الحال**): الذي هو فيه من معرفة ربه، وشهود تجلّياته في مقام قربه. (**يزداد وجهه جمالاً**) على جماله. (**ونوراً**): أي بهجة وإشراقاً.

---

(١) [لا]: من المطبوع، ولعلّها سقطت من الناسخ سهواً.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب: الحزن والبكاء، ٤٣٣٦، عن سعد بن أبي وقّاص، كما أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٨٧٢٣، بلفظ: ابكوا؛ فإنْ لم تجدوا بكاء فتباكوا، لو تعلمون العلم لصلّى أحدكم حتّى ينكسر ظهره، ولبكى حتّى ينقطع صوته. وقال الحاكم: «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي.

(**ويتحدَّر**): أي يقطر ويسيل. (**العرق من سائر جسده**) لكمال انزعاجه بقوة الواردات الإلهيّة عليه. (**حتى يسيل**): أي العرق. (**تحت قدميه على الأرض**) وهو رقص الصوفيّة الذي هو طاعة عندهم، وفرح بربّهم، والأعمال بالنيات، وإنّما لكل امرىء ما نوى. قيل للجنيد قدّس الله سرّه: «إنّ قوماً يتواجدون ويتمايلون. فقال: دعوهم مع الله يفرحون؛ فإنّهم قوم قطعت الطريق أكبادهم، ومزّق النصَب فؤادهم، وضاقوا ذرعاً؛ فلا حرج عليهم إذا تنفّسوا مداواة لحالهم، ولو ذقت مذاقهم عذرتهم في صياحهم وشق ثيابهم» نقله المناويّ في «طبقات الأولياء»[1] في ترجمة الشيخ إبراهيم الدسوقي رحمه الله تعالى. ونقل أيضاً في موضع آخر من كتابه المذكور عن الطبرانيّ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «سمعت أبي يقول وقد قيل له: إن هؤلاء الصوفيّة قعدوا في المساجد على التوكّل بغير علم. قال: العلم أقعدهم. قيل له: فإن همّتهم كِسرة وخِرقة. قال: لا أعلم أعظم عذراً ممن هذه صنعته. قيل: فإنهم إذا سمعوا السماع يقومون فيرقصون. قال دعهم يفرحون بربّهم». انتهى.

وأمّا ما ذكره الفقهاء من النهي عن ذلك فهو في حقّ قوم فعلوا ذلك رياء وسمعة لتحصيل الدنيا، واعتقاد الناس فيهم أنهم أولياء؛ فمن كان في نفسه كذلك كان فعله مذموماً، وللإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره. (**ولم أُرَ في العُرْب**) بالتحريك، وبالضمّ وتسكين الراء. (**ولا في العُجْم**) كذلك بالتحريك وبالضم، وتسكين الجيم المهملة. (**مثل حسن شكله**): أي الناظم قدّس الله سرّه. وقال ولده رحمه الله تعالى: (**وأنا أشبه الناس به في الصورة**) وذلك لأن الولد سّر أبيه؛ فلا عجب أن يشبهه ويحكيه، [قال بعضهم]:

والشمس قد شابهها بدر الظُلَم ... ومن يشابه أباه فما ظلم

(**وكان**): أي الناظم قدّس الله سرّه. (**عليه نور**) يلتمع من آثار العبادة،

---

(١) انظر: الجنيد في طبقات الأولياء للمناوي ص١٠٠ من المخطوط.

والإخلاص، والمعرفة، واليقين. **(وخَفَر)** بالتحريك: أي حَياء وبهجة. **(وجلالة)**: أي حشمة وعظمة وهيبة ووقار. **(وكان أيضاً)** رحمه الله تعالى **(إذا حضر مجلساً)** من مجالس الناس **(يظهر على أهل ذلك المجلس)**: ا الذي يحضره **(سكون)** من كمال التأدب معه. **(وسكينة)**: أي هيبة ووقار. **(ورأيت جماعة)** بمصر المحروسة **(من مشايخ الفقهاء)**: جمع فقيه، وهو العالم بالأحكام الشرعيّة؛ فقد يكون كاملاً في علمها فيسمّى فقيهاً. وقد يكون قاصراً جاهلاً، علمه قليل فيسمّى متفقّهاً؛ وهو الذي يعترض على الصوفيّة وفقرائهم من عدم التوفيق والهداية. **(والفقراء)** جمع/[١٠/أ] فقير: وهو المفتقر إلى الله تعالى على يد شيخ من المشايخ، يعلِّمه كيفية الفقر، ويزيل عنه شائنة الاستغناء. **(وأكابر الدولة)**: أي السلطنة بتلك البلاد من **(الأمراء)**: أي جمع أمير بمعنى مأمور، أي: مأمور الملك بفعل الأمر والنهي في ولاية من ولاياته. **(والوزراء)**: جمع وَزِير، وهو المُوَازِر، كالأكيل للمؤاكل؛ لأنّه يحمل عن الملك وِزْرَهُ، أي: ثقله. ذكره الجوهري. (والقضاة): جمع قاض. **(ورؤساء)**: جمع رئيس الناس من كلّ نوع يحضرون **(عنده)**: أي الشيخ الناظم قدّس الله سرّه. **(في مجلسه)** بقصد زيارته والتبرك به، وطلب دعائه. **(وهم في غاية ما يكون من الأدب معه)**: في حال حضورهم عنده **(و)** من **(الاتضاع)**: أي التواضع له. **(والتذلل)** بين يديه. **(وإذا خاطبوه)** بالكلام **(كأنهم يخاطبون ملكاً)**: أي سلطاناً **(عظيماً)** من ملوك الأرض. **(وكان)** رحمه الله تعالى **(إذا مشى في المدينة)**: أي مصر المحروسة. **(تزدحم الناس عليه يلتمسون)**: أي يطلبون **(منه البركة)**: أي زيادة الخير في أمورهم. **(والدعاء)** لهم، **(ويقصدون)**: أي الناس **(تقبيل يده فلا يمكِّن)** بالتشديد. **(أحداً من ذلك)**: أي تقبيل يده، أي: لا يجعل ذلك ممكناً لأحد من الناس، ويمتنع من حصوله تواضعاً في نفسه؛ بل كان يصافحه: أي يصافح كل من أراد تقبيل يده. **(وكانت ثيابه)** التي يلبسها **(حسنة)**: أي مليحة نظيفة. **(ورائحة طيبة)**: أي زكيّة عطرة. **(وكان ينفق على من يرد عليه)**:

أي يزوره من الناس. (**نفقة متسعة**): أي واسعة كثيرة من سخاء نفسه، وكرم سجيته، وسلامة طبعه. (**وكان يعطي للغير**): من سائل ونحوه (**من يده**): الشريفة (**عطاء جزيلاً**): أي كثيراً. (**ولم يكن يتسبّب**): أي يتعاطى السبب. (**في تحصيل شيء من**) معاش (**الدنيا**)؛ وإنّما كان ينفق من غيب فضل الله تعالى وكمال بركته. (**ولا**): كان (**يقبل من أحد**) من الناس شيئاً من الدنيا إذا دفع له. (**وبعث إليه**): أي إلى الناظم قدّس الله سرّه. (**السلطان محمّد الملك الكامل رحمه الله تعالى، ألف دينار من الذهب فردّها**): أي الناظم قدّس الله سرّه. (**إليه**): أي إلى الملك الكامل، ولم يقبلها منه. (**وسأله**): أي طلب الإذن من الناظم رضي الله عنه الملكُ الكامل رحمه الله تعالى (**أن يجهّز**): أي يبني ويهيئ. (**له**): أي للناظم قدّس الله سرّه. (**ضريحاً**): أي قبراً (**عند قبر أمه**): أي أمّ الملك المذكور(**في داخل قبة الإمام الشافعيّ رضي الله عنه فلم يأذن**): أي الناظم، رحمه الله تعالى. (**له**): أي للملك المذكور. (**بذلك**): أي بتجهيز الضريح. (**ثم استأذنه**): أي طلب الإذن من الناظم رضي الله عنه (**أيضاً الملك المذكور أن يجهز**): أي يهيئ. (**له مكاناً يكون مزاراً**): أي موضع الزيارة له. (**يُعرّف**): بالبناء للمفعول، أي: ذلك المزار (**به**): أي بالناظم قدّس الله سرّه. (**فلم ينعم**) الناظم (**له**): أي للملك (**بذلك**): أي بتجهيز المكان المذكور، (**وسأذكر سبب ذلك**): أي استئذان الملك المذكور من الناظم رضي الله عنه في تجهيز الضريح ومكان المزار المذكورين. (**في موضعه**)، أو آخر هذه الديباجة عند ذكر الملك الكامل رحمه الله تعالى. (**إن شاء الله تعالى وقال ولده**): أي الناظم قدّس الله سرّهما: (**سمعت الشيخ**) الناظم رحمه الله تعالى يقول: (**كنت في أول تجريدي**): أي زهدي وخروجي.(**من عادة أهل الدنيا**): في بداية دخولي إلى طريق الصوفيّة، وسلوك سبيل الرياضة (**أستأذن**): أي أطلب الإذن (**من والدي**): أبي الحسن عليّ، الملقب بالفارض، رحمه الله تعالى. (**واطّلع إلى وادي المُستضعَفين**) بصيغة اسم المفعول. (**بالجبل الثاني**): أي الجانب الآخر (**من جبل**

المُقطَّم) بصيغة اسم المفعول بالميم، وفي بعض النسخ/[١٠/ب] بالباء الموحدة [يعني المقطّب]. قال في القاموس: «مُقطَّم كمُعَظَّم»: جبل بمصر، مطلّ على القَرَافَة **(فآوي إليه)**: أي أسكن. **(فيه)**: أي في الجبل المذكور. **(وأقيم في هذه السياحة)**: التي أفعلها. **(ليلاً ونهاراً مدة أيام ثم أعود إلى والدي رحمه الله تعالى)**: لأجل برّه الواجب عليّ **(ومراعاة)**: أي تطمين **(قلبه)** لوحشته من المفارقة. **(وكان والدي)**: رحمه الله تعالى. **(يومئذ)**: أي يوم عمل تلك السياحة **(خليفة)**: أي نائب. **(المحتكم العزيز بالقاهرة ومصر المحروستين)**: يعني كان من القضاة في ذلك الزمان.

(وكان) رحمه الله تعالى **(من أكابر أهل العلم وأهل العمل، فيجد)**: أي والدي رحمه الله تعالى. **(سروراً)**: أي فرحاً كثيراً. **(برجوعي إليه)**: من سياحتي سالماً. **(ويلزمني بالضَّم)**: أي يأمرني بالجلوس معه **(في مجالس الحكم ومدارس)**: أي مواضع درس العلم؛ لأحدو على حدوده، وأسلك على طريقه في ذلك، والهمّة الإلهيّة بجذب الإرادة إلى طريق السادة. والعناية الربّانيّة تربّي في حجور السيادة، وتُرضع لبان السعادة. **(ثمّ أشتاق إلى التجريد)** أيضاً **(فأستأذنه)**: أي أطلب الإذن منه. **(وأعود إلى السياحة)** في الجبل المذكور كذلك. **(وما برحت أفعل ذلك)**: أي الاستئذان والعود إلى السياحة. **(مرة بعد)** مرة **(أخرى إلى أن سأل والدي)**: أي طلب منه بأمر السلطان. **(الملك)** في ذلك الزمان. **(أن يكون قاضي القضاة)** بمصر المحروسة ونواحيها. **(فامتنع)** من ذلك. **(ونزل عن منصب الحكم)** الذي كان فيه. **(واعتزل الناس)**: أي فارقهم، وقاطعهم، وأقبل عل دينه وعبادته. **(وانقطع إلى)**: عبادة **(الله تعالى بقاعة الخطابة في الجامع الأزهر)** المشهور بمصر المحروسة **(إلى أن توفي)** رحمه الله تعالى. **(فعاودت التجريد)** في طاعة الله تعالى **(ولزمت السياحة وسلوك طريق الحقيقة)**: أي المعرفة الإلهيّة. **(ليلاً ونهاراً فلم يُفتح)** بالبناء للمفعول، أي: لم يفتح الله تعالى. **(عليّ بشيء)** من مواجيد الصالحين، ومعارف الكاملين. **(فحضرت من السياحة)** يوماً من الأيام **(إلى المدينة)**: أي مصر

المحروسة. ودخلت المدرسة السيوفيّة[1] المعروفة هناك. **(فوجدت)** في تلك المدرسة **(رجلاً شيخاً)**: أي كبيراً في السن. **(بقالاً)**: أي يبيع البقل للناس. **(على باب المدرسة)** المذكورة ـ وقد ترجمه المناويّ في «طبقات الأولياء» فقال عنه: عليّ: أبو الحسن البقال، شيخ ابن الفارض، صاحب الفتح الإلهيّ، والعلم الوهبيّ. وكان يبيع البقول بحانوت، بخط باب الزهومة على باب المدرسة السيوفيّة؛ يتستّر بذلك حتى لا يعرفه أحد. ويُظهر الجهلَ لئلا يعكف عليه الناس...». وذكر نحو ما سيأتي. ثمّ قال: «حكاه اليافعي في كفاية المعتقد، والدَّميري في حياة حيوان وغيرهما». **(يتوضّأ)** وضوءاً غير مرتب بالترتيب الشرعي؛ حيث **(غسل يديه)** أولاً، **(ثم غسل رجليه)** ثانياً، **(ثم مسح برأسه)** ثالثاً، **(ثم غسل وجهه)** في الآخر. **(فقلت له)**: أي لذلك البقال من غير معرفة به: **(يا شيخ، أنت في هذه السن)** من الكبر، **(وأنت في دار الإسلام على باب هذه المدرسة بين فقهاء المسلمين)** يعني: متمكناً من تعلم ما تحتاج إليه في أمور دينك، **(و)** مع هذا **(أنت)** تارك التعليم بالسؤال والسماع من العلماء. **(تتوضأ وضوءاً خارجاً عن الترتيب الشرعي)**، سواءً كان الترتيب فرضاً بحيث لا يصح الوضوء بتركه كما هو مذهب الإمام الشافعيّ رضي الله عنه، أو سنّة بحيث يُكره تركه كما هو مذهب غيره من الأئمّة. وعلى كل حال فهو وضوء غير شرعي، وإنكاره على فاعله في طريق المتفقّهة طاعة، وقد اعتاد المتفقّهة في كل زمان على التفتيش عن عيوب الناس الشرعيّة، بحيث لا يؤوِّلون ما يجدونه/ [١١/ أ] مخالفاً لعلمهم وإن كان له ألف تأويل؛ بل ينكرون بمقتضى علمهم ما يكون محتملاً للخطأ، ولو بوجه ضعيف، وإن كان صوابه ظاهراً؛ بل ربما بعضهم يجهل مذهب الآخر؛ فينكر عليه ما خالف مذهبه.

---

(١) المدرسة اليوسفيّة، بناها صلاح الدين الأيوبي في القاهرة، لنشر المذهب الحنفي في مصر الذي بدأ بنشره وتعصّب له فيها نور الدين الزنكي. انظر المواعظ والاعتبار للمقريزي تقي الدين أحمد بن علي (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ) ج٣ص٨٤.

كما حكى لي رجل حنفيّ المذهب صلّى ركعتين في الجامع الأمويّ، فوضع يديه تحت سرّته. ثمّ لما فرغ من صلاته أقام عليه النكير رجلٌ شافعيّ المذهب، وقال له: ضع يديك على صدرك، هذا الذي فعلته مكروه، وأنت جاهل بأحكام الصلاة. وهذه الأمور كلّها طريقة المتفقّهة في المذاهب لا الفقهاء؛ فإن المتفقّهة قاصرون، ومرادهم أن يُعرفوا بين الناس بالفقه والعلم لأجل أغراض شيطانيّة يريدون إنفاذها، وشهوات نفسانيّة يحاولون إيجادها؛ فيضطر بهم الأمر إلى التفتيش عن عيوب الناس؛ فكيف يؤوِّلون شيئا مقصودهم التفتيش عليه، ومتى ظفروا بوجه فاسد في حال إنسان فكأنّهم ظفروا بملك الدنيا؛ ففي قلوبهم الفرح الشديد. فمن المحال أن يقيلوا عثرة مؤمن، أو يتغافلوا عن زلّة مسلم؛ لأنهم في زعمهم لا يرتقون ويرتفعون إلا بإنكار المناكر، خصوصاً على الكامل الخاشع، والعابد الذاكر. وأما الفقهاء، أصحاب القدم الراسخ في العلوم على حسب المذاهب الأربعة فإن قلوبهم أولاً متجانبة عن الدنيا، مقبلة على الآخرة؛ وبسبب ذلك لا حسد عندهم ولا تكبّر، ولا عداوة، ولا حقد، ولا رياء ولاسمعة. يعلمون أحكام الله تعالى على وجه التحقيق أصولاً وفروعاً. ومن شدّة شفقتهم على عباد الله تعالى لا يكادون يجدون في الناس منكراً أصلاً. ومن كمال اشتغالهم بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس، لا يجدون في الغير مفسدة حتى يجدوا في أنفسهم مئة مفسد ة يعدّونها على أنفسهم؛ فلا يخفى عليه دسائس النفوس؛ فهم في صدور كمال نفوسهم وتطهرها، فهم في شغل شاغل عن إنكار المناكر على الغير. وإذا رأوا أمراً لا ينظرون منه إلا الوجه الحسن في حقّ الغير احتياطاً وورعاً. وعندهم أحكام الشريعة أمور كليّات، يقررونها للناس في الدروس وعلى الكراسي وفوق المنابر، وليس في قلوبهم وجود شيء منها في أحد من الناس على التعيين أصلاً. كما أن الله تعالى أنكر المُنكَر في القرآن بلا تعيين أحد مع علمه تعالى بالمناكر وأهلها في كلّ زمان. وكذلك الرسول صلّى الله عليه وسلّم كان يقول: «ما

بال أقوام يفعلون كذا». ولا يذكر أحداً بسوء؛ فهولاء هم الناس الذين يليق في حقّهم أن يقال عنهم إنّهم علماء فقهاء أمناء على أحكام الله تعالى. قال النجم الغزّيّ[1] رحمه الله تعالى في كتابه منبر التوحيد: (ولقد روي عن أبي حنيفة والشافعيّ رضي الله عنهما أنهما قالا: «إن لم تكن العلماء أولياء فليس لله وليّ». والمراد بهم العاملون بلا شك. كما روى التنبيه بذلك عن الشافعيّ أيضاً؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: «لا يكون العالم عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً»[2]. كذلك ذكره بعضهم مرفوعاً؛ وإنما هو موقوف على أبي الدرداء رضي الله عنه. كما رواه ابن حبّان في (روضة العقلاء). والبيهقيّ في المدخل. وذكر النجم رحمه الله تعالى أيضاً في كتابه المذكور عن الإمام الشافعيّ رضي الله عنه أنه قال :«من أحبّ أن يفتح الله على قلبه نور الحكمة فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء، وبعض العلماء الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب» انتهى كلامه. وهؤلاء العلماء الذين ترك مخالطة بعضهم موجب للفتح على القلب في طريق الله تعالى. هم المتفقّهة الذين قدّمنا ذكرهم قبل ذكر الفقهاء، وهم موجودون في كلّ زمان من عصر الإمام الشافعيّ؛ بل من قبله إلى يوم القيامة، خذلهم الله تعالى وأذلّهم. وإذ لم يكن لهم/[١١/ب] نصيب في الهداية والتوفيق والتوبة كما كان للشيخ عمر ابن الفارض رحمه الله تعالى. وقد أنقذه الله تعالى من الورطة التي وقع فيها مع

---

(١) النجم الغزّيّ، عليّ بن عبد الحيّ بن عليّ بن سعودي: النجم الغزّيّ، الشافعيّ الدمشقيّ، المؤرّخ، ولد بدمشق ١١٢٦هـ، برع في التاريخ والحديث والفقه والعربيّة والقراءات والعقائد، أخذ طريقة الصوفيّة عن الشيخ عبد الغنيّ النابلسي، وانتفع به كثير من الطلاب. توفي١١٩١هـ ودفن بتربة الشيخ رسلان. انظر محمّد خليل أفندي المرادي في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٢/ ١٥.

(٢) قال السخاويّ في المقاصد الحسنة ١/ ٧٤ : لا أعرفه حديثاً، وكذا: ما اتخذ الله من وليّ جاهل، نعم. وروينا في مناقب الشافعيّ للبيهقيّ من طريق الربيع بن سليمان، قال: سمعت الشافعيّ يقول: إنْ لم تكن الفقهاء أولياء الله في الآخرة فما لله وليّ، انتهى.

الشيخ البقّال لعناية سبقت له. وكان اللائق في حقّه أن ينكر ذلك على وجه العموم فيقول في نفسه: الوضوء الذي لا يكون مرتباً ليس بوضوء شرعي، وهذا الوضوء قد يكون لصاحبه عذر في عدم ترتيبه. إمّا لنسيانه فهو غير مكروه عند من كرهه، وإمّا أنه متوضئ من قبل وهو الآن يريد التبرّد بذلك، أو سيتوضأ بعده للصلاة، ونحو ذلك. ولا يفتش عليه أصلاً بعد ذلك؛ لكن لم يكن الشيخ عمر رحمه الله تعالى فقيهاً حينئذ؛ وإنما كان متفقّهاً، ولم تكن نفسه مهذّبة في بداية أمره؛ ولهذا أخبر أنه قال للبقّال ما قال.

ثمّ قال: (**فنظر**) أي: البقّال. (**إليّ وقال: لم أتوضأ إلا مرتباً؛ لكنك لا تبصر، لو أبصرت أبصرت هكذا**). كذا ذكره المناويّ في ترجمة البقّال. وقال له أيضاً (**يا عمر، أنت ما يُفتح**): بالبناء للمفعول. أي: لا يفتح الله تعالى (**عليك في مصر**): عقوبة له، حيث حصل منه عليه إنكار في مصر. ولبعض الأقطار شؤم على من عصى الله فيها. (**وإنما يُفتح عليك بالحجاز في مكّة شرّفها الله تعالى**). قال المناويّ في ترجمة البقّال: (**فأكب**): يعني الشيخ عمر رحمه الله تعالى (**على أقدامه**) يستغفر. (**فاقصدها**): أي مكّة (**إن أردت الفتح؛ فقد آن**) بالمدّ: أي قرب. (**لك وقت الفتح**): بشارة له، وجبراً مما وقع له من كسر الخاطر؛ لأنه رآه تدارك نفسه من ذلك الإنكار الذي وقع منه، وقد رجع عنه في الحال بظاهره وباطنه، ولم يبق مصرّاً على شائبة إنكار عليه أصلاً حين سمع منه قوله: (**يا عمر، أنت ما يفتح عليك بمصر**). قال (**فعلمت أن الرجل**): أي ذلك البقّال رحمه الله تعالى (**من أولياء الله تعالى وأنه يتستّر**) من حيث الإلهام من الله تعالى، وتيسير ذلك له بلا قصد للتستّر؛ فإنه اختار حالة يكون عليها، وليس للولي اختيار إلا فيما اختاره الله تعالى له عن كشف منه وشهود. وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه في كتاب شرح «الوصيّة اليوسفيّة»: ولا يُخفي وليٌّ حاله عن الناس إلا بدخوله مداخلهم في عاداتهم مما لا تُنتهك فيه حرمه الشرعيّة، فلا يرى العامّة من هذا

الوليّ إلا ما اعتادته منه العامّة؛ فلا يتميّز لهم حال الوليّ المتوهّم في نفوسهم، فيكون ستراً لهم على هذا الحال المتوهّم، فما استتر إلا بحاله. فإن استتر بأمر في الظاهر عندهم منتهك فيه حرمة شرعيّة فالغلط في نظرهم لا في نفس الأمر. وبعيد أن يقع مثل هذا من كبير في الطريق متمكّن، ولا من صاحب حال لشغله؛ فإن صاحب الحال تحت حكم حاله، فلا يقوم له خاطر في الستر ولا في الظهور؛ وإنما هو بحكم ما يصرفه فيه حاله **(بالمعيشة)**: وهي بيع البقل. **(وإظهار الجهل)** منه **(بترتيب الوضوء)**: على الوجه الشرعيّ. وهذا الكلام من الشيخ عمر رحمه الله تعالى على عادة المتفقّهة في اعتقادهم في الأولياء أنهم يقصدون التستّر بما يرونه عليهم من الأحوال التي تخالف أحوال الوليّ في اعتقاد العامّة، وفي نفس الأمر لا تصرُّف للبقّال في حال نفسه أصلاً، ولا تكلّف عنده في جميع أموره؛ وإنّما هي حالة أقامه الله تعالى فيها، حتى وضوئه غير المرتب؛ فإن الله تعالى قد تولّى أمور الأولياء في ظواهرهم وبواطنهم، ولم يتركهم مع نفوسهم في أمر مطلقاً. وأهل النفوس يقيسونهم على نفوسهم في قصد التستّر وغيره. **(فجلست بين يديه)**: جلوس التلميذ بين يدي شيخه. **(وقلت له: يا سيِّدي)**: بكسر الياء المشدّدة **(وأين أنا، وأين مكّة)**: أي بعيدة عنِّي. **(ولا أجد رَكْباً)** بفتح الراء وسكون الكاف. ركبان الإبل: اسم جَمْع، أو جَمْع، وهم عَشَرَة فصاعداً. وقد يكون للخيل. كذا في القاموس/[١٢/ أ] **(ولا رفقة)** بتثليث الراء: جماعة يرافقهم، وجمعه رِفاق ككتاب، وأرفاق كأصحاب ورُفَق كصُرَد. **(في غير أشهر الحج)**؛ لأن القوافل لا تذهب إلى مكّة من مصر إلا في أشهر الحج للحج. **(فنظر)**: أي الشيخ البقّال، رحمه الله تعالى. **(إليّ وأشار بيده)** نحو الكعبة. **(وقال لي: هذه مكّة أمامَك)**: بالفتح، أي: قدّامك، يعني: فارقني واذهب إليها لتجد الفتح فيها. **(فنظرت معه)**: جهة نظره. **(فرأيت مكّة شرّفها الله تعالى، فتركته)**: أي أعرضت عنه **(وطلبتها)**: أي مكّة المشرّفة **(امتثالاً)**: للأمر الذي ذكره له بأن الفتح يكون في

مكّة، كما امتثل موسى عليه السلام أمر الخضر عليه السلام لمّا قال له: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [١٨/ الكهف / ٧٨] ففارقه. **(فلم تبرح)**: أي مكّة **(أمامي)**: أي قدّامي. يعني: لم يتغيّر عليّ ما وجدته من الكشف ورفع حجاب البعد الحسّي ببركة إشارة الكامل المرشد لوجود كمال الاستعداد في المسترشد ذلك الوقت، مع أنّ الشيخ البقّال رحمه الله تعالى له سنون متعدِّدة في مصر يبيع البقل. والشيخ عمر رضي الله عنه كذلك له سنون متعددة بمصر يطلب الطريق إلى الله تعالى، وغيره أيضاً كثير من الناس طالبون للفتح الإلهيّ؛ ولكن الأمر موهبة من الله تعالى لشخص مخصوص في وقت مخصوص، على يد شيخ مرشد كامل مخصوص كما وقع. وغير ذلك لا يكون؛ فلو وجد الشخص المخصوص ولم يأت الوقت المخصوص، ولو كان المرشد حاضراً فلا يمكن الفتح، وهكذا قال صلّى الله عليه وسلّم: «اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له»[1] **(إلى أن دخلتها)**: أي مكّة المشرّفة. **(في ذلك الوقت)** من غير مشي كثير. **(وجاءني)**: أي ورد عليّ من الله تعالى وارد. **(الفتح)** الربّانيّ. **(حين دخلتها)** وكوشفت بالحقائق الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة. **(وترادف)**: أي توالى وتتابع ذلك الفتح على القلب والمعارف. **(ولم ينقطع)**: أبداً إن شاء الله تعالى.

(قلت): أي سبط الشيخ الذي هو جامع نسخة هذا الديوان رحمهما الله تعالى. **(وإلى هذا الفتح)**: الذي حصل له بمكّة المشرّفة. **(أشار رضي الله عنه في القصيدة الداليّة)**: المكسورة القافية. **(حيث قال)** ـ وسنشرحه في موضعه إن شاء الله تعالى ـ:

يا سميري روِّح بمكّة روحي ... شادياً إن رغبت في إسعادي

كان فيها أنسي ومعراج قدسي ... ومقامي المقام والفتح بادي

(قال): أي الشيخ عمر في تمام كلامه السابق الذي يحكيه عن نفسه **(رضي الله عنه ثمّ شرعت في السياحة)** بعد ذلك **(في أوديتها)**: أي مكّة المشرّفة، جمع وادي.

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التفسير، باب فسنيسِّره للعسرى، ٤٩٤٩.

(**وجبالها**): جمع جبل. (**وكنت**): في تلك السياحة (**أستأنس**): أي أجد الأُنس: ضد الوحشة. (**فيها**): أي في أودية مكّة وجبالها. (**بالوحش**): أي حيوانات البرّ. وجمعه وحوش. (**ليلاً ونهاراً**) من غير مخالطة أحد أصلاً.

(**قلت**): أي قال سبط الشيخ كذلك. (**وإلى هذا المعنى أشار**): أي الشيخ (**رضي الله عنه بقوله في القصيدة التائيّة المكسورة القافية اللطيفة**): أي الصغرى منها، كما سنشرحه في موضعه إن شاء الله تعالى (**حيث قال وأحسن في المقال**):

وجنِّبني حبِّيك وصل معاشري	وحبّبني ما عشتُ قطعَ عشيرتي
وأبعدني عن أربعُي بعد أربع	شبابي وعقلي وارتياحي
فلي بعد أوطاني سكون إلى الفَلا	وبالوحش أُنسي إذ من الإنس

(**قال**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**وأقمت بوادٍ**): من أودية مكّة. (**كان بينه**/ [١٢/ ب] **وبين مكّة عشرة أيام للراكب المجد**): أي المسرع، من أجدّ السير: أسرع فيه. (**وكنت**) مع ذلك. (**آتي**) بالمدّ: أي أرجع. (**إلى مكّة منه**): أي ذلك الوادي. (**كل يوم وليلة**) ثم أعود إليه (**خمس مرات وأصلّي في الحرم الشريف**) المكّيّ (**الصلوات الخمس**) وكان (**معي سبع**): أي أسد. (**عظيم الخلقة يصحبني**): أي يسير معي (**في ذهابي**) إلى الحرم الشريف (**وفي إيابي**): أي رجوعي أيضاً منه إلى ذلك الوادي. (**وينخّ**): بالنون والخاء المعجمة، أي يبرك. (**لي**) على الأرض لأركبه (**كما ينخّ**): أي يبرك (**الجمل، ويقول لي**): أي ذلك السبع بلسان فصيح عربيّ (**يا سيِّدي اركب عليّ فما ركبته**): أي ذلك السبع. (**قطّ**) في ذهاب ولا إياب. وفي بعض النسخ من ديباجة هذا الديوان بدل (**ويقول لي**). (**يشير إليّ**): أن اركب (**فما ركبته قط**)؛ فلعله كان ينطق مرة ويشير مرة. وحكى الشيخ رضي الله عنه لولده مرة عن النطق ومرة عن الإشارة. وولده رحمه الله تعالى حكى كذلك.

---

(١) انظر شرح الأبيات رقم: ٥٧-٥٨-٥٩ من التائيّة الصغرى.

(وتحدّث بعض جماعة من أكابر المشايخ المجاورين بالحرم الشريف): المكّيّ. (في تجهيز): أي تهيئة (مركوب لي): من ناقة أو فرس (يكون عندي في) تلك (البريّة) يأكل من حشيشها ويشرب من مائها المذكور. (عند باب الحرم الشريف) المكّيّ (فرأوه): أي ذلك (أحضر عليه إلى الحرم الشريف، وأرجع كلّما أردت، فظهر لهم) السبع. (وسمعوا قوله) لي (يا سيّدي اركب عليّ). وفي نسخة أخرى (فرأوه يشير إليّ) أن أركب (فما ركبته فاستغفروا الله العظيم) من ذنب تقصيرهم في القيام بحرمتي وتبجيلي، حيث جهلوا مقامي؛ فقالوا ما قالوا من أمر المركوب. (وكشفوا رؤوسهم): تذللاً بين يدي. (واعتذروا): أي أتوا بالأعذار. (إليّ) على عدم علمهم بشريف حالي، وأني غير محتاج إلى المركوب وغيره.

(ثمّ بعد) مضي (خمس عشرة سنة) في السياحة بجبال مكّة. (سمعت الشيخ البقّال): رحمه الله تعالى. (يناديني) من مصر المحروسة (وأنا بين جبال مكّة وأوديتها: يا عمر، تعالَ): أي ارجع. (إلى القاهرة): مصر المحروسة. (احضر وفاتي): أي موتي بها. (وانتقالي) من الدنيا (إلى) حضرة (الله) تعالى في الآخرة. (وصلِّ عليّ): بعد تغسيلي. (فأتيته) في الحال (مسرعاً) إلى (القاهرة) بمصر المحروسة؛ فقد خرج من مصر بإذنه، ورجع إليها أيضاً بإذنه، وكان الخروج إلى مكّة ورجوعه منها في أمر خارق للعادة، بينهما خمس عشرة سنة، وهو من اعتناء الله تعالى، وتكريمه لأوليائه. (فوجدته): أي الشيخ البقّال رحمه الله تعالى. (قد احتُضِر) بالبناء للمفعول، أي، حضرته الوفاة، أو ملائكة الموت، فهو يجود بنفسه. (فسلّمت عليه): أي قلت له: السلام عليكم. (وسلّم عليّ): أي ردّ سلامي، ورحب بي وهو في تلك الحالة. وفي نسخة أخرى: وردّ السلام بدل وسلّم علي. (وناولني دنانير ذهب) كانت عنده. (وقال لي: جهزني): أي اشتر لي ما أحتاجه من كفن وحنوط. (بهذه الدنانير وافعل كذا وكذا) في كيفية تغسيله وتكفينه. (وأعطِ حَمَلَة): جمع حامل بالحاء المهملة، كطلبة جمع طالب. (نعشي):

أي سريري الذي أوضع عليه. **(إلى القرافة)** كسحابة: تربة بمصر معروفة. **(كل واحد)**: من تلك الحَمَلة لنعشي. **(ديناراً)** من الذهب. **(واتركني على الأرض في هذه البقعة وأشار إليها)**: أي إلى تلك البقعة. **(بيده، فلم تزل)**: أي تلك البقعة. **(بين عينيّ)**. بتشديد الياء الثانية: تثنية عين، وحذفت النون للإضافة إلى ياء المتكلّم. **(انظر إليها وهي بالقرافة)**: أي في التربة المذكورة. **(تحت المسجد المعروف بالعارض بالقرب من مراكع موسى عليه الصلاة والسلام)**: وهو اسم موضع معروف هناك. **(بسفح)**: أي أسفل الجبل **(المقطّم عند مجرى)**: أي موضع جريان **(السيل منه قال)**:/ [١٣/ أ] أي الشيخ البقّال، رحمه الله تعالى. **(وانتظر قدوم رجل يهبط إليك من الجبل)**: المذكور. **(فصلِّ أنت وهو عليّ)**: أي على جنازتي، الصلاة المعهودة في الشرع. وتقديمه له بقوله: **(أنت وهو)** إشارة إلى إمامته في الصلاة، واقتداء الآخر به، وكذلك وقع كما يأتي. **(وانتظر)**: بعد ذلك. **(ما يفعل الله في أمري)**: أي ما يكون منه بحضوركما. **(قال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(وتوفي)**: أي الشيخ البقّال **(رحمه الله تعالى فجهزته)** بدنانيره. **(كما أشار)** إليّ بذلك، على طِبق ما ذكر لي. **(وطرحته)**: أي وضعته. **(في البقعة المباركة)** المذكورة. **(كما أمرني)**: أي على حسب ما أمرني بذلك. **(فهبط)**: أي نزل **(إليّ)**: أي إلى عندي في تلك البقعة **(رجل من الجبل)** المذكور. **(كما يهبط الطائر المسرع، لم أره يمشي على رجليه)**: أصلاً. فعرفته **(بشخصه)** فإنّه **(رجل كنت أراه يَصفع)** بالبناء للفاعل: أي يضرب بيده. **(قفاه)**: أي مؤخّر رأسه. **(ورقبته)** على طريق الاستهزاء والسخرية بنفسه. **(في الأسواق)** بين الناس **(فقال)**: أي ذلك الرجل. **(يا عمر، تقدّم فصلِّ بنا على الشيخ)**: أي البقّال رحمه الله تعالى. **(فتقدّمت، وصليت إماماً)**: واقتدى ذلك الرجل به. **(ورأيت طيوراً خضراً وبيضاً صفوفاً)** كثيرة **(بين السماء والأرض يصلون معنا)** على الجنازة؛ وهي ملائكة السماوات، نزلت في صورة الطيور لحضور الجنازة والصلاة عليها. **(ورأيت طائراً منهم)**: أي من بينهم. **(أخضر اللون)** مثلهم. **(عظيم الخلقة، قد هبط)** بعد الفراغ من الصلاة عليه **(عند**

رجليه): أي الميت. (وابتلعه): أي ابتلع الميت. (وارتفع): أي ذلك الطير (إليهم): أي إلى بقيّة الطيور القائمة بين السماء والأرض. والقياس إليها؛ ولكن لمّا وجد لها أفعالاً كأفعال الرجال قال: إليهم ومنهم. (وطاروا): أي تلك الطيور. (جميعاً ولهم زَجَل): بالزاي والجيم محرّكة: ضجّة، أو تطريب، أو رفع صوت. (بالتسبيح): أي التنزيه والتقديس لله تعالى. (إلى أن غابوا عنا في السماء فسألته): أي الرجل، (عن ذلك) الأمر الذي وقع. (فقال): أي الرجل: (يا عمر أما سمعت) الذي ورد في الحديث: «إن أرواح الشهداء في أجواف»: جمع جوف؛ وهو البطن. «طيور خضر تسرح» أي تأتي وتذهب «في الجنّة حيث شاءت» أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أرواح الشهداء عند الله في حواصل طيور خضر، تسرح في أنهار الجنّة حيث شاءت، ثمّ تأوي إلى قناديل تحت العرش»[1]. وأخرج أحمد وأبو داوود والحاكم والبيهقيّ في الشعب عن ابن عباس أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «لمّا أصيب أصحابكم بأُحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد في أنهار الجنّة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة في ظلّ العرش»[2].

وأخرج الطبرانيّ من مرسل ضمرة بن حبيب قال: سُئل صلّى الله عليه وسلّم عن أرواح المؤمنين. «فقال: في طير خضر تسرح في الجنّة حيث شاءت. قالوا: يا رسول الله، وأرواح الكفار؟. قال: في سجين»[3]. وأخرج هنّاد بن السري في الزهد من هذيل قال: «إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود، تروح وتغدوا على النار. وأرواح الشهداء في أجواف طير خضر، وأولاد المسلمين الذين لم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: في بيان أرواح الشهداء في...، ٤٩٩٣ كما أخرجه الطيالسي في مسنده، في: ما أسنده عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، ج١ص٣٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: في بيان أرواح الشهداء في...، ٤٩٩٣ كما أخرجه الطيالسي في مسنده، في: ما أسنده عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، ج١ص٣٨.

(٣) ذكره السيوطيّ في الحاوي للفتاوي، ج٣ ص٢٥٧.

يبلغوا الحنث عصافير من عصافير الجنّة ترعى وتسرح»[1]. هم ـ أي الشهداء المذكورين ـ شهداء السيوف الذين قتلوا في سبيل الله تعالى. وأمّا شهداء المحبّة الإلهيّة المشار إليهم بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «إن لله تعالى عباداً يضنّ بهم عن القتل. ويطيل أعمارهم في حسن العمل. ويحسن أرزاقهم. ويحييهم في عافية. ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش؛ فيعطيهم منازل الشهداء»[2]/ [١٣/ ب] رواه الطبرانيّ عن ابن مسعود. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن أكثر شهداء أمّتي لأصحاب الفرش؛ وربَّ قتيل بين الصفَّينِ الله أعلم بنيّته» رواه الإمام أحمد بن حنبل عن ابن مسعود. فكلّهم لا أرواحهم فقط؛ بل أجسادهم وأرواحهم في أجواف طيور خضر؛ وذلك لأنّ زيادة المحبّة الإلهيّة فيهم كشفت لهم عن شهود أمر الله تعالى قائماً على كلّ شيء، وعليهم هم أيضاً، أجساداً وأرواحاً؛ فاستحال عندهم الخلق في الأمر. وقال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُـم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]؛ فالعالم عندهم كلّه أرواح قائمة بالأمر الإلهي فكيف أجسادهم؛ فأجسادهم وأرواحهم عندهم كلّها أرواح مطهّرة؛ ولهذا يتشكّل بعضهم في الصور، ويظهر في أي صورة شاء من غلبة الروحانيّة، واستهلاك الجسمانيّة عنه بالكلّيّة. وكان منهم قضيب البان الموصلي[3] قدّس الله سرّه. فإذا كانوا كلّهم أجساداً وأرواحاً في أجواف الطيور

---

(١) قال السيوطيّ: أخرجه ابن أبي شيبة، وهنّاد، وعبد الحميد، عن هذيل بن شرحبيل، انظر الدرّ المنثور للسيوطيّ، باب آية ١١، ج٧ ص٢٩٠.

(٢) رواه الطبرانيّ في المعجم الكبير، ١٠٢٢٠، ج٩ص٢١ .

(٣) هو عبد بن محمّد بن أبي الفيض، أبو محمّد المعروف بقضيب البان، يرجع نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما. كراماته مشهورة، صحب الشيخ الجيلانيّ، وزوجه الشيخ ابنته، ولد في حماة ٩٧١هـ، وجاور بمكّة. ألّف أربعين كتاباً في التصوّف، والمعارف الإلهيّة، منها: الفتوحات المدنيّة، ونهج السعادة، وناقوس الطباع في أسرار السماع، ورسالة في الحروف، وديوان شعر كلّه في لسان القوم، وله تائيّة عارض فيها تائيّة ابن الفارض، انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، حرف العين، ج٢ ص١١٠.

الخضر صدق عليهم الحديث أيضاً أن أرواحهم في أجواف طيور خضر؛ لأنهم كلّهم صاروا أرواحاً، وهم شهداء المحبّة، والعشق زيادة المحبّة، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من عشق، فعفّ، ثمّ مات، مات شهيداً»[1]. رواه الخطيب البغدادي في تاريخه عن عائشة رضي الله عنها. وفي رواية: «من عشق، فكتم، وعف فمات فهو شهيد» رواه الخطيب البغدادي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما. ومعنى كتمانه عدم إفشائه بنفسه سرّ الله تعالى بين المحجوبين المنكرين لاقتضاء ذلك الاستهانة به. أمّا إذا تكلّم بغلبة الحال فلا لوم عليه. ومعنى العفّة: ترك رؤية الأغيار في كلّ محسوس ومعقول على حسب ما يقتضيه مقامه. فإذا مات على هذه الحالة مات شهيداً من شهداء المحبّة، أعلى الشهداء وأرفعهم قدراً عند الله تعالى، من غير قتل ولا ألم ولا وجع؛ بل موضع ذلك لذائذ شريفة، ومشتهيات لطيفة، وهو مستور على فراشه بين أهله، لا يعلم به إلا من أسعده الله تعالى وألحقه بمقامه: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٢١] **(وهذا الرجل)**: أي الشيخ البقّال رحمه الله تعالى **(كان منهم يا عمر، وأنا كنت منهم)** أيضاً. **(وإنّما وقع مني هفوة فطردت عنهم. فها)**: أي كما تراني **(أنا أصفع)**: أي أضرب قفاي، أي عنقي. **(في الأسواق ندماً)** منّي **(وتأديباً على تلك الهفوة)** التي وقعت لي. **(قال)**: أي الشيخ عمر **(رضي الله عنه ثمّ ارتفع)** الرجل المذكور. **(إلى الجبل)** مسرعاً. **(كالطير، إلى أن غاب عنّي)** فلم أره.

(قال ولد الشيخ عمر): قال لي والدي قدّس الله سرّهما: **(يا محمّد، إنّما حكيت لك هذا)** الأمر الذي وقع لي **(لأرغّبك)**: أي أجعل لك رغبة. **(في سلوك طريقنا)** وأرفع همّتك عن الرضا بالمقام مع الغافلين المحجوبين. **(فلا تذكره)**: أي هذا

---

(١) ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، فصل ذكر الأسماء المفردة، ٦٩٥١. كما رواه الديلمي في الفردوس، ٦٩٩٩، و٧٠٠٠ بلفظ: من عشق فكتم وعفّ ومات مات شهيداً. كما روى ابن عساكر في تاريخه، ٢٢٩٥٢، بلفظ: من عشق وكتم وعفّ وصبر غفر الله له وأدخله الجنّة، ج٤٣ ص١٩٥.

الأمر (لأحد من الناس) في حال حياتي (فلم أذكره) كما قال لي. (لأحد): من الناس في حياته. (حتى توفي): أي مات الشيخ عمر. (رضي الله عنه حسب): أي بمقتضى. (وصيته) التي أوصاني بها.

(قلت): أي قال سبط الشيخ جامع هذه النسخة من الديوان رحمهما الله تعالى. (وفي هذه البقعة المباركة) التي أشار إليها الشيخ البقّال رحمه الله تعالى أنّه يوضع فيها، فوضع بعد موته حتى جاء ذلك الطائر وابتلعه. (دفن الشيخ) عمر بن الفارض (رضي الله تعالى عنه حسب وصيَّته) قبل موته بذلك. (وضريحه): أي قبره (بها): أي في تلك البقعة. (معروف) عند أهل مصر، وقد بني عليه قبة ومزار لطيف يُزار، ويُتبرّك به كما هو المشهور. (وفي ذلك): أي في دفنه في البقعة المذكور[ة] تحت مسجد الفارض. (قال بعض الفضلاء يرثيه): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. يُقال: رَثَيْتُ المَيْتَ: بالثاء المثلثة رَثْياً ورِثَاءً/ [١٤/ أ] ورِثَايَة بكسرهما، ومَرْثاة ومَرْثِيَة مخففة، ورَثَوْتُه: بَكَيته وعدّدتُ محَاسِنَه، ونَظَمتُ فيه شعراً وحديثاً عنه، كذا في القاموس. (وهو): أي بعض الفضلاء (أبو حسين الجزار)[1]: بتقديم الزاي على الراء (الشاعر المشهور) رحمه الله (حيث يقول) في ذلك:

لم يبقَ صيِّبُ مُزنةٍ إلا وقد ... وجبتْ عليه زيارةُ ابن الفارض

الصَّيِّب بتشديد الياء المثناة التحتيّة مكسورة: السَّحاب ذو الصَّوْب، والصَّوْب: نزول المطر، وصَاب: أي نزل. والتصَوُّب مثله. وصَوَّبتُ الفَرَس: إذا أرسلته في الجَري، ذكره الجوهريّ في الصحاح. [قال الشاعر]:

فلستُ لإنسيٍّ ولكنْ لَمَلْأَك ... تَنَزَّلَ من جو السماءِ يَصُوبُ][2]

(١) يحيى بن عبد العظيم، كنيته أبو حسين. عُرف بالجزّار، مهنته. أحد الظرفاء في عصر المماليك. ولد وتوفي بالقاهرة بعدما أصيب بالفالج ٦٠١-٦٧٩هـ، من كتبه: فوائد الموائد، وتقاطيف الجزّار، وهو مقطّعات شعريّة جمعها في كتاب. انظر فوات الوفيات، ج٤ ص٢٧٧.

(٢) زيادة من المطبوع، والمَلْأَك مفرد الملائكة.

والمُزْنَة بالزاي والنون: واحدة المُزْن. قال في القاموس: المُزن بالضمّ: السَّحاب، أو أبيَضُه، أو ذو الماء». والمعنى: لم يبقَ في السماء هاطل سحابة، ولا هامر غمام إلا أوجب الله تعالى عليه بمقتضى حكمته، وسابق قدرته أن يحاذي البقعة التي دُفِن فيها الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه، فينزل المطر عليها، ويغدق الماء حولها حتى يكثر نبات الحشيش حول ذلك القبر فيكثر تسبيح النبات فتزيد الرحمة، وتترادف النعمة على صاحب القبر، فتزداد روحه بهجة وسروراً وكمالاً وحبوراً:

لا غَــرو أن يُـسقى ثـراه وقــبره   بـاقٍ ليـوم العـرْض تحت العـارض

فقوله: لا غروَ بالغين المعجمة والراء، والواو مفتوحة. قال في القاموس: «لا غَرْوَ ولا غَرْوَى: لا عجب». والثرى بالثاء المثلّثة والراء: التراب الندي. ويوم العَرْض بسكون الراء: يوم القيامة. والمعنى: ليس بعجيب أن الله تعالى يسقي ترابه النديّ: أي تراب جسد ابن الفارض رضي الله عنه بصيِّب المُزْن، وهاطل السحاب، ويوالي عليه أمطار الرحمة. والحال أن قبره رضي الله عنه باقٍ إلى يوم القيامة تحت العارض. والتورية واقعة في قوله العارض؛ فإن له معنيين: العارض اسم للمسجد الذي بسفح جبل المقطّم، كما مرّ ذكره. وتلك البقعة التي دفن فيها الشيخ عمر رضي الله عنه تحت ذلك المسجد المسمّى بالعارض، وهذا هو المعنى القريب. وقد وُرِّي به، أي: سُتر المعنى الثاني البعيد الذي هو المراد هنا وهو: أن العارض اسم للسحاب. قال في القاموس: «والعارض السحاب المعترض في الأفق. وبين العرض والعارض جناس الاشتقاق.

(وقلت): أي قال سبط الشيخ عمر الجامع لهذا الديوان رحمهما الله تعالى. **(أنا)**: تأكيد لضمير الفاعل. **(أيضاً)**: أي كما قال الشاعر الأول. **(مثله)**: أي مثل قوله ذلك. يعني: في مرثيّة الشيخ رضي الله عنه.

جُـزْ بالقَرافـة تحـت ذيـل العــارض   وقُـلِ السلام عليك يـا بـن الفـارض

فقوله جُزْ بالجيم والزاي: فعل أمر من الجَوَاز وهو المرور. قال في القاموس: «جاز الموضع جَوْزاً وجوازاً وجُؤوزاً ومَجَازاً، وجاز به جِوازاً: سار فيه وخَلَّفه». والقَرافة: مقبرة معروفة بمصر المحروسة، كما سبق ذكره. والذيل: آخِر كل شيء. ومن الإزار والثوب: ما جُرّ، ومن الريح: ما يتركه في الرمل كأثر ذَيل مجرور، ومن الفَرَس وغيره: ذَنَبه، أو ما أُسْبِل منه. والجمع أذيال وذُيول، وأَذْيُل. كذا في القاموس. والعارض هنا أيضاً فيه التورية بالمسجد المذكور، والسحاب المعترض في الأفق على التفاؤل بذلك لدوام الرحمة. والمعنى: يا أيها الإنسان سِرْ وامرزْ بالقرافة تحت ذلك المسجد بالبقعة المعروفة، وادخلْ تحت ذلك السحاب الذي لم يزل يهطل بغيوث الرحمة، وتوالي النعمة، والفضل الإلهيّ على قبر الشيخ عمر رضي الله عنه؛ لعلّ أن يصيبك من ذلك الكرم الفيّاض ما يمدّك من معاني التوفيق، ومعارف التحقيق، وإذا وصلت إلى تلك البقعة فقل فيها: السلام عليك يا بن الفارض؛ فإنه يردّ عليك السلام، ويفرح بك حيث قصدته وتبركت بمزاره. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا مرّ الرجل بقبر يعرفه فسلّم عليه ردّ عليه السلام وعرفه/ [١٤/ ب] وإذا مرّ بقبر لا يعرفه فسلّم عليه ردّ عليه السلام»(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. والبيهقيّ في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرج [ابن] عبد البرّ في الاستذكار والتمهيد عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما من أحد يمرّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلّم عليه إلا عرفه، وردّ عليه السلام». ذكره السيوطيّ في كتابه: «بشرى الكئيب بمقام الحبيب». ثمّ قال: وقد شرّع صلّى الله عليه وسلّم لأمته أن يسلّموا على أهل القبور سلام من يخاطبونه ممن يسمع و يعقل.

أبــرزتَ في نظــم الــسلوك عجائبــاً ... وكــشفتَ عــن سرّ مــصون غــامضِ

---

(١) أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، فصل في زيارة القبور، ٩٢٩٦، ج٧ ص١٧.

فقوله: (**أبرزت**): أي أظهرت، خطاب لابن الفارض الذي ناداه رحمه الله تعالى. (**ونظم السلوك**): اسم القصيدة التائيّة الكبرى سمّاها له بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في رؤيا رآها كما سيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في محلّه (**عجائباً**): جمع عجيبة، وهي الأمر الذي يُتعجب منه من دقائق المعاني. (**والسرّ**): هو الأمر الخفي الذي يُكتم. (**والمصون**): المحفوظ. و(**الغامض**) بالغين المعجمة والضاد المعجمة: خلاف الواضح من الكلام

وشربتَ من بحر المحبّة والوَلا فرويت من بحر محيط فائضِ

(**الولا**): بفتح الواو الوَلاية، وتكسر. وهو مقام القرب إلى الله تعالى، والإنسان. (وَلِيّ): أي قريب إليه تعالى. وقدّم المحبّة لأنها وسيلة إلى القربة، ثمّ أثبت له الرِيّ من ذلك البحر: وهو زوال العطش، ولا يكون إلا في المقام الذاتيّ المقتضي للاستغراق الكلّي بعد فناء الفناء. (**وقال ولده**): أي ولد الشيخ عمر رضي الله تعالى عنه. (**رأيت**) وأنا في يقظتي. (**الشيخ**): يعني والده الشيخ عمر رضي الله عنه وكان في حال حياته (**نائماً مستلقياً على ظهره وهو**) في تلك الحالة (**يقول: صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله**) هكذا ثلاث مرات (**رافعاً**) بذلك (**صوته، مشيراً بإصبعيه**) السبابتين من يده (**اليمنى**) ويده (**اليسرى إليه**) صلّى الله عليه وسلّم (**واستيقظ**): أي الشيخ رحمه الله تعالى (**من نومه**) ذلك. (**وهو يقول كذلك**): أي صدقت يا رسول الله مكرراً ثلاث مرّات. (**ويشير بأصبعيه كما كان يفعل وهو نائم فأخبرته**): أي الشيخ رضي الله تعالى عنه بعد استيقاظه. (**بما رأيته**) يفعله من الإشارة بأصبعيه. (**وبما سمعته منه**) من قوله المذكور. (**وسألته عن سبب ذلك**): أي القول والإشارة. (**فقال**): أي الشيخ رضي الله عنه. (**يا ولدي، رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام**): ومعلوم أنّ من رأى النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقد رآه حقّاً كما ورد في الحديث. قال صلّى الله عليه وسلّم: «من رآني في المنام فقد رآني؛ فإنّ الشيطان لا

يتمثّل بي»[1]. رواه أحمد بن حنبل والبخاري والترمذي عن أنس رضي الله عنه. وفي رواية: «من رآني فقد رأى الحقّ؛ فإن الشيطان لا يتزيَّا بي». رواه أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، عن أبي قتادة رضي الله . وفي رواية: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثّل الشيطان بي» رواه البخاري ومسلم وأبو داوود، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أي: تكون رؤياه صلّى الله عليه وسلّم في المنام بشارة له أنه سيراه في اليقظة، ولا يتمثّل الشيطان به في اليقظة أيضاً بالرؤية البرزخيّة التي تحصل للأولياء العارفين بالله تعالى إذا تجرّدوا في اليقظة من عالم أجسامهم، وغلبت عليهم روحانيّاتهم، ولَطَفَتْ كثائفهم بالرياضة الشرعيّة والطاعة المرضيّة؛ فإنّهم يتجرّدون في اليقظة عن غلبة عالم الطبيعة عليهم كما يتجرّد النائم، فيرون في اليقظة ما يراه النائم في منامه، ويجتمعون بالأرواح البرزخيّة، ويتكلّمون معهم؛ وهو أمر محقّق عند العارفين لا شبهة فيه؛ فيكون في الحديث إشارة إلى أن من رأى/ [١٥/ أ] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في منامه، واستعظم تلك الرؤيا حتى أوجبت كمال تقواه، واستقامت حالته على الشريعة ظاهراً وباطناً؛ لا ظاهراً فقط كما يظنّه الأجانب عن هذا الطريق؛ فإنّه يصير ولياً عارفاً، ويرى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة؛ فتكون رؤياه له في المنام داعية إلى حصول ذلك المقام. وأما من رآه صلّى الله عليه وسلّم في المنام واستمر مصرّاً على ما هو فيه من الآثام في الظاهر والباطن وهو غافل، محجوب، مشغول القلب بالدنيا، وجمع الحطام فإنّ تلك

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التعبير، باب من رأى النبيّ في المنام،٦٩٩٤، بلفظ: (عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من رآني في المنام فقد رآني؛ فإنّ الشيطان لا يتخيّل بي. ورؤيا المؤمن جزء من ستّة وأربعين جزءاً من النبوّة). كما أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة،٧٣٦٧،كما أخرجه الترمذيّ في الشمائل المحمّديّة عن أنس، باب من رآني في المنام فقد رآني، فإنّ الشيطان، ٤٠٦،ج١ص٤٦١. قال المناويّ في فيض القديرنقلاً عن السيوطيّ: إنّه متواتر. وقال الزرقاني في شرح الموطّأ: والحديث متواتر، جاء عن جمع من الصحابة. أنظر نظم المتناثر للشيخ محمّد جعفر الكتّاني، ج١ص٢١٨.

الرؤيا وبال عليه، ومكر به وانتقام. وقد أشار القسطلانيّ[1] رحمه الله تعالى في مواهبه اللدنيّة إلى مكان رؤيته صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة. وكذلك ابن الحجر الهيتمي[2] في «شرح همزيّة البوصيري». وللسيوطيّ[3] رسالة في ذلك سمّاها «إنارة الحَلَك في إمكان رؤية النبيّ والملك».

(وقال): أي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. (**لي يا عمر لمن تنتسب**): أيْ يرجع نسبك إليه. (**فقلت: يا رسول الله، أنتسب إلى بني سعد**) وهي. (**قبيلة حليمة السعديّة مرضعتك**): أي حليمة التي أرضعتك (يا رسول الله . فقال) صلّى الله عليه وسلّم: (**لا**): أي ما أنت منتسب إلى بني سعد؛ (**بل أنت منّي**): أي من ذرّيّتي(**ونسبك متّصل بي. فقلت: يارسول الله، إني أحفظ نسبي**): أي أعلمه وأضبطه. (**عن أبي وجدّي**): أب أبي وأبيه. (**إلى**) قبيلة (**بني سعد. فقال**): صلّى الله عليه وسلّم. (**لا**): أي ليس نسبك كذلك. (**مادّاً**): أي رافعاً (**لا**): أي بكلامه. (**صوته**): صلّى الله عليه وسلّم على وجه الردع لي والزجر عن تلك المقالة. (**بل أنت منّي، ونسبك متّصل بي**): أي من أولاد عليّ من فاطمة الزهراء رضي الله

---

(١) القسطلانيّ: أحمد بن محمّد بن أبي بكربن عبد الملك القسطلانيّ، القتيبيّ، المصريّ. محدّث مؤرّخ مقرئ. من كتبه: المواهب اللدنيّة في المنح المحمّديّة، وإرشاد الساري على شرح صحيح البخاريّ، ولطائف الإشارات في علم القراءات. انظر معجم المؤلّفين ج٢ ص٨٥ .

(٢) ابن حجر الهيتميّ: أحمد بن علي بن حجر الهيتميّ، السعديّ،الأنصاريّ، شيخ الإسلام، أبو العبّاس. فقيه، باحث، مصريّ. ولد في محلّة أبي الهيتم في مصر سنة٩٠٩هـ، وتوفي في مكّة سنة ٩٧٤ هـ. حفظ القرآن صغيراً. من مؤلّفاته: شرح المشكاة، وشرح المنهاج، وشرح الهمزيّة البوصيريّة، والزواجر من الكبائر، وغير ذلك كثير. انظر الأعلام للزركلي ج١ ص٢٣٤.

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ، (٨٤٩-٩١١)هـ، إمام، حافظ، مؤرّخ، أديب. له نحو ٦٠٠ كتاب منها المصنّف الكبير والرسالة الصغيرة، في جميع العلوم التي برع فيها، من مؤلّفاته: الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، وشرح الشاطبيّة، وجمع الجوامع في الأصول، والخصائص الكبرى، وجمع الجوامع في العربيّة وشرحه همع الهوامع، ونكت شرح الألفيّة لابن عقيل. انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيدروس.

عنهم (**فقلت: صدقت يا رسول الله مكرراً ذلك**): القول (**ثلاث مرات مشيراً**): إليه صلّى الله عليه (**بإصبعيّ**) مشددة الياء المثناة التحتيّة: تثنية إصبع. (**كما رأيت**): تلك الإشارة. (**وسمعت**) ذلك القول فيما سبق.

(**قلت**): أي قال جامع هذا الديوان، سبط الشيخ رحمه الله تعالى. (**رأيت ولده**): أي ولد الشيخ رحمه الله تعالى. (**المشار إليه**): هنا في قصة رؤيا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وما قبلها (**واقفاً**): على قدميه في اليقظة. (**وأصابع يديه مبسوطتان على ركبتيه**) من غير انحناء في ظهره بأن كانت يداه طويلتين بحيث تصلان إلى ركبتيه. (**وقال**): أي ولد الشيخ رحمه الله تعالى (**رأيت والدي**): أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. (**واقفاً**) على قدميه (**وأصابع يديه مبسوطة على ركبتيه مثل وقوفي هذا**): وأشار إلى وقوفه ذلك كذلك.

(**وقال**): أي ولد الشيخ، أو الشيخ، والده رحمهما الله تعالى. (**هذا**): أي وصول اليدين إلى حدّ الركبتين كما فعل وهو واقف. (**من علامات الشرف**): أي صحة النسب إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكونه من ذريّته. ولا يلزم أن يكون ذلك شرطاً في صحة النسب؛ بل هو من علاماته كما قال. وقد ورد في الأخبار ما يدلّ على أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كانت يداه طويلتين في الحسِّ والمعنى؛ فقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كنت عند خالتي ميمونة فقام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يصلِّي من الليل. فقمت عن يساره، فأخذ برأسي، فأقامني عن يمينه**»[1] أخرجه البخاريّ ومسلم.

وفي رواية لغيرهما: «**فأخذ بأذني، وأدارني خلفه حتى أقامني عن يمينه**»[2]. وفي

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الأذان وغيره، باب: إذا لم ينوِ الإمام أنْ يؤمّ ثمّ جاء قوم فأمّهم، ٦٩٩، كما رواه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد، باب جواز الجماعة في النافلة الواحدة، ١٥٣٤.

(٢) رواه أحمد في مسند ابن عبّاس، ٣٥٥٤، ج٨ ص٨٠، كما رواه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ١٨٤١.

رواية: «وقمت خلفه، فأخذ ذؤابتي وأقامني عن يمينه. فعدت إلى مكاني، فأعادني ثانياً، وثالثاً. فلما فرغ قال: ما منعك يا غلام أن تثبت في الموضع الذي أوقفتك؟!. قلت: أنت يا رسول الله، ولا ينبغي لأحد أن يساويك في الموقف. فقال صلّى الله عليه وسلّم: اللهمّ فقهه في الدين وعلّمه التأويل» ولا شك أنه لا أطول من يد/[١٥/ ب] تُمدّ إلى رأس مقتدٍ على اليسار أو إلى أذنه؛ فتجذبه من خلف إلى جانب اليمين، من غير تحويل عن القبلة من صاحب تلك اليد؛ فهي اليد الطولى.

ثمّ قال جامع الديوان سبط الشيخ، أو ولد الشيخ رحمهم الله تعالى: (**وهذه النسبة الشريفة**): أي التي أرادها صلّى الله عليه وسلّم بقوله للشيخ عمر رحمه الله تعالى في المنام: «بل أنت منّي، ونسبك متّصل بي» كما مرّ. (**إمّا أن تكون نسبة الأهليّة**): بأن يكون من ذريّة فاطمة التي هي ذريّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهو الظاهر المتبادر من الكلام وإن لم يكن ثابتاً في الظاهر وكان الثابت غيره؛ لأنّه لّما كان المعتبر في الشرع ثبوت النسب بالبيِّنة، واختلاف الأزمان يقتضي اختلاف الناس في طبائعهم، وعاداتهم، وأغراضهم، ومقاصدهم؛ فقد يضعف بعض الذرّيّة عن إقامة البيّنة. وقد تمنع الشهود عن أدائها لخوف أو طمع. وقد يعدل الحاكم، وقد يظلم. وقد ينتسب بعض الذريّة إلى غير نسبه لجهله بنسبه، أو لغرض من الأغراض؛ فيكون قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ـ وهو الصحيح ـ على خلاف ما هو في ظاهر الحال وإن لم تكن هذه الرؤيا المناميّة موجبة لحكم من الأحكام الشرعيّة. (**أو**) تكون تلك النسبة (**نسبة المحبّة**) بينه وبين النبيّ صلّى الله عليه وسلم (**والنسبة التي هي عند أهل المحبّة**) وهي نسبة المحبّة (**أشرف**) قدراً واعتباراً. (**من نسب الأبوّة**) التي كانت منها الولادة. (**وهي**): أي نسبة المحبّة. (**النسبة التي جعلت بلال**) بن رباح بن حمامة. وحمامة أمه، كذا في القاموس. توفي بدمشق سنة عشرين، ودفن بباب الصغير، وقيل: بباب كيسان، وقيل: بداريّا، وقيل: بحلب. والصحيح الذي عليه الجمهور أنه بباب الصغير. ذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات، (**الحبشيّ**) مؤذن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

(وجعلت أبا عبد الله سلمان الفارسيّ): أي المنسوب إلى فارس مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وسُئل عن نسبه فقال: أنا سلمان بن الإسلام. توفي في المدائن سنة ست وثلاثين **(وجعلت صهيب)** بن سنان مولى عبد الله بن جدعان التميمي، يكنى أبا يحيى. **(الرومي)**: أي المنسوب إلى الروم، مات سنة ثمانين بالمدينة، ودفن بالبقيع. ذكره النوويّ في تهذيب الأسماء. **(من أهل البيت)**: أي: بيت النبوّة المحمّدية؛ بل ورد في الحديث أنه قيل: «من آلك يا رسول الله؟. قال: آلي كلّ مؤمن». أو «كلّ مؤمن تقي»[1] على اختلاف الروايتين. والأول بمعنى الأهل. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «سلمان منّا أهل البيت»[2] رواه الطبرانيّ والحاكم عن عمر بن عوف. وفي رواية: «سلمان سابق فارس»[3] رواه ابن سعد عن الحسن مرسلاً. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «السُّبّاق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشة»[4] رواه البزّار والطبرانيّ والحاكم عن أنس. ورواه الطبرانيّ عن أم هاني.

---

(١) قال ابن حجر الهيتميّ الصواعق المحرقة، الفصل الأوّل في الآيات الواردة فيهم، ج٢ ص٤٢٨: «آلي كلّ مؤمن تقي» ضعيف، ولو صحّ لتأيد به. وقال العجلونيّ في الكشف: «عن أنس، سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من آل محمّد؟. فقال: كلّ تقي من أمّة محمّد. ولفظ الديلمي: ثمّ قرأ: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [٨/ الأنفال/ ٣٤] ولكنّ شواهده كثيرة، منها في الصحيحين من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ آلي أبي فلان ليسوا بأوليائي؛ إنّما وليّي الله وصالح المؤمنين». أخرجه البخاريّ، كتاب الأدب،٧٨، باب: يبل الرحم ببلالها،٥٩٩٠، كمارواه مسلم، كتاب الإيمان، ٢، باب: موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم،٥٤١.

(٢) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، ٥٨٠٨،ج٦ ص١٠ كما أخرجه الحاكم في مستدركه، باب ذكر سلمان الفارسيّ رضي الله عنه، ٦٦١٦، ج١٥ص٧٢.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، ج٧،ص٥٣٦. قال السيوطيّ في جامع الأحاديث، حرف السين، ج١٢ص٣٨٤ : أخرجه ابن سعد ج٤ص٨٢، وابن أبي شيبة، ٣٢٣٢٩، ج٤ ص٨٢، وابن عساكر ج١٢ص٤٠٤.

(٤) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير،٧١٣٥، عن أنس، كما أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: ذكر مناقب صهيب بن سنان مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ٥٧٣٨، ج٢،ص١٨٥.

ورواه ابن عدي عن أبي أمامة. (وأُبعد): بالبناء للمفعول. (**عنها**): أي عن نسبة المحبّة. (**أبو طالب**): بن عبد المطلب بن هاشم، عمّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أخو أبيه عبد الله، وأبو عليّ كرّم الله وجهه. وقد كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حريصاً على إسلامه؛ فعاده في مرض موته، فقال له: قل لا إله إلا الله محمّد رسول الله. فأبى، حتى كان يقول له: يا عمّاه، قلها ولو في أذني، كلمة أحاجج لك بها يوم القيامة. فقال: على دين الأشياخ من قريش. (**ولم يتشرّف بها**): أي بنسبة المحبّة المذكورة. (**ولم تنفعه نسبة العمومة التي هي أقرب الأنساب الأهليّة**): لاقتضائها العصوبة والولاية. (**لما حجبته المشيئة الإلـهيّة**): الأزليّة بما قدرته عليه من الموت على الكفر والعياذ بالله تعالى.

(**عن الهداية الربّانيّة**) والعناية الرحمانيّة. (**وكذلك تبرأ إبراهيم الخليل عليه السلام من أبيه آزر لـمّا تبيّن**)/ [١٦/ أ]: أي انكشف. (**له**): أي لإبراهيم عليه السلام. (**أنّه**): أي أباه آزر. (**عدوٌّ لله**) تعالى كما قال تعالى عنه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [٩/ التوبة/ ١١٤] وكان وعده بالإسلام والإيمان به، فامتنع من ذلك. (**وقيل لنوح عليه السلام عن ولده**) لـمّا قال: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [١١/ هود/ ٤٥-٤٦] (**وإلى هذا النسب الشريف**): الذي هو نسب المحبّة. (**أشار شيخنا**): يعني الشيخ عمر رضي الله عنه (**في القصيدة اليائيّة**): التي قافيتها الياء المثناة التحتيّة. (**حيث قال**): وسنشرحه في موضعه إن شاء الله تعالى:

نسب أقرب في شرع الهوى ... بيننا من نسب من أبويّ[1]

(**قلت**): أي قال جامع هذا الديوان، سبط الشيخ عمر رحمهما الله تعالى بطريق

(١) انظر شرح هذا البيت في قصيدة سائق الأظعان، البيت رقم ٩٤.

المناسبة في اعتبار نسب المحبّة نظير واقعة الشيخ عمر رضي الله عنه مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم **(ورأيت في المنام كأنني في الحضرة الشريفة المحمّديّة)**: أي حضرة محمّد صلّى الله عليه وسلّم. (وكأنّ): بالهمزة وتشديد النون. **(عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)** في تلك الحضرة. **(جماعة كثيرة من الأنبياء)** عليهم السلام. **(والأولياء)** قدّس الله أرواحهم **(وكأنّ)** بالهمز والتشديد أيضاً. **(الشريف شمس الدين محمّد الأيكي)**[1] كأنّه نسبة إلى الأيك، وهو الشجر الملتف الكثير، أوالغيضة تنبت السدر والأراك، أو الجماعة من كلّ الشجر حتى من النخل، الواحدة: أَيكة، كذا في القاموس. (نقيب) السادة **(الأشراف)** يومئذ بمصر المحروسة **(وقاضي العساكر المنصورة قدّس الله روحه ونوّر ضريحه)** توفي بدمشق في شهر رمضان سنة سبع وتسعين وتسعمئة. **(والأيكي)** بهمزة مفتوحة.

وكان الجلال القزويني يقول: «الإيكي بكسر الهمزة، ثمّ ياء مثناة من تحت بعدها كاف ثم ياء النسب». ذكره ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعيّة. **(مع الجماعة)** الذين عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. **(في الحضرة الشريفة ولم أعرف أحداً منهم بصورته)** من هو **(سواه)**: أي سوى الشريف شرف الدين المذكور. (وكأنّ) بالهمز والتشديد. **(النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمر بإثبات نسبة الشيخ صُبيح)**: تصغير صُبح أو صَبيح مشتق من الصَّباحة. **(الحبشي)** رجل من الصالحين، كان بمصر المحروسة، وله ذريّة فيها مشهورة في ذلك الزمان. **(إليه)**: أي إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. **(ورأيت رجلاً)** في المجلس. **(معه المكتوب الذي يُشهد)** بالبناء للمفعول. **(فيه بالنسبة)** الشريفة المحمّديّة **(وهو)**: أي ذلك الرجل **(يدور على الجماعة الحاضرين)** في: ذلك المجلس. **(يأخذ خطوطهم)**: أي

---

(١) هو محمّد بن أبي بكر بن محمّد الفارسيّ، الشافعيّ، المعروف بالأيكي. شمس الدين، أبو عبد الله، فقيه، أصولي، صوفي، منطقي، عارف بعلوم الأوائل. درس بالغزاليّة بدمشق، قدم مصر، ثمّ رجع إلى دمشق فتوفي بضواحي المزة. (٦٢٧-٦٩٧) هـ. انظر معجم المؤلّفين.

ما يكتبونه بأيديهم. (**فيه**): أي في ذلك المكتوب. (**فلمّا وصل**): أي ذلك الرجل. (**إليّ**) بالتشديد للياء. (**ناولني المكتوب. وقال لي: اكتب**): أي أنت فيه. (**فقلت له**): أي لذلك الرجل (**أنا ما رأيت الشيخ صبيح**) المذكور. (**ولا عاصرته**): أي كنت في عصره، يعني: زمانه الذي كان فيه. (**ولا أعرف نسبته**): إلى مَن هو منتسب. (**وإنّما رأيت أولاده**) واجتمعت بهم. (**وهم أصحابي**) اليوم. (**فصرخ**): أي صاح ذلك الرجل. (**عليّ**) بتشديد الياء. (**صرخة عظيمة وجدت لها**): أي لتلك الصرخة (**رعباً**): أي خوفاً. (**عظيماً، وقال لي: اكتب كما أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُكتب**) بالبناء للمفعول. (**فقلت له: وكيف أمر سيّدنا رسول الله صلّى الله وسلّم أن يُكتب**) بالبناء للمفعول أيضاً (**فقال: اكتب أشهد أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم متّصل النسب بالشيخ صبيح. فكتبت كما أمر رسول الله صلّى الله عليه أن يُكتب**). والشيخ صبيح المذكور لم يعرف أحد أنّه من ذريّة النبي صلّى الله عليه. وسلّم، إلا أنه كان رجلاً من الصالحين كما وقع للشيخ/ [١٦/ ب] عمر رضي الله عنهما؛ فلعلها في حقّهما نسبة الأهلية، أو نسبة المحبّة كما سبق بيانه.

(**وقال ولده**): أي ولد الشيخ عمر رحمه الله تعالى: (**سمعت الشيخ رضي الله عنه**): يعني والده قدّس الله سرّه. (**يقول**): في حال حياته، (**وأنا أسمع: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام وقال لي: يا عمر، ما سمَّيت قصيدتك**): يعني أي اسم جعلته لقباً للقصيدة التائيّة الكبرى. (**فقلت له: يا رسول الله، سمّيتها**): أي القصيدة المذكورة. (**لوائح**): جمع لائحة؛ وهي ما يلوح: أي يظهر من المعاني والأسرار الإلهيّة. (**الجَنان**) بفتح الجيم، أي: القلب. (**وروائح**) جمع رائحة. (**الجِنان**) بكسر الجيم: جمع جنّة، وهي الحديقة ذات النخيل والشجر. (**فقال**): أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. (**لا**): أي لا تسمِّها بذلك الاسم؛ (**بل سمِّها**): أي القصيدة المذكورة. (**نظم السلوك**): أي جمع معاني السير بالهمّة القلبيّة، والطاعة المرضيّة في طريق الوصول إلى حضرة ربِّ البرية، وحصول

معرفة الذوقيّة الكشفيّة. (**فسمّيتها**): أي تلك القصيدة. (**بذلك**): أي بهذا الاسم الذي أشار إليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

(**وقال**): أي ولد الشيخ عمر رحمه الله تعالى. (**حضر في مجلس الشيخ**) عمر والده رضي الله عنه (**رجل، وسمّاه**): أي ولد الشيخ رحمه الله تعالى: يعني ذكر لي اسمه. (**فأُنسيت**) بالبناء للمفعول، (**اسمه ما هو، وكان**): أي ذلك الرجل. (**من أكابر علماء أهل زمانه**) مفرداً بالكمال في شأنه. (**واستأذنه**): أي طلب منه الشيخ رضي الله عنه الإذن. (**في شرح القصيدة التائيّة الكبرى**): المسمّاة. (**نظم السلوك فقال**): له الشيخ رضي الله عنه في (**كم مجلّد تشرحها**): أي تلك القصيدة المذكورة. (**فقال**): أي ذلك الرجل. (**أشرحها في مجلّدين. فتبسّم الشيخ رضي الله عنه وقال: لو شئت لشرحت كلّ بيت منها**): أي من تلك القصيدة. (**في مجلّدين**) من سعة علمه بالله تعالى، رضي الله عنه.

(**قلت**): أي جامع هذا الديوان، سبط الشيخ عمر رحمه الله تعالى. (**سمعت الشيخ شمس الدين محمّد الأيكي**) المتقدم ذكره. (**شيخ الشيوخ**) يومئذٍ. (**بخانقاه سعيد السعداء**) بمصر المحروسة. (**يقول**): أي الأيكي، رحمه الله تعالى. (**لسيدي الشيخ كمال الدين محمّد ولد الشيخ**) عمر صاحب الديوان (**رضي الله عنه وقد حضر**): أي الأيكي (**إلى زيارته**): أي زيارة ولد الشيخ بعد وفاة الشيخ رضي الله عنه. (**ومعه الشيخ نور الدين النقشواني**)[1] وكذلك (**جماعة من أكابر الصوفيّة، وكان ذلك**): أي وقت الزيارة. (**في آواخر دوله المنصور على أعدائه الملك المظفر قلاوون تغمده الله تعالى برحمته: يا سيّدي، الحمد الله الذي عشت**) إلى هذا الزمان.

---

(١) أحمد بن أبي بكر بن محمّد نجم الدين النقشواني، تولّى المدرسة المنصوريّة في القاهرة التي أنشأها الملك المنصور قلاوون، له عدّة تآليف، منها: تلخيص المحصول، وهو مختصر المحصول لفخر الدين الرازي، وشرح كلّيّات القانون لابن سينا، توفي في حدود ٦٥١هـ. انظر شرح تنقيح الفصول للقرافي، أحمد بن إدريس (٦٨٤)هـ.

(ورأيتك وكأنّي اليوم رأيت سيّدي الشيخ شرف الدين) بن الفارض. (والدك) رضي الله عنه (وأنا على مذهب): أي الذي كان يذهب إليه. (شيخنا) الشيخ. (صدر الدين): القونوي رفيق الشيخ عمر بن الفارض في الأخذ عن الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه، كما ذكرناه فيما تقدّم عن طبقات المناويّ في آخر ترجمة ابن العربيّ. (في محبّة الشيخ) عمر صاحب الديوان. (واعتقاد صدق كلامه) في العلوم الإلهيّة. (والاشتغال بقصيدته) التائيّة التي اسمها (نظم السلوك، وذكر): أي الأيكي رحمه الله تعالى. (منها): أي من تلك القصيدة. (أبياتاً) متعددة. (من جملتها): أي الأبيات المذكورة. (هذا البيت): وهو قول الشيخ عمر رضي الله عنه كما سيأتي شرحه في محلّه إن شاء الله تعالى.

ولـولا حجـاب الكـون قلـت وإنّـما قيـامي بأحكـام الظـاهر مـسكتي[1]

(وشرع): أي الأيكي. (يتكلّم على معاني الأبيات) التي ذكرها من القصيدة المذكورة بلسان أهل المعرفة. (ويقول) في أثناء كلامه ذلك.(كأنّ شيخنا): أي صدر الدين القونوي[2] المذكور/ [١٧/أ] رضي الله عنه. (يحضر في مجلسه جماعة من العلماء) في ذلك الزمان (ومن طلبة العلم، ويتكلّم): أي صدر الدين. (في فنون من العلم) معهم. (ثمّ يختم كلامه) بعد ذلك (بذكر بيت من القصيدة؛ نظم السلوك): قصيدة الشيخ عمر رضي الله عنه. (ويتكلّم): أي صدر الدين (عليه): أي على ذلك البيت. (بالعجميّ): أي بلسان العجم؛ وهو اللغة الفارسيّة (كلاماً)

---

(١) انظر البيت٧٤٤ من قصيدة نظم السلوك.

(٢) صدر الدين القونويّ: محمّد بن اسحقّ بن محمّد بن يوسف. ربيب الشيخ محيي الدين بن عربي وصاحبه، له تصانيف في السلوك، منها: النفحات، وتحفة الشكور، وتجلّيات، وتفسير الفاتحة في مجلّدة. توفي بقونية سنة٦٧٢هـ، وأوصى أنْ يُحمل تابوته إلى دمشق ويدفن مع شيخه ابن عربي، فلم يتهيّأ له ذلك. مات وهو ابن ٣٢سنة، وقيل ابن٦٢، انظر الوافي بالوفيّات للصفدي ج١ ص٢٣٣ وطبقات الأولياء لابن الملقن.

كثيراً. (**غريباً**): أي لم يطرق سمع أحد من الناس قبل ذلك (**لدنيّاً**) بتشديد الياء التحتيّة، أي: منسوباً إلى لدن الحقّ تعالى من قوله تعالى في الخضر عليه السلام ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [١٨/ الكهف/ ٦٥] (**لا يفهمه**): أي ذلك الكلام (**إلا صاحب ذوق**): أي حاسة إيمانيّة، ومعرفة وجدانيّة (**وشوق**): أي انجذاب إلى الحضرة الإلهيّة (**وكان**): أي صدر الدين. (**في ثاني يوم**) يوم من ذلك المجلس. (**يقول ظهر لي في معنى البيت الذي تكلّمنا عنه بالأمس**) في ذلك المجلس. (**معنى آخر ويتكلّم**): أي صدر الدين (**بأعجب مما تكلّم به بالأمس**) وقد استشهد في كتابه النفحات بقول الشيخ عمر بن الفارض من التائيّة:

وأنت - على ما أنت - عنّي نازح ... وليس الثريّا للثرى بقريبة[1]

(**وكان**): أي صدر الدين رضي الله عنه. (**يقول: ينبغي للصوفي**): أي لمن هو في صدد السلوك على طريق القوم من المجاهدة والعرفان، وطلب حقيقة الوجدان. (**أن يحفظ هذه القصيدة التائيّة**): التي هي نظم السلوك. (**ويشرحها**): أي يعرف شرحها بقراءته لها، (**على من يفهمها**): أي القصيدة المذكورة بالفهم الربّانيّ، لا الفكر النفسانيّ؛ فإنّه لا يعرفها إلا الربّانيّون من العلماء كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [٣/ آل عمران/ ٧٩].

(**قال الشيخ شمس الدين**) محمّد. (**الأيكي**) المذكور. (**رحمه الله**) تعالى. (**وكان الشيخ**) الكامل. (**سعيد الفرغانيّ**[2]) رضي الله عنه. (**قد أقبل بهمته على فهم ما**

---

(١) انظر البيت ٣٠٧ من قصيدة نظم السلوك. (التائيّة الكبرى، أوسقتني حُميّا الحب).

(٢) سعيد الفرغانيّ: من شيوخ المتصوِّفة، من علماء فرغانة ـ قاعدتها بخارى ـ اشتُهر بشرح قصيدة نظم السلوك لابن الفارض، انظر فتاوى ابن تيميّة ج٤ ص٣١٢، وصبح الأعشى للقلقشندي ج٤ ص٤٢٢. وقد أشاد النابلسيّ بشرح الفرغانيّ، وذلك من خلال اطّلاعه على بعض عباراته، مع أنّه لم يجد كامل شرحه، وكذلك لم يجد شرح القزوينيّ، بينما اضطلع على شرح القاشانيّ والقيصريّ للشيخ محمّد علوان الحموي كما في الصفحة ١٧/ ب.

يذكره **الشيخ صدر الدين القونويّ**) رضي الله عنه. (**من شرح القصيدة**) المذكورة. (**ويعلقه**): أي الفرغاني، يعني: يكتبه. (**عنده بالعجميّ**) على حسب ما كان يقرره له صدر الدين. (**ثمّ بعد ذلك عرّبه**): أي نقله إلى اللغة العربيّة. (**وعمل**) بذلك (**شرحه**) على القصيدة المذكورة. (**المشهور**) ذلك الشرح (**في مقدار مجلّدين**): أي نصفين. (**كلّ نصف منهما**) في مجلد واحد. (وهو): أي ذلك الشرح الذي (**للفرغاني من نَفَس**) بفتح الفاء، أي: (شبه) كلام. (**شيخنا صدر الدين**) القونوي (**رحمه الله**).

(**قلت**): أي قال جامع هذا الديوان. (**وما برحت أطلب الشرح المذكور**): وهو شرح القصيدة التائيّة للشيخ سعيد الفرغاني. (**إلى أن رأيت الشيخ كريم الدين؛ شيخ الشيوخ بالخانقاة الصلاحيّة**[1]) بمصر المحروسة. (**عند الشيخ عمر السعوديّ في الطبقة التي هي على باب زاويته**): أي زاوية الشيخ كريم الدين. (بالقرافة): أي المقبرة المشهورة بمصر. (**وأخبرني**): أي الشيخ كريم الدين. (**أنّ الشرح**): أي التائيّة للفرغاني عنده. (**فاستعرته**): أي طلبت إعارته.

(واستنسخته منه): **أي كتبت له نسخة من نسخته. (وهو)**: أي ذلك الشرح. (**عندي الآن**) ذلك الحين يومئذ. (**وقد أجاد**): أي أحسن الفرغانيّ. (**فيه**): أي في ذلك الشرح (**رحمه الله**) تعالى. (**وفتح باباً في شرح القصيدة**): أي التائيّة المذكورة. (**لم يفتحه غيره**) من الشُّرّاح والمتكلّمين عليها. (**قبله**): أي قبل الفرغانيّ رحمه الله تعالى.

(قلت): أي قال جامع الديوان. (**وأخبرني القاضي جمال الدين عبد الله بن سيّدنا ومولانا الشيخ جلال الدين محمّد القزوينيّ قاضي القضاة**[2]) أولاً (**بالشام**

(١) هو عبد الكريم بن حسن، الشيخ كريم الدين الآملي، ينتمي إلى سعد الدين حمويه، كان شيخ خانقاه سعيد السعداء، من كبار المتصوّفة، وكان ابن تيميّة كثير الحط عليه. توفي سنة ٧١٠، انظر الوافي بالوفيّات ج٦ ص٢١٩.

(٢) جمال الدين عبد الله بن (القاضي محمّد القزوينيّ صاحب شرح قصيدة نظم السلوك كما ذكر النابلسي)، قاضي وخطيب ومدرّس فقه في مصر، توفي بالطاعون مع أبيه وابنه سنة ٧٤٩.

المحروسة ثم قاضي القضاة بالديار المصريّة) تغمده الله برحمته ورضوانه، وأسكنه بحبوحة جنانه. **(أنّ والده)**: أي جلال الدين. **(محمّد القزويني)** المذكور. **(حرس الله)** تعالى **(جلاله)**: أي هيبته/ [١٧/ ب] وحرمته، وهو اشتقاق له من لقبه. **(وحفظ صفاته)** الحسنة. **(وجماله)** الذاتي. **(شرح القصيدة)** التائيّة المذكورة. **(في عدة مجلّدات)**. ولم نره الآن، ولا شرح الفرغانيّ. وقد رأينا شرحهما للقاشانيّ والقيصريّ، وللشيخ علوان بن عطية الحموي، رحمهم الله تعالى. ووقفت على عبارات من شرح الشيخ سعيد الفرغانيّ رحمه الله تعالى. نشهد بصدق فخامة شأن ذلك الشرح.

(وقال ولده): أي ولد الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله تعالى. **(كأن الشيخ)** عمر بن الفارض **(رضي الله عنه في غالب)**: أي أكثر **(أوقاته لا يزال دهشاً)**: أي مدهوشاً: من دَهِشَ كفَرِح، فهو دَهِش: أي تحيَّر، أو ذهب عقله من ذُهَلٍ أو ولهٍ، كذا في القاموس. **(ولا يزال بصره شاخصاً)** يقال: شَخَصَ بصرُه، أي: فتح عينيه وجعل لا يَطْرِف. [وشَخَصَ] بصرَهُ رَفَعَه. **(لا يسمع من يكلّمه ولا يراه)**: أي لا يرى من يكلِّمه أيضاً من شدّة غلبة الحال على قلبه، واستيلاء الوجدان الروحانيّ على عقله ولبّه؛ بحيث أسكر الحواس لاشتغال البصيرة بمشاهدة عالم الملكوت بعد زوال الالتباس. **(فتارة يكون)**: أي الشيخ رحمه الله تعالى. **(واقفاً)** على قدميه وهو مستغرق في ذلك الحال. **(وتارة يكون قاعداً، وتارة يكون مضطجعاً على جنبه)** الأيمن أو الأيسر **(وتارة يكون مستلقياً على ظهره مسجّى)**: أي مغطى. **(كما يسجّى الميت)** قال في القاموس: «وتَسجِيَة الميِّت تَغطيته، يعني: بالسين المهملة والجيم. **(وتمرُّ عليه عشرة أيام متواصلة)**: أي متتابعة **(وأقلّ من ذلك)** المقدار. **(وأكثر)** منه. **(وهو على هذه الحالة)**: من الاستلقاء على ظهره كالميّت. **(ولا يأكل ولا يشرب ولا يتكلّم ولا يتحرّك)** أصلاً في المُدّة المذكورة. **(فهو)** في تلك الحالة. **(كما قيل)**: أي قال الشاعر في نظير ذلك:

تــرى المحبِّــينَ صرعــى في ديــارهمُ كفتيــةِ الكهـف لا يــدرون كـم لبثـوا

ترى ـ أيها الناظر ـ المحبّين: جمع مُحبّ وهو من غلبتْ المحبّة على قلبه واستولت على عقله ولبِّه؛ بدليل قوله صرعى: جمع صريع كأمير، بمعنى مصروع: وهو المطروح على الأرض. والديار: جمع دار؛ المحل يجمع البناء والعَرَصة. والفِتْيَة: جمع فَتَى، والفَتَى: هو السخِيّ الكريم. يُقال هو فَتَى: بَيِّنُ الفُتُوَّة. وقد تَفَتَّى وتَفَاتَى. والجمع: فِتْيان وفِتْيَة وفُتُوٌّ على فعول، وفُتِيٌّ مثل عُصِيّ، كذا في الصحاح للجوهريّ. والكهف: هو الغار في الجبل. قال تعالى في أصحاب الكهف ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [١٨/ الكهف/ ١٣]. وقال البيضاوي فِتيان: «شبَّان، جمع فتى، كصبيّ وصِبية» انتهى.

وإنّما كانوا فتية لسخائهم وتكرّمهم بخروجهم عن جميع ما كانوا فيه من الأموال والأهلين، ورفعة الشأن والجاه، وإعراضهم عن ذلك كلّه، وإيثارهم للفقر والفاقة في طريق الله تعالى، ثمّ بذلهم نفوسهم؛ حيث خاطروا بها في زمان دقيانوس الملك الجبار، ودخلوا إلى الكهف في الجبل من غير زاد، مستوفزين، مستسلمين، متوكّلين على الله تعالى. فأنزل الله تعالى على قلوبهم الأمن من عدوِّهم؛ فناموا تلك المدّة الطويلة، كما قال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [١٨/ الكهف/ ١١] ولا يدرون ما لبثوا، أي: مقدار لبثهم في الكهف قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [١٨/ الكهف/ ١٩].

وذكر البيضاوي: «عن معاوية رضي الله عنه أنّه غزا الروم فمرّ بالكهف فقال: لو كُشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم. فقال له ابن عبّاس رضي الله عنهما ليس لك ذلك؛ قد مُنع من ذلك مَن هو خير منك فقال: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [١٨/ الكهف/ ١٨] فلم يسمع. وبعث ناساً، فلّما دخلوا

جاءت الريح فأحرقتهم»[1] انتهى. ويُفهم من هذا أنّ الكهف هو المشهور؛ لأنه في بلاد الروم بطرسوس/ [١٨/ أ] وأنّ الذي بدمشق في جبل قاسيون ليس هو ذلك الكهف. والمقصود هنا تشبيه حالة المحبّين في وقت انصراعهم وسكرهم بشراب المحبّة في بيوتهم على فرشهم من غير شعور منهم بذلك، ولا إحساس بما هم فيه من ذلك الحال ـ بحالة أصحاب الكهف ـ لـمّا خرجوا عمّا هم فيه، وفرّوا إلى الله تعالى، فدخلوا ذلك الكهف، ومكثوا فيه نائمين لا يشعرون بشيء أصلاً حتى استيقظوا، ولم يعلموا مقدار مكثهم، فإنّ أهل المحبّة كذلك تستغرقهم الأحوال، وتصرعهم تجلِّيات الجلال والجمال، وهم شهداء إذا ماتوا على تلك الحال. قال صلّى الله عليه وسلّم: «إن لله تعالى عباداً يضنّ بهم عن القتل، ويطيل أعمارهم في حسن العمل، ويحسّن أرزاقهم، ويحييهم في عافية، ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش، فيعطيهم منازل الشهداء»[2] رواه الطبرانيّ عن ابن مسعود، ذكره السيوطيّ في الجامع الصغير.

والله لـــو حلـــف العـــشّاق أنّهـــم صرعى من الحبّ أو موتى لما حنثوا

العشّاق: جمع عاشق، من العشق: وهو إفراط الحبّ. [وحنِثوا: من قولهم حنِث في يمينه، من باب تعب: إذا لم يفِ بموجبها، يقال: فلان حانث في يمينه، وبارٌّ في يمينه][3] يعني: لو حلفوا أنّهم مصروعون من المحبّة، أو موتى منها ـ جمع ميت، أي: قد زالت حياتهم النفسانيّة، وبقوا أشباحاً جسمانيّة قائمين بحضور هيبة محبوبهم الحقيقي، واستحضارهم تجلّيات جماله وجلاله - لما حنثوا في حلفهم ذلك؛ لأنّ الأمر فيهم كذلك. والله أعلم بما هنالك.

---

(١) انظر تفسير البيضاوي، ج٣ ص٤٧٢.

(٢) ذكره السيوطيّ في الجامع الصغير، وقال الألبانيّ في صحيح وضعيف الجامع الصغير١٩٥٠، ضعيف جداً.

(٣) العبارات في من المطبوع.

(ثمّ) إنّه كان رضي الله عنه. (يستفيق) من سكر غرامه، واستغراق وجده وهيامه. (وينبعث): أي يستيقظ . (من هذه الغيبة، ويكون أوّل كلامه أنّه يملي من القصيدة) التائيّة. (نظم السلوك ما فتح الله) تعالى (عليه) من ذلك.

(قلت): أي قال جامع هذا الديوان: (طالعت في مجموع بخط رجل فاضل): أي صاحب فضل وعلم. (فرأيت من جملته): أي من جملة ما كتب في ذلك المجموع. (القصيدة التائيّة): أي المنسوبة إلى قافية التاء المثنّاة الفوقيّة. (المعروفة بنظم السلوك، ورأيت قبلها): أي قبل ذكرها في ذلك المجموع. (ترجمة) لها (هذه) الترجمة الآتية. (صورتها): أي صورة تلك الترجمة.

(قال الشيخ المحقّق): من التحقيق؛ وهو إدراك حقيقة الشيء. ويُقال هو معرفة الشيء بدليله. (شرف الدين): لقبه. (عمر) اسمه. (ابن الفارض): كنيته. (نوّر): بتشديد الواو (الله) تعالى. (مضجعه): أي موضع اضطجاعه وهو قبره. (هذه القصيدة الغرّاء) تأنيث الأغر؛ وهو الأبيض من كل شيءٍ. (والفرس الغَرّاء): ذات الغُرّة بالضمّ: وهي بياض الجبهة. والغُرّة من الشهر: ليلة استهلال القمر، ومن الهلال طلعته، ومن الأسنان بياضها وأوّلها، ومن المتاع خياره، ذكره القاموس. فالمراد هنا بالغرّاء المستنيرة الواضحة المعاني، المشرقة الأسرار، المتقنة المباني. (والفريدة): وهي الجوهرة النفيسة، وجمعها فرائد. (الزهراء): أي ذات البهجة والنضارة والحُسن. وزهرة الدنيا: بهجتها، ونضارتها، وحُسنها. وبالضمّ: البياض والحُسن. وقد زَهِر كفَرِح وكَرُم. وزَهَرَ السراج، والقمر، والوجه، كمنع، زُهُوراً تلألأ كازْدَهَر. و- النار أضاءت وأزْهَرتُها، كذا في القاموس. (التي لم يُنسج): بالبناء للمفعول. (على مِنوالها): والنسج الحياكة، والمِنوال: خشب الحائك، ويقال: هم على مِنوال واحد، أي: استوت أخلاقهم، وإذا لم ينسج غيرها على مِنوالها لم يكن يشبهها غيرها. (ولا سمح): أي جاد وتكرّم. (خاطر): من خواطر أفاضل الشعراء الكاملين. (بمثالها): أي بما يماثلها. (وتكاد) من انفرادها

في رتبة الفصاحة والبلاغة مع كمال معانيها /[١٨/ب] الإلهيّة، وإشاراتها الربّانيّة. (**تخرج عن طوق**): أي قدرة فطاقة. (**وُسع**): أي غاية ما يتسع (**البشر**) من بني آدم، (**يعني**): البلغاء منهم. (**ألفاظاً**): أي من جهة انسباك الألفاظ في قوالب الرِّقة والانسجام. (ومعاني): أي من جهة المقاصد الأدبيّة، واللطائف الشعريّة، والإشارات الربّانيّة، والمعارف الرحمانيّة.

(**وكان سمّاها**): أي القصيدة المذكورة. (أوّلاً): أي في الابتداء. (**أنفاس**): جمع نَفَس، بالتحريك، أي: الهواء الحامل روائح. (**الجِنان**): بكسر الجيم، جمع جَنَّة، وهي الحديقة ذات النخيل والشجر. (**ونفائس**): جمع نفيس، يقُال: شيء نفيس ومُنْفِس كمُخرِج: يُتنافَس فيه، ويُرغب. وقد نَفُسَ ككَرُم، كما في القاموس. نَفَاسَة ونِفاساً ونَفَساً (**الجَنان**): بفتح الجيم، وهو القلب، أو رَوْعُه، أو الرُّوح، وجمعه أجنان، كذا في القاموس.

(**ثمّ سمّاها**): أي تلك القصيدة أيضاً. (**لوائح**): جمع لائحة، من لاح يلوح: بدا وظهر وتلألأ، وهي الحقائق الإلهيّة التي تلوح وتنكشف في (**الجَنان**): أي القلب. (**وروائح**): جمع رائحة. (**الجِنان**) بالكسر جمع جَنّة. (**ثمّ رأى**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال**): أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. (**له**): أي للشيخ عمر رضي الله عنه. (**سمِّها**): أي قصيدتك المذكورة. (**نظم السلوك**) **فسمّاها بذلك**، أي: نظم السلوك، كما تقدّم ذكره.

(**وحكى**) عن الشيخ عمر رضي الله عنه. (**جماعة**): من الأفاضل في الناس. (**يوثق بهم**): أي يعتمد على أقوالهم. (**ممن صحبوه**): أي الشيخ رحمه الله تعالى. (**وباطنوه**): أي اختلطوا به في الصحبة حتى كانوا موضع أسراره، ومطالع شموسه وأقماره. (**أنه**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**لم ينظمها**): أي القصيدة المذكورة. (**على حدِّ نظم الشعراء أشعارهم**): باستعمال الفكر، والغوص على المعاني البليغة. وناديتها بالألفاظ اللطيفة، مع التغيير والتبديل على جهة التهذيب

كما قال القائل:

لا تعرضنَّ على الرواة قصيدة ... ما لم تكن بالغتَ في تهذيبها

فإذا عرضتَ شعراً غيرَ مهذّبٍ ... عدُّوه منك وساوساً تهذي بها

وإنما أشعار العارفين من أهل الله تعالى هي في الظاهر شعر من جنس كلام الشعراء، وفي نفس الأمر إلهام ربّانيّ، ونَفَس روحانيّ، وفتح رحمانيّ، وفيض إحسانيّ. قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه من جملة أبيات له:

كلامُنا ليس بشعر ولا ... من شاعر بل وارث مُصطفى

أنطقه الله به مثل ما ... أنطق أهل الدين والاصطفا

فخذه فالاً ماضياً طاهراً ... تنل به ما نال أهل الصفا

(بل كان): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(تحصل له جذبات)**: جمع جذبة، وهي استيلاء الربّ تعالى على العبد في باطنه وظاهره، بحيث تنعزل نفسه الإنسانيّة عن التدبير بالكليّة مع وجودها حتى بفرق بينه وبين الحيوانات. **(يغيب بها)**: أي بتلك الجذبات. **(عن حواسه)** ويستغرقه الحال. **(نحو)**: أي مقدار. **(الأسبوع)**: أي سبعة الأيام. **(وعشرة الأيام، فإذا أفاق من ذلك أملى)**: أي أورد على جماعته. **(ما فتح الله)** تعالى **(عليه منها)**: أي من تلك القصيدة. **(نحو)**: أي مقدار. **(الثلاثين والأربعين والخمسين بيتاً)** منظوماً على تلك القافية التائيّة. **(ثمّ يدع)**: أي يترك النظم في ذلك. **(حتى يعاوده)**: أي يرجع إليه. **(ذلك الحال)** الذي استغرقه في المرّة الأولى، وهكذا. **(ومن تأملها)**: أي القصيدة التائيّة. **(حقّ التأمل)** إن كان من أهل التأمل. **(فيها بأن كان من العارفين)** لا من الغافلين الذين لا ذوق لهم/[١٩/ أ] في الحقائق، ولا سلوك لهم في هذه الطريق ولو ملؤوا الدنيا من حفظ علوم غيرهم المدوّنة في الكتب عن المتقدّمين والمتأخرين. **(عَلِم)**: أي ذلك

المتأمل المذكور. (**أنّ لها**): أي تلك القصيدة (**نبأً**): أي خبراً. (**وشأناً عظيماً**) في علوم المعرفة الإلهيّة. (**صانها**): أي القصيدة المذكورة. (**الله تعالى عن غير أهلها**): من كلّ جاهل محجوب، ومطرود لم يعلم الله تعالى به خيراً، فلم يسمعه الحقّ لانطماسه بظلمة الذنوب، وكثرة العيوب.

(**ثمّ كتب**): أي ذلك الرجل الفاضل الذي وجدت هذه الترجمة بخطه. (**القصيدة**): التائيّة المذكورة. (**بعد هذه الترجمة**) المسطورة.

(**ويُحكى**) بالبناء للمفعول. (**أنّه**): أي الشأن. (**لـمّا فُوِّض**) بالبناء للمفعول أيضاً. (**أمر الوزارة**): عن السلطان. (**إلى القاضي تقيّ الدين عبد الرحمن بن بنت الأغر رحمه الله تعالى في أيام**) دولة. (**الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي**[1]): من ملوك الأتراك بمصر المحروسة (**رحمه الله تعالى. وقع في حقّ شيخ الشيوخ**) الشريف. (**شمس الدين محمّد الأيكيّ**) المتقدّم ذكره، أي ذمّه وسبّه بكلمات شنيعة، وعبارات فظيعة. (**في مجلس حافل**): أي جامع للناس، يقال: حَفَل القومُ حَفْلاً اجتمعوا، وحَفَل المجلس: كثر أهلُه، ذكره القاموس. (**بالخانقاه الصلاحيّة**[2]) في مصر المحروسة. (**وقال**): أي ابن بنت الأعز المذكور (**له**): أي للأيكي. (**أنت تأمر الصوفيّة**) من أهل السلوك في طريق الله تعالى (**بالاشتغال**

---

(١) هو الملك سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتوح التركيّ الصالحيّ النجميّ، اشتُري بألفي دينار فعرف بالألفيّ. من أحسن الناس صورة في صباه، وأبهاهم رجولة، عمل نيابة السلطة للملك سلامش بن الملك الظاهر، ثمّ سلطاناً بعد خلعه سنة ثمانية وسبعين وستمئة. له فتوحات كثيرة، ومعارك شهيرة مع التتار. اشتهر بعدله، وحسن سياسته، وحسن تدبير ملكه. توفي سنة (٦٨٩)هـ. وتولّى الملك من بعده ولده الملك الأشرف محمّد بن سيف الدين.

(٢) الخانقاه الصلاحيّة، أو خانقاه سعيد السعداء، وقفها السلطان صلاح بن أيّوب على الصوفيّة سنة (٥٦٩)هـ ورتّب لهم طعاماً ولحماً وخبزاً. كانت داراً لسعيد السعداء ـ قنبر ـ عتيق الخليفة الفاطميّ المستنصر، وهي أوّل خانقاة عملت بمصر، ونعتَ شيخها بشيخ الشيوخ. انظر حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، خانقاة سعيد السعداء، ج١ ص٣٠١.

بنظم سلوك قصيدة) الشيخ عمر **(ابن الفارض)** رضي الله عنه. **(وهو)**: أي ابن الفارض. **(يميل)** في تلك القصيدة. **(إلى)** إفهام معنى **(الحلول)**: أي حلول الحقّ تعالى في أعيان العالم، وحاشاه رضي الله عنه من خطور ذلك في نفسه، فضلاً عن رضاه به، فضلاً عن اعتقاده ذلك، فضلاً عن دعاء أمة محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ بل حاشاه أدنى أدنى مريد سالك في طريق الصوفيّة الصادقين إلى يوم القيامة من خطور ذلك في بالهم، أو من إمكانه عندهم، وكيف وهو أمر مستحيل عند المستمسكين بالعقول من علماء الكلام وغيرهم، فما بالك بالذين هم أعلى منهم من المتمسكين بالإيمان، والفتح، والكشف، والإلهام، بعد القيام بحسن المعاملة الشرعيّة في الظاهر والباطن من غير بدعة، مع الإخلاص، واليقين، والزهد، والورع. وإن اشتبهت كلماتهم على غير أهل طريقهم، وفهم منها علماء الأفكار المنكبّون على الدنيا قبائح المفهومات؛ فإن الأعمال بالنيّات ولكل أمرىء ما نوى. ولعمري لم يفهم ذلك علماء الظاهر إلا لعذرهم في أمرهم؛ فإنهم يعتقدون كما تعتقد العوام من أن الله تعالى موجود، وكل مخلوق من مخلوقاته موجود أيضاً معه تعالى، والوجود عندهم جنس عام، مشترك بين القديم وبين الحوادث؛ وإنما يتميّز القديم عن الحوادث بالقِدم في ذاته وصفاته، وتتميز الحوادث بالحدوث من العدم في ذواتها وصفاتها. وفي حال وجودها هي مشاركة للقديم تعالى في الوجود العالم المطلق، وهم يعلمون ماذا يترتب على اعتقادهم هذا؛ لأنهم أهل عقول وأفكار، فإذا قيل لهم يلزم على قلولكم هذا تركّب الحقّ تعالى من عام وخاص كبقية الماهيّات الحادثة، انتحلوا بعقولهم جواباً أسكتوا به خصمهم، وبقوا على اعتقادهم ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [٢/ البقرة/ ٣٢]؛ فإنّ الحلول على الحقّ تعالى في الحوادث يتصور عندهم عقلاً فيحتاجون إلى إقامة الدليل على استحالته وامتناعه، ويتكلفون في ذلك، كما بسطوا الكلام عليه في كتب علم الكلام.

وأما عند المحقّقين من أهل الله تعالى أصحاب الأذواق الوجدانيّة فلا يتصوّر/ [١٩/ ب] الحلول أصلاً، فلا يحتاجون إلى إبطاله لعدم تصوره عندهم، وعدم خطوره في بالهم؛ فإن وجود الحقّ تعالى عندهم وجود حقيقي ليس بمفهوم لهم أصلاً؛ وإنّما يزيدهم التصديق به على الغيب، ووجود الحوادث أثر من آثار قدرته، وذلك بالنسبة إلى وجوده تعالى عدم صرف فكيف الوجود يحل في العدم، ولوحلّ فما حلّ، وإنّما هو قائم بذاته تعالى أزلاً وأبداً، وموجوداً في ذاته بذاته، وكلّ ما عداه من الحوادث معدوم بعدمه الأصليّ على ما هو عليه بالنسبة إلى الحقّ تعالى، وهو تعالى يكشف لمن يشاء من عباده عن كلّ ما يشاء من مخلوقاته، فيُريه ذلك موجوداً، ويصرفه عن تلك الرؤية، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٩] وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] وإذا بطل الحلول بطل الاتحاد بالأولى، وكلّ الضلالات التي تفهّمها علماء الظاهر من كلام المحقّقين من أهل الله تعالى، ويشنّعون بها عليهم بين العوام والجهّال لتنقص رتبتهم عندهم، ويحظون هم بالرفعة في الدنيا، والله يؤتي ملكه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

(وأهانه): أي ابن بنت الأغر أهان الأيكي. **(بالكلام)** في ذلك المجلس الحافل بين الأنام. **(فدعا)**: أي الأيكي. **(عليه)**: أي على ابن بنت الأغر في ذلك المجلس. **(وقال له: مثّل)** بالتشديد، أو بالتخفيف. **(الله)** تعالى. **(بك)** يقال: مَثُل بفلان مَثْلاً ومُثْلَة، بالضم، نَكَّلَ كَمَثَّل تمثيلاً، وهي المُثُلَة، بضم االثاء وسكونها، وجمعها مُثولات ومَثُلات، كذا في القاموس. **(كما مَثَّلتَ بي)**: أي أهنتني واحتقرتني في هذا المجلس. **(فعُزِل)**: بالبناء للمفعول، أي: ابن بنت الأغر. **(عُقيب ذلك المجلس)** بقليل. **(عن)** منصب. **(الوزارة في آخر الدولة المنصوريّة)**: دولة الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحيّ المتقدَّم ذكره. **(بسؤاله)**: أي طلبه ذلك، ومعلوم أنّه ما سأل العزل عن هذا المنصب العظيم عنده الذي قوي به على حضرة

نقيب الأشراف، السيّد شمس الدين الأيكي كما سبق، وكلّمه قبيح الكلام في ذلك المجلس، وأهانه بسبب محبته واعتقاده في الشيخ عمر بن الفارض وغيره من الصوفيّة، إلا من شدّة خوفه على نفسه من غائلة ذلك المنصب، وانقلاب الأمر الذي كان معه عليه بالسوء. **(ثمّ عُزِل)** بعد ذلك أيضاً. (من) منصب **(القضاء في الدولة الأشرفيّة)** بعد دولة قلاوون الصالحيّ. **(وصودر)**: أي أُخذتْ منه أموال كثيرة على جهة المصادرة، وهي المطالبة بالظلم والعدوان. **(ومُثِّل به)**: بالبناء للمفعول، أي: سلّط الله تعالى عليه من أهانه واحتقره نظير فعله بالشمس الأيكي. **(وحُبس مدّة ونُسب إلى سوء الاعتقاد)** وطُعن فيه. **(ونُسب إلى أنّه وقع في كلام يفسق به)** وينقص دينه. **(وشهد عليه بالزور)**: في ذلك الأمر الذي أوقعه الله تعالى فيه. **(من لا خَلاق له)** والخَلاق كسَحاب: النصيب الوافر من الخير، يعني: من لا خير فيه من الناس. **(وكأنّ ذلك الأمر)** الذي وقع فيه. **(لأجل غرض)** بالغين والضاد المعجمتين، أي: قبح نيّة.

(عرض) بالعين المهلة والضاد المعجمة. **(للصاحب شمس الدين محمّد بن السعلوس، وقد أهان شمس الدين محمّد الأيكي، فأهانه شمس الدين محمّد السعلوس[1])** عفا الله تعالى عنه. **(ومما قيل)**: أي من جملة القول الذي قاله شعراء ذلك العصر **(فيه)**: أي في حقّ ابن بنت الأغر وبراءته مما نسب إليه من السوء:

وحاشاه من قول عليه مزوّر   وما علمتْ سوءاً عليه الملائكُ

أي: هو بريء من كلّ قول مكذوب عليه؛ فإنّ الملائكة الحَفَظَة الموكّلين به لا يعلمون عليه/ [٢٠/ أ] سوءاً، وهم يراقبونه ليلاً ونهاراً، كما قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ

(١) محمّد بن عثمان بن أبي الرجاء التنوخيّ الدمشقيّ، الوزير الصاحب شمس الدين بن السلعوس، كان وزيراً لصلاح الدين بن خليل بن الملك المنصور قلاوون، ورافقه في حملاته العسكريّة وفي فتوحاته المتعدّدة. مات معذّباً بيد منافسه الشجاعيّ الذي يشير إليه جامع الديوان ـ سبط ابن الفارض ـ سنة ٦٩٣هـ. انظر الوافي بالوفيّات، ج١ ص٤٨٠.

﴿مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [٥٠/ق/١٨] فكيف تعلم الناس عليه سوءاً وهم يفارقونه في أكثر أوقاته، ويطَّلعون عليه في أقل الأوقات!. والملائك: جمع ملك كالملائكة.

لَـئن ثنـتْ العليـاءُ عنـه عِنانهـا فتـدبيره أثنـتْ عليـه الممالـك

(ثنت): أي لوت وصرفت. (العلياء): أي المرتبة العالية. يعني: مرتبة الوزارة والقضاء. و(العِنان): مِقْوَد الدابّة، كناية عن عزله عنْ منصبه العالي، وإعراض الملوك عنه؛ إذ يُقال: لوى العِنان: إذا أعرض عنه. والثناء: المدح. يُقال: أثنى عليه، أي: مدحه. و(الممالك): جمع مملكة. والمعنى: يا طالما مَدَحَتْ حُسْنَ تدبيره الرعايا والبلاد في زمان توليته وتصرّفه في أمور العباد بجمع الصلاح وقمع الفساد. (وكان ذلك القِصاص) الذي أصابه. (من أجل وقوعه) بالانتقاص والإنكار. (في حقّ الخواص) وإهانة من يعتقدهم ويحبّهم. وكذلك كلّ من يقع في حقّهم بسوء إلى يوم القيامة؛ فإنّ لحوم الفقراء مسمومة كلحوم العلماء، فكلّ من اغتابهم، أو آذاهم قصمه الله تعالى، وخذله في الدنيا والآخرة. وقصاص الدنيا زيادة نكال لهم، وهوعنوان عقاب الآخرة كما قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [٢٧/ النمل/ ٥٢] أو قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٣٠].

وقال جامع هذا الديوان: (وكان): أي ابن بنت الأغر. (يرسلني في الباطن): أي سراً. بحيث لا يعلم أحد. (إلى من يسعى في خلاصه) مما هو فيه. (من الأمراء) الأكابر في ذلك الزمان (ليشفعوا له ويتسببوا في إنقاذه) من مصائبه المهلكة (ومشايخ الفقراء) لعلهم يدعون له فينجو ببركة دعائهم (وكان إذا اشتد عليه الخِناق) بكسر الخاء المعجمة ككتاب: الحبل الذي يخنق به، والمراد ما هو فيه من سوء الحال. (يقول: اشتدي أزمة): أي يا أزمة، وهي الشدة والقحط. جمعه أَزْم، بالفتح، وكعنب: ما يُزَمّ به، أي: يشتد. (تنفرجي): أي لابدّ أن تنحل الشدة

ويزول العُسر؛ وهو حديث أخرجه السيوطيّ في الجامع الصغير. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اشتدّي أزمة تنفرجي»[1] رواه القضاعي في مسنده، والديلميّ في مسند الفردوس عن عليّ رضي الله عنه. وقد ذيَّل عليه صاحب المنفرجة في أبياته المشهورة. (**ويكرر**): أي ابن بنت الأغر. (**ذلك**) القول. (**مراراً**): طلباً للفرج من الله تعالى.

(**فلمّا منّ**): أي أنعم. (**الله**) تعالى. (**عليه بالخلاص**) والنجاة والسلامة. (**من هذه النكبة**): أي البليّة والمصيبة التي كان فيها. (**ومنَّ عليه بحصول تفريج هذه الكربة**) التي أدهشت حسَّه وعقله (**حضرتُ عنده**): أي في مجلسه. (**أنا**): يعني جامع هذا الديوان. (**و**) الشيخ (**سعد الدين الحارثيّ الحنبليّ المحدّث**): أي صاحب علم الحديث الشريف. (**وكان**): أي الشيخ سعد الدين المذكور. (**من أعزّ أصحابه**): أي أصحاب ابن بنت الأغر. (**وسمعته**): أي ابن بنت الأغر (**يستغفر الله تعالى، ويحمده، ويشكره على حُسْن العاقبة**) مما أصابه والسلامة من ذلك. (**فعرَّضت**) بالتشديد. (**له**) والتعريض خلاف التصريح، وهو بمعنى التكنية. (**بذكر واقعته**): أي ابن بنت الأغر المتقدِّم ذكرها. (**مع الشيخ شمس الدين الأيكي**) المذكور. (**ووقوعه**): أي ابن بنت الأغر. (**في حقّه**): أي في حقّ الأيكي. (**وفي حقّ شيخنا**) الشيخ عمر بن الفارض رحمهما الله تعالى. (**وأنّه**): أي ابن بنت الأغر (**نَسَبَهُما**): أي الأيكي والشيخ عمر بن الفارض. (**إلى**) اعتقاد. (**الحلول**): أي حلول الحقّ تعالى في الحوادث. (**وهما**): أي الأيكي وابن الفارض رحمهما الله تعالى (**بريئان منه**): أي من الحلول.

---

(١) قال السيوطيّ في جامع الأحاديث، باب الهمزة مع الشين، ٣٤٥٥، ج٤ ص٤١٥: أخرجه القضاعيّ (٤٣٦/ ١، رقم ٧٤٨). والديلميّ (٤٢٦/ ١، رقم١٧٣١). قال العجلونيّ (١٤١/ ١): رواه العسكريّ والديلميّ والقضاعيّ بسند فيه كذّاب، والحديث موضوع، كما قال أحمد الغمّاري في المغير ص٢١.

(وقلت): أي قال جامع هذا الديوان. **(له)**: أي لابن بنت الأغر. **(كيف يُتصوَّر)** في العقل. **(أن الشيخ)** عمر ابن الفارض رضي الله / [٢٠/ ب] عنه يميل **(في قصيدته)** التائيّة **(المسماة نظم السلوك)** بتسمية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام، كما مرّ **(إلى)** اعتقاد **(الحلول)** الباطل المستحيل على الحقّ تعالى. **(وقد نزّه)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه **(عقيدته عنه)**: أي عن الحلول. **(بقوله)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(فيها)**: أي في تلك القصيدة المذكورة، وسنشرحه في موضعه منها إن شاء الله تعالى:

وكيف وباسم الحقّ ظلّ تخلّقي	تكون أراجيفُ الضلال مُخيفتي
وها دِحيةً وافى الأمينَ نبيّنا	بصورته في بدء وحي النبوءة
أجبريلُ قل لي كان دحية إذْ بدا	لُمهدي الهدى في صورةٍ بشريةٍ
وفي علمه عن حاضريه مزيّةٌ	بماهيَّة المرئيّ من غير مرية
ولي من أتمِّ الرؤيتين إشارة	تُنزِّه عن رأي الحلول عقيدتي
يرى ملكاً يوحي إليه وغيرُه	يرى رجلاً يُدعى لديه بصحبة
وفي الذكر ذكرُ اللبس ليس بمنكر	ولم أعدُ عن حكمَيْ كتاب وسنّة(١)

(فقال): أي ابن بنت الأغر: **(أنا أَحَبُّ الناس)** كلّهم. **(في نظم الشيخ)** عمر رضي الله عنه **(وحفظت)** جميع أبيات. **(ديوانه)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(وأنا شاب)**: أي في سنّ الشباب. **(وانتفعت بحفظه)** في أمور كثيرة. **(وهذه الأبيات)** المذكورة. **(السبعة)** من التائيّة الكبرى المسماة بنظم السلوك. **(ما كأنّي قط سمعتها)** من كلام الشيخ عمر رضي الله عنه. **(في قصيدته)** المذكورة. **(إلى الحلول**

---

(١) الأبيات من قصيدة نظم السلوك من ٢٧٩ ـ ٢٨٥.

في شيء) من كلامه. (وأنا استغفر الله) تعالى (مما جرى منّي من الكلام في حقّه): أي الشيخ عمر رضي الله عنه.

(فقلت): أي قال جامع هذا الديوان. (له): أي لابن بنت الأغر. (وما جرى منك) أيضاً. (في حقّ الشيخ شمس الدين الأيكي، فقال: نعم، وما برحت في قلق): أي انزعاج واضطراب. (من دعائه): أي الشيخ شمس الدين الأيكي في ذلك المجلس (إلى أن حلّت): أي نزلت. (بي هذه المحبّة) العظيمة. (فالله) تعالى بمحض فضله وجوده. (يغفر لي وله): أي للشيخ شمس الدين الأيكي (وأنا تائب) بعد الآن. (إلى الله تعالى من الوقوع) بإنكار وانتقاص (في حقّ أحد من أهل هذا الطريق): أي طريق الصوفيّة. (فمنهم): أي من أجل. (وقوعي) في أهل هذا الطريق (أُصبت) بالبناء للمفعول، أي: أصابني الله تعالى بها أصابني الله تعالى بها أصابني به من تلك المصائب. (وبالتوسّل إلى الله) تعالى. (ببركتهم سلمت) مما وقعت فيه.

(ثمّ حجّ): أي ابن بنت الأغر. (بعد ذلك الأمر) المذكور. (وامتدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقصيدة وأنشدها): أي تلك القصيدة هو بنفسه. (عند الروضة الشريفة): روضة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. (وهو): أي ابن بنت الأغر. (مكشوف الرأس): على وجه التذلل والخضوع. (وبكى هو): أي ابن بنت الأغر. (وبكى الناس أيضاً معه بكاء شديداً، ودعوا): أي الناس، وهو معهم هناك (على أعدائه. وقرأ خادم أم الملك السعيد) في ذلك المجلس، وتلك الحضرة المحمّديّة. (وكان): أي ذلك الخادم. حسن الصوت عشراً من القرآن العظيم، وهو قول الله عز وجلّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [٢٤/ النور/ ٥٥] (فاستبشروا بذلك) العشر المقروء. (وهو): أي ابن بنت الأغر.

(**واستبشر الناس**) أيضاً. (**وعلموا أن الله تعالى قد تقبّل دعاءهم**) الذي دعوه في شأنه أعداؤه. (**ولمّا حضر**): أي رجع ابن بنت الأغر. (**إلى بلاده مصر المحروسة من**) بلاد. (**الحجاز الشريف وجد أعداءه الذين سلقوه**): أي آذوه. يُقال: سلقه بالكلام، أي: آذاه به/ [٢١/ أ] (**بالألسنة**): جمع لسان. يعني: بتكلّمهم في حقّه بالسوء. (**قد هلك منهم**): أي من تلك الأعداء. (**من هلك**) بأمر الله تعالى (**عن بيِّنة**): أي انكشاف وفضيحة لأمره بين الناس، وظهور افترائه وعدوانه على ابن بنت الأغر المذكور. (**ثمّ فُوِّض**) بالبناء للمفعول. (**إليه**): أي إلى ابن بنت الأغر (**القضاء**): الذي كان عُزل عنه في المرّة الأولى. (**وما برح متولِّياً لمنصب القضاء**) كما كان أولاً. (**إلى أن قُضي عليه**): أي مات. (**فرحمه الله**) تعالى. (**رحمة واسعة، وجعله**) الله تعالى. (**في روضات**): جمع روضة. (**الجِنان**): جمع جَنّة. (**مضاجعه**): جمع مضجع، وهو موضع الاضطجاع، أي: تمدد في قبره.

(**ورأيته**): أي رآه جامع هذا الديوان بعد موته. (**في المنام ووجهه كالقمر**) بهجة وضياء. (**وعليه نور يتلألأ، وعليه**) مع ذلك أيضاً. (**ثياب دنسة**): أي وسخة. (**فسألته عن ذلك**) الذي رأيته عليه. (**فقال**): أي ابن بنت الأغر رحمه الله تعالى. (**هذا**): أي النور الذي يتلألأ. (**نور العلم**) الذي كان متصفاً به. (**وهذه**): أي الثياب الدنسة (**ثياب الحكم**): أي القضاء بين الناس؛ فإنّ ذلك دخول في حقّوق العباد، وإلزامهم بما هو مطّلع عليه من ذلك؛ فإن قصّر في الاستكشاف عن أحوال الشهود، أو غفل عن معرفة حكم الله تعالى في كلام أحد الخصمين، أو نحو ذلك كانت العقوبة عليه في الآخرة. (**ثمّ رأيته**): أي رآه جامع هذا الديوان. (**أيضاً بعد ذلك**): أي بعد الرؤيا الأولى. (**في المنام وهو يخطب على منبر الخطابة**): المعروف. (**في الجامع الأزهر**): بمصر المحروسة. (**وممّا**): أي جملة ما. (**حفظت من كلامه**) وبقيَ معي إلى أن استيقظت (**قوله: وسيعود شعارنا**): أي حالنا وشأننا. (**إلى ما كان عليه**) أولاً. ولعلّ تأويل ذلك بحصول بعض ذرِّيّته في مرتبته التي

كان فيها في الحياة الدنيا من أمر القضاء والوزارة، أو حُسْن حاله بمسامحة الله تعالى له عمّا اقترفه من دنس المنصب والتولية على حقوق الناس[1].

(**وقال لي ولده**): أي ولد الشيخ عمر رحمه الله تعالى. (**سمعت الشيخ**): يعني والده. (**رضي الله عنه يقول: حصلت منّي هفوة**): أي زِلّة. يقال: هفا يهفو هفوة. (**فوجدت من ذلك مؤاخذة**): أي عقوبة. (**شديدة في باطني**): من جهة الحقّ تعالى بسدل الحجاب على عين قلبه، وإزالته عمّا كان فيه من اليقظة والمراقبة. (**وانحصرت**) من شدّة القبض والغمّ. (**... وباطناً وظاهراً**): أي في باطني وظاهري. (**حين كادت روحي تخرج من جسدي**): وأفارق الدنيا، ممّا اعتراني من ذلك الأمر الإلهي النازل بي. (**فخرجت**): من مصر. (**هائماً**): أي متحيِّراً، مدهوشاً. (**كالهارب من ذنب عظيم فعله وهو**): أي ذلك العبد. (**مطلوب**): أي مطالب من جهة مَنْ له القدرة عليه بذلك الذنب، قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٥٠]. وقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إن العبد ليُذنب الذّنب فيدخل به الجنّة؛ يكون نصب عينيه تائباً، فارّاً، حتى يدخل به الجنّة»[2] رواه ابن المبارك عن الحسن مرسلاً.

(**فطلعت إلى جبل المقطّم**): وهو ـ كمُعظّم ـ جبل بمصر مطلّ على القرافة، كما مرّ. (**وقصدت مواطن**): أي مواضع. (**سياحتي**): في ذلك الجبل. (**وأنا أبكي وأستغيث**) بالله تعالى ممّا أنا فيه من الحال الشديد. (**وأستغفر الله**) **تعالى** ممّا وقع منّي. (**فلم ينفرج**): أي يزول (**ما بي**): من ذلك. (**فنزلت**) من الجبل. (**إلى القرافة**): وهي مقبرة بمصر معروفة. (**ومرّغتُ**) يقال: تمَرَّغَ، أي: تَقَلَّب، ومَرَّغَ

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة وسماعاً على مؤلّفه قدّس الله سرّه».

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، باب العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنّة. قيل، ١٦١، ج١ ص١٦٩، كما أخرجه السيوطيّ في جمع الجوامع، حرف الهمزة، ٣٨٢،ج١ص٦٥٩٤. قال الألبانيّ: ضعيف، انظر صحيح وضعيف الجامع، ١٥٠٣،ج٨ص٣٧٤.

الدابّةَ في التراب تَمْرِيغاً: قَلَّبَهَا، ذكره في القاموس. **(وجهي في التراب بين القبور)**: تذلّلاً لله تعالى، وانكساراً، وتواضعاً لعظمة جلاله. **(فلم ينفرج ما بي)** أيضاً. **(فقصدت مدينة مصر)** المحروسة. **(ودخلت جامع عمرو بن العاص)** رضي الله عنه/[٢١/ب] الصحابي المشهور، عمَّره لمّا ولي مصر حين أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمان خلافته مع جيش إلى مصر. ففتحها ولم يزل والياً عليها حتى توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ثمّ أقره عثمان رضي الله عنه في زمان خلافته عليها أربع سنين ثمّ عزله. فاعتزل عمرو بفلسطين. وكان يأتي المدينة أحياناً، ثمّ استعمله معاوية على مصر، فبقي عليها حتى توفي والياً عليها، ودفن بها. وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين. وكان عمره سبعين سنة. **(ووقفت في صحن الجامع)**المذكور. **(خائفاً)** من الله **(مذعوراً)**: أي متغيِّر الخلقة. **(وجددت البكاء والتضرُّع)** إلى الله تعالى في دفع ما أنا فيه من الشدّة. **(والاستغفار)**: من الهفوات والزلات. **(ولم ينفرج ما بي)** أيضاً. **(فغلب عليّ)**: أي على نفسي. **(حال مزعج)** انزعج به باطني وظاهري. **(لم أجد مثله قط)**:

قبل ذلك الحين فيما مضى من عمري كلّه. **(فصرخت)** بأعلى صوتي. **(وقلت)** من شدّة ما أجد في نفسي من الكرب.

مَـــن ذا الـــذي مـــا ســـاء قـــط   ومـــن لـــه الحُـــسنى فقـــط

(من): استفهاميّة، معناها: أي إنسان. **(وذا)**: اسم إشارة إلى المُستفهَم عنه، يريد إحضاره في ذهنه حتى يعرفه. و **(ساء)**: أي قَبُحَ بعمل السيئة؛ وهي الخطيئة. و**(الحسنى)**: ضد السوء، وأحسن إليه ضد أساء إليه، من السوأى؛ وهو الفجور والمنكر. **(فسمعت قائلاً يقول بين السماء والأرض)**: إما من الملائكة، أو من صالحي الجنّ؛ وهو الهواتف. **(أسمع صوته ولا أرى شخصه)** وقوله هذا في جواب الاستفهام المذكور:

يعني: الذي استفهمت عنه وطلبت تعيينه في ذهنك، ووصفته بأنّه ما عمل سوءاً في عمره أصلاً؛ وإنّما أعماله كلّها أعمال حسنة مرضية، وهو محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ وإنّما خصّه دون بقيّة الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا كلّهم كذلك لعصمتهم عليهم السلام؛ لأنه صلّى الله عليه وسلّم آخر مَنْ وُجِد من هذا النوع الإنساني؛ لأنه خاتم النبيين؛ فهو معروف بهذا الوصف المذكور في هذه الأمة أكثر من غيره. أو لأنّه أفضل الجميع؛ فهو الفرد الكامل صلّى الله عليه وسلّم. و(**الهادي**): أي الذي هدى الأمة، ودلّهم على أقوم الطريق، الذي نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي من الله تعالى، وبالقرآن العظيم. فأرشد الله تعالى به مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم.

(**وقال لي ولده**): أي ولد الشيخ عمر بن الفارض. (**رحمه الله تعالى: رأيت الشيخ**) يعني: والده. (**رضي الله عنه**) في يوم من الأيام. (**نهض**) على قدميه. (**ورقص زماناً طويلاً، وتواجد وجداً عظيماً**): من قوة الوارد الذي ورد عليه. (**وتحدّر**) بالحاء المهملة والدال المهملة والراء، أي: سال. (**منه عرق كثير**) من شدّة انزعاجه. (حتى سال) ذلك العرق. (**تحت قدميه وخرَّ**): أي سقط. (**إلى الأرض**) كالمغشيِّ عليه. (**واضطرب اضطراباً شديداً**) وهذه الحالة تعتري كثيراً من الفقراء في وقت اجتماعهم في حلق الذكر؛ حتى إن الرجل منهم ينزع عمامته، وبعضهم ثيابه وينطرح على الأرض، فيبقى كالقطعة من الخشب؛ ليُبْس أعضائه، وقشعرة جسمه من قوة الوارد الذي يهجم على قلبه، والخشوع الذي يغلب عليه، فيسلبه الاختيار، خصوصاً من فقراء بني سعد الدين الجباوي بدمشق الشام، ومن فقراء التغالبة بدمشق أيضاً. يدوس بفرسه وهو راكبها على ظهور الرجال في حال وجده الذي يأخذه، ولا يتأثّر أحد من ذلك أصلاً، وربّما حصل الشفا بذلك لمن

له مرض ونحوه. وربّما جذب بيده المقعد الزَّمِن فيمشي على قدميه في الحال، وهو أمر شائع مشهور عندنا في دمشق الشام؛ وهي حالة شريفة وإن أنكرها كثير من المتفقهة القاصرين/ [٢٢/ أ] في الزمان لبعدها عنهم من قسوة قلوبهم، وهي من أثر الخشوع. وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: «اللهمّ إني أعوذ بك من قلب لا يخشع»[١] رواه الترمذيّ والنسائي عن ابن عمرو بن العاص.

وربَّما طعن بعضهم في الفقراء بأنّهم مسرفون على أنفسهم، فتراهم يطلبون فقراً في طريق الله تعالى معصومين من الزلل والمعصية، وهذا لا يكون أبداً؛ بل مَنْ غلب خيرُه على شرِّه؛ فهو الكامل؛ بل في الحديث الشريف النبويّ ما هو أبلغ من ذلك؛ وهو الاكتفاء بالعُشر من الخير، فضلاً عن غلبته على الشرّ أو كونه نصفاً، أو ربعاً. قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّكم في زمان مَنْ ترك منكم عُشْر ما أُمر به هلك، ثمّ يأتي زمان من عمل منهم بعُشْر ما أُمر به نجا»[٢]، رواه الترمذيّ عن أبي هريرة، وذكره السيوطيّ في الجامع الصغير.

وقد حكم صلّى الله عليه وسلّم بالنجاة لمن عمل بالعُشر؛ وهي بشارة عظيمة لكلّ مَنْ سلم من الكفر والشرك إلى آخر الزمان، وقلَّ مَنْ يسلم من ذلك في زماننا هذا من كثرة التباس الحقّ بالباطل على غير أهل التوفيق والعناية؛ فقد وجدنا مَنْ يعتقد الطاعة معصية، والمعصية طاعة من كبار علماء زماننا، فضلاً عن العامّة منهم ومن بقية الناس، إلا من حفظه الله تعالى وهداه؛ ولهذا ورد في حديث

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، باب: حديث زيد بن أرقم، ١٩٨٢٩، عن زيد بن أرقم، ج٤٢ص١١٢. كما أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب الدعوات، باب اللهمّ إنّي أعوذ بك من قلب لا يخشع، ٣٨١٩، عن عبد الله بن عمرو. كما أخرجه النسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من العجز، ٥٤٧٥، عن زيد بن أرقم.

(٢) أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب الفتن، باب: يأتي زمان من عمل منهم بعُشرما أُمر به، ٢٤٣٦. كما أخرجه السيوطيّ في جامع الأحاديث، حرف الهمزة، باب إنّ المشدّدة، ٨٧٨٥.

الطبرانيّ في المعجم الكبير والحاكم عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم»[1]. **(ولم يكن)**: أي يوجد **(عنده)**: أي عند الشيخ عمر رضي الله عنه حين صدور تلك الحالة الشريفة منه **(أحد غيري)**: أي غير ولده المذكور رحمه الله تعالى.

(ثمّ) بعد ذلك. **(سكن حاله)** الذي اعتراه، وسُرِّي عنه. **(وسجد لله تعالى)** شكراً على النعمة، وفيه إشارة إلى أنه رضي الله عنه كان ملازما للوضوء، وإنّ تلك الحالة لا تنقض الوضوء كما زعمه بعضهم؛ لأنها ليست غيبة بالكليّة في أمور دينه؛ وإنّما هي استغراق في حال نفسه الإنسانيّة، وتغليب لأمورها الروحانيّة الطاوية للجسمانيّة؛ ففيها كمال الشعور بالنفس المنجمعة له ظاهراً وباطناً، وعدم الشعور بالأغيار. **(فسألته عن سبب ذلك)** الحال الذي حصل له. **(فقال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (يا ولدي، فتح الله) تعالى **(عليّ)** في هذا الوقت **(بمعنى)** عظيم **(في بيت)** من جملة القصيدة الفائيّة. **(لم يفتح عليَّ بمثله)** قبل ذلك **(وهو هذا البيت)** وسيأتي شرحه إن شاء الله تعالى في محلِّه:

---

(١) قال السيوطيّ في جامع الأحاديث، حرف الهمزة، ٧٧١٦، ج٢ص٢٢٤: أخرجه الطبرانيّ، كما في مجمع الزوائد ١/ ٥٢، قال الهيثميّ: إسناده حسن. أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، باب الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، ٥، ج١ ص٨.

وعلى تفنُّن واصفيه بحُسْنه يفنى الزمان وفيه ما لم يُوصَف[1]

وقد بحثت يوماً مع بعض الإخوان على أنّ هذا البيت في مدح الحضرة المحمّديّة أيهما أبلغ هذا أم قول صاحب البردة:

فإنّ من جودك الدنيا وضرَّتها ومن علومك علم اللوح والقلم

كان يقول: إن بيت صاحب البردة أبلغ. فقلت له: في بيت صاحب البردة فنٌّ من فنون الوصف النبويّ، والمدح المحمّديّ؛ فهو داخل تحت تلك الفنون التي أشار إليها الشيخ عمر رضي الله عنه في بيته إلى يوم القيامة. فاعترف بذلك؛ فلا أبلغ من هذا البيت المذكور؛ ولهذا سجد شكراً عليه لله تعالى كما مرّ. **(وحكى)**: أي ولد الشيخ عمر رضي الله عنهما. **(لي)** أيضاً. **(قال: كان الشيخ)** عمر. **(رحمه الله ماشياً في السوق بالقاهرة)**: أي مصر المحروسة. **(فمرّ على جماعة من الحَرَسَة)**: أي الذين يحرسون الأسواق مجتمعين في مكان. **(وهم يضربون بالناقوس)**: ولعلهم كانوا من النصارى. **(يتطرّبون بذلك)**. أو من المسلمين. ويقصدون بذلك التطرب. قال في القاموس: الناقوس ـ الذي/ [٢٢/ ب] يضربه النصارى لأوقات صلواتهم ـ خشبة كبيرة طويلة وأخر قصيرة، واسمها الوَبيل، وقد نَقَسَ بالوَبيل: الناقوس. **(ويغنّون هذين البيتين)** وهما:

مولايَ سهرنا نبتغي منك وصال

مولايَ فلم تسمح فنمنا في خيال

أي: مولاي سهرنا في الليل نطلب الوصال منك فلم تسمح لنا بالوصال يا مولاي، فنمنا بسبب رجائنا منك طيف الخيال الذي نراه في المنام، وهو صورة المحبوب التي يتخيّلها النائم في منامه، كأنه اجتمع بمحبوبه، وتكلّم معه، ثمّ إذا

---

(١) انظر شرح البيت ٤٣ في قصيدة قلبي يحدّثني (الفائيّة).

استيقظ من منامه لم يجد شيئاً. ومن هذا المعنى للشيخ حسن البورينيّ رحمه الله تعالى من المواليا:

قال المليح الذي اخترته على قومي ... عاشق تنام لقد أرخصت في

فقلت يا منيتي يا عزّ من قومي ... ما نمت إلّا عسى أنظرك في نومي

مولاي فلم يطرق فلا شكّ بأنّ ... ما نحن إذا عندك مولاي ببال

ثمّ قال له: يا مولاي فلم يطرقنا: أي لم يدخل علينا ذلك الطيف من الخيال في منامنا، فلا شك عندنا حينئذٍ بأننا لسنا على بالك يا مولاي، ولا أنت مهتمّ بشأننا؛ بل أنت مهمل لنا، وتارك لمراعاتنا، ومعرض عنّا. **(فلمّا سمعهم)**: أي سمع قولهم المذكور. **(الشيخ)** عمر **(رضي الله عنه صرخ صرخة عظيمة)** من شدّة وجده. **(ورقص رقصاً كثيراً في وسط)** ذلك **(السوق، ورقص معه ناس كثير من المارّين في)** ذلك. **(الطريق حتى صارت جَوْلَة)**: أي كثرة وازدحام. قال في القاموس: «جَالَ القومُ جَوْلَة: انكشفوا ثمّ كرُّوا». **(وسماع عظيم)**: أي ضجة مطربة، ورجة معجبة. **(وتواجد الناس إلى أن سقط أكثرهم إلى الأرض)** هائمين مولّهين مدهوشين. **(والحرس يكرِّرون ذلك)** القول. **(وخلع الشيخ)** عمر رضي الله عنه. **(كل ما كان عليه)** من الثياب.

(ورمى بها إليهم): أي إلى الحراس. **(وخلع الناس)** أيضاً. **(ثيابهم معه)**: أي مع الشيخ عمر رضي الله عنه. **(وحُمل)**: أي الشيخ قدّس الله سرّه. **(بين أيدي الناس إلى الجامع الأزهر وهو عريان)** من ثيابه. **(مكشوف الرأس)** وباقي البدن. **(ولم يبقَ عليه)** من الثياب. **(سوى لباسه)**: أي سرواله الذي يستر عورته. **(وأقام)** بعد ذلك **(في هذه السكرة)**: أي الغيبة الإلهيّة. **(أياماً)**: ثلاثة فأكثر. **(ثلاثة ملقى على ظهره مسجّى)**: أي مغطّى بثوب ونحوه. **(كما يسجّى الميت، فلمّا أفاق)**: من ذلك الحال. **(جاء الحرّاس**

---

(١) لعلّها سومي، كما في المطبوع.

إليه ومعهم ثيابه) التي كان خلعها في حال تواجده. **(فرموها)**: أي تلك الثياب. **(بين يديه)**: أي الشيخ رضي الله عنه. **(فلم يأخذها)** منهم. **(وبذل)**: أي دفع. **(الناس لهم فيها)**: أي في تلك الثياب ليشتروها منهم **(ثمناً كثيراً، فمنهم)**: أي من الحراس. **(مَنْ باع)** ما وصل إليه من تلك الثياب. **(ومنهم مَنْ امتنع عن بيع نصيبه)** من ذلك. **(وأبقاه عنده تبركاً به)**: أي على وجه التبرُّك.

(وحكى لي) أيضاً ولد الشيخ عمر **(رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ)** والده رضي الله عنه. **(ماشياً في يوم من الأيام في السوق بالقاهرة)** المحروسة **(بالشارع)**: أي الطريق. **(الأعظم)**: أي أكبر الطرق الذي تتشعّب منه بقية الطرق. **(في المحلات والأزقّة بالقرب من مسجد ابن عثمان)**: المعروف هناك. **(وكنت)**: أي كان ولده المذكور. **(معه)**: في ذلك المكان. **(وإذا بنائحة)**: أي امرأة. **(تنوح)** وتبكي **(وتندب على امرأة)** أخرى. **(ميتة في طِبْقة)** هناك. **(والنساء يجاذبنها)** بالنواح والبكاء والعويل. **(وهي تقول)**:

سِتِّي، مُتِّي ! مِنْ حقّاً إي والله ! حقّاً حقّاً !!

قال في القاموس: «سِتِّي للمرأة: أي يا سِتَّ جهاتي، أو لَحْن، والصواب: سيِّدتي». وما أزهر قول بهاء الدين زهير، رحمه الله تعالى/ [٢٣/ أ]:

بروحي من أناديها بستِّي فتنظرني النحاةُ بعين مَقْتِ

يرون بأنني قد قلت لحناً وما أنا قائل لحناً بنعت

ولكن غادة ملكت جهاتي فلا عجب إذا ما قلت ستي

وتقدير من حقّاً بالنصب: أي من موت حقّ حقّا: أي ثبت ثبوتاً، ولزم لزوماً، وأصله: من موت موتاً حقّ حقّاً؛ فمن بيانيَّة، و**(إي)**: بكسر الهمزة بمعنى نعم. و**(حقّاً)**: أي حقّ حقّاً، والثاني تأكيد للأوّل. **(فلمّا سمعها)**: أي تلك النائحة. **(الشيخ)** عمر رضي الله عنه. **(صرخ صرخة عظيمة، وخرّ مغشيّاً عليه)**: ممّا دهمه

من الوارد المزعج عند سماعه ذلك الكلام. (**فلمّا أفاق**): من ذلك الغشيّ، ورجع إليه حسه. (**صار يقول ويكرر مراراً**) قوله:

نفـــسي متّـــي مـــن حقّـــاً إي والله حقّـــــاً حـــــقّ

فوضع نفسي موضع ستّي في قول النائحة المذكورة بياناً لاعتباره، وفهمه إشارة قولها وإن لم تكن شاعرة بذلك، وصرخه وغشيه بها فهمه من ذلك عن نطق الوجود في خطاب أهل الشهود. ولا تظنّ أن الشيخ عمر رضي الله عنه سمع ما اقتضى صراخه، وغشيه من تلك النائحة التي كانت تقول ذلك القول، وكذلك سماعه في كلّ ما كان يسمعه ويتواجد عليه؛ وإنّما كان رضي الله عنه يسمع السماع المطلق عن الحقّ تعالى، كما قال القائل:

وإنْ غـــرّدتْ قمريّـــةٌ فـــوق أيكـــة فـــإنّي مـــنكم لا مـــن الطـــير ســـامع

وهكذا أذواق القوم ومواجيدهم عند سماع الأشعار، وفهمهم المعاني الغريبة الإلهيّة من حركات الليل والنهار. قال ابن عطاء الله السكندري[1] في (**لطائف المنن**) وقُرئ على الشيخ مكين الدين الأسمر[2] رضي الله تعالى عنه قول القائل:

---

(١) هو أحمد بن محمّد بن عبد الكريم بن عطاء الله، تاج الدين أبو الفضل بن عطاء الله السكندريّ، متصوِّف، شاذليّ، كان لسان الصوفيّة في زمانه. صحب أبا العبّاس المرسي صاحب الشاذليّ، وصف مناقبه ومناقب شيخه. من العلماء، كان من أشدّ خصوم شيخ الإسلام ابن تيميّة. له تصانيف كثيرة، منها: (الحكم العطائيّة) في االتصوّف، و (تاج العروس): في الوصايا والعظات، و(لطائف المنن): في مناقب المرسي وأبي الحسن. توفي بالقاهرة سنة ٧٠٩هـ بالمدرسة المنصوريّة، وكانت جنازته حافلة. انظر الدرر الكامنة لابن حجرج١ص٢٩١، وشذرات الذهب لابن العماد، ج٦ص١٩.

(٢) قال ابن الجزريّ في غاية النهاية في طبقات القرّاء، باب العين، ج١ ص٢٠٤: عبد الله بن منصور ابن عليّ بن منصور اللخميّ الإسكندريّ، الشاذليّ، المعروف بالأسمر. أستاذ محقّق كان مقرئ الإسكندريّة؛ بل الديار المصريّة في زمانه. ثقة، صالح، زاهد. قرأ القرءات على أبي القاسم الصفراويّ وإبراهيم بن وثيق، وقد تقدّم حكاية قراءته على ابن وثيق، وأنّه قرأ السبع عليه جمعاً ختمة في ليلة، وهذا ممّا لا يُسمع لغيره. ولد سنة ٦١١هـ، وتوفي سنة ٦٩٢هـ في الإسكندريّة.

لـو كـان لي مُـسعِد بـالراح يـسعدني لمـا انتظـرت بـشرب الـراح إفطـارا

الـراح شيء شريـف أنـت شـاربه فـاشرب ولـو حمَّلَتْـكَ الـراحُ أوزارا

يـا مَـن يلـوم عـلى صـهباء صـافية خـذ الجنـان ودعنـي أسـكن النـارا

فقال إنسان هناك: لا تجوز قراءة هذه الأبيات. فقال الشيخ مكين الدين للقارئ: اقرأ، هذا الرجل محجوب، ويكفيك في هذا أنّ ثلاثة سمعوا منادياً يقول: يا سعتر بَرِّي. ففهم كل منهم عن الله تعالى مخاطبة خوطب بها في سرِّه. سمع الواحد: اسعَ ترَ بِرِّي. وسمع الآخر: الساعة ترى بِرِّي. وسمع الآخر: ما أوسع بِرِّي؛ فالمسموع واحد، واختلفت أفهام السامعين، كما قال تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [١٣/ الرعد/ ٤] وقال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [٢/ البقرة/ ٦٠] وذكر قبل ذلك قال في تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمعاني الغريبة: ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلّت عليه في عرف اللسان، وثَمّ أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وليس ذلك بإحالة للظاهر؛ وإنّما كان يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلّا هذا، وهم لم يقولوا ذلك؛ بل يقرّون الظواهر على ظواهرها، مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم. وربّما فهموا من اللفظ ضدّ ما قصده واضعه كما أخبرنا الشيخ الإمام، مفتي الأنام الشيخ تقي الدين محمّد بن علي القشيري[1] رحمه الله تعالى،

---

(١) قال الصفدي في الوافي بالوفيّات، باب: ابن علي، ج٢ص١٧: هو محمّد بن علي بن وهب بن مطيع، الإمام العلّامة شيخ الإسلام تقيّ الدين بن دقيق العيد، المنفلوطيّ، المصريّ، المالكيّ، الشافعيّ. أحد الأعلام، وقاضي القضاة. (٦٢٥-٧٠٢)هـ كان إماماً متفنّناً، متحدّثاً، مجوِّداً، فقيهاً، مدقّقاً، أصوليّاً، نحويّاً، شاعراً، ناثراً، ذكيّاً، غوّاصاً على المعاني، مجتهداً، وافر العقل، كثير السكينة، بخيلاً بالكلام، تامّاً بالورع، شديد التديّن، مديم السهر، مكبّاً على المطالعة والجمع، جواداً سمحاً، عديم الدعاوي، له اليد الطولى في الفروع والأصول، وبصربعلل المنقول =

قال: كان ببغداد فقيه يُقال له الحَوْزيّ، يُقرئ اثني عشر علماً، فخرج يوماً قاصداً إلى مدرسة فسمع منشداً ينشد:

إذا العشرون من شعبان ولّت ... واصِلْ شرب ليلك بالنهار/ [٢٣/ أ]

ولا تشرب بأقداح صغار ... فقد ضاق الزمان عن الصغار

فخرج هائماً على وجهه حتى أتى مكّة، فلم يزل مجاوراً بها حتى مات، انتهى كلامه. ولعله فهم من ذلك إلى متى أنت في الاشتغال بتعليم الناس صغار العلوم، والتنزّل إليهم في صغار الأحوال؛ فإنّ العمر ـ وإن طال ـ قصير، وإن اتسع ضيّق؛ فترك ذلك واشتغل بتعليم نفسه كبار العلوم بكبار الأحوال، وانتهز فرصة العمر، وعمل بقوله عليه السلام: «ابدأ بنفسك»[1] ومن هذا كثير في أحوال الصادقين من أهل العرفان، يأخذون إشارتهم من كلّ شيء بحسب قوة الإيمان، وكمال اليقظة والإيقان.

(وحكى لي): أيضاً ولد الشيخ. **(رحمه الله)** تعالى. **(قال: كان الشيخ رضي الله عنه جالساً في الجامع الأزهر)** بمصر المحروسة. **(على باب قاعة الخطابة، بالقرب من منبر الخطابة، وعنده جماعة)** جالسون. **(من الأمراء والفقراء، وفيهم جماعة من مشايخ الأعجام المجاورين بالجامع الأزهر)** المذكور. **(وغيرهم)** أيضاً. **(وكلّما ذكروا)**: أي الجماعة المذكورون. **(حالاً من أحوال الدنيا)** وأمتعتها التي يتسهل بها أمر المعيشة في الدور والبيوت. **(مثل الطشت خانة)**: أي طشت البيت الذي يستعملونه في غسل الأيدي ونحو ذلك. **(والفرش خانة)**: أي فرش البيت مما هو

= والمعقول. تفقّه بأبيه، وبالشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، وبطائفة. واشتهر اسمه في حياته وحياة مشايخه، وتخرّج به أئمة. كان لا ينام الليل إلّا قليلاً، يقطعه بمطالعة وتهجد وذكر، أوقاته معمورة.

(١) قطعة من حديث، رواه مسلم في صحيحه، باب الابتداء في النفقة بالنفس،٢٣٦٠ عن جابر رضي الله عنه.

المعتاد الآن مما يوضع في وسط البيت، وما يوضع في جوانبه بسطاً وتعليقاً ونحوه. **(وغير ذلك)**: ممّا يوضع ويستعمل كالذي يسمّى شمعة دان، ويسمّى «برنج» من الألفاظ العجميّة. **(يقولون هذا)**: أي الاسم الذي يذكرونه، أو الوضع المستعمل بذلك الشيء من جملة، (زخم): بالزاي والخاء المعجمة، أي: وضع واصطلاح الأعجام[كذا] بتفخيم وتعظيم. أصل الزخم: الدفع الشديد، قال في القاموس: زَخَمَه كمَنَعَه: دفعه شديداً. **(فبينما هم يتفاوضون)**: أي يتشاركون، والمُفاوَضَة: الاشتراك في كلّ شيء كالتفاوُض والمُساواة. وتَفَاوضوا في الأمر: فاوَضَ فيه بعضُهم بعضاً، كذا في القاموس. **(في هذا الكلام ويفخّمون)**: أي يعظّمون. **(زَخْم)**: أي وضع. **(العجم)** على حسب ما يذكرون. **(والمؤذنون رفعوا أصواتهم بالأذان)** على المنارة في الجامع الأزهر. **(جملة واحدة)** وفيه إشارة إلى أن الأذان من جماعة واحدة صنيع السلف الماضين في الأوقات الخمسة. ومن نهى عن ذلك وقال: «إن الأذان لم يشرع إلا من الواحد فقط»، غير مصيب كما حررناه في كتابنا **(نهاية المراد في شرح هدية ابن العماد)** وغيره. **(فقال الشيخ)** عمر رضي الله عنه. **(وهذا زخم)**: أي وضع واصطلاح العرب. **(وصرخ صرخة عظيمة، وتواجد)** من ذلك. (وصرخ) معه **(كلّ من كان حاضراً حتى كانت لهم في الجامع)** الأزهر المذكور. **(ضجة عظيمة)** يصرخون ويتواجدون.

(وحكى لي أيضاً) ولد الشيخ (رحمه الله) تعالى. **(قال: كان السلطان الملك الكامل رحمه الله[1])** تعالى. **(يحب أهل العلم)**: أي العلماء. **(ويحاضرهم)**: أي

---

(١) شعبان بن محمّد بن قلاوون، السلطان الملك المنصور، تسلطن بعد أخيه الملك الصالح. تولّى الحكم ثاني ربيع الآخر٧٤٦هـ وخلع في جمادى٦٤٧هـ كان شجاعاً، يقظاً، فطناً، يجلس للخدمة طرفي النهار مع الله ودائماً، محبّاً لجمع المال، وله حكاية مع المغنّية عجيبة والقاضي ابن عين الدولة. انظر المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي ج٢ص١٧، والعبر في خبر من غبر ج١ص٣٠٦، وطبقات الشافعيّة للسبكي ج٨ص٣٣.

يجالسهم، ويتكلّم معهم (**في مجلس مختص بهم**) يدخلون عليه فيه. (**وكان**): أي السلطان. (**يميل إلى فن الأدب**): أي علم الشعر. (**فتذاكروا**): أي العلماء. (**عنده**): أي عند السلطان. (**في وقت**) من الأوقات. (**أصعب القوافي**): جمع قافية، من القَفْو. يقال قَفَوْتُ أَثَرَه، أَقْفُوهُ قَفْواً وقُفُوّاً: أي اتّبعته. ومنه الكلام المُقَفَّى، وسمّيت قوافي الشعر لأنّ بعضها يتبع أثر بعض. كذا في الصحاح. وفي القاموس: «القافية آخر كلمة في البيت، أو آخر حرف فيه ساكن فيه إلى أول ساكن يليه مع الحركة التي قبل الساكن، أو هي الحرف تبنى عليه القصيدة».

(**فقال السلطان**) المذكور. (**من أصعبها**): أي القوافي. (**قافية الياء الساكنة، فمن كان يحفظ شيئاً منها فليذكره**): في هذا المجلس. (فتذاكروا ذلك، فلم يتجاوز أحد منهم عشرة أبيات. فقال السلطان: أنا أحفظ منها): أي من قافية الياء الساكنة. (**خمسين بيتا. وذكرها**): أي تلك الأبيات. يعني: أنشدها/ [٢٤/ أ] لهم. (**فاستحسن الجماعة ذلك منه**): أي من السلطان.

(فقال القاضي شرف الدين كاتب سرّه) أي السلطان. (**أنا أحفظ منها**): أي من قافية الياء الساكنة. (**مائة وخمسين بيتاً قصيدة واحدة، فقال السلطان: يا شرف الدين، جمعت في خزائني أكثر دواوين الشعراء في الجاهليّة والإسلام، وأنا أحبّ هذه القافية**): أي قافية الياء الساكنة. (**فلم أجد فيها أكثر من الذي ذكرت لكم**) من الخمسين بيتاً المذكورة. (**فأنشدني هذه الأبيات التي ذكرتها، فأنشده قصيدة الشيخ**): عمر رضي الله عنه. (**اليائيّة**): أي التي قافيتها الياء الساكنة. (**التي مطلعها قوله**) كما سيأتي شرحه في موضعه إن شاء الله تعالى:

سائق الأظعان يطوي البيدَ طيّ ... منعماً عرِّج على كثبان طيّ

(**فقال**): أي السلطان. (**يا شرف الدين لمن هذه القصيدة ؟! فلم أسمع بمثلها! وهذا**) الشعر، (**نَفَس محبّ صادق فقال**): أي شرف الدين كاتب السرِّ. (**هذا نظم**

الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض) رضي الله عنه. **(فقال)**: أي السلطان. **(وفي أي مكان مقامه)**: أي الشيخ شرف الدين بن الفارض. **(فقال)**: أي كاتب السرّ. **(كان مجاوراً بمكّة)** المشرّفة. **(وفي هذا الزمان حضر إلى القاهرة)**: مصر المحروسة. **(وهو الآن مقيم بقاعة الخطابة في الجامع الأزهر فقال)**: أي السلطان. **(خذ منّي ألف دينار وتوجَّه)** بها. **(إلى عنده)**: أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. **(وقل له عنِّي: ولدك محمّد)** اسم للسلطان الكامل. **(يسلِّم عليك، ويسألك أن تقبل هذه)**: الألف دينار[كذا]. **(منه برسم الفقراء الواردين عليك)**: يعني تنفقها عليهم. **(فإذا قبلها منك اسأله)**: أي اطلب منه. **(الحضور إلى عندنا لنأخذ حظنا)**: أي نصيبنا. **(منه)**: أي من الشيخ عمر رضي الله عنه. **(ومن بركته، فقال)**: أي كاتب السرّ. **(مولاي السلطان يعفيني)**: أي ليسامحني. **(من هذا)**: الأمر. **(فإنّي لا أستطيع أن أخاطبه)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه بمثل ذلك. **(وإن خاطبته لأجل مولانا السلطان فإنّه لا يأخذ الذهب، ولا يحضر، ولا أقدر بعد ذلك أن أدخل إليه أصلاً حياء منه فقال)**: أي السلطان. **(لا بدّ من ذلك)**: أي الذهاب إليه وسؤاله ذلك. **(فأخذ)**: أي كاتب السرّ. **(الذهب، وتركه مع إنسان صحبته، وقصد مكان الشيخ)**: عمر رضي الله عنه في الجامع الأزهر. **(فوجده)**: أي وجد الشيخ عمر رضي الله عنه **(واقفاً على الباب)**: أي باب قاعة الخطابة **(ينتظره)**: أي ينتظر كاتب السرّ. **(فابتدأه)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(بالكلام وقال)**: لكاتب السرّ: **(يا شرف الدين، ما لك ولذكري في مجلس السلطان. ردّ الذهب إليه، ولا ترجع تجيئني إلى سنة)**: جزاء له على ما صدر منه. **(فرجع)**: أي كاتب السرّ. **(وقال للسلطان: وددت أن أفارق الدنيا ولا أفارق رؤية الشيخ)**: عمر رضي الله عنه (سنة) وأخبره بما قاله له. **(فقال السلطان: مثل هذا الشيخ الكامل يكون في زماني، وفي بلادي، ولا أزوره، فلا بدّ لي من زيارته ورؤيته، فنزل السلطان لأجل زيارته في الليل إلى المدينة)**: أي مصر المحروسة. **(من قلعة الجبل**

مستخفياً): بحيث لا يعرفه أحد. **(هو وفخر الدين عثمان الكامل)**: أحد جماعته. **(معه، وبات في دار المهمندار**[1] **التي قبالة الجامع الأزهر ودخل)**: أي السلطان. **(إلى الجامع بعد العشاء)**: الأخيرة **(ومعه جماعة من الأمراء)** الخواص عنده. **(ووقفوا على باب قاعة الخطابة)**: مكان الشيخ عمر رضي الله عنه. **(التي بجوار)**: أي قرب **(المنبر)**: أي منبر الجامع الأزهر. **(فخرج الشيخ)**: عمر رضي الله عنه. **(من الباب الآخر الذي)**: لقاعة الخطابة **(بظاهر الجامع)** الأزهر **(ولم يجتمع)**: أي السلطان **(به)**: أي بالشيخ عمر رضي الله / [٢٤/ ب] عنه.

(وسافر): أي الشيخ عمر. **(إلى ثغر الإسكندريّة)**: في ذلك الحين. **(وأقام بالمنار)**: أي الجبل الذي هناك **(أياماً ثمّ رجع إلى الجامع الأزهر. وبلغ السلطان حضوره)**: إلى مصر من الإسكندريّة. **(وأنّه)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(متوعِّك)**: أي ضعيف **(المزاج)**: بسبب مرض هو فيه. **(فأرسل)**: أي السلطان **(إليه)**: أي إلى الشيخ رضي الله عنه **(فخر الدين)**: عثمان الكاملي المذكور **(يستأذنه)**: أي يطلب منه الإذن **(أن يجهّز)**: أي يهيّأ السلطان **(له)**: أي للشيخ رضي الله عنه **(ضريحاً)**: أي قبراً **(عند قبر أمّه)**: أي أمّ السلطان **(بقبّة الإمام الشافعيّ رضي الله عنه. فلم يأذن له)**: أي للسلطان **(بذلك. ثمّ استأذنه)**: أي السلطان **(أيضاً أن يبني له تربة تكون له مزاراً مختصاً به)**: أي بالشيخ عمر رضي الله عنه **(فلم يأذن له بذلك، ثمّ نصل)**: أي تخلّص الشيخ عمر رضي الله عنه **(من ذلك التوعّك)**: أي المرض الذي كان أصابه **(وعافاه الله تعالى منه)**.

---

(١) المهمندار: هو الذي يتصدّى لتلقّي الرسل والعربان الواردين على السلطان، وينزلهم دار الضيافة، ويتحدّث في القيام بأمرهم. وهو مركّب من لفظين فارسيّين، أحدهما: مَهمَن، بفتح الميمين، ومعناه: الضيف. والثاني: دار، معناه ممسك. فيكون معناه: ممسك الضيف. والمراد المتصدّي لأمره. انظر صبح الأعشى للقلقشندي، باب: الحالة الأولى أن يصدر بلفظ أمير وهو لفظ، ج٢ ص٣٧٨.

(**قلت**): أي قال جامع هذا الديوان، سبط الشيخ عمر رضي الله عنه. (**حضر إلى عندي**): في يوم من الأيام. (**في مسجدي على نيّة الزيارة القاضي أمين الدين بن الرقاوي، وكان له**): أي لأمين الدين المذكور. (**اعتقاد حسن في الشيخ**): عمر رضي الله عنه. (**تلقاه**): أي ذلك الاعتقاد الحسن. (**من والده**): الرقاوي رحمه الله تعالى. (**فإنّه**): أي والده (**كان من أعزّ أصحاب الشيخ**): عمر رضي الله عنه. (**وحضر معه**): أي مع ابن الرقاوي. (**جماعة رؤوساً**): أي أصحاب رئاسة. (**منهم القاضي جمال الدين إبراهيم بن الشيخ بهاء الدين بن الشيخ جمال الدين إبراهيم السيوطيّ**) رحمه الله تعالى. (**أمام السلطان، فحكى**): أي القاضي جمال الدين المذكور. (**لنا أنّ والده**): الشيخ بهاء الدين. (**حكى له عن جدّه**) الشيخ جمال الدين السيوطيّ. (**أنه قال**): أي جمال الدين السيوطيّ رحمه الله (**مشيت مع الشيخ شرف الدين**) عمر بن الفارض رضي الله عنه. (**في الجامع الأزهر إلى باب زويلة**): أحد أبواب مصر المحروسة. (**وأخبرني**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه (**أنه متوجه إلى جامع مصر**) العتيقة. (**فسألته**): أي طلبت منه. (**أن أرافقه**): في توجهه ذلك. (**فأجاب**) إلى ذلك. (**فطلبت مكارياً**): يحملنا. (**وقلت كم لك**): من الأجرة (**إلى جامع مصر، فقال: اركبوا معي على الفتوح**): أي كل شيء يفتح عليك به أتناوله منكم. (**فقلت**) له: (**لا بد أن تشارطنا فعزّ**): أي امتنع وصعب. (**ذلك**) الأمر. (**على الشيخ**): عمر رضي عنه. (**وقال**) له: (**نعم نركب معك على الفتوح فركبنا معه**) على ذلك. (**فوجدنا في الطريق فخر الدين عثمان الكاملي**): المتقدّم ذكره. (**فترجّل**): أي نزل عن فرسه. (**وترجل معه أصحابه**): أي نزلوا عن خيولهم. (**فسلّم على الشيخ**) عمر رضي الله عنه. (**وأراد**): أي فخر الدين. (**أن يقبّل يده**): أي يد الشيخ عمر رضي الله عنه. (**فرفع الشيخ يده، ومسح بها على رأسه ووجهه، ودعا له**): أي لفخر الدين. (**وقال له: اركب، بارك الله فيك وعليك. فركب، وانصرف، وتبعنا فارس**): أي رجل راكب على فرس. (**من جهته**): أي فخر

الدين. **(فاستند)**: أي ذلك الفارس. **(إليّ وقال لي: قل للشيخ: هذه مئة دينار يقبلها من الأمير)**: فخر الدين. **(على الفتوح)**: أي حسب فتوح الوقت. **(فقلت ذلك للشيخ. فقال: نحن ركبنا مع المكاري على الفتوح؛ وهذه فتوح، فتوجه)**: أي اذهب. **(أعطها)**: أي المئة دينار. **(له)**: أي للمكاري. **(وأمر بها)**: أي بالمئة دينار. **(للمكاري، فرجع)**: ذلك. **(الفارس إلى عند الأمير)**: فخر الدين. **(وأخبره بذلك فبعث)**: أي الأمير فخر الدين. **(إليه)**: أي إلى الشيخ عمر رضي الله عنه. **(مثلها)**: أي مئة دينار أخرى. **(فقلت له)** أي: للشيخ عمر رضي الله عنه. **(عنها)**: أي /[٢٥/ أ] عن المئة دينار الأخرى. **(فقال: أعطها للمكاري. فقلت له: هذه مئة دينار ثانية. فقال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(عرفت بها فتوجّهْ)**: أي اذهب. **(فأعطها)**: أي هذه المئة أيضاً **(له)**: أي للمكاري. **(فأعطيته المئة الدينار الثانية. فلما وصلنا إلى الجامع)** الذي نحن قاصدون إليه. **(ونزلنا عن الدواب اعتذر الشيخ)**: عمر رضي الله عنه. **(إلى المكاري، ودعا)**: أي الشيخ. **(له)**: أي للمكاري من مكارم أخلاقه رضي الله عنه.

(وحكى) لي أيضاً. **(ولده)**: أي الشيخ عمر رضي الله تعالى عنه. **(قال: كان للشيخ)**: عمر. **(رضي الله عنه أربعينيّات)**: أي خلوات، كلّ خلوة أربعون يوماً. **(متواصلة ليلاً ونهاراً، لا يأكل)** فيها. **(ولا يشرب ولا ينام. وفي بعض أيام أربعينيّته)**: من ذلك. **(اشتهت نفسه)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(علية هريسة)**: وهي طعام القمح. **(وكان)** ذلك في **(آخر أيام الأربعين، فقال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه لنفسه. **(يا نفس، إمّا تصبري بقيّة هذا اليوم وتفطري)**: في آخره. **(على الهريسة، فأبت)**: أي امتنعت نفسه. **(وقالت: لا بدّ من الهريسة في هذا الوقت، قال الشيخ)** عمر رضي الله عنه: **(فاشتريت الهريسة وجئت)** بها. **(إلى عند قبة الشرابي)**: مكان معروف هناك. **(ورفعت أوّل لقمة)**: من الهريسة. **(إلى فمي، فانشق جدار القبة)**: المذكورة. **(وخرج منه شاب جميل الوجه، حسن الهيئة،**

أبيض الثياب، عطر الرائحة، وقال): أي: ذلك الشاب. **(تفُ عليك)** قال في القاموس: «التُّفُّ بالضمّ: وَسَخُ الظُّفُرِ، أو اتباع لأُفّ، وجمعه: تِفَفَةٌ، كعِنَبَه».

(فقلت: نعم إن أكلتها): أي تلك اللقمة. **(فرميت)**: تلك. **(اللقمة من يدي)**: في الحال. **(قبل أن تصل إلى فمي، وتركت الهريسة، وخرجت من الحرم)**: أي حرم تلك القبّة. **(إلى السياحة)**: بالبعد عن الوطن. **(وأدّبت نفسي)**: بعد ذلك. **(بزيادة)** صوم. **(عشرة أيام في المواصلة)**: على الأربعين. **(لتتمة الخمسين يوماً)**.

(وحكى لي ولده): أي ولد الشيخ (رحمه الله) تعالى. **(قال: لـمّا حج الشيخ شهاب الدين السهروردي**[1] **شيخ الصوفيّة)** ببلاد العراق على الإطلاق بالاستحقاق. **(قدّس الله روحه ونوّر ضريحه)** وكان ذلك. **(آخر حجة في سنة ثمان وعشرين وستمئة، وكانت)**: في تلك السنة. **(وقفة الجمعة، وحجّ معه)**: أي مع السهروردي. **(خلق كثير من أهل العراق)**: نحو ألف إنسان. **(فرأى كثرة ازدحام الناس عليه في الطواف بالبيت والوقوف بعرفة، واقتدائهم بأقواله وأفعاله، وبلغه)**: أي وصل إليه. **(أن الشيخ)**: عمر بن الفارض رضي الله عنه **(في الحرم)**: المكيّ. **(فاشتاق إلى رؤيته، وبكى، وقال في سرّه)**: أي في نفسه. **(يا ترى هل أنا عند الله)** تعالى. **(كما يظنّ هؤلاء القوم فيّ)** من الصلاح والدين. **(ويا ترى هل ذُكرت)** بالبناء للمفعول، أي: ذكرني ذاكر من ملك أو وليّ مقرّب. **(في حضرة**

---

(١) السهرورديّ محمّد بن حبش بن أميرك، شهاب الدين أبو الفتوح السهرورديّ، الحكيم المقتول بحلب. اختُلف في اسمه؛ فقال صاحب المرآة: محمّد السهرورديّ. ولم يذكر أباه. وقال ابن أبي أُصيبعة في تاريخ الأطباء: عمر. ولم يذكر أباه. وقال القاضي شمس الدين بن خلّكان: يحيى بن حبش بن أميرك، بالحاء المهملة والباء ثاني الحروف، والشين المعجمة في أبيه. وجدّه أميرك، أمير في آخره كاف. ولعلّ هذه التسمية هي الصحيح. كان مفرط الذكاء، فصيح العبارة. اعتقله غازي بن صلاح الدين بأمر من أبيه، وقتله في قلعتها ٥٧٨ هـ. انظر الوافي بالوفيّات للصفديّ، ج١ص٢٧٩.

المحبوب): الحقّ سبحانه وتعالى. **(في هذا اليوم)** المبارك. **(فظهر له الشيخ)**: عمر. **(رضي الله عنه، وقال)**: مخاطباً له **(يا سهروردي:**

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثمّ على ما فيك من عِوَج)

وهو بيت من القصيدة الجيميّة، وسيأتي شرحه في موضعه إن شاء الله تعالى.

(فصرخ الشيخ شهاب الدين): السهروردي رضي الله عنه. **(وخلع كلّ ما كان عليه)**: من الثياب. **(وخلع المشايخ والقوم الحاضرون)**: في ذلك المجلس. **(كل ما كان عليهم)**: من ثيابهم. **(وطلب)**: أي الشيخ شهاب الدين السهروردي بعد فراغه من التواجد **(الشيخ)**: عمر بن الفارض رضي الله عنهما. **(فلم يجده، فقال: هذا إخبار من كان في الحضرة)** الإلهيّة لأنّه جاء على/ [٢٥/ ب] طبق ما في سرِّه.

(ثمَّ اجتمعا): أي السهروردي وابن الفارض ـ رحمهما الله تعالى ـ **بعد ذلك اليوم. (في الحرم الشريف)**: المكِّيّ. **(واعتنقا، وتحدّثا سرّاً)**: أي بخفية. **(زمناً طويلاً، واستأذن)**: أي السهروردي. **(والدي)**: أي الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّهما. يعني: طلب منه الإذن أن. **(يلبسني ويلبس أخي عبد الرحمن)**: ابن الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. **(خرقة الصوفيّة على طريقته)**: أي على طريقة السهروردي رضي الله عنه. **(فلم يأذن)**: أي والدي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. **(له)**: أي للسهروردي في ذلك. **(وقال)**: أي والدي. **(له)**: أي للسهروردي. **(ليست هذه طريقتنا. فلم يزل)**: أي السهروردي. **(يعاوده)**: أي يعاود ابن الفارض. **(إلى أن أذن له)**: بذلك. **(فلبست منه أنا وأخي)**: أي الشيخ محمّد وعبد الرحمن ابنا الشيخ[1] عمر بن الفارض رحمهم الله تعالى. **(فلبس معنا بإذن والدي)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(أيضاً شهاب**

---

(١) يشرح هنا سبط ابن الفارض أن للشيخ عمر بن الفارض ولدين: محمّد الذي نقل عنه الديوان، وعبد الرحمن الذي لم يذكر عنه شيئاً وكذلك أغفلته المصادر كلها.

الدين بن الخيمي فلبس معنا بإذن والدي[1] وأخوه شمس الدين فإنّهما): أي شهاب الدين وشمس الدين. (كانا عند والدي): الشيخ عمر رضي الله عنه (من العزّة عليه في منزلة الأولاد) له (ولبس منه): أي من السهروردي قدّس الله سرّه. (في ذلك الوقت جماعة كثيرة بحضور الشيخ) عمر بن الفارض والد ي قدّس الله سرّه، (وحضور جماعة من المشايخ) الكاملين. (مثل ابن عجيل اليمني[2] وغيره) رضي الله عنهم.

(وحكى لي): أي ولد الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله تعالى. (قال: كان الشيخ): عمر (رضي الله عنه): والده. (يقيم في شهر رمضان في الحرم): المكيّ. (لا يخرج إلى السياحة) في الصحارى والجبال. (ويطوي نهاره بالصيام مع ليله ويحيي ليله). (قلت): أي قال جامع هذا الديوان رحمه الله تعالى. (وقد أشار): أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. (إلى ذلك): الطيّ والإحياء. (بقوله في القصيدة اليائيّة): كما سيأتي شرحه في محلّه إن شاء الله تعالى:

في هــــواكم رمـــــضانٌ عمـــــرُه ينقـــضي مـــا بـــين إحيـــاء وطـــيّ

(قال): أي ولد الشيخ عمر. (رحمه الله) تعالى (فشدّ والدي): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (في وسطه مئزراً): أي إزاراً؛ وهو الملحفة (وائتزر به وتأزّر. وكذلك فعل المجاورون بالحرم المكي): أي شدوا مآزرهم. (مثله من أوّل الشهر): أي شهر رمضان. (وهم في طلب ليلة القدر، فتارة يطوفون): بالبيت.

---

(١) شهاب الدين بن الخيمي: محمّد ين عبد المنعم بن يوسف بن أحمد الأنصاري، أبو عبد الله بن شهاب الدين بن الخيمي. أديب وشاعر يماني الأصل، مولده ووفاته بالقاهرة. كان مقدّماً على شعراء عصره، وشعره في الذروة، كان مشاركاً في كثير من العلوم. له ديوان في مكتبة فلورنس برقم(١٨٦) انظر فهرس شعراء الموسوعة الشعريّة، باب ابن أبي البشر ج١ ص٦٩ .

(٢) ابن عجيل اليمنيّ: الإمام العالم الوليّ الكبير أبو العباس أحمد بن موسى بن عجيل. عاصر ابن الفارض والتقاه، اشتهر بفتاويه الفقهية. انظر الفتاوى الفقهيّة الكبرى، باب القضاء ج١ ص٧٩.

(**وتارة يصلّون**): للطواف صلاته المعروفة، وغيرها أيضاً. (**وأنا**): أي ولد الشيخ عمر رضي الله عنه، الشيخ محمّد رحمه الله تعالى. (**معهم**): أي مع المجاورين. (**فخرجت ليلة من الحرم**): المكي. (**في العشر الأواخر**) من شهر رمضان. (**لأزيل حقنة**): أي بول. (**بظاهر الحرم**): الشريف. (**فرأيت**): في تلك الليلة. (**البيت**): المعظّم. (**والحرم**): المشرّف. (**ودور**): جمع دار. (**مكّة**): المباركة. (**وجبالها ساجدين لله تعالى، ورأيت**): أيضاً. (**أنواراً عظيمة بين السماء والأرض، فوجدت**): من ذلك. (**هيبة ورعباً شديداً، وجئت إلى والدي**): الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه (**مهرولاً**): أي مسرعاً في المشي. (**فأخبرته بذلك**): الذي رأيته. (**فصرخ صرخة عظيمة وقال للمجاورين الواقفين في طلب القدر: هذا ولدي**): أي الشيخ محمّد. (**خرج يبول**): خارج الحرم المكي. (**فرأى ليلة القدر، فصرخ الناس معه**): أي مع الشيخ عمر رضي الله عنه، (**إلى أن علا ضجيجهم**): أي صياحهم بالبكاء. (**والدعاء**) إلى الله تعالى. (**والصلاة والطواف**): أي وقت. (**الصباح، وخرج والدي**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**في أودية**): جمع وادي. (**مكّة**): المشرّفة. (**هائماً**): أي متحيراً لا يدري أين يذهب. (**في السياحة ولم يدخل الحرم**): المكي. (**إلى يوم العيد**): أي عيد الفطر. (**في تلك السنة**).

(**وحكى لي**): أي ولد الشيخ عمر رضي الله عنه. (**رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ عمر رضي الله عنه يتردد إلى المسجد المعروف في مصر**): المحروسة. (**بالمُشتهى**): بصيغة اسم المفعول، من الشهوة: وهي اللذّة النفسانيّة، فكأنّ كل واحد يشتهيه لفضاء ساحته ورقة هوائه. (**وكان تردده**): ذلك. (**في أيام وفاء النيل**): أي نيل مصر المشهور وزيادته. (**ويحبّ**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**مشاهدة البحر**): أي بحر النيل، وسمّاه بحراً من كثرة مائه وسعته، وإلا فهو نهر عظيم من أنهار الجنّة الأربعة المذكورة/ [٢٦/ أ] في الحديث قال رسول الله صلّى

الله عليه وسلّم: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كلّ من أنهار الجنّة»[1] رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. **(وفيه)**: أي في المسجد المعروف بالمُشتهى. **(قال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(من جملة أبيات له في آخر ديوانه)** وسنشرحه إن شاء الله تعالى في محلِّه:

وطنـــي مـــصرُ وفيهـــا وطـــري ولعينـــي مُـــشتهاها مـــشتهاها[2]

(فتوجه): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(إليه)**: أي المُشتهى. **(يوماً)**: من الأيام على عادته. **(فسمع قصّاراً)**: وهو الذي يغسل الثياب ويعالجها ليصير بياضها بياضاً جيداً من القصر على الأمر، وهو الردّ إليه؛ فكأنّه يقصرها على البياض، أي: يردها إليه، فلا تتجاوزه. **(يقصر مقطعاً)**: كمقعد؛ موضع القطع، وهو الثوب الجديد الذي لم يُقطع ليُخاط بل؛ يجري عليه القطع بعد ذلك، أوالذي قُطع من منوال الحائك. **(ويضرب به)**: أي بذلك المقطع. **(على الحجر)**: موضع عصره لإخراج الوسخ منه. **(وهو)**: أي القصار. **(يقول ويكرر)** قوله:

قطَّـــع قلبـــي هــــذا المقطـــع مـــا قـــال يـــصفو أو يتـــقطّع

(قطّع): بتشديد الطاء أبلغ من قطع بتخفيفها. **(ما قال يصفو)**: أي ما كان يصفو فأطلق القول على الفعل من قبيل قولهم قال بيده كذا. وفي القاموس: ويعبَّر بالقول عند التهيّؤ للأفعال والاستعداد لها، يقال: قال فأكل، وقال فضرب، وقال: فتكلّم ونحوه. **(فما زال)**: أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه من حين سمع هذا السجع من القصار يصرخ من أليم وجْده، وحرارة شوقه وقصده. **(يكرر هذا السجع كلّ ساعة بعد ساعة، ويضطرب اضطراباً شديداً، ويتقلّب على الأرض، ثمّ يسكن اضطرابه)**: من شدّة الوارد الذي يرد على قلبه عند تكراره السجع المذكور،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، باب ما في الدنيا من أنهار الجنّة، ٧٣٤٠.

(٢) انظر مقطّعة (جلّق جنّة) البيت الثالث.

وفهمه منه المعاني الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة. **(حتى يُظن)**: بالبناء للمفعول، أي: يظنّه من يراه. **(أنه قد مات ثمّ يستفيق)**: من ذلك. **(ويتحدّث معنا بكلام لدنّيّ)** : أي من فيض الإلهام الربّانيّ، وصفاء الفتح الرحماني. **(ما سمعنا مثله)**: أي مثل ذلك الكلام **(قط، ولا نحسن)**: أي لا نقدر. **(أن نعبّر عنه)**: أي عن ذلك الكلام بعبارة تؤدّيه؛ لعزّة منحاه، ودقة معناه. **(ثمّ)**: إنّه رضي الله عنه. **(يضطرب على)**: سماع. **(كلامه)**: الذي يذكره لنا مما يرد على قلبه من ذكر سجع القصّار. **(ويستمع)**: لذلك الكلام. **(ويعود إلى حال وجده)**: كما كان. **(ودخل إلينا رجل من أصحابه)**: أي أصحاب الشيخ رضي الله عنه. **(فلمّا رأى)**: أي ذلك الرجل. **(الشيخ)**: عمر رضي الله عنه. **(وشاهد حاله)**: الذي يعتريه. **(قال)**: أي ذلك الرجل:

أموتُ إذا ذكرتُكَ ثمّ أحيا ... فكم أحيا عليك وكم أموتُ

يعني: إذا تذكرتك أموت بذكرك، قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٤٥] وذلك لأن الذكر بداية التذكّر، والتذكّر بداية حضور المذكور الحقّ، وحضور المذكور الحقّ ينفي نفس الذاكر فيقتضي موته، ثمّ إذا انتهى الذاكر بعد ذلك عاد إلى الغفلة فعادت نفسه إليه، فكان حياً. و كم للتكثير؛ فالإحياء يتكرر كثيراً، والموت كذلك، وهو شأن السالك في طريق الله تعالى برفع قدم العبوديّة، ووضع قدم الربوبيّة، وبسط المحو، وقبض الصحو، قال الله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٩] **(فوثب)**: أي نهض. **(الشيخ)**: عمر رضي الله عنه. **(قائماً)**: على قدميه عند سماعه هذا البيت من هذا الرجل. **(واعتنقه)**: أي اعتنق ذلك الرجل. **(وقال له: أعد ما قلت)**: من الكلام المذكور بإنشاد البيت. **(فسكت الرجل)**: ولم يعده. **(شفقة منه)**: أي من الرجل. **(عليه)**: أي على الشيخ عمر رضي الله عنه. **(وسأله)**: أي طلب الرجل من الشيخ عمر /[٢٦/ ب] رضي الله عنه. **(أن يرفق بنفسه، وذكر)**: أي الرجل. **(له)**: أي للشيخ

عمر رضي الله عنه. (**شيئاً من حاله**): الذي هو فيه. (**عند غلبة الوجد**): الإلهي. (**عليه فقال**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه:

إنْ خَتَمَ اللهُ بغفرانه فكلّ ما لاقيتُه سهلُ

يعني: إن كان خاتمة حالي الذي يستغرقني من الوجد الشديد، والشوق المديد، إلى خير جلل بغفران الزلل، وبلوغ القصد والأمل، فجميع ما قاسيته من ذلك سهل لا صعوبة فيه عند السالك، ولله درّ القائل[1]:

وإذا المَطيّ بنا بلغن محمّداً فظهور هنّ على الرجال حرام

قرّبننا من خير مَنْ وطئ الثرى فلها علينا منّةٌ وذمام

(**ولم يزل**): أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. (**على هذا الحال**): من الوجد والتولّع. (**من**): أجل. (**سماع قول القصار**): المذكور يكرر ذلك ويتواجد عليه. (**إلى أن توفي**): أي مات. (**رحمه الله تعالى**).

وفي طبقات الأولياء للمناوي رحمه الله تعالى ذكر في ترجمة الشيخ عمر رضي الله عنه أنّه مرّ رجل يوماً ومعه بلالين: أي مآزر فدعاه رجل: يا صاحب البلالين فطرب الشيخ عمر رضي الله عنه من ذلك وصاح، وبكى، وناح. ومن خوارقه العجيبة وأحواله الغريبة، أنّه رأى جملاً لسقّاً[2] فكلف به، وهام، وصار يأتيه كلّ يوم ليراه، ويسقي بأحماله شيئاً كثيراً. وكان يشخص في بعض الأيام إلى الأسطوانة، أو العمود لأسبوع، أو أكثر؛ فلا يطرف بعينه. وله من أمثال هذه الواقعات كثير. وكان عشّاقاً يعشق مطلق الجمال، حتى أنّه عشق بعض الجمال؛ بل زعم بعض الكبار أنّه عشق برنيّة[3] في دكان عطّار.

---

(١) انظر شرح ديوان أبي نواس لإيليا الحاوي ج٢ ص٣٦٨.

(٢) أي التصقت رئته بجنبه من شدّة العطش.

(٣) البرنيّة فخّارة كبيرة واسعة الفم.

وذكر القوصي في (الوحيد[1]) أنّه كان للشيخ عمر رضي الله عنه جوارٍ بالبهنسا يذهب إليهنّ فيغنين له بالدّفّ والشبّابة وهو يرقص ويتواجد، ولكلّ قوم مشرب، ولكلّ جماعة مطلب، وليس سماع الفسّاق كسماع سلطان العشّاق.

وحُكي عن الشيخ شمس الدين بن عمارة المالكي أنّه كان ينكر على الشيخ عمر رضي الله عنه، فتوجّه لزيارة أخيه يوسف، فأجهده العطش، ولم يجد ماء إلا في قلّة على قبر الشيخ عمر رضي الله عنه فرجع عن إنكاره. وكان الشيخ عز الدين بن جماعة[2] رحمه الله تعالى ينكر عليه أيضاً، فرأى في نومه جماعة قد أوقفوا بين يدي الشيخ عمر رضي الله عنه، وقيل له: هؤلاء المنكرون عليك، فقطع ألسنتهم. فانتبه مذعوراً، ورجع عن إنكاره.

وقال لي فقيه عصره شيخنا الرملي[3] رحمه الله تعالى: إنّ بعض المنكرين رأى أن القيامة قد قامت، ونصبت أواني في غاية الكبر، وأُغلي فيها ماء حتى تطاير منه

---

(١) عبد الغفّار بن أحمد بن عبد المجيد الأنصاري القوصي، المعروف بابن نوح. فاضل، متصوّف، أصله من الأقصر بصعيد مصر، اشتهر بقوص وتوفي بالقاهرة ٧٠٨هـ. يتّصل نسبه بسعد بن عبادة، له (الوحيد في سلوك أهل التوحيد) مخطوط في جزأين. انظر الأعلام للزركلي ج٤ ص٢١.

(٢) عبد العزيز بن محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، قاضي القضاة، أبو عمر بن قاضي القضاة بدر الدين الحمويّ الأصل، الدمشقيّ الشافعيّ، المعروف بابن جماعة. عزل نفسه من القضاء وجاور بمكّة وتوفي فيها كما أراد، ودفن بالمعلّاة (٦٩٤-٧٦٧)هـ. انظر الدررالكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلانيّ ج١ ص٢١٦.

(٣) خير الدين أحمد بن علي الأيوبيّ العليميّ الفارقي. فقيه، باحث، له نظم. من أهل فلسطين ولد ومات فيها (٩٩٣-١٠٨١)هـ. رحل إلى مصر ١٠٠٧هـ مكث في الأزهر، ثمّ عاد إلى بلده. من كتبه : الفتاوى الخيريّة ومظهر الحقائق، حاشية على البحر الرائق، وديوان شعر. انظر الأعلام للزركلي ج٢ ص٢٢٧ .وقد يكون المقصود ولده النجم الرملي ١٠٦٦ـ ١١١٣)هـ محمّد بن محمّد خير وهو كذلك فقيه حنفيّ من أهل فلسطين مولداً ووفاتاً من كتبه: نزهة النواظر في شرح الأشباه. انظر الأعلام ج٦ ص١١٩.

الشرار، وجيء بجماعة ضبائر ضبائر[1]، فسُلقوا فيه حتى تهرّى اللحم والعظم، فقال: ما هؤلاء. قال: الذين ينكرون على ابن عربيّ، وابن الفارض رضي الله عنهما.

ولمّا وصل شيخ الإسلام محمّد بن إلياس[2] قاضي القضاة إلى مصر صار ينال من الشيخ عمر رضي الله عنه، وتوعّد زوّاره ومن ينشد كلامه يوم الجمعة عند قبره على العادة، وتطلّب شرح المنهاج للسبكي لكونه حطّ فيه على الشيخ عمر رضي الله عنه ونقصه، فابتلي بمرض، فما شُفي منه حتى رجع عن ذلك. والحكايات في معنى ذلك كثيرة. (**هذا ذكر سبب رحلة**): أي ارتحال. (**الشيخ**): الصالح والعالم العامل العارف بالله تعالى. (برهان الدين إبراهيم بن معاذ بن شدّاد بن ماجد الجعبريّ الشافعيّ)[3] رحمه الله تعالى. (**من بلاد جعبر**): وهي قلعة على الفرات من بلاد الشرق، كان استولى عليها رجل من بني نمير اسمه جعبر فنسبت إليه. (**لزيارة شيخنا**) الشيخ عمر بن الفارض رحمه/ [٢٧/ أ] الله تعالى إلى مصر المحروسة. (**قال**): أي ولد الشيخ عمر رضي الله عنه. (**وذلك**): أي سبب الرحلة المذكورة. (**أنّي كنت**): أي كان ولد الشيخ عمر رضي الله عنه. (**في مسجدي**): وهو الذي كان يصلّي فيه إماماً. (**فورد عليّ في باطني**) من غير سبب ظاهر. (**انقباض شديد وحصر مديد**) من (**أوّل الليل إلى أول طلوع الفجر،**

(١) ضَبائر: جمع ضِبارة، مثل: عِمارة وعَمائر، والضَبائر: جماعات الناس. انظر تهذيب اللغة للأزهري، باب: ضرم.

(٢) قاضي القضاة محمّد بن إلياس.

(٣) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن معضاذ بن شدّاد بن ماجد الجعبريّ، ولد ٥٩٦هـ. قال الصفدي في الوافي بالوفيّات ج٢ص٢٧٠ أخبرني الشيخ العلّامة أثير الدين أبو حيّان قال: رأيت المذكور بالقاهرة، وحضرت مجلسه، أنا والشيخ نجم الدين بن مكّي، وجرت لنا معه حكاية. وكان يجلس للعوام ويذكّرهم، ولهم فيه اعتقاد. وكان يروي شيئاً من الحديث، وله مشاركة في أشياء من العلم والطبّ وله شعر. توفي ٦٨٧هـ.

فصليت الصبح) بالجماعة. (**فيه**): أي في المسجد المذكور. (**وخرجت منه**): أي من المسجد. (**عازماً**): أي قاصداً ومقبلاً. (**على زيارة ضريح**): أي قبر. (**الشيخ**): عمر بن الفارض والده رضي الله عنه. (**فجزت**): أي مررت. (**تحت مسجد الشيخ برهان الدين**): إبراهيم الجعبريّ المذكور رحمه الله تعالى وكان مسجده في مصر معروفاً مشهوراً. (**فسمعته يتكلّم في ميعاده**): أي وقته المعتاد له أن يتكلّم فيه، ويعظ من يحضره من جماعته. (**فطلعت إليه**): أي إلى ذلك المجلس. (**لأحضر ميعاد الشيخ الجعبريّ**) رحمه الله تعالى. (**ودخلت المسجد**) المذكور. (**فسمعته**): أي الشيخ الجعبريّ رحمه الله تعالى. (**يقول هذا البيت من نظم السلوك**): قصيدة شيخنا الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه:

فلـم تهْـوَني مـا لم تكـن فيَّ فانيـاً ولم تفنَ ما لم تُجتلى فيكَ صورتي[1]

وسيأتي شرحه في محلّه إن شاء الله تعالى. (**فلمّا رآني**): أي الجعبريّ رحمه الله تعالى. (**قال: لا إله إلا الله، كنت أتكلّم في معنى كلام الرجل**): يعني الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه (**فساق**): أي أرسل. (**الله**) تعالى في هذا الوقت. (**سِرَّه**): أي: ولده؛ لأنّه يقال: الولد سرّ أبيه. (**ثمّ أقبل**): أي الجعبريّ رحمه الله تعالى. (**عليّ، ومرّ بيده المباركة على وجهي وصدري، فشرح الله**) تعالى. (**صدري**) في الحال. (**وزال عنّي ما كنت أجده**) من الانقباض. (**وأقمت زماناً**): أي مدة طويلة. (**أجد في باطني سروراً وشرحاً**): من غير سبب ببركة الشيخ الجعبريّ رضي الله عنه.

(**وشرع**): أي الجعبريّ (**يتكلّم في معنى هذا البيت**) المذكور من نظم السلوك قصيدة الشيخ عمر رضي الله عنه. (**بكلام عجيب، ولفظ غريب، ثمّ أُخبرت**) بالبناء للمفعول: أي أخبرني بعض الناس. (**بعد**) انقضاء. (**هذا الميعاد**): الذي

---

(١) انظر قصيدة نظم السلوك البيت ٩٩.

حضرته عند الشيخ الجعبريّ رحمه الله تعالى. **(أن سبب ذكر الشيخ)**: الجعبريّ رحمه الله تعالى. **(هذا البيت)** المذكور في أول الميعاد الذي حضرته عنده أن الشيخ الجعبريّ رحمه الله تعالى. **(قال: كنت في السياحة بجعبر)**: أي بنواحي القلعة المذكورة. **(أو قال بالفرات القريب منها)**: والفرات نهر بالكوفة أحد الأنهار الأربعة التي ورد في الحديث أنّها من أنهار الجنة كما قدّمنا. **(وأنا أخاطب روحي)** بروحي. **(وأناجيها)**: أي أكلّمها بالكلام الخفي. **(بتلذّذي بفنائي)**: أي انمحاقي واضمحلال رسوم نفسي في المحبّة الإلهيّة **(وبينما أنا كذلك)** مسرع **(فمر بي رجل)** مسرع. **(كالبرق)** الخاطف. **(وهو يقول)** بحيث أسمعه:

فلـــم تهـــوَني مـــا لم تكـــن فيّ فانيـــاً ولم تفنَ ما لـــم تُـــجتلى فيك صورتي

وهو البيت الذي سبق ذكره، وسيأتي إن شاء الله تعالى في طيّ هذا الشرح نشره، وإلى بقيّة الأبيات حشره. **(قال الجعبريّ)** رحمه الله تعالى. **(فعلمت أن هذا النظم)** المذكور. **(نَفَس)** بفتح الفاء. **(مُحِبّ صادق)**: في المحبّة الإلهيّة. **(فوثبت)**: أي نهضت مسرعاً. **(إلى ذلك الرجل وأمسكت به، وقلت)** له. **(من أين لك هذا النَفَس؟!)** بفتح الفاء. **(فقال)**: أي ذلك الرجل: **(هذا نَفَس)** بفتح الفاء. **(أخي شرف الدين عمر ابن الفارض)** رضي الله عنه. **(فقلت له)**: أي لذلك الرجل **(وأين هذا الرجل؟)**: يعني الشيخ عمر المذكور. **(فقال: كنت أجد نَفَسه)** بفتح الفاء. **(من جانب الحجاز)**: أي مكّة ونواحيها. **(والآن أجد نَفَسه)** بفتح الفاء. **(من جانب مصر المحروسة، وهو مُحتضَر)** بصيغة اسم المفعول: أي حضرته ملائكة الموت. **(أو حضر أجله)**: أي قرب. **(وقد أُمرت)** بالبناء للمفعول. **(من جهة الله)** تعالى. **(بالتوجّه إليه)**: في هذا الوقت. **(وأن أحضر انتقاله)** من الدنيا **(إلى حضرة الله تعالى وأصلِّي/ [٢٧/ب] عليه، وها أنا ذاهب إلى مصر)** لأجل ذلك. **(فلمّا التفت)**: ذلك الرجل. **(إلى جانب مصر)** المحروسة. **(التفتُ معه)**: إلى

جانبها أيضاً. (**فشممت أثر رائحة الرجل**): أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. (**فتتبعت أثر**): تلك الرائحة. (**إلى أن دخلت عليه**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**في ذلك الوقت في مصر**) لأنّ الرجل الذي تمسك به لمّا مرّ عليه كالبرق كان رجلاً من أولياء الله تعالى صاحب خطوة. وبعد ذلك سكن الشيخ إبراهيم الجعبريّ في مصر، وكان له كمال القبول بعد موت الشيخ عمر رضي الله عنه، وكان يعظ الناس، ويذكّرهم في مسجد له مشهور في مصر كما سيأتي تصريحه بذلك قريباً.

(**وهو مُحتضر فقلت له: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه: (**وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا إبراهيم، اجلس، وأبشر؛ فأنت من أولياء الله تعالى. فقلت له**: يا **سيِّدي هذه البُشرى**): بالضمّ، أي: البشارة التي بشرتني بها بأنّي من أولياء الله تعالى. (**جاءتني من الله تعالى على لسانك**) بإلهام الله تعالى لك أن تذكر لي إيّاها. (**وأريد أن أسمع منك دليلاً**) يدلّ عليها. (**يطمئن**): أي يسكن ويستقرّ من حركة التردد والاضطراب. (**به**): أي بذلك الدليل. (**قلبي؛ فإنّ اسمي إبراهيم**): وهو إبراهيم الجعبريّ المذكور. (**ولي من سرّ مقام هذا الاسم الإبراهيمي**): أي المنسوب إلى إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبيّنا أفضل صلاة وأكمل سلام. (**نصيب**): أي حظ أشترك معه فيه من حيث اشتراكي معه في الاسم. (**حين**) قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ بحياتك القديمة الأزليّة.﴿ قَالَ﴾ الله تعالى له: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ [البقرة٢/ ٢٦٠] أي: تصدّق بإحيائي للموتى. ﴿ قَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: أنا مؤمن مصدِّق بذلك. ﴿وَلَٰكِن﴾ عندي حركة إيمانيّة وقوة تصديقيّة يقينيّة متكررة بالأمثال كغيرها من الأحوال قائمة بأمر الله الذي هو كلمح البصر؛ لأنها خلق قائم بالأمر وهكذا سائر الخلق. قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾

[٧/ الأعراف/ ٥٤] فأراد عليه الصلاة والسلام الفناء عن عالم الخلق، والالتحاق بعالم الأمر، وكلا العالمين كلمح بالبصر، إلّا أنّ عالم الأمر وهو عالم الأرواح مكشوف، وعالم الخلق: وهو عالم الصور والأشباح مستور ملتبس كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [٢٧/ النمل/ / ٨٨] فعبّر عن مطلوبه ذلك بقوله: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ أي: تسكن حركته الخلقيّة المستورة الملتبسة بظهور الحركة الأمريّة المكشوفة؛ فإنّ الحياة الإلهيّة التي هي وصف الحقّ تعالى وحده إذا ظهرت في عالم الخلق تلتبس بعالم الخلق الملتبس، وتستتر به، فلا يعلم أحد كيف يحيي الله الموتى؛ وإنّما يرى الحياة في المخلوق ظاهرة، ولا يدري كيف هي ظاهرة فيه؛ فإذا انتقل إلى شهود عالم الأمر انكشف له بسرعة التكرار من غير وقوف كيف صارت موتى الأشباح والصور أحياء، وهو المطلوب.

(**فقال له**): الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. (**نعم**) أذكر لك الدليل على ما بشّرتك به أنك من أولياء الله تعالى. (**سألت الله تعالى**): أي طلبت منه ودعوته. (**أن يحضره وفاتي**): أي موتي (**وانتقالي**): من هذا العالم الفاني إلى ذلك العالم الباقي. (**إليه تعالى**): أي إلى شهود حضرته، ودوام مراقبته في دار نعيمه وجنّته. (**جماعة**) فاعل يحضر. (**من الأولياء**): أي أولياء الله تعالى. (**و**) الحال. (**أنّه قد أتى**) سبحانه وتعالى. (**بك**) حال كونك. (**أولهم**): أي في ابتدائهم. (**فأنت**) يا إبراهيم. (**منهم**): أي من الأولياء قطعاً بلا شبهة حيث جاء بك الله تعالى الآن، واستجاب دعائي كما قال سبحانه. ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [٤٠/ غافر/ ٦٠].

(**وقال الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى**) في ذلك الوقت. (**للشيخ عمر ابن الفارض**) قدّس الله سرّه يصدِّقه على بشارته التي بشره بها، ويثبت ذلك عنده أيضاً بدليل معنوي يعرفه الشيخ عمر/ [٢٨/ أ] رضي الله عنه عن فحوى سؤاله ومرتبة حاله. (**كنت**) فيما مضى من الزمان. (**سألت جماعة من الأولياء**): أي

أولياء الله تعالى. (**الذين**) اجتمعت بهم. (**عن مسألة إلهيّة**): في طريق الله تعالى. (**فلم يجبني أحد منهم**): أي من الأولياء. (**عنها**): أي عن تلك المسألة. (**فسألته**): أي سألت الشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّه. (**عنها**): أي عن المسألة المذكورة، وهي قوله (**قلت له**): أي للشيخ عمر. (**يا سيِّدي هل أحاط أحد بالله**) تعالى. (**علماً**): أي علمه سبحانه وتعالى على وجه الإحاطة به: أي بكنه ذاته عزّ وجلّ. (**فنظر**): الشيخ عمر رضي الله عنه. (**إليّ**): أي إلى الشيخ إبراهيم الجعبريّ السائل المذكور. (**نظر**) رجل. (**معظِّم**): بالتشديد على صيغة اسم الفاعل. (**لي**) حيث رآني أسأله هذا السؤال العظيم، والمرء مخبوء تحت طيّ لسانه، لا تحت طيلسانه كما قالته الحكماء العارفون؛ وإنّما المرء بأصغريه قلبه ولسانه. وقال الشاعر:

كان مثل الكتاب أخفاه طي ... فاستدلّوا عليه بالعنوان

ولعمري فإنّه سؤال جليل، سكتت عنه أولياء الله تعالى، ولم يتكلّم فيه إلا القليل احتراماً للجناب الربّانيّ والمقام الصمدانيّ أن تتناقل معانيه الغائبون عن الحضرة الإلهيّة، وتتداول معاليه المشتغلون بإدراكات الأحوال الكونيّة؛ لأنّه السرّ الأعظم، والمقام المعظم.

(**وقال**): أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه في جوابه عن ذلك. (**نعم، إذا حيَّطهم**): بالتشديد، أي جعلهم محيطين به علماً سبحانه وتعالى؛ بأن أفناهم في ظهور وجوده الحقّ، بحيث لا يبقى منهم عندهم بقيّة، وتضمحلّ رسومهم في حقيقته النوريّة بالكليّة؛ فعند ذلك يحيطون به علماً؛ وإنّما المحيط به هو لا هم. وأمّا أنّهم يبقون موجودين بالوهم عند نفوسهم، ومع ذلك يحيطون به علماً؛ فذلك من أعظم المحال، وليس لأحد أصلاً في ذلك مجال، ولا يتصوّر عنه جواب ولا سؤال؛ لأنّ الموجود عند نفسه قائم بالوهم المجرد، فلا يعرف نفسه، وإذا لم

يعرف نفسه فلا يعرف ربّه، وإذا لم يعرف ربّه فليس بوليّ لله تعالى، وهذا السؤال سؤال الأولياء بعضهم لبعض، لا سؤال الغائبين الغافلين. فإن قلت: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [٢٠/ طه/ ١١٠] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [٢/البقرة / ٢٥٥] فكيف أمكن الشيخ عمر رضي الله عنه أن يقول: إذا حيّطهم يحيطون؟!. فالجواب: إن قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [٢٠/ طه/ ١١٠] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ يعني: بأنفسهم التي يزعمون أنّهم قائمون بها؛ فإنّ ذلك في حقّ أهل الجهل به تعالى الذين لم يَقدروا الله حقّ قدره، الذين يظنّون بالله الظنونا، ويظنّون أيضاً بأنفسهم الظنوناً لغيبتهم عند شهود استيلاء القدرة الإلهيّة عليهم وتصرفها بهم، وغفلتهم عن معرفة نفوسهم، وعن معرفة ربهم. وأمّا العارفون بربهم المتحقّقون بفنائهم في وجوده، واضمحلال رسومهم في معاني شهوده؛ فهم يعلمون أنّه له الاقتدار التام، والاستيلاء العام، والأمر النافذ بالإنعام والانتقام، فيقولون: إذا حيَّطهم يحيطون. ويعنون بذلك أن الإحاطة منه له في تحقيق فنائهم وظهور بقائه. والله أعلم بأحوال أوليائه.

ثمّ قال له: **(يا إبراهيم)** يذكر اسمه إبقاء للاشتراك الإبراهيمي في الاسمي على حسب ما ادّعاه في قرب المقام، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [٢/ البقرة / ١٢٦] تصديقاً للبشارة الأولى وتأكيداً لها. **(وأنت منهم)**: أي من القوم الذين إذا حيّطهم يحيطون. واستعمل إذا في الشرط دون إنْ ولو؛ لأن إذا تفيد التحقّق لما بعدها، وهو فعل الشرط بخلاف إن؛ فإنّها للشك. ولو للامتناع، ولهذا قالوا في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [١٣٣/ الفلق/ ٥] إن الحسد لأهل الكمال على النعمة أمر محقّق. ولو كان مشكوكاً/ [٢٨/ ب] فيه لقيل: إن حسد. ولو كان ممتنعاً لقيل: لو حسد وكذا هذا.

وقال الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى. **(ثمّ رأيت)**: أي اطّلعت بطريق الكشف والفيض الإلهاميّ، أو فهماً من إنشاده البيتين الآتي ذكرهما، فإنّ فيهما

قوله: **(ما قد رأيت)** فقال **(ثمّ رأيت)**: أي علمت يقيناً. **(الجنّة قد تمثلت له)**: أي مثّلها الله تعالى للشيخ عمر بن الفارض قدّس سرّه في حالته تلك، حالة الاحتضار؛ بأن أراه تعالى في خياله صورة مثّلها كما يمثّلها تعالى للنائم، فإذا استيقظ يقول: دخلت الجنّة، ورأيت فيها كذا وكذا، واجتمعت فيها بفلان وفلانة؛ وهو إنّما رأى مثال ذلك مثّله الله تعالى في خياله، غير أنّ النائم تمثّل له الأشياء في عالم نفسه لا في عالم الدنيا، وهذا يمثّل له في عالم الدنيا وهو يقظان، كما ورد في الحديث من قوله صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه البخاريّ عن أنس بن مالك قال صلّى بنا النبي صلّى الله عليه وسلّم ثمّ رقي المنبر فأشار بيده قِبَل قبلة المسجد ثمّ قال: رأيت الآن منذ صليت لكم الصلاة الجنّة والنّار ممثّلتين في قبلة هذا الجدار فلم أرَ كاليوم في الخير والشر. ثلاثاً»[1] وروى البخاريّ عن عبد الله بن عبّاس قال: «خسفت الشمس على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصلّى، فقالوا: يا رسول الله ، رأيناك تناول شيئا في مقامك هذا ثمّ رأيناك تكعكعت!. قال: إنّي رأيت الجنّة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»[2].

ومعنى الأخذ: الظهور به في عالم الدنيا، أي: لو كان ذلك أمراً محسوماً من غير تمثيل بأن خرجت به من عالم التمثيل إلى عالم حسّكم لكان من جملة فاكهة الجنّة التي قال تعالى فيها: ﴿أُكُلُهَا دَآيِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [١٢/ الرعد/ ٣٥]. يعني: لا يفنى، وإن أكل فيبقى حينئذ ما بقيت الدنيا من غير اضمحلال ولا زوال. **(فلمّا نظر)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(إليها)**: أي إلى الجنّة التي تمثّلت له في عالم الدنيا كما ذكرنا. **(قال: آهٍ)** بمدّ الهمزة. قال في المصباح: «آهِ من كذا بالمدّ وكسر الهاء لالتقاء الساكنين: كلمة تُقال عند التوجع، وقد تُقال عند الإشفاق». **(وصرخ صرخة عظيمة)** حال كونه.

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الأمام في الصلاة، ٧٤٩.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة، ٧٤٨. وله في أطراف أخرى.

(ماداً بها): أي بكلمة التأوّه المذكورة. **(صوته، وبكى بكاء شديداً)**: من شدّة ما وجده من الألم؛ لظنّه أنّ ذلك جزاؤه عند ربِّه، وذلك غير مطلوبه؛ لأنّ مقصده رؤية وجه محبوبه. **(وتغيَّر لونه)**: عمّا كان عليه قبل ذلك. **(وقال)**: أي أنشد قوله مما سيأتي في آخر الديوان، وسنشرحه إن شاء الله تعالى في محلِّه:

إن كــان منزلتــي في الحــبِّ عنــدكم ... مــا قــد رأيــتُ فقــد ضــيّعتُ أيــامي

أمنيّــة ظفــرت روحــــي بهــا زمنــا ... واليــوم أحــسبها أضــغاث أحــلام[1]

فصرّح بذلك أنّ الجنّة ليست مطلوبه، ولا مراده وإن كان ذلك مقاماً عالياً من مقامات السعادة؛ لأنّ المحبّ لا غرض له غير محبوبه؛ فإنّه نهاية مطلوبه **(فقلت له)**: أي قال الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه اللهَ تعالى للشيخ عمر بن الفارض قدّس الله سرّه. **(يا سيِّدي، هذا)**: أي مقام رؤية الجنّة بطريق التمثيل في عالم الدنيا على الحسّ. **(مقام كريم)**: أي له الكرامة عند الله تعالى والعزة والاحترام. **(فقال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه. **(يا إبراهيم، رابعة العدويّة)**: بنت إسماعيل البصريّة شهيرة الفضل توفيت سنة خمس وثلاثين ومئة، وقيل خمس وثمانين ومئة. وقبرها على رأس جبل يُسمّى الطور بظاهر بيت المقدّس. وقيل: ذلك قبر رابعة أخرى غير العدويّة، كذا في تاريخ الذهبي. **(تقول)**: في مناجاتها لربِّها. **(وهي امرأة)**: والنساء ناقصات الهمم في معالي الأمور بالنظر إلى الرجال. **(وعزَّتك يا ربِّ ما عبدتك خوفاً من نارك التي أعددتها لمن عصاك، ولا رغبة في جنّتك التي أعددتها لمن/** [٢٩/ أ] **أطاعك بل)**: عبدتك. **(كرامة)**: أي إجلالاً واحتراماً. **(لوجهك الكريم)**: الموصوف بالكرم وكمال الاستحقاق للعبادة وإن لم يأمر بها، وعبدتك. **(محبّة)**: أي على جهة المحبّة ولأجلها. **(فيك؛ إذ أنت الأحقّ والأولى أن يُحبّ)**.

---

(١) انظر الأبيات رقم (١٣-١٤) في قصيدة: نَشرتُ في موكب العشّاق.

ثمّ قال الشيخ عمر قدّس الله سرّه: **(وليس هذا المقام)**: الذي تراءى لي. **(مكشف لي عنه الآن)** وإن كان عالياً سامياً. **(هو المقام الذي كنت أطلبه)**: من أوّل سلوكي ودخولي في طريق الله تعالى. **(وقضيت عمري)**: وكان عمره رضي الله عنه لمّا مات خمساً وخمسين سنة كما سيأتي بيانه. **(في السلوك)**: أي تحصيله، والجهد في طلبه. **(ثمّ بعد ذلك سكن قلقه)**: أي قلق الشيخ عمر قدّس الله سرّه. يعني: انزعاجه واضطرابه. **(وتبسّم)**: أي ضحك بغير صوت. فعلم الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى أنّه حصل على مطلوبه، والتمتّع برؤية محبوبه، كما سيأتي تصريحه بذلك قريباً. قال **(وسلّم عليّ)**: أي قال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، سلام مفارقة. **(وودّعني)**: لتحقّقه بالوفاة رحمه الله تعالى. **(وقال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه للشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى. **(احضر وفاتي)**: أي موتي. **(وتجهيزي مع الجماعة)**: من الأولياء وغيرهم. **(وصلِّ)** أنت. **(عليّ)** صلاة الجنازة **(معهم)**: أي مع الجماعة الذين يحضروني. **(واجلس عند قبري)**: بعد دفني. **(ثلاثة أيام بلياليهنّ، ثّم بعد ذلك توجّه)**: أي اذهب. **(إلى بلادك)**: جعبر؛ وهي القلعة المعروفة في بلاد الشرق على الفرات كما قدّمنا. **(ثمّ اشتغل)**: أي الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. **(عنّي)**: أي عن التكلّم معي. **(بمخاطبة)** لحضرة الغيب. **(ومناجاة)**: لها. **(فسمعت قائلاً)**: من الهواتف الغيبيّة. **(يقول له)**: أي للشيخ عمر قدّس الله سرّه بحيث. **(أسمع صوته ولا أرى شخصه: يا عمر فما تروم)**: أي تريد وتتمنّى. **(فقال)**: رضي الله عنه هذا البيت؛ وهو من القصيدة التائيّة الصغرى، وسيأتي ذكره وشرحنا له إن شاء الله تعالى:

أروم وقد طال المدى منك نظرة ... وكم من دماء دون مرماي طلّت

(ثمّ تهلّل): أي ابتهج **(وجهه وابتسم وقضى نحبه)**: أي مات رحمه الله تعالى حال كونه. **(فرحاً مسروراً)**: بلقاء حبيبه، ونيله من وصاله وافر نصيبه.

(**فعلمت**): أي علم الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى (**أنّه**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**قد أُعطي**): بالبناء للمفعول، أي أعطاه ربّه سبحانه وتعالى. (**مرامه**): أي مطلوبه ومقصوده الذي أشار إليه في البيت المذكور، وتمت له البهجة والحضور. (**وكنّا**): نحن. (**عنده**): أي عند الشيخ عمر رضي الله عنه. (**جماعة كثيرة فيهم**): أي في تلك الجماعة. (**من أعرفه من الأولياء، وفيهم من لا أعرفه منهم**) وكان (**منهم**) ذلك (**الرجل الذي كان سبب المعرفة به**): أي بالشيخ عمر رضي الله عنه، وهو الرجل الذي مرّ بالشيخ إبراهيم الجعبريّ كالبرق وهو ينشد قوله: (**فلم تهوني ما لم تكن فيّ فانياً**): البيت. فوثب إليه وتمسّك به كما مرّ بيانه. (**وحضرت غسله**): أي الشيخ عمر رضي الله عنه. (**وجنازته**): إلى أن دُفن رحمه الله تعالى. (**ولم أرَ في عمري جنازة أعظم منها، وازدحم الناس على حمل نعشه**): وهو التابوت الذي فيه الميت. (**فحملوه من مصر إلى تربة القرافة**): لدفنه فيها. (**ورأيت طيوراً بيضاً وخضراً ترفرف عليه**): أي على النعش المذكور، يتبرّكون به، وهم الملائكة في صور الطيور. والرائي هو الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله تعالى خصوصية له، ولمن فيه ذلك الاستعداد بكمال الإيمان، وزيادة العرفان. (**وصلينا عليه**): رضي الله عنه. (**عند قبره**): أي تربة القرافة. (**ولم يتجهّز**): أي يتمّ ويكمل. (**جهاز**): أي تسوية. (**حفره**): أي القبر. (**إلى آخر النهار، والناس**/[٢٩/ب] **يجتمعون حوله**): أي حول القبر أو النعش الذي فيه الشيخ عمر رضي الله عنه. (**والحال هم**): أي الناس المجتمعون حوله. (**مختلفون في أمره**): أي أمر الشيخ عمر رضي الله عنه. (**فقال قوم**): من الناس. (**هذا**): التأخير. (**تأديب**) من الله (**في حقّه**): أي حقّ الشيخ عمر رضي الله عنه. (**فإنّه كان**): في الحياة الدنيا. (**يدّعي في المحبّة**): أي محبّة الله تعالى. (**مقاماً عظيماً**): وتقدير الكلام وهو كاذب في ذلك، فعاقبه الله تعالى بتأخير دفنه. ودعواه المحبّة في مثل قوله رضي الله عنه:

يحشر العاشقون تحت لوائي وجميع الملاح تحت لواكا

كلّ من في حماك يهواك لكن أنا وحدي بكل من في حماكا[1]

[وهذا قول المنكرين عليه ـ قدّس الله روحه ـ من أهل مصر. وقال قوم آخرون من عوام المعتقدين عليه][2] بل هذا التأخير في دفنه. (**آخر ما يلقى الوليّ**): من أولياء الله تعالى. (**من أعراض الدنيا**): التي تعرض له كما يعرض له في الدنيا الجوع والألم والمرض والأذى. وآخر ذلك الموت. وتأخير الدفن لأنه أشد بلاء الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل، كما جاء في الخبر النبويّ. (**وكلّهم**): القائلين ذلك من الناس. (**محجوبون عن مشاهدة مقامه**) رضي الله عنه. (**إلا من شاء الله**) تعالى ممن أشهده ـ سبحانه ـ عظيم كرامته عنده. (**وأنا أنظر بما فتح**): أي بسبب الفتح الذي فتح. (**الله تعالى عليّ به من الكشف**) عن حقيقة ذلك التأخير الذي كان لدفن الشيخ عمر رضي الله عنه، والاطّلاع على الحكمة في ذلك. (**إلى الروح**): الجار والمجرور متعلق بقوله: «انظر» المقدّسة عن سفاسف الأخلاق. (**الشريفة المحمّديّة**) وهو روح محمّد (**عليها أفضل الصلاة والسلام**) والحال (**هي تصلي إماماً**) على الشيخ عمر رضي الله عنه. وكان ذلك حكمة التأخير للدفن. (**وأرواح الأنبياء والملائكة والأولياء من الأنس والجنّ يصلون عليه**): أي على الشيخ عمر رضي الله عنه مقتدين. (**مع روح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طائفة بعد طائفة**): بحيث كلّما جاءت طائفة يصلّي بهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. (**وأنا أصلّي**) عليه. (**مع كلّ طائفة إلى آخرهم**). وهذه الحالة كان يجدها الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله عنه تعالى من طريق الكشف عن عالم الأرواح؛ بحيث لا يطّلع على ذلك إلا الأولياء العارفون؛ أهل التجرّد والصلاح. والغافلون الغائبون في

---

(١) انظر البيت ذي الرقم ٣٩ و٣٦ في قصيدة "ته دلالاً"

(٢) العبارات من المطبوع.

كلّ واد من أودية الجبال يهيمون. (**فتجهّز**): أي تمّ وكمل بناء. (**القبر**) في آخر النهار. (**ودُفن الشيخ**): عمر رضي الله عنه. (**فيه وأقمت عنده**): أي عند القبر. (**ثلاثة أيام بلياليهن**): كما أوصاني الشيخ رضي الله عنه فيما تقدم.

(و) الحال. (**أنا أشاهد من حاله**) رضي الله عنه بعد موته (**ما لا تحتمل عقولكم شرحه**): أي بيانه من الأمور التي يكرِّمه الله تعالى بها وهو في قبره. (**ثمّ**) بعد ذلك. (**توجهت**): أي ذهبت. (**إلى**) بلادي، قلعة (**جعبر**) كما أمرني بذلك الشيخ رضي الله عنه فيما تقدّم من وصيته لي (**وكانت هذه السفرة**) من بلادي جعبر (**أول دخولي مصر**) لأنّي لم أكن دخلتها قبل ذلك (**ولسان الحال**) في وقت دخولي مصر (**يقول لي**) هذا البيت:

جــزاكَ الله عــن ذي الــسعي خــيراً ... ولكــن جئــت في الــزمن الأخــير

يعني: الله تعالى يجزيك خير الجزاء على هذا السعي الذي سعيته على نفسك حيث حضرت موت هذا الوليّ الكامل، وشهدت غُسله وتكفينه ودفنه. ثمّ مكثت عن قبره تشهد عجائب أحواله، وتتمتع بغرائب مقامه وكماله. ولكن إنّما كان هذا في آخر أمره، وانطواء صحيفة أعماله. فيا ليته كان قبل ذلك حتى كنت تفوز بأكثر منه، وتتمتع بمحاسن إقباله في أوقات وصاله.

(**ثمّ جئت بعد ذلك**): أي بعد توجهي إلى بلادي جعبر. (**إلى مصر، وأقمت فيها**): أي في مصر (**إلى زماننا هذا**): وهو كلام الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمه الله / [٣٠/أ] تعالى عن نفسه. قال الشيخ السبكيّ في طبقات الشافعيّة الكبرى: «إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن الشيخ برهان الدين الجعبريّ أبو إسحاق، نزيل مدينة الخليل عليه السلام. ولد في حدود سنة أربعين وستمئة. وتوفي في شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة» انتهى.

وهذا الجعبريّ الخليلي غير الشيخ إبراهيم برهان الدين الجعبريّ الذي حضر وفاة الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. وأمّا ذاك الذي نحن بصدد ذكره فقد

ذكر السبكيّ أيضاً قبل هذا في طبقاته المذكورة فإنّه إبراهيم بن معضاد بن شدّاد بن ماجد الجعبريّ الشيخ الصالح المشهور بالأحوال والمكاشفات. مولده بجعبر في سابع عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمئة، وتفقه على مذهب الشافعيّ. وسمع الحديث بالشام من أبي المحاسن السخاويّ. وقدم القاهرة، وحدّث بها؛ فسمع منه شيخنا أبو حيّان وغيره. وكان يعظ الناس، ويتكلّم عليهم، وتحصل في مجالسه أحوال سنية، ويُحكى عنه كرامات باهرة. ومنعه قاضي القضاة ابن رزين مرّة من الكلام على الناس بسبب ألفاظ ذُكرت عنه ثمّ عاد إلى الكلام، وظهرت براءته، وحُسْن اعتقاده، وامتداد حاله. وكان أبو العباس العراقي ينكر عليه أفكاراً كثيراً، وكان في الشيخ حِدّة، وربّما شتم في الوعظ، ونال منه بعض الحاضرين. وطُلب مرّة إلى مجلس بعض القضاة، وادُّعي عليه بألفاظ قيل: إنّها بدرت منه. فقال له القاضي: أجب. فقال: شقع بقع، يا الله يقع. يكرر ذلك. وخرج من المجلس عجلاً لم يقدر أحد يردّه. فقام القاضي، ركب بغلته، فوقع، وانكسرت يده. ومن شعر الشيخ إبراهيم الجعبريّ:

وأفـــاضل النـــاس الكـــرام أبـــوّة ... وفتـــوّة ممـــن أحـــبّ وتاهـــا

عـــشقوا الجـــمال مجـــرّداً بمجـــرّد ... الـــروح الزكيّـــة عـــشق مـــن ازكاهـــا

متجـــرِّدين عـــن الطبـــاع وكونهـــا ... متلبّـــسين عفافهـــا ونقاهـــا

في أبيات كثيرة. ولمّا دنت وفاته جاء بنفسه إلى موضع يدفن فيه، وقال: هذا قبير الي دبير. وتوفي عقيب ذلك يوم السبت رابع عشر المحرّم، سنة سبع وثمانين وستمئة[1]. قال مصنّف هذه الديباجة[2] الشيخ الإمام الكامل عليّ سبط صاحب

---

(١) انظر طبقات الشافعيّة للسبكي ج٨.ص٦٣.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ مقابلة وسماعاً على مؤلّفه الشارح حفظه الله تعالى ورضي عنه».

الديوان، العارف الكامل، والعالم العامل الشرف بن الفارض قدّس الله سرّه: **(حكى لي ولده)**: أي ولد الشيخ إبراهيم الجعبريّ رحمهما الله تعالى واسمه **(الشيخ)** شهاب الدين أحمد بن الشيخ إبراهيم الجعبريّ. **(جمع الله)** تعالى **(بينهما)**: أي بينه وبين أبيه. **(في المقام الأحمد)**: أفعل التفضيل: أي الأكثر حمداً منه ومن غيره؛ وهو مقام القدس في حضرة الأنس. **(قال: زرت مع والدي)**: يعني الشيخ إبراهيم الجعبريّ. (رحمه الله تعالى قبر الشيخ شرف الدين): بن الفارض. **(رضي الله عنه، ومعنا جماعة من)**: المشايخ. **(الكبار)** رحمهم الله تعالى. **(فوجدناه عنده)**: أي عند قبر الشيخ شرف الدين المذكور. **(تراباً كثيراً)** حول القبر وفوقه. **(فصرخ الشيخ)** إبراهيم الجعبريّ المذكور وقال متمثّلاً بهذا البيت:

مساكين أهل العشق حتى قبورهم ... عليها تراب الذلّ بين المقابر[1]

يعني: أنّ أهل العشق والمحبّة الإلهيّة لهم كمال الذّلّة والانكسار في حياتهم الدنيا؛ فهم في كمال المسكنة بين يدي محبوبهم الحقّ، حتى بعد موتهم يظهر تراب الذلّ على قبورهم أيضاً، وهذا الذلّ هو عين العزّ الأبديّ، كما قلت في مطلع أبيات لي:

إن ذلّي في حبّ علوّة عز ... فالطفوا في الملام أو فاستفزّوا

(وحمل الشيخ): إبراهيم المذكور ذلك **(التراب في حجره وحملنا معه)** أيضاً. **(إلى أن نظفنا ما حول القبر)**: من ذلك التراب. **(وتوفي)**: أي مات الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض. **(رضي الله عنهما بالقاهرة)**: أي مصر الجديدة، واسمها أيضاً القاهرة دون مصر العتيقة التي فيها/ [٣٠/ ب] المقياس. **(المحروسة)**: من كلّ سوء إن شاء الله تعالى إلى يوم القيامة. **(بجامع الأزهر)**: الجامع المشهور في

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة وسماعاً على مؤلّفه الشارح حفظه الله تعالى ورضي عنه.

مصر إلى الآن. **(بقاعة الخطابة)**: وهي بيت يجلس فيه الخطيب ليتهيأ للخطبة في الجمع والأعياد.

(وذلك): أي وقت وفاته رحمه الله تعالى في اليوم. **(الثاني من)** شهر. **(جمادى الأولى)** من شهور. **(سنة اثنتين وثلاثين وستمائة)**: من الهجرة النبويّة. **(ودُفن من الغد)**: أي ثاني يوم من وفاته. **(بالقرافة)**: هي التربة المعروفة في مصر. **(بسفح)** جبل. **(المُقطّب)**: بالتشديد بصيغة اسم المفعول. **(عند مجرى السيل)** من ذلك الجبل. **(تحت المسجد المبارك المعروف بالعارض الذي هو أعلى الجبل المذكور)**: أي جبل المُقطّب.

وقال مصنف هذه الديباجة سبط الناظم رضي الله عنهما: **(سمعت الشيخ)**: الإمام. **(زكيّ الدين عبد العظيم المنذريّ المحدّث)**: المشهور بين المحدثين، رحمه الله تعالى. **(يسأله)**: أي يسأل الشيخ شرف الدين عمر المذكور رضي الله عنه. **(عن تاريخ مولده)** الشريف. **(فقال)**: أي الشيخ عمر رضي الله عنه مولدي **(بالقاهرة المحروسة آخر)** اليوم **(الرابع من)**: شهر ذي القعدة من شهور. **(سنة سبع وسبعين وخمسمئة)** من الهجرة النبويّة. **(وكذلك سمعته)**: أي سمعت الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. **(يخبر القاضي شمس الدين بن خلّكان)**: صاحب التاريخ المشهور. **(لمّا سأله)**: أي سأل الشيخ عمر رضي الله عنه. **(عن مولده)**: أي وقت ولادته. **(رضي الله تعالى عنهم)**: أي عن المذكورين. **(أجمعين. وهذا)**: المذكور. **(ما انتهى إليه الكلام)**: في هذا المقام. **(من هذه الترجمة)**: للشيخ الناظم قدّس الله سرّه العزيز.

(وسكتُّ): فلم أتكلّم. **(عن ذكر أحوال خارقة)**: للعادة وقعت للشيخ رضي الله عنه في حياته وبعد وفاته. **(مبهمة)**: لا يهتدي إلى فهم معناها كلّ أحد، وربّما تُفتتن بها أرباب العقول الضعيفة. **(خوفاً)**: منصوب على أنّه مفعول من أجله لقوله سكت. **(من رديء الانتقاد)**: أي الذي انتقاده، أي: اعتراضه وتفتيشه

على الشيخ رديء. (**أو سيِّئ**): أي صاحب سوء. (**الاعتقاد**): وهو الذي اعتقاده في الشيخ **اعتقاد** سوء من جهله وخبث نيّته. (**وقد سمَّيت هذه الترجمة**): المذكورة. (**عنوان الديوان**): لأنّها على الديوان كالعنوان للمكتوب الذي يرسله البعض إلى البعض؛ فيعلم من عنوانه ما هو المراد منه. (**وجعلتها**): أي هذه الترجمة من حيث ما اشتملت عليه. (**تبصرة**): تبصر بها بدائع المعاني الإلهيّة. (**للمحبّين**): لمن يحبّ الشيخ الناظم قدّس الله سرّه. (**والإخوان**) من المعتقدين المحقّقين بالكمال الإلهيّ في جناب الشيخ رضي الله عنه. (**وتذكرة بعدي**): أي بعد ذهابي من الدنيا إلى الآخرة. (**للأولاد**): أي أولادي جسداً أو روحاً. (**بمآثر**): أي ما يؤثر: أي يُنقل إليهم عن. (**الآباء**): أي آبائهم. (**والأجداد**): أي أجدادهم. يعني: يتذكّرون بها آثار سلفهم الصالحين فيقتدون بها في معالم الخير. (**وسألت الله تعالى**): أي طلبت منه ودعوته. (**أن يسلك بي وبهم**): أي بأولادي من حيث جسمي، وهم أولاد الصلب. أو من حيث روحي، وهم أولاد التربية في مراتب الكمال (**مسالكه**) تعالى: أي طرقه الموصلة إليه سبحانه من العبادات، والطاعات، وترك المنهيّات والشهوات العائقة عن بلوغ المراد في جناب القدس، ومحو الأضداد بكمال الاستعداد للمعاد. (**وأن يجعلنا عزّ وجلّ**) معاشر أولاد الصالحين، وسلالة الأولياء العارفين. (**ذريّة طيبة**) ذات طيب فائح بأنواع الأعطية الربّانيّة والمنائح. (**مباركة**): فيها البركة التامّة، والزيادة في الترقّي في الأحوال الفاضلة العامّة.

(**وأجزت الأولاد**): أي أولادي المذكورين. يعني: أعطيتهم الإجازة (**أن يرووه**): أي يرووا هذا المسمّى بعنوان الديوان، أو يرووا جميع الديوان المنظوم وغيره مما أضفته إليه،/ [٣١/أ] وجمعته هذا الجمع البديع (**إجازة**) صادرة (**عنّي**): لهم باللسان والجنان. (**بسنده**): الذي عندي المتّصل بي. (**كما**): أي على مثل ما. (**أسندت**): أنا رويت. (**سماعه**): أي سماع هذا الديوان. (**إلى الشيخ**):

الإمام العارف بالله تعالى شرف الدين عمر بن الفارض قدّس الله روحه ونوَّر ضريحه. **(عن ولده)**: أي ولد الشيخ المذكور، وهو سيِّدي الشيخ كمال الدين محمّد بن الشيخ عمر رضي الله عنهما.

(وأشير): أي أوصي وأنصح في دين الله تعالى. **(على من طالعه)**: أي هذا الديوان. **(وارتقى)**: أي صعد بالفهم الإلهيّ والإلهام الربّانيّ. **(مطالِعَه)**: أي موضع طلوعه. يعني: الذي كشف له عن أسرار معانيه، وأنوار معاليه، من ومضات بروق مبانيه. **(أن يتمسّك)**: بظاهره وباطنه. **(بنظم السلوك في طريقة الملوك)**: وهي القصيدة التائيّة الكبرى المشتملة على كيفيّة السلوك. أي: السير والمشي على الطريقة المثلى، ومنهج الاستقامة لتحصيل السعادة الأبديّة في دار الإقامة.

وقوله **(لمن طالعه وارتقى مطالعه)**: يعني لا لمن يرتقِ إلى أوج المعاني ممن هو مكبّل بقيود الطبع الجسمانيّ، وهو أسير الغفلات، ورهين الذنوب والهفوات. فإنّي لا أشير على من هذا حاله في المطالعة؛ فإنّه لا يفهم من ذلك بعقله إلا رذائل المخادعة والممانعة، وربّما وقع في الجدال والمنازعة. **(ويتنسّك)**: أي يتعبد، من النُّسُك، وهو العبادة. **(بطريقتها)**: أي طريقة نظم السلوك المذكورة. **(التي تشرفت سلوكها)**: أي السلوك على ما فيها من المعاني الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة. **(زهّاد)**: جمع زاهد، من الزهد؛ وهو الإعراض عن كلّ ما سوى الله تعالى من الدنيا والآخرة. **(الملوك)**: جمع ملِك، بكسر اللام، وهم ملوك الجنّة، المعمورون بالعناية الإلهيّة، المغمورون في بحار الفضل والمنّة. **(فنسأل الله تعالى)**: أي نطلب منه سبحانه. **(أن يفتح لنا أبواب فهمها)**: أي فهم تلك القصيدة المذكورة المسماة بنظم السلوك؛ فإنّه تعالى هو **(الفتّاح العليم)** كما قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [٣٥فاطر/ ٢] **(ويمنح)**: أي يعطي بمحض فضله سبحانه. **(قلوبنا)** الملتجئة إليه. **(علماً)** عظيماً. **(من علمها)**: أي العلم الذي اشتملت عليه تلك القصيدة المذكورة. **(حتى**

نسرح) بالسين المهملة، أي: نجول وننطلق. **(تحت أستارها)**: بحيث ترتفع عنّا أستارها وتنكشف أنوارها. **(ونشرح)** بالشين المعجمة، أي: نكشف ونبيّن ونوضّح لنا ولغيرنا. **(ما خفي)**: علينا وعلى غيرنا. **(من أسرارها)**: جمع سرّ: وهو بَطَنَ من عباراتها، وكمن فيها من إشاراتها. **(ونسفر)**: أي نكشف ونزيل. **(لثامها)**: أي خمارها. **(ونشرب مُدامُها)**: أي خمرها المسكر للعقول، المخمّر في أواني النقول. **(فإنّ دنان)** جمع دنّ، وهو: آنية الخمرة. **(قوافيها)**: أي قوافي القصيدة المذكورة، جمع قافية، وهو: الحرف الأخير من البيت الذي تنسب القصيدة إليه، فيقال: قصيدة تائيّة؛ لأنّ الحرف الأخير من كلّ بيت منها هو حرف التاء المثناة الفوقيّة. **(مستورة)**: أي تلك الدنان. **(في ختامها)** بالتاء المثناة الفوقيّة، أي ما تختم به من حيث أنها خمرة إلهيّة، أي: تستتر فيه وتختفي تحته من الوزن المخصوص الذي هو كالبنيان المرصوص. **(وحسان معانيها)**: أي معانيها الحسان. **(مقصورة)**: أي ممنوعة من التبرّج والخروج. **(في خيامها)** جمع خيمة، أي: في طيّ كلماتها البليغة، وما اشتملت عليه ألفاظها من بديع كلّ صيغة. **(فلا يفهم رمزها)**: أي تلك القصيدة. قال في المصباح: «رَمَزَ رَمْزاً، من باب قتل، وفي لغة من باب ضرب: أشار بعين أو حاجب أو شَفَة» انتهى. والمراد ما تشير إليه ألفاظها من المعاني الإلهيّة. **(ويستخرج كنزها)**/ [٣١/ ب]: أي القصيدة، قال في المصباح: «كَنَزت المالَ كَنْزاً، من باب ضرب: جمعته وادّخرته، والكَنْزُ: المال المدفون، تسمية بالمصدر» انتهى. وهذا معناه في الأصل.

والمراد هنا: ما استتر تحت معانيها من الأسرار الربّانيّة، والأنوار الروحانيّة، كما قال تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [١٨/ الكهف/ ٨٢] أي العقل والحسّ بطريق الإشارة في طيّ العبارة. ﴿وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا﴾ أي: ما وضع تعالى تحت جدار جسدهما من كنز المعارف؛ بأن يعرف نفسه العارف. **(إلا من بلغ أشدَّه)**: أي تكاملت قوته في معرفة نفسه، وتحقّق بمعرفة ربّه في يومه وأمسه. وفي القاموس:

«حتى يبلغ أشدّه، ويضمّ أوله، أي: قوته، وهو: ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين. واحد جاء على بناء الجمع كآنُك [اسم للرصاص] ولا نظير لهما، أو جمع لا واحد له من لفظه، أو واحدُهُ شِدّة، بالكسر، مع أنّ فِعْلَه لا يجمع على أفْعُل، أو شَدّ ككَلْب وأكْلُب، أو شِدّ كذِئب وأذْؤُب، وما هما بمسموعَيْنِ؛ بل قياس. (في مسيره): أي سلوكه في طريق الله تعالى، وهو مصدر ميمي. قال في المصباح: «سار يَسير سَيْراً ومَسِيراً». (وسلك طريق ناظمها): الشيخ عمر رضي الله تعالى عنه في الاعتقاد الصحيح الخالي من البدعة والعمل الصالح والأخلاق الحسنة. (وطرق طريق غيره): من أهل الزيغ والعقائد الفاسدة والأعمال المخالفة والأخلاق السيّئة. (واتبعه في) كيفيّة (سفره) من الأكوان كلّها إلى نفسه، ومن نفسه إلى ربّه، ومن ربّه عنده إلى ربّه على ما هو عليه. (وقبض) بيد روحانيّته. (قبضة من أثره) فحصل على سرّ الإيجاد من نور الوجود، وتحقّق كشفاً وذوقاً على حقيقة الكرم الإلهيّ والجود، فيكون قبض قبضة من أثر الرسول المرسل إليه ليدخل به عليه، وفي المصباح: «وقَبضت قَبضة من تمر، بفتح القاف، والضمّ لغة».

(واستطاع): أي قدر (موسى قلبه): أي قلبه الذي هو على مشرب عليه السلام من الأحوال المرضية والأخلاق الرضية. (المحمّدي): أي المنسوب إلى ملّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم. (صبراً): مفعول استطاع، بأن صبر على حكم ربّه في مسالك تجلّياته وقربه. (على متابعة خضره): أي خضر الشيخ عمر رضي الله عنه، أي: ما يظهر له منه، كما ظهر لموسى عليه السلام من الخضر أبي العبّاس رضي الله عنه بأن نظر إلى خصوصيته، وانطوت عن نظره حقيقة بشريّته، فلم يختلج في فكره شيء من الاعتراض في إقبال وإعراض، ولم يرتب في معنى من معاني كلامه في نثره أو نظامه، و صبر على عدم فهمه، ولم يزاحمه على دعوى ما ليس عنده من علمه. (وأحاط خُبراً) بالضمّ، قال في المصباح: «خَبَرْت الشيءَ أخْبُرُه من باب قتل، خُبْراً، فأنا خبير به». (بسِيَر): جمع سِيرة، وهي: الطريقة، وسار في الدين سِيْرَة

حسنة، أو قبيحة، والجمع: سِيَر، مثل: سِدْرَة وسِدَر. والسِيرة أيضاً: الهيئة والحالة، كذا في المصباح. (**محبّته**): الإلهيّة في التجلّيات الكونيّة على تحقيق العرفان في مقام الإيمان. (**وخبره**) بالجر معطوف على سيره، والخَبَر بالتحريك، قال في المصباح: «اسم ما يُنقَل ويُتحدَّث به خَبَر، والجمع: أخبار». (**فما أُهدي**) بالبناء للمفعول إلى. (**هذه الطريق**): أي طريق الأولياء العارفين المحقّقين. وذكر الجلال السيوطيّ في كتابه المزهر في اللغة. (**أنّ الطريق**) من جملة ما يذكّر ويؤنّث. وقال في المصباح: «والطَرِيق يُذكَّر في لغة نجد، وبه جاء القرآن في قوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ [٢٠/ طه/ ٧٧] ويؤنّث في لغة الحجاز». (**إلا من أمدّه الله**) تعالى (**بالتوفيق**): أي مرضاته في ظاهره وباطنه. (**وأهّله**)[1] بتشديد الهاء. وفي القاموس: «أهّله لذلك تأهيلاً، وآهّله: رآه له أهلاً. (**بين أهلها**)[1]: أي أهل هذه الطريق، أي: الطريقة. (**لسلوكها**): أي السير فيها، يعني: جعله أهلاً لذلك[1]. (**وأهلّه**) بتشديد اللام: أي أطلعه وأظهره». قال في المصباح: «أُهِلَّ الهلالُ/ [٣٢/ أ] بالبناء للمفعول، وللفاعل أيضاً. ومنهم من يمنعُه، وهَلَّ من باب ضرب لغة أيضاً إذا ظهر». (**فيها**): أي في هذه الطريق. بمعنى: الطريقة. (**مَلَكا**): بفتح اللام، واحد الملائكة، وهو حال من الضمير المنصوب في أهلّه، أي: أطلعه وأظهره حال كونها مَلَكاً من الملائكة في طهارة ظاهرة وباطنة من رذائل الأعمال والأخلاق والأحوال. (**أو مَلِكاً**): بكسر اللام، قال في المصباح:«مَلَكَ على الناس أمرهم: إذا تولّى السلطنة، فهو مَلِك، بكسر اللام، وتخفّف بالسكون». (**من مُلُوكها**): أي من مُلُوك هذه الطريقة، جمع مَلِك، بالكسر أو السكون، مثل: فَلْس وفُلُوس. (**فإنّها**): أي هذه الطريقة المخصوصة. (**سبيل**): أي طريق، قال في المصباح: «السَبيل: الطريق، ويذكّر ويؤنّث، قال ابن السِكّيت: جمع المؤنث سُبُول، كما قالوا: عُنُوق، وجمع المذكّر: سُبُل وسُبْل».

(١) بياض في المخطوط، والألفاظ فيها من المطبوع.

(**مَنْ دعا إلى الله على بصيرة**): أي علم وخبرة، وهو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أو وارثه المتّبع له رضي الله عنه. قال في المصباح: «هو ذو بَصَر وبَصِيرَة، أي: عِلْم وخِبْرة، ويتعدّى بالتضعيف إلى ثانٍ، فيقال: بَصَّرْتُه تبصيراً، والاستِبصار بمعنى: البصيرة» انتهى. يعني: دعا الناس بحاله وقاله إلى معرفة الله تعالى على معرفة منه بالله تعالى، لا على جهل منه به تعالى؛ فإنّ العارف يدعو إلى المعرفة، والجاهل يدعو إلى الجهل. قال تعالى لنبيِّه صلّى الله عليه وسلّم ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ الآية [١٢/ يوسف/ ١٠٧] فإنّ من تبع النبي صلّى الله عليه وسلّم كان على بصيرة: أي علم وخبرة بربِّه، فإذا دعا غيره إلى المعرفة دعاه وهو عارف كالنبيّ، لا غافل.

(**وأصبحت**): أي دخلت في صباح الأنوار الإلهيّة المشرقة في قلبه؛ فلا يحتاج إلى مصابيح المعاني العقليّة في ظلمات الطبائع البشريّة، كما قال الإمام علي كرّم الله وجهه لخادمه كميل: «قد طلع الصباح فأطفئ المصباح».(**طُرُق**) بضمتين جمع طريق. (**المحبّة**) الحقيقيّة الإلهيّة وهي مراتب التجلّيات الربّانيّة على قلوب العارفين، بحيث تجمع المحبّات كلّها في محبّة واحدة قدسيّة رحمانيّة. (**باتّباعه**): أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ فهو من إضافة المصدر إلى مفعوله، أو الوارث له كالشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله. (**منيرة**): أي مشرقة واضحة، ويا لها من حالة صالحة.

(**فإنّ الله تعالى**): بمحض فضله على الناس. (**أرسله**): أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالأصالة، أو الوراث له بالنيابة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. (**إليه**): أي إلى من هُدي إلى هذه الطريق، وأمدّه بالتوفيق. (**داعياً**): أصالة أو نيابة. (**بإذنه**): أي بأمره له بالدعاء إليه. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٤٥-٤٦] قال النسفي في المدارك: «بإذنه: أي: بأمره أو بتيسيره». وقال البيضاوي: «بإذنه: بتيسيره.

وأطلق له من حيث أنّه من أسبابه، وقيّد به الدعوة إيذاناً بأنّه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جنات قدسه». **(وراعياً)**: أي مراعياً، ومراقباً، وحافظاً، وملاحظاً. قال في المصباح: «رعيته إذا حفظته، وراعيت الأمر نظرت إليه في عاقبته، وراعيته: لاحظته». (إلى[1] **محبّته**): أي محبّة الله تعالى المذكورة، أو محبّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم التي هي مقامه عليه السلام. **(بعينه)**: متعلق بقوله راعياً؛ فإنّه صلّى الله عليه وسلّم شاهد على أمّته: أي شاهد لهم، كما أرسله الله تعالى بحكم قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٤٥] وقد ورد في خبر الطبرانيّ: «إنّ الله قد رفع لي الدنيا؛ فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة، كأنّما أنظر إلى كفي هذه»[2]. وخبر أبي داوود: «قام فينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مقاماً، فما ترك شيئاً إلى قيام الساعة إلا حدّثنا به»[3] وفي الحديث الصحيح فعلمت علم الأوّلين والآخرين[4] مع أنّه صلّى [٣٢/ ب] الله عليه وسلّم لا يعلم الغيب، ولكن علّمه ربّه كما ورد في الحديث: «إنّي لا أعلم إلّا ما علّمني ربي». **(وأذنه)** صلّى الله عليه وسلّم، معطوف على عينه. يعني: برؤيته لأحوالهم وأعمالهم، وسماعه لأقوالهم. **(وجَعَله)**: أي الله تعالى جعل نبيه عليه السلام، أو وارثه النائب عنه **(لأوليائه)** تعالى. **(سراجاً منيراً)** السراج: المصباح، جمعه: سُرُج مثل كتاب وكتب، كما في المصباح، يعني: يستضيؤون به في ظلمات الأكوان، وحنادس الطبع والهوى، ووهم الزمان والمكان. **(قد أُوتي)**: بالبناء للمفعول، أي: آتى الله تعالى. **(من تبعه)**: صلّى الله عليه وسلّم. **(في)** مقام **(محبّة**

---

(١) في المطبوع أهل.

(٢) رواه الهيثميّ في مجمع الزوائد،١٤٠٦٧، وقال الهيثميّ: «رواه الطبرانيّ، ورجاله وثّقوا على ضعف كثيرفي سعيد بن سنان الرهاويّ».

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: أما حديث أبي عوانة، ٨٦٣٧.

(٤) من حديث الإسراء.

الله): تعالى الخالصة الحقيقيّة. (خيراً كثيراً): من أنواع العلوم والمعارف، وغير ذلك في الدنيا والآخرة. (فما عرف الله): تعالى المعرفة الكاملة بعين رأسه في ليلة المعراج. (وسمعه): بالمخاطبة له مكافحة. (إلا محمّد رسول الله): صلّى الله عليه وسلّم. (و) ورث ذلك منه عليه السلام. (الذين معه) من أصحابه الكاملين، وأتباعه العالمين العاملين، قال النسفي في المدارك: «والذين معه، أي: أصحابه». قال تعالى في وصفهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ إلى آخر الآية [٤٩/ الفتح/ ٢٩]. وهذه الأوصاف في ورثته صلّى الله عليه وسلّم العارفين بربهم إلى يوم القيامة؛ لأنّهم معه صلّى الله عليه وسلّم لا يفارقونه، كما قال أبو العبّاس المرسيّ ـ تلميذ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما ـ لي منذ ثلاثين سنة: «لو حُجب عني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفة عين ما أعددت نفسي من المسلمين».

(وقد مدَّت المحبّة) الخالصة الإلهيّة المذكورة. (عليهم): أي على الذين مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. (ظلَّها): كناية عن دوام اتصافهم بها، وإشارة إلى حمايتهم بها مما ذكرنا، وحفظهم ببركتها، كما يُقال: فلان في ظلّ السلطان، أي: في حمايته وحراسته، والافتخار به، والانتماء إليه. (وشربوا وابلها): وهو المطر الغزير الكثير. (وطَلَّها): بالطاء المهملة، وهو المطر الخفيف، ويقال: أضعف المطر، كما في المصباح، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٥]. (وكانوا أحقّ بها): أي بتلك المحبّة المذكورة من غيرهم. (و) كانوا (أهلها): أي المستحقّين لها، قال في المصباح: «وهو أهل للإكرام، أي: مستحقّ له». (وحازوا): بالحاء المهملة والزاي، أي: حَوَوا وجمعوا، قال في المصباح: «حُزْتُ الشيءَ أَحُوزُه حَوْزاً وحِيازة: ضممته وجمعته، وكلّ من ضمّ إلى نفسه شيئاً فقد حَازه. وحَازه يَحِيزه حَوْزاً، من باب سار لغة فيه». (متابعة صاحب المقام المحمود): وهو مقام الشفاعة العظمى في يوم القيامة، وصاحب هذا المقام هو محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وإنّما سُمّي

مقاماً محموداً لأنّه الشفاعة في فصل القضاء، يحمده فيه الأولون والآخرون. **(وجازوا)**: بالجيم والزاي، أي: ساروا، قال في المصباح: «جَاز المكان يَجوزه جَوْزاً وجَوَازاً: سار فيه». **(صُحبته)**: صلّى الله عليه وسلّم، أي: معه، مصاحبين له. **(إلى الجنّة)**: ذات النعيم المقيم. **(تحت لواء الحمد المعقود له)**: صلّى الله عليه وسلّم. واللواء: دون الراية. قال في المصباح: «لواء الجيش عَلَمه، وهو دون الراية، والجمع ألوية».

(وشربوا من) ماء نهر. **(الكوثر)**: الذي في الجنّة. **(وهو)**: أي الكوثر. **(حوضه)** صلّى الله عليه وسلّم في المحشر. **(المورود)** الذي ترده أمّته. وفيه أنبوبان من نهر الكوثر الذي في الجنّة كما وردت بذلك الأحاديث. وبهذا الاعتبار يقال له الكوثر. **(وفازوا معه)**: صلّى الله عليه وسلّم. **(بالنظر إلى وجه حبيبهم)**: الحقّ سبحانه وتعالى في دار الجنان كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٧٥/ القيامة / ٢٢-٢٣]. **(وهذا)**: النظر. **(هو غاية المقصود)**: عندهم. **(من الحبيب)**: متعلق بالمقصود. والحبيب عندهم هو الربّ تعالى على الحقيقة؛ لأنّ المحبّة كلّها صادرة منه، وراجعة إليه، وهي من غيره ولغيره مجاز. **(المشهود)**: لهم بكشف القلوب، وإماطة لثام/ [٣٣/ أ] الغيوب في قيد هذه الحياة الدنيا، وهو الشهود الحاصل للعارفين بربِّهم، هوغير الرؤية المعهودة لهم في الآخرة. وقال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه في كتابه: إنشاء الدوائر والجداول: لكل شيء في الوجود أربع مراتب إلا الله تعالى؛ فإنَّ له في الوجود المضاف إلينا ثلاث مراتب، **المرتبة الأولى**: وجود الشيء في عينه، وهي المرتبة الثانية بالنظر إلى علم الحقّ تعالى بالمحدث.

والمرتبة الثانية: وجوده في العلم، وهي المرتبة الأولى بالنظر إلى علم الحقّ تعالى بنا.

والمرتبة الثالثة: وجوده في الألفاظ. والمرتبة الرابعة: **وجوده في الرقوم**. ووجود الحقّ تعالى بالنظر إلى علمنا على هذه المراتب ما عدا مرتبة العلم، هذا هو الإدراك

الذي حصل بأيدينا اليوم، ولا أدري إذا وقعت المعاينة البصرية المقررة في الشرع هل يحصل في نفوسنا علم إثبات، أو مزيد وضوح في جنس العلم الذي بأيدينا اليوم مَن في علمنا به سبحانه؛ فإن كان كذلك فليس له إلا ثلاث مراتب، وإن كان يوجب النظر إثباتاً في الدار الآخرة حيث وقعت المعاينة لمن وقعت فقد نصفه بالمرتبة الرابعة؛ فتحقّق هذه الإشارة في علمنا بالله سبحانه؛ فإنّها نافعة في الباب، وتمامه هناك».

(وما نالوا هذا المقام الأعظم): الذي هو مقام الرؤية الموعود، ومقام الشهود. (إلا باتّباع نبيِّهم): محمّد صلّى الله عليه وسلّم في أفعاله، وأحواله، وأقواله، وأعماله، وأخلاقه، وأشواقه، وقيوده، وإطلاقه، وقيامه ظاهراً وباطناً في خدمة خلّاقه. (حبيب حبيبهم) الذي هو الحقّ تعالى؛ فإنّه صلّى الله عليه وسلّم حبيب الله عزّ وجلّ. (صلّى الله): تعالى، أي: أنزل. (عليه) أنواع تحيّاته الشريفة، وأجناس تفضلاته المنيفة. (وسلّم): تسليماً مباركاً عظيماً من كلّ آفة، أو نقصان، أو مؤاخذة، أو حرمان. (وعلى) جميع. (آله): أي أهل بيته، وأقاربه، وأولاده، وذريّته إلى يوم القيامة، وكلّ من هو على ملّته وطريقته من المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. (و) على سائر. (أصحابه): الذين رأوه ولو مرة في الزمان من أهل ذلك العصر والأوان، أو رآهم هو ولو مرة ليدخل في ذلك العميان؛ فإنّ هذا معنى الصحابي في اصطلاح علماء هذا الشأن. (وعلى كلّ مَن أسلم وجهه لله): أي سَلَّم ولم ينازع. قال في المصباح:«أسلم أمره، وجهه لله: فَوَّضَهُ، وسلّم أمره لله بالتثقيل لغة، وربّما عُبِّر بالوجه عن الذات» انتهى.

(فأسلم وجهه): أي ذاته لله سبحانه. (معه): أي مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. (وآمن به): من غير رؤية له، ولا رؤية النبيّ له. (وأسلم): أي دخل في ملّته، مِلَّة الإسلام على الغيب ممن لم يره صلّى الله عليه وسلّم، ولم يره هوعليه السلام من التابعين، وتابع التابعين إلى يوم الدين من أصحاب المذاهب

الإسلاميّة، والعقائد السنيّة الإيمانيّة، الخالية مذاهبهم من البدع في الاعتقاد، أو الأعمال، المبرئين من الزيغ، والإلحاد، والضلال. **(وعلى إخوانه)**: صلّى الله عليه وسلّم. **(من الأنبياء والملائكة)**: الكرام عليهم أفضل الصلاة وأكمل السلام. **(كلّما هبّ)** بتشديد الباء الموحّدة، أي: مدّة هبوب. **(هواء)** بالمدّ، أي: ريح. **(وتنسم)**: بمعنى نسم، قال في القاموس: «نَسَمَ يَنْسِمُ نَسْماً ونَسِيماً ونَسَماناً: هَبَّ، وتَنَسَّمَ: تَنَفَّسَ، وتَنَسَّمَ النَّسِيم: تَشَمَّمَه». **(وكلّما)**: معطوف على كلّما. **(تهلّل)**: أي تلألأ. قال في القاموس: «تَهَلَّلَ الوجهُ والسَّحَاب: تَلَألأَ، كاهْتَلَّ».

(وجه): فاعل تهلّل. **(محبّ)** لله تعالى على الحقيقة، ولغيره على المجاز. **(بمحبّة الله)**: تعالى، متعلّق بتهلّل. **(وتبسّم)**: أي ضحك بلا صوت. **(صلاة)**: مصدر مؤكّد للفعل قبله، وهوصلّى. **(دائمة ما دامت)**: فما مصدريّة ظرفيّة، والمعنى: مدّة دوام. **(السموات)**: العليا/ [٣٣/ ب]. **(والأرض)** السفلى؛ فإنّ السماء اسم لكل ما علا وارتفع، والأرض اسم لكل ما سفل، أشار إليه في القاموس. **(تُتلى)**: بالبناء للمفعول، أي: تُقرأ. قال في القاموس: «تَلَوتُ القرآنَ، أو كلَّ كلام تِلاوةً، ككتابة: قرأته».

(بركاتها): أي بركات تلك الصلاة، جمع بَرَكَة، وهي: الزيادة والنّماء. وبارَكَ الله فيه؛ فهو مُبَارك، والأصل مبارك فيه. وجُمِع جَمْعَ ما لا يَعقِل بالألف والتاء، ومنه التحيّات المباركات، كذا في المصباح. **(على ألسنة)**: جمع لسان. **(أهل السُّنَّة)**: أي الطريقة المسلوكة في الدين. **(والفَرْض)**: المقطوع بلزومه؛ وهم أهل الملّة الإسلاميّة، والشرائع المحمّديّة. **(وتُجلى)**: بالبناء للمفعول، أي: تنكشف وتتضح معاني أسرارها، **(عليهم)**: أي على أهل السنّة، والغرض. **(في الطول والعرض)**: أي طول تلك البركات وعرضها، أو طول الزمان وعرضه. **(إلى يوم البعث)**: أي بعث الله تعالى للموتى. **(والعَرض)**: أي عرضهم عليه في المحشر .

(**اللهم**): أي يا الله . (**يا من له الأسماء**) جمع اسم، وهي: التسعة وتسعون اسماً، وقد وردت فيها روايات مختلفة في أحاديث شتى، فلو جُمعت بلغت أكثر من التسعة وتسعين؛ ولكن للتسعة والتسعين سرّ الفرديّة والوتريّة؛ فإنّ تمام المئة ظهور الذات الأحديّة، فلا تتمّ مرتبة العشرات إلا بالمئة، ولا تتمّ المئة إلا بالأحد؛ فهو أول العدد، وهو آخر العدد، وهو ظاهر العدد، وهو باطن العدد، وهو بكلّ شيء من أعيان مراتب العدد كلها؛ عليم لأنّه عليم بنفسه، علم نفسَه فعلم كلّ شيء، والشيء مرتبة من مراتبه التي رتّبها، والمراتب أمور عدميّة اعتباريّة؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. (**الحسنى**): نعت للأسماء؛ فكلّ أسمائه حسنى وإن قبح بعض آثارها كالاسم المضلّ الضّار، والمؤخّر باعتبار جهل الأثر، وجهله باعتبار قصور إدراكه وغفلته عن المؤثر، فيتألّم في الآخرة بجهله، ويتعجّب بحجابه، كما قال تعالى عن أهل النار. ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [٣٦/ المطففين/ ١٥] (**التي**): نعت للأسماء. (**هي أسمى**): أي أعلى وأنزه عن أن تشابه كوناً من الأكوان، أو (**أسمى**) اسم محبوبة من المحبوبات، كناية عن الذات الإلهيّة. يعني: أنّ الأسماء عين الذات كما عليه المحقّقون من العارفين.

والمعنى في ذلك: أنّ الأسماء عين الذات باعتبار الأمر في نفسه، وغير الذات باعتبار النظر العقليّ. وعند بعضهم: لا عين الذات ولا غيرها، كما قالوا. (**وأحسن الأسماء**): جمع اسم، أي: متصفة بكمال الحُسن بالنسبة لحُسن الأسماء الكونيّة، وإن كانت الأسماء الكونيّة تشاركها في مسمّى الحُسن باعتبار أنّ الأسماء الكونيّة ظهور تلك الأسماء الإلهيّة؛ فالمعنى: أنّ ما ظهر من الأسماء الإلهيّة باعتبار آثارها ليس هو كمال الظهور؛ وإنّما هو على حسب ما يليق بالآثار. (يا من جعل كلمة المحبّة) الكونيّة، سمّاها كلمة لظهورها عنه بقوله. ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٣٦/يس/ ٨٢]؛ فهي صورة إرادته على مقتضى علمه، ظاهرة بأمره من حضرة

كلامه، ومثلها جميع الأكوان؛ فهي الكلمات المنقسمة إلى كلمة طيبة وكلمة خبيثة، والطيب والخبث باعتبار معناها المدلول عليه بالإلهام كما قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [٩١/ الشمس/ ٨]. (**شجرة طيبة**) ولو جعلها كلمة لوافق الآية في قوله. ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٢٤] إلى آخره. ولكن جعلها شجرة باعتبار ثمراتها، وذكر الغرس بعده. (**أصلها**) وهو المحبّة الإلهيّة. (**ثابت**): لا يتغيّر؛ لأنّه قديم. (**وفرعها**) الذي هو كناية عنها نفسها، لأنّها محبّة كونيّة، متفرّعة عن محبّة إلهيّة. (**في السماء**): أي في حضرة الغيب المطلق لتعلّقها بالحقّ تعالى؛ فهي محبّة كونيّة منه تعالى له تعالى. (**وغرس**): أي الله تعالى. (**في**) أراضي (**قلوب المحبّين فرعها**): أي فرع شجرة المحبّة الكونيّة: أي ما تفرّع منها عن أصل المحبّة الإلهيّة. (**وأصلها**): وهي الممدة للمحبّة الكونيّة؛ فغرس المحبّة الكونيّة [٣٤/ أ] في القلوب التي هي فرع غرس لأصلها الذي هو المحبّة الإلهيّة باعتبار الإمداد الذي لا ينقطع. (**وأنزل**): تعالى. (**سكينتها**): أي سَكِينة تلك المحبّة المغروسة. والسَكينة بالتخفيف: المهابة، والرَّزانة، والوقار.

وحكى في «**النوادر**» تشديدَ الكاف، قال: ولا يُعرف في كلام العرب فعِّيلة مثقّل [العين] إلا هذا الحرف شاذاً، كذا في المصباح. (**عليهم**): يعني أنزل سبحانه وتعالى الهيبة والرزانة والوقار على ظواهر أهل المحبّة وبواطنهم. (**وكانوا أحقّ بها**): أي بالسكينة المذكورة، أو بالمحبّة. (**و**) كانوا (**أهلها**): أي السَّكينة والمحبّة. (**وجعل**): تعالى. (**نورها**): أي نور المحبّة. (**يتوقّد**) في قلوب المحبّين. (**من**): نور زيت. (**شجرة**): زيتونة. (**مباركة**): لعموم نفعها؛ وهي حضرة المحبّة الإلهيّة الذاتيّة التي هي عين الذات من وجه حقيقي، وغير الذات من وجه آخر مجازي بعلاقة المحليّة الاعتباريّة من حيث النظر العقليّ، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥] بإضافة اسم الله تعالى إلى النور، وإضافة النور إلى السماوات والأرض؛ أي: منوِّرهما بنوره، يعني: موجدهما بوجوده. ﴿مَثَلُ

﴿نُورِهِۦ﴾، أي: وجوده ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ أي: كوّة غير نافذة، وهي الجسد الإنسانيّ وغيره، وذلك هو الصور الظاهرة، صورالأكوان من كلّ محسوس ومعقول في الدنيا والآخرة. وتخصيص ذكر السماوات والأرض لإرادة معنى العاليات والسافلات؛ وهو شامل لجميع العوالم. ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وذلك توجّه الأرواح على التدابير بمقتضى المقادير في جملة العوالم. ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ وهو النفوس البشريّة وغيرها من أنواع الأشياء. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ مضيء ﴿يُوقَدُ﴾ ذلك الكوكب كما تتوقد النار بطريق الإمداد والاستمداد، كما قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآية [١٧/ الإسراء/ ٢٠] من شجرة لاشتباك بعضها ببعض؛ فجميع الأكوان واحد لاتصال بعضه ببعض، وكثرة فروعه، والأصل أصل واحد، وهذه الشجرة في الحضرة العلميّة الإلهيّة، وقد ظهرت هذه الشجرة الكونيّة على طبق تلك الشجرة العلميّة مباركة لكثرة فروعها التي لا تحصى، وهذه الشجرة في الحضرة العلميّة الإلهيّة عين الحضرة العلميّة الإلهيّة؛ إذ لا يحلّ الكون في العلم، ولا العلم في الكون لظهور الفرق بين القديم والعديم؛ ولهذا كانت في العلم عين العلم، والعلم عين الذات الإلهيّة. ﴿زَيْتُونَةٍ﴾: فإنّها ظهرت لموسى عليه السلام نوراً يتوقّد ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ الآية [٢٠طه/ ١٠-١٢] ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ ظاهرة في عالم الكون. ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ باطنة في عالم الغيب.

(وهو): أي ذلك النور هو. **(النور الشريف)**: الثاني. **(المحمّديّ)** الذي قال [فيه] تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾[٢٤/ النور/ ٣٥] فالنور الأوّل: نور الحقّ تعالى، القاهر فوق عباده. والنّور الثاني: هو النور المحمّدي المقهور بحكم قل: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [٤٦/ الأحقاف/ ٩] **(الذي سجدت له في وجه)**: أي ذات، قال في المصباح: «الوَجْه مُستَقبَل كلّ شيء، وربّما عُبِّر بالوجه عن الذات». **(آدم)**: أب البشرعليه السلام. **(الملائكة)**: كلّهم أجمعون كما قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ﴾ أي: انقاد

وأطاع تسخيراً إلهياً. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [٣٨/ ص/ ٧٣] الالتباس والغيّ كما قال سبحانه: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] وهم يلبسون الصور، فالبس عليهم الصُّوَر بالمصوِّر، فمنهم من حكم عليه بالصور، ومنهم من لم يره؛ لظنّه قيام الصور بأنفسها من غير رويّة المصوِّر، والمصوّر لا يفارق الصور، وهو تعالى الخالق البارئ المصوّر، وإبليس ـ الذي لم يسجد لآدم ـ أبو شياطين الجن، وشياطين الجنّ آباء شياطين الأنس، والكلّ في التباس. قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ / [٣٤/ ب] يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [٦/ الأنعام/ ١١٥] ولهذا قال إبليس: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [١٥/ الحجر/ ٣٣] وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٦١] لالتباس الأمر عليه.

(اللهم): أي يا الله **(إنّك آتيتنا)**: أي أعطيتنا ووهبتنا من محض فضلك وإحسانك. **(حرمته)**: أي احترامنا له صلّى الله عليه وسلّم، توفيقاً منك لنا وعناية بنا. **(وجاهه)**: أي جعلتنا نعتبر قدره الرفيع، وشأنه المنيع. قال في القاموس: «الجاه والجَاهَة: القَدْرُ والمَنْزِلَة»، انتهى. أو معنى إيتاء الحرمة والجاه جعلنا ـ معشر المؤمنين ـ من أتباعه الداخلين تحت كنفه وحمايته، بحيث تكون لنا حرمة وجاه من حرمته وجاهه صلّى الله عليه وسلّم. **(وجعلت لنا عندك باتّباعه)**: أي بسبب متابعتنا له. **(في محبّتك)**: أي محبّته لك. **(وعبوديتك)**: أي عبوديّته لك. **(وَجَاهه)**: وَجُهَ بالضمّ، وَجَاهَة فهو وَجِيه: إذا كان له حظّ ورُتْبَة، كذا في المصباح. يعني: جعلت لنا بسبب متابعتنا له صلّى الله عليه وسلّم وجاهة عندك، أي: حظاً وافراً، ورُتبة عالية. ومتابعتنا له في تحصيل مقام محبته له، وعبوديّته بطريق الإرث عنه صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ الورثة له صلّى الله عليه وسلّم هم أهل مقام المحبّة، ومقام العبوديّة. **(اللهم)**: أي يا الله . **(فكما جعلتنا)**: بمحض فضلك. **(من أمّته)**: صلّى الله عليه وسلّم أمّة الإجابة لدعوته. **(أحينا وأمتنا)**: أي اجعلنا في مدّة حياتنا

في الدنيا وبعد موتنا مستقيمين. (**على محبّتك**): أي نحبّك المحبّة الكاملة بحسب قدرتنا واستطاعتنا كائنينَ. (**في ملّته**): أي شريعته صلّى الله عليه وسلّم. (**وابعثنا**): أي أخرجنا يوم القيامة من قبورنا، وفي القاموس:«والبَعْث ويُحَرَّك: الجَيش، وجمعه: بُعُوث، والنشر»، انتهى.

والمراد هنا: الثاني، وهو النشر، منتهينَ. (**إليك**): أي إلى حضرتك على الكشف من غير حجاب. (**تحت لوائه**): صلّى الله عليه وسلّم. (**واللواء**): العَلَم، وهو دون الراية، والجمع: ألوية. كذا في المصباح. (**المعقود**): أي المشدود المرفوع. قال في القاموس: «عَقَدَ الحَبْل والبَيْع والعَهْد يَعْقِدُه: شَدَّه» انتهى. حيث ينتهي ذلك اللواء. (**إلى مقامه**): صلّى الله عليه وسلّم. (**المحمود**): وهو مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء. سُمّي محموداً لأنّه يحمده فيه الأوّلون والآخرون، الأنبياء ومَنْ دونهم من أهل المحشر. (**اللهمّ**): أي يا الله. (**إنّك قد أخذتنا**): معشر بني آدم. (**كلّنا**): أي قبضت علينا مستولياً على ظواهرنا وبواطننا. (**ذرّيّة**): حال من ضمير الجمع المنصوب، أو بدل منه. والذرّ: النسل، وذرّيّة الرجل: ولده. وضمّ الذال أشهرُ مِنْ كسرها، وبه قرأ السبعة. وبالكسر قرأ زيد بن ثابت. ووزنها: فُعْلِيَّة. من الذرّ؛ وهي صغار النمل؛ لأنّ الله تعالى أخرجهم من ظهر أبيهم كالذرّ، وأشهدهم على أنفسهم، وقيل من الذرّ وهو التفريق؛ لأنّ الله تعالى ذَرَّهم في الأرض، أي: نَشَرَهم وفرَّقهم. وقيل: مأخوذ من ذراء الله الخلق لكن ترك الهمز تخفيفاً لكثرة الاستعمال. وتكون الذرّيّة واحداً وجمعاً، كذا في المصباح.

(**من الظهور**): جمع ظهر، وهو خلاف البطن، أي: ظهور آبائنا يوم الميثاق، فأخرجتنا ابناً من أب إلى آدم أبي البشر عليه السلام (**قبل الظهور**): مصدر ظهر، قال في المصباح: «ظَهَر الشيءُ يَظْهَر ظُهوراً: بَرَزَ بعد الخفاء». (**وأشهدتنا على أنفسنا فقلت**) لنا. (**ألست بيتجلّى**): أي صاحبكم، ومالككم، ومربيكم. قال في المصباح: «الرَبّ يُطلق على الله تعالى معرّفاً بالألف واللام، ومضافاً. وأمّا على

غيره فقال ابن الأنباري: يكون مالك الشيء، ويكون السيِّد المطاع، ويكون المصلح، وربَّ زيد الأمر ربّاً من باب قتل: إذا ساسه وقام بتدبيره، ومنه قيل للحاضنة: رابّة وربيبة أيضاً: فعيلة بمعنى فاعلة. وقيل لولد امرأة الرجل ربيبة وربيب/ [٣٥/ أ] فعيلة بمعنى مفعولة؛ لأنّه يقوم بها غالباً تبعاً لأمّها. وجمع الربيبة ربائب، وجاء ربيبات على لفظ الواحدة».

(فقلنا): في الجواب لك. **(بلى)**: أي أنت ربّنا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ الآية [٧/ الأعراف/ ١٧٢] **(فزدتنا بذلك)**: العهد الذي أخذته علينا. **(نوراً)**: منك. **(على نور)** ظهرنا به من ظهر أبينا آدم عليه السلام؛ لأنّا كنّا على فطرتك الأصليّة. **(اللهمّ)**: أي يا الله **(فكما عهدت إلينا)**: أي أوصيتنا. قال في المصباح: «العهد الوصيّة، يقال: عَهِد إليه يَعْهَد، من باب تعب: إذا أَوصاه، وعَهِدتُ إليه بالأمر: قدّمته. وفي التنزيل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [٣٦/ يس/ ٦٠]. **(بهذه الشهادة)**: أي شهادة الربوبيّة التي أخذت علينا الميثاق بها **(في القِدم)**: أي في ذلك الزمان الذي خلقت فيها آدم أبا البشر عليه السلام. قال في المصباح: «قَدُمَ الشيءُ بالضمِّ قِدَماً وِزانَ عِنَب: خلاف حَدُثَ؛ فهو قديم. وعَيْب قَدِيم، أي: سابقُ زمانه، متقدِّم الوقوع على وقته». **(وجعلت لنا بها)**: أي بهذه الشهادة المذكورة. **(عندك)**: أي في حضرتك. **(يا ربّنا)**: أي مالكنا ومربينا. **(قدم صدق)**: أي سبق في الصدق.

قال في المصباح: «له في العلم قَدَم، أي: سَبْق، وأصل القَدَم: ما قدّمته قدّامك». قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [١٠/ يونس/ ٢]. قال البيضاوي في تفسيره: «قَدَم صدق: سابقة ومنزلة رفيعة، سُمِّيت قدماً لأنّ السبق بها، كما سُمِّيت النعمة يداً لأنّها تعطى باليد، وإضافتها إلى الصدق لتحقيقها، والتنبيه على أنّهم [إنّما] ينالونها بصدق القول والنيّة». **(وحبّذا)**: يقال حبّذا وحَبَّ الأمر: أي هو حبيب، فجعل حَبّ وذا كشيء واحد؛ وهو اسم، وما بعده مرفوع

به، ولزم ذا حَبَّ، وجرى كالمثل، بدليل قولهم في المؤنّث حَبّذا، لاحَبّذه، كذا في القاموس. (**هو**): أي قدم الصدق. (**من قدم**): بيان للضمير المفصل. (**وأنعمت علينا**): بهذه الشهادة المذكورة. (**وجعلتنا من أهلها**): أي من أهل هذه الشهادة. (**وأظهرتنا في دنياك**): التي خلقتها يا رب مشتملة على الخير والشر. (**طاهرين**): من كلّ دنس وكلّ سوء. قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٣٠]. وإنّما التبديل من الشيطان بالوسواس كما حكى تعالى عن إبليس أنه قال: ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [٤/ النساء/ ١١٩] وأمره لهم بتغيير خلق الله أي فطرته التي فطروا عليها بالوسواس إلى أبويهم كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «كلّ مولود يولد على فطرة الإسلام ولكنّ أبواه يهوّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»[1].

(**ظاهرين**): أي منصورين. قال في المصباح: «ظَهَرْتُ على الحائط: علوت، ومنه قيل: ظَهَرَعلى عدوّه: إذا غَلَبَه». (**على عدوِّنا**): من الأنس والجن. (**وعدوِّك**): كذلك. (**بقولها**): أي الشهادة (**وفعلها**): أي العمل بمقتضاها. (**وأحسنت إلينا**): أكمل الإحسان قال في المصباح: «أَحْسَنْتُ: فعلتُ الحَسَن، كما قيل: أجاد إذا فعل الجيّد». وفي القاموس: «والإحسانُ ضدّ الإساءة، وهو مُحْسِن ومِحْسان». (**ورزقتنا**): أي: أعطيتنا، (**الحُسنى**): ضدّ السَّوأى، والعاقبة الحسنة، والنظر إلى الله تعالى والظَّفَر، كذا في القاموس، وقيل الجنّة. (**وزيادة**): على ذلك وهي. (**النظر إلى وجهك الكريم**) قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية [١٠/ يونس/ ٣٦] قال البيضاوي: «الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة، [وما] يزيد على المثوبة تفضلاً لقوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [٤/ النساء/ ١٧٣] / [٣٥/ ب] وقيل: الحسنى مثل حسناتهم، والزيادة عشر أمثالها إلى

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، ١٣١٩.

سبعمئة ضعف وأكثر. وقيل: الزيادة مغفرة من الله ورضوان. وقيل: الحسنى الجنّة، والزيادة: اللقاء.

(**وفضلتنا على كثير من خلقك**). قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [١٧/ الإسراء/ ٧٠] وقوله: ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ بمعنى الكلّ كقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [٢٦/ الشعراء/ ٢٢٣]. قال الحسن البصريّ: «أي كلّهم كاذبون». وقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [١٠/ يونس/ ٣٦]. ذكر الزمخشري في الكشاف: «إنّ المراد بالأكثر الجميع». وقال البيضاوي: « وفيه تعسّف». وقال قبله: «والمستثنى ـ يعني القليل الذي ما فضّلوا عليه ـ جنس الملائكة أو الخواص منهم». ثمّ قال: «ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس ـ يعني على القول بأنّهم الخواص منهم ـ عدم تفضيل بعض أفراده: أي أفراد ذلك الجنس، والمسألة موضع نظر»، انتهى كلامه. وموضع النظر فيها أنّ بني آدم أفضل من الملائكة، والآية تقتضي إخراج بعض الخلق عن تفضيل بني آدم عليهم، والمخرج هم الملائكة، ولا نصّ في الآية على إخراج الملائكة من المفضل عليهم. فيحتمل غيرهم ممن خلق تعالى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٧٤/ المدّثر/ ٣١] وقال: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٤٨/ الفتح/ ٤]. فكلّ مخلوقاته جنوده. وقال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٨] (**بهذه الشهادة**): المذكورة.

(**اللهم**): أي يا الله. (**فافتح لنا أبواب رحمتك**): فإنّها كثيرة الأبواب التي يدخل منها إليها، كأنواع الطاعات، وترك المنهيّات. (**وأنظمنا**): أي اجمعنا على ترتيب مقاماتنا وأحوالنا (**في سِلك**) بالكسر، جمع سِلْكَة بالكسر: الخَيْط يُخاط به، وجمعُ الجمع: أسْلاك وسُلُوك، كذا في القاموس. (**عِقد**) بالكسر: قلادة. (**عَقد بالفتح**): أي اعتقاد. (**أهل معرفتك**): أي العارفين بك. (**واشهد لنا بها**): أي بالشهادة المذكورة. (**بين يديك**): في موقف القيامة. (**وهذا**): أي الميثاق المذكور بشهادة

الربوبيّة. (**اللهمّ**): أي يا الله. (**عهدك**): أي ميثاقك المنسوب. (**إلينا**): أنّا عاهدناك عليه، وهو قولك: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي: أنا يتجلّى. (**وهذا**): المذكور أيضاً هو (**عهدنا**): الذي عاهدتنا عليه المنسوب. (**إليك**): وهو قولنا ﴿بَلَىٰ﴾ يعني: أنت ربّنا. (**فأنت الحاكم**): علينا وأنت. (**الشاهد**):لنا. (**على كلّ**): أمر. (**مشهود**) به عندك، وقلت أنت بكلامك القديم عن نفسك. ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي: أكثر وفاء. ﴿بِمَا عَٰهَدَ﴾ أي: ميثاقه. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ لا أحد أكثر وفاء من الله بالعهد.

وقلت أيضاً: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [٤/ النساء/ ٧٩] يشهد على كلّ شيء بما يعلمه ويسمعه ويراه. (**في مقامه**): الذي يقيم فيه نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وسلّم يوم القيامة بالشفاعة العظمى في فصل القضاء. (**المحمود**) لأنّه يحمده فيه الأوّلون والآخرون. وضمير مقامه إلى الله في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ وتصحّ إضافة المقام إليه؛ لأنّه هو الذي يقيم نبيّه عليه السلام فيه كما ذكرنا، خصوصاً وهو مقام الشفاعة، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [٢/ البقرة / ٢٥٥]. (**اللهمّ**): أي يا الله . (**اعفُ**): أي امحُ الذنوب (**عنّا**) قال في المصباح: «عَفَا المنزل يَعْفُو عَفْواً وعُفُوّاً وعَفَاء، بالفتح والمدّ: درس، وعَفَتْه الريحُ، يُستعمَل لازماً ومتعدِّياً، ومنه: عفا الله عنك، أي: محا ذنوبك».

(**واغفر**): أي استر. (**لنا خطأنا**) بالهمز، قال في المصباح: «والخَطَأ، مهموز، بفتحتين: ضدّ الصواب، ويُقصر ويُمدّ، وهو اسم من أَخطأَ فهو مُخْطِئ». (**وعَمْدَنا**): وهو ما تعمّدنا فعله. (**من الذنوب**): أي قصدنا فعله. (**واحفظ لنا شهادتنا هذه**): التي هي شهادة الربوبيّة. (**وعهدنا**): أي ميثاقنا الذي أخذته علينا. ومعنى حفظه لنا تذكيرنا به في غالب أوقاتنا حتى ندوم على مراقبتك /[٣٦/ أ] في سائر أحوالنا. (**وارحم آباءنا**): جمع أب، والأصل أباءنا وأمّهاتنا، لكن غلب لفظ الآباء على الأمهات، كالأبوين للأب والأمّ، وذلك إلى آدم أبي البشر. (**ومشايخنا**) جمع شيخ: وهو معلم الناس الخير لنا. وقدّم الآباء لأنهم سبب الإيجاد، والمشايخ سبب الإمداد، والإيجاد قبل الإمداد. (**وإخواننا**): جمع أخ. قال

في المصباح: «الأخ لامه محذوفة، وهي واو، وتردّ في الثنية على الأشهر، فيقال: أَخَوان. وفي لغة يُستعمل منقوصاً، فيُقال أَخَان، وجمعه: إخوة وإخوان، بكسر الهمزة، وضمّها لغة، وقلّ جمعه بالواو والنون، وعلى: آخاءٍ وِزان آباء أقلّ. **(ومن آمن بك)**: من المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات. **(وأحبّك)**: يا ربّنا، أي: أهل محبتك. **(في سائر الملل)**: أي الأديان الماضية، جمع ملّة، وهي الدين، والمراد الأمم الماضون، المؤمنون بأنبيائهم، عليهم السلام. **(وأعذنا)**: أي اعصمنا واحفظنا، يقال: استعذتُ بالله ، وعُذْت به مَعَاذاً وعِيَاذاً: اعتصمتُ وتعوَّذتُ به، وعَوَّذْت الصغير بالله . كذا في المصباح **(من السأم)**: سِئِمتُه أَسأَمُه، مهموز، من باب تعب، سَآماً وسَآمَة، بمعنى: ضَجِرتُه ومَلَلْته، ويُعدَّى بالحرف أيضاً، فيقال: سَئِمتُ منه. وفي التنزيل: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [٤١/ فصلت/ ٤٩] كما في المصباح. (و) من **(الفتور)**: أي الضعف، فَتَرَ عن العمل فُتُوراً، من باب قعد: انكسر عن حدّته ولان بعد شدّته، ومنه: فَتَر الحَرُّ إذا انكسر، فَتْرَةً وفُتُوراً، كذا في المصباح. (و) من **(الملل)**: مَلِلْتُه ومَلِلْتُ منه مَلَلاً، من باب تعب، ومَلاَلَة: سَئِمْتُ وضَجِرْتُ، كما في المصباح. **(ولا تجعل للشيطان)**: من الإنس والجنّ. **(علينا سلطاناً)**: أي ولاية، وتحكّماً، وتسليطاً، قال في المصباح:«سَلَّطتُه على الشيء تَسليطاً: مكّنته منه، فتسلّط وتمكّن وتحكّم». **(واحرس)**: أي احفظ. **(منه)**: أي من الشيطان. **(قلوبنا)**: فلا يقدرعلى التسلّط عليها بالوسوسة والتسويل. **(التي)**: نعت للقلوب. **(وجعلتها لك بيوتاً)**: جمع بيت، أي: تسكن فيها بدوام ذكرها لك، ومراقبتها لأمرك. **(ولمحبّتك أوطاناً)**: جمع وطن، وهو: المكان والمقرّ، وفي المصباح: «وأَوطَنَ الرجلُ البلدَ واستَوطَنَه وتَوَطَّنَه: اتّخَذَه وَطَناً، والمَوْطِن: مثلُ الوطن». **(اللهم يَسِّر لنا أمورنا)**: أي اجعلها ميسَّرة، سهلة التناول. **(واشرح بأنوار محبّتك)**: أي محبتنا لك أو محبّتك لنا. **(صدورنا)**: أي اجعلها واسعة لا تضيق لأمر من الأمور أصلاً، وفي المصباح: «شَرَحَ الله صدرَه للإسلام شَرْحاً: وَسَّعَه لقبول الحقّ». **(اللهم فقّهنا)**: أي فهّمنا. **(في)** دين **(محبّتك)** بحيث نفهم

عنك الأسرار في طي الأخبار. (**وعلّمنا تأويل**): أي ما يؤول إليه معنى. (**كلامك**): القديم من المحكم والمتشابه. (**وفهّمنا كلام أهل معرفتك**): من العارفين بك، والمحقّقين في دينك سواء كان كلامهم منظوماً، أو منثوراً. (**حتى نهتدي بهم**): أي بأهل معرفتك. (**في السير**) إليك (**إذا وفدنا**): أي نزلنا. (**عليك**): بالوصول إلى حضرتك العليّة وحتى. (**نقتدي بسلوكهم**): أي سلوك أهل معرفتك. (**الذي يوصلنا إليك**): فيوفقنا بين يديك. (**اللهم إنّ عبدك**): الشيخ الإمام العارف الكامل عمر بن الفارض قدّس الله سرّه. (**منشئ**): أي ناظم. (**هذا الديوان**) الشريف. (**في**) ذكر. (**محاسن**) جمع حُسْن، قال في القاموس: «الحُسْن، بالضمّ: الجمال، وجمعه: مَحَاسِن، على غير قياس. (**معرفتك اللطيفة**): نعت للمحاسن. (**وتُرْجُمان**): كعُنْفُوان، وزَعْفَران: المُفَسِّر للسان، وقد ترجمه، و ـ عنه، والفعل يدلّ على أصالة التاء، كذا في القاموس، وفي المصباح: «تَرجم فلان كلامه: إذا بيَّنه وأوضحه، وتَرْجَمَ كلامَ غيره: إذا عَبَّرَ عنه بلغة غير لغة المتكلّم. واسم الفاعل: تَرْجُمان، وفيه لغات، أجودها فتح التاء وضمّ الجيم، والثانية: ضمّهما معاً تجعل التاء تابعة للجيم، والثالثة: فتحهما/ [٣٦/ ب] بجعل الجيم تابعة للتاء، والجمع تَرَاجِم، والتاء والميم أصليّتان؛ فوزنْ تَرْجَمَ: فَعْلَل، مثل: دَحْرَج». (**سلطنة**): أي ملك ملوك. (**محبّتك الشريفة**) يترجم للناس ما يردعليه من معاني الحقائق في مقام محبّته لك، أو محبّتك له التي هي من أشرف المقامات. (**قد جعل الغرام**): أي الولوع، والشرّ الدائم، والهَلاك، والعَذاب، والمَغْرَم، كمُكْرَم: أسيرُ الحبِّ والدين، والمُوْلَع بالشيء. كذا في القاموس. (**قلبه جُذاذاً**): جَذَذتُ الشيءَ جَذّاً، من باب قتل: قَطّعتُه، فهو مَجْذوذ، وجَذَذْتُه: كسرتُه، ويقال لحجارة الذهب وغيره التي تُكسر جُذاذاً، بضمّ الجيم وكسرها، كما في المصباح.

(**ووجد**) في نفسه. (**بتلف**): أي بسبب هلاك واضمحلال. (**مُهجَتَه**): المُهْجَة الدَّمُ، أو دَمُ القلب والروح، كذا في القاموس، والرُوحُ، بالرفع: معطوف على الدم، يعني: والمهجة معناها الروح أيضاً. (**في هواك لَذاذاً**): قال في المصباح: «لَذَّ

الشيءُ يَلَذُّ، من باب تعب، لَذاذاً ولَذاذة، بالفتح: صار شهيّاً، فهو لَذٌّ ولَذيذ. **(وتلت)**: أي قرأت علي قلبه. **(مثاني الجلال)**: أي مقام الجلال الإلهيّ على صفحات الآثار الذي هو كالمثاني، أي القرآن المنزل فرقاناً للفرق والتمييز بين الخير والشرّ، والنفع والضرّ، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ الآية [٣٩/ الزمر/ ٢٣] وقال في القاموس: «المثاني القرآن، أو ما ثُنِّيَ منه مرة بعد مرة، أو الحمد، أو البقرة، إلى براءة، أو كلّ سورة دون الطول، ودون المئتين، وفوق المفصّل، أو سورة الحج، والقصص، والنمل، والعنكبوت، والنور، والأنفال، ومريم، والروم، ويس، والفرقان، والحِجْر، والرعد، وسبأ، والملائكة، وإبراهيم، وص، ومحمّد، ولقمان، والغُرَف، والزخرف، والمؤمن، والسجدة، والأحقاف، والجاثية، والدخان، والأحزاب.

(سورها) جمع سورة. **(وَجَلَت)**: أي كشفت وأوضحت. **(عليه)**: أي على روحانيّته. **(معاني الجمال)**: الحقيقي الإلهي. **(صورها)**: الظاهرة بملاح الأكوان في أنواع الكيفيّات والألوان. **(وراقب أفلاك)**: جمع فَلَك بالتحرك. **(المعرفة)**: الإلهيّة، أي: ماتدورعليه المعاني الكشفيّة، والأسرار القدسيّة. **(فأطلعت)**: أي أظهرت له تلك الأفلاك المذكورة. **(شمسها وقمرها)**: أي حضرة الذات الأحديّة المتجلّية بحضرة الأسماء الواحديّة، كما ورد في حديث مسلم عن أبي سعيد الخدري: «أنّ ناساً في زمن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربّنا يوم القيامة؟. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: نعم. هل تضارّون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟!. وهل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟!. قالوا: لا يا رسول الله. قال: ما تضارّون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارّون في رؤية أحدهما»[1].

(١) قطعة من حديث طويل متّفق عليه بين الشيخين من مسند أبي سعيد الخدري. أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: الصراط جسر جهنّم، ٦٥٧٣. كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية.

(فهام) من الهيام، قال في المصباح: «هام يَهِيم هَيْماً[1] وهُياماً: خرج على وجهه لا يدري أين يتوجّه، فهو هائم إن سلك طريقاً مَسلوكاً، فإن سَلَكَ طَريقاًغيرمسلوك فهو راكب التعاسيف (بها): أي بسبب أمر عظيم ظهر له. (لا تدركه): أي تشعر به (الأفهام): جمع فهم. والمراد: جنس الأفهام على طريقة الاستغراق، فيشمل فهمه هو؛ فإنّ العجز عن إدراك ذلك هو الإدراك له، كما ورد عن الصديق الأكبر في قوله: «العجز عن درك الإدراك إدراك. (وأقام نفسه): بالكشف عن حقيقتها. (في مقام محبَّتك): فصارت محبّته لنفسه عين محبّته لك. (باتّباع): أي بسبب متابعته لشريعة. (نبيّك وحبيبك محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام وسائر): أي ساوى في السير. (في) موكب. (محامل): جمع مَحْمِل، وزان مجلس: الهَوْدَج، ويجوز مِحْمَل وزان مِقْوَد. كذا في المصباح. (العشق): أي/ [٣٧/ أ] زيادة المحبّة، ومحامل العشق، هي القلوب المولّهة في الله لاشتمالها على روحانيّات الأنوار الأقدسية في الحضرة الربّانيّة، رجالاً هم العارفون المحقّقون، وآيات قربه، لعلو منزلتهم عند الله تعالى في حضرات قربه. (ولـمّا تراءت له): أي تصدّت ليراها. قال في القاموس: «تراءى لي، وترأَّى: تصدّى لأراه، وهو مِنِّي مرأى ومَسْمَع، ويُنْصَب، أي: بحيث أراه وأسْمَعُه». (جِمال) بالكسر، جمع: جَمَل. (هوادج) جمع هودج، وهو مَرْكَب للنساء، كما في القاموس. (الجَمال) بالفتح، وهو الجمال الإلهي الظاهر في محاسن الروحانيّات الكاملة تحت أستار القلوب الفاضلة الراكية على إبل الأجسام المحمولة الحاملة. (غلب عليه الحال): الربّانيّ والمقام الصمدانيّ. (فنادى) في الملأ الأعلى بين أهل السرّ الأحلى، والكشف الأجلى؛ لأنّهم الذين يفهمون الإشارات، ويعرفون معاني العبارات. (فقال): بلسان كنتِ لسانه الذي ينطق به في تحقيق المقال[2].

---

(١) ورجل هَيْمان: عطشان».

(٢) قال في القاموس: عسفه تعسيفاً: أتعبه.

(١) سَائِقَ الأَظْعَانِ

[الرمل]

١ - سَائِقَ الأَظْعانِ يَطْوِي البِيْدَ طَيْ مُـنْعِماً عَـرِّجْ عَـلَى كُثْبَـانِ طَـيّ[١]

سُقْتُ الدابّةَ أَسُوقُها سَوْقاً، والمفعول مَسُوقٌ، على مفعول، كذا في المصباح، والفاعل سائق؛ وهوالذي يحثّها من ورائها لتمشي، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [٢٢/البروج/٢٠]، أي: من حيث لا يعلمون، فهوالسائق. قال في القاموس: «والقَوْد نقيض السَّوْق؛ فهو من أمام، وذاك من خَلْف»، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «لو كُشف الغطاء لوجدتَ سائقاً يسوق، وقائداً يقود»[٢]؛ فالغافل يسوقه من خلفه، كما قال تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [٣/آل عمران/١٨٧]. يعني: كتاب الله، وهو القرآن الذي قال تعالى: وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [٨٥/البروج/٢٠-٢٢] والعارف يقوده من أمامه، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله في قبلة أحدكم»[٣]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [١٨/الكهف/٢٨]، وإنّما خاطب ههنا السائق دون القائد، فناداه، وحذف حرف النداء كتماناً للسرّ، لأنّه يسوق الأظعان، لا يقودها، جمع ظَعينة، قال في المصباح: «ويقال للمرأة: ظَعِينَة فَعيلة بمعنى مفعولة؛ لأنّ زوجها يَظْعَن بها، أي: يرتحل.

(١) معظم الطبعات تسكّن حرف الرويّ دون أن تشدّده، ودون مراعاة أنّ بعض الكلمات لا يصحّ إلّا تشديدها، وبعضها الأخر لا يحتاج، وقد كان النابلسيّ يشير إلى التشديد في شرحه؛ فشدّدنا الرويّ حيث قاله، وسكّنا بعضها على لغة ربيعة كما قاله، انظر مثال ذلك في ص٣٣٧، سطر٣.

(٢) لم نعثر عليه في مصادرنا.

(٣) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: العمل في الصلاة، باب: ما يجوز من البصاق والنفخ في الصلاة، ١٢١٣، عن ابن عمر رضي الله عنه، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأى نخامة في قبلة المسجد، فتغيّظ على أهل المسجد، وقال: إنّ الله قِبَل أحدكم، فإذا كان في صلاته فلا يبزقنّ « أو قال » لا يتنخّمن. ثمّ نزل فحتّه.

ويقال: الظَّعِينَة الهَوْدَج سواء كان فيه امرأة أم لا. ويقال الظعينة في الأصل وصف للمرأة في هودجها، ثمّ سُمِّيت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها؛ لأنّها تصير مظعونة». وقال في القاموس: «الظَّعينة: الهَوْدَج، فيه امرأة أم لا. وجمعه: ظُعْن وظُعُن وظَعائن وأَظْعَان، والمرأة ما دامت في الهودج»، انتهى.

وعلى كلّ حال فالأظعان أستار وحجب، وتحتها أرْواح ونفوس محجوبة بالغفلات، والسائق يسوقها، فيطوي بها (البِيد): بالكسر، جمع: بَيداء، قال في المصباح: «البَيْداء المفازة، والجمع: بِيد، بالكسر». وهي مسافات الزمان يوماً فيوماً. ثمّ أكّد الطيّ بالمصدر لسرعته، وجملة يطوي البيد (طيّ): حال من سائق الأظعان. و(منعماً): حال من سائق الأظعان أيضاً، أي: حال كونك منعماً بهذا الطيّ على الأظعان بتقريبها إليك مسرعة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [٨٤/ الانشقاق/ ٦] قال في القاموس: «كَدَح في العَمَل كمنع، سَعَى وعَمِل لنفسه خيراً أو شراً». أو حال من فاعل عرِّج، قُدّم عليه للوزن، والتقدير: عرّج حال كونك منعماً عليّ بذلك التعريج، قال في المصباح: «وما عَرَّجْتُ على الشيء، بالتثقيل، أي: ما وقفتُ عنده، وعَرَّجتُ عنه: عَدَلْتُ عنه وتركته». وفي القاموس: «عَرَّج تَعْريجاً: مَيَّل وأقام، وحَبَس المطيّ على المنزل كتَعَرَّج». ومراده عرّج بي أو بها، أي: بالأظعان، أو بنا جميعاً. (على كثبان): جمع كثيب، بالثاء المثلثة، قال في المصباح: «كَثَبَ القوم من باب ضرب: اجتمعوا، وكَثَبْتُهم: جَمَعتهم، يتعدّى ولا يتعدّى. ومنه كَثيب الرمل لاجتماعه/ [٣٧/ ب] وجمعه كثبان، وانكثب الشيء اجتمع». يشير بالكثبان إلى المقامات المحمّديّة في الحضرات الأحديّة، ولهذا أضافها إلى طيء، اسم قبيلة من قبائل العرب، منها حاتم المشهور بالكرم. يعني: عرّج بي أو بهم على المقامات المحمّديّة التي لا انقضاء لها؛ فصاحبها دائم الترقّي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] أي: يا أصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم، يعني: ورثته المحمّديّين. ويثرب من أسماء المدينة. ﴿لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] أي: لا تقفون عند مقام؛ بل أنتم دائمون في الترقي، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه ليغان

على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة، وفي رواية مئة مرّة»[1] وقال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنّه غين أنوار لا غين أغيار. يعني: أنّه صلّى الله عليه وسلّم كلّما ترقّى إلى مقام وجد المقام الأوّل الذي كان فيه غيناً، أي: حجاباً فيستغفر الله تعالى منه، وربّما يقال كثبان طي: هي مقامات شيخه وأستاذه الشيخ الكامل، و العالم العامل، المحقّق العارف الذي هو من بحار العلوم الإلهيّة غارف، محيي الدين بن العربي الحاتمي الطائي الذي هو من ذرّيّة حاتم طيء، وقبيلته هي قبيلة طيء، من عرب المغرب، كما قدّمنا أنّ الشيخ عمر أخذ عن الشيخ الأكبر رضي الله عنهما، وذكر الشيخ أحمد المقَّري[2] في كتابه: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» في ترجمة الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه، حكى المقريزي في ترجمة سيِّدي عمر بن الفارض ـ أفاض الله علينا من أنواره ـ أنّ الشيخ محيي الدين بن العربي بعث إلى سيّدي عمر يستأذنه في شرح التائيّة. فقال: كتابك المسمّى بالفتوحات المكّيّة شرح لها»[3] انتهى. وهذا القول من سيّدي عمر قدّس الله سرّه بيان؛ لأنّه كان يستمدّ في تائيّته من فتوحات الشيخ محيي الدين، وأنّ إمداده من فيض إمداده، ويؤيّد ذلك ما ذكره العلامة خاتمة المحدّثين النّجم الغزّيّ[4] رحمه الله تعالى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر، والدعاء، والتوبة، باب: استحباب استغفار والاستكثار منه، ٧٠٣٣.

(٢) أبو العبّاس: أحمد بن محمّد بن أحمد المَقّري، أصل أسرته من مَقَّرة، بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة. وُلد بتلمسان، ونشأ فيها، وتنقّل في المغرب ومصر والحجاز والشام. شهد انقطاع آخر صلة للعرب بالأندلس، ثمّ غزا الإسبان مدن المغرب. توفي بمصر ١٠٤١هـ بعد أن خلّف الكثير من الكتب، منها: ـ أزهار الرياض في أخبار عياض ـ إضاءة الدجنّة في عقائد أهل السنّة. ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. انظر مقدّمة نفح الطيب بتحقيق الدكتور إحسان عبّاس.

(٣) انظر نفح الطيب، الباب الخامس، ج٢ ص١٦٦. وهنا يتفاخر المتحمّسون لابن الفارض بهذه الأسبقيّة له على ابن العربيّ، بينما يرى متحمسوا ابن العربيّ هذه الحادثة بالعكس تماماً.

(٤) النجم الغزّيّ، علي بن عبد الحيّ بن علي بن سعودي، النجم الغزّيّ، الشافعيّ، الدمشقيّ، العالم =

في تاريخه «الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة» في ترجمة القاضي زكريّا[1] قال: «سمعت بعض إخواننا يحكي أنّه روي أنّ الشيخ محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه كان يُعرض عليه كلام سيّدي عمر بن الفارض قدّس الله سرّه فيقول: هو كلامنا لكنّه أبرزه في قالب آخر. وكان يقول هو ماشطة كلامك»[2].

انتهى. فطلب من سائق الأظعان أن يوصله إلى مقامات شيخه المذكور، وشيخه المذكور وارث محمّديّ، لا يقف عند مقام، بل هو دائم الترقي. وكنّى عن المقامات الكثيرة بالكثبان؛ لأنها التلال من الرمل. ولم يجعلها تلالاً من التراب لأنّ التراب يلصق بعضه ببعض فلا يتبيَّن، بخلاف الرمل، فإنّ كلّ رملة متفرّدة عن الأخرى، فهو متبيّن، والمقامات متبيّنة لصاحبها كمال البيان، والله المعين المنّان.

٢- وَبِـذَاتِ الـشِّيحِ عَنِّـي إنْ مَـرَرْ ... تَ بِحَيٍّ[3] مِـن عُرَيـبِ الجِـزْعِ حَـيِّ

(بذات الشيح): أي في ذات الشيح، وهو موضع من ديار بني يربوع، فلاة مشتملة على هذا النبت الطيِّب الرائحة. كَنَّى بذلك عن مقام الحيرة في الله، يشمّ رائحة طيبة من غير أن يدرك شيئاً من قبيل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهو تنزيه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] تشبيه؛ فالأمر بين التنزيه

=

المؤرّخ. ولد وتوفي في دمشق ١٠٢٦-١٠٩١هـ، تاريخه من أشهر كتبه. انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبّي، حرف الميم، ج٢ ص١٠٩١.

(١) القاضي زكريّا: زكريّا بن محمّد بن زكريّا الأنصاري ٩٢٦-١٠٩٢ هـ عُمِّر مئة وثلاث سنوات، ترجم له الشعراوي في الطبقات الكبرى، أمثل أهل زمانه، وأرأس العلماء، رزق البركة في عمره وعلمه وعمله، وأعطي الحظّ في مصنفاته وتلاميذه؛ فلم يُعرف مثله مَنْ قُرئ عليه من تآليفه سبعاً وخمسين مرّة. بلغت مصنّفاته الأربعين، في شتّى علوم الدين والتاريخ والأدب والنحو. انظر الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ج١ ص١٢٦.

(٢) انظر الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج١ ص١٢٨.

(٣) عند اسكاتولين لحيّ، وقد اعتمد نسخة مكتبة يوسف آغا، المنسوخة مابين سنة (٦٤٠-٦٧٣)هـ قونية، تركيّا، وقد رمزنا لها بـ (ق).

والتشبيه، فاللّذة في المشاهدة تمنعه من التأخر، ولا يزيده التقدّم إلّا حرصاً وطمعاً، كماء البحر لا يزداد الشارب منه إلا عطشاً. فأشار بالشيح إلى أنّه ليس ثَمّ شيء يدركه بالبصر إلا صور كثيفة. وليس المقصود تلك الصور؛ وإنّما هناك رائحة عطريّة هي حظّ القلوب من إدراك هذا المحبوب، قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٣] ومن هنا سُمّيت الروح، لأنّها رائحة الأمر الإلهي كما قال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقد نُفِختْ في الأجسام كما علقت الرائحة بذي الرائحة، وإنّما يطلب المسك والعنبر لأجل رائحتها الطيِّبة. وقوله (عنِّي): الجار مع المجرور متعلِّق بقوله حيْ في آخر البيت، أي: حَيٍّ عنّي من قبيل قوله عليه السلام بعد سلامه من الصلاة: «اللهمّ أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يرجع السلام»[1] وهذا تشبيه . ثمّ نزه فقال: «تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام».

وقوله إن مررت يخاطب السائق فيقول له: إن مررت في هذا المقام المُكنّى عنه بذات الشيح. والمراد: إن مررت بي، كقوله في البيت الأوّل عرّج أي: بي، كما قدّمنا، لأنّ السائق لا يمر بنفسه بذات الشيح؛ بل بالأظعان. والقائل إن مررت من جملة الأظعان، وهذا من قبيل قول العارف:

أعارتــــه طرْفـــاً رآهـــا بــــه فكـــان البـــصير لهـــا طرفهـــا

[٣٨/ أ] وقوله (بحيّ): متعلّق بمررتَ. و الحيّ: القبيلة، كناية عن المناظر العُلا التي هي محط رحال السائرين، ومركز الهمم من قلوب العارفين، وذلك

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، باب: من حديث ثوبان، ٢٣٠٢٦، عن ثوبان مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا أراد أنْ ينصرف من صلاته استغفر ثلاث مرّات ثمّ قال: اللهمّ أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام» أي: دون لفظ: وإليك يرجع السلام. قال الملّا علي القاري في شرح مسند أبي حنيفة ج١ ص٩٤: «قال شيخ مشايخنا الجزريّ في التصحيح: وأمّا ما يزيد بعد قوله ومنك السلام من نحو: وعليك يرجع السلام فحيينا بالسلام، وأدخلنا دار السلام، فلا أصل له عند علمائنا الكرام.

منتهى ما يظهر للعارف بحسب استعداده من الحضرة الإلهيّة المتجلّية عليه. وقوله (**من عُريب**): بيان للحيّ. وعُريب تصغيرعرب، صغّرهم للتعظيم، واشتقاقه من أعرب: إذا أبان وأفصح. و(**الـجِزْع**): بكسر الجيم: منعَطف الوادي ووسطه، أو منقطعه ومنحناه. إشارة إلى أنّ هذا الحي انعطفت عليه جميع الآمال، وانقطعت إليه مقاصد الرجال، وألقيت في ساحته عصا الترحال، وماذا بعد الحقّ إلا الضلال. والإشارة إلى الوادي بذكر الجِزْع من مقام الموسوي، كما أشار إلى ذلك الشيخ الأكبر، فإنّه الخطيب على هذا المنبر بقوله:

عـرّج ففـي أيمـن الـوادي خيـامُهم	لله درّك مـــا تحويـــه يـــا وادي
جمعْـتَ قومـاً هُـمُ نفسي وهُـمْ نفسي	وهـم سـوادُ سـويدا خِلْـب أكبـادي

٣- وتلطّـف واجْـرِ ذِكْـري عنـدهم   عَلّهُـــمْ أَنْ يَنْظُـــروا عَطْفـــاً إلَـــيّ

الخطاب لسائق الأظعان؛ فإنّه لّما كان سائقاً لها بها وهي كثيفة من عالم الأجسام دعاه إلى التلطّف ليناسب ذكر الحيّ من العريب، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١] فإنّ عبده نفس وروح وجسم. وقد حصل الإسراء بذلك كلّه، فقدّم التسبيح ليحصل التلطّف بالخروج عن الكثائف إلى عالم اللطائف برجوع الكلّ لطيفاً مع بقاء الكلّ على ما هو عليه، وهوعالم الجمع الكلّي من اسمه اللطيف. (واجْرِ ذِكْري): الذي هو ذكرك لي من حيث أنّا كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [١٥/ الحجر/ ٩] وقوله (عندهم): أي عند ذلك الحيّ عن العريب، كما قال: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٩] فيكون الكلّ راجعاً إليه كما كان ظاهراً منه ثمّ قال (**علّهم أن ينظروا**): فترجّى نظرهم من قبيل كنت بصره الذي يبصر به. (عطفاً): أي من جهة العطف، أي الترحم والتحنن. (**إليّ**) بتشديد الياء؛ وهي حظيرة القدس التي يجمع الله تعالى فيها المقرّبين في الدنيا والآخرة. وقد شوهد من أكل منهم عن الآخر وهو بعيد عنه في مسافة طويلة،

فيجد الآخر الأكل ينزل في حلقه، ولا يعلم ذلك من أين يحصل له. وفي قوله (أن ينظروا): إشارة إلى أنّ أمر السالك لا بدّ لها أن يكون مُثاراً من جهة الشيوخ بطريق النظر لا من جهة نفس السالك؛ لأنّ ظلمة النفس مانعة من التحاق الأنوار بعضها ببعض، والإثارة الأمريّة إنّما هي في الأصل من جهة الغيب المطلق كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] فإنّ الشفاعة شَفعيّة، وهي خلاف الوِتريّة؛ فالأذن يلزمها. قال: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [١٠٠/ العَادِيَات/ ٤-٥]. والجمع لا يكون إلا بالإثارة للنقع. وقال الشيخ أبو بكر الشبلي:

أيهـــا المعـــــرض عنّـــا إنّ إعراضـــــك منّـــــا

لـــــو أردنـــــاك لمـــا كنــــت حقيقـــــاً لم تردنـــــا

٤- قُلْ تَرَكْتُ الصَّبَّ فيكم شَبَحاً ما لـه ممّـا بـراهُ الشوقُ فَـيّ

يعني: قل لهم يا سائق الأظعان، بعد التلطّف بهم، وإجراء ذكري عندهم لينظروا بالعطف إليّ (**تركت الصبّ**): أي المحبّ لكم من الصبابة؛ وهي زيادة المحبّة فيكم، أي: في مقام محبّتكم (شبحاً): لخروجه عن كثافة غيريّته، لكن المحبّة حجاب عن المحبوب، وهو الشبح الحائل لنسبة المحبّة إليه. ثمّ قال (**ما له فَيّ**): بتشديد الياء. وأصله بالهمزة، وهو الظلّ الذي فاء، أي: رجع. لكن الشاخص في آخر النهار، فكأنّه راجع عن كونه شبحاً شاخصاً أيضاً، وذلك مما براه، أي: من/ [٣٨/ ب] كثرة ما براه الشوق إليهم، وما تركه وعدل عنه إلا بسبب حجاب غيريته بمحبّته؛ فإنّ كلّ محبّ غير المحبوب؛ فالمحبوب تاركه؛ فهو عنه محجوب. ولو قرت عينه بعينه لكانت العين واحدة، والفاقدة واجدة.

٥- خَافِيــاً عَــن عَائِــدٍ لَاحَ كَـمَا لَاحَ فِي بُرْدَيْــهِ بَعْــدَ النَـشْرِ طَـيّ

ثمّ ذكر أحواله في مقام المحبّة فقال (**خَافِياً**): أي مستتراً. (**عن عَائِدٍ**): يعوده. والعائد: هو زائر المريض، من قوله عليه السلام في الحديث القدسي: «مرضت

فلم تعدني » ثمّ قال: «مرض عبدي فلان فلو عدته لوجدتني عنده » يعني: لو عدته على ما هو عليه في حاله «لوجدتني عنده»[1] كما قال تعالى في السراب: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾؛ لأنّ الجهل ظمأ، يطلب صاحبه ماء العلم فلا يجده. فإذا جاءه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [٢٤/ النور/ ٣٩]؛ لأنّ ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص /٨٨] ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٩]. ثمّ قال عنه **(لاح)**: أي ظهر. **(كما لاح)**: أي ظهر. **(طَيّ)** فاعل لاح الثاني. **(في برديه)**: تثنية بُرد، بالضمّ. **(بعدَ النَّشْرِ طَيّ)** فإنّ ذلك الطي الذي لاح في برديه أثر عدمي لا وجود له، والوجود للبردين: برد الظاهر من عالم الخلق، وبرد الباطن من عالم الأمر. قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [٧/ الأعراف/ ٥٤] وهذا الطيّ والنشر كائن دائماً في الخلق والأمر وإن خفي على كثير من الناس، ولا يظهر إلا كلمحٍ بالبصر، ولا يبطن أيضاً إلا كلمحٍ بالبصر.

٦- صَارَ وَصْفُ الضُّرِّ ذَاتِيّاً لَهُ عَنْ عَنَاءٍ وَالكَلَامُ الحَيُّ لِيْ

(وصف الضر): هو البلاء الملازم، كما قال أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٨٣] فأيوب عليه السلام مسّه الضر لأنّه في مقام الوحي، فاقتضى الدعاء بالإذن الإلهيّ. والوليّ يقول بالإلهام مع أنّه القائل:

---

(١) قطعة من حديث، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة، باب: فضل عيادة المريض،٢٧٢١، بلفظ: «إنّ الله عزّ وجلّ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال يا ربّ، كيف أعودك وأنت ربّ العالمين؟. قال: أما علمت أنّ عبدي فلان مرض ولم تعده، أما أنّك لو عدته لوجدتني عنده. يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب، كيف أطعمك وأنت ربّ العالمين؟. قال أما علمت أنّه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقُني. قال يا ربّ، كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين. قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنّك لوسقيته وجدت ذلك عندي». كما أخرجه البخاريّ في الأدب المفرد، وذكره الألبانيّ في صحيح الأدب المفرد، باب: عيادة المريض، ٥١٧/ ٤٠٢.

ولم أقـــــــلْ جَزَعـــــــــاً يـــــا أزمـــــةُ انفرجـــــي[1]

يعني: من جهة الجزع؛ وهو عدم الصبر، وكون (**وصف الضرِّ ذاتياً له**): أي لا ينفك عنه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٣] أي: حال كوننا مبتلين له. والابتلاء: هو وصف الضُّرّ. وفي الحديث: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل»[2] أي: الأقرب فالأقرب من ميراث الأنبياء في العلوم والأخلاق. وقوله(**عن عناء**): أي عن تعب ومشقّة؛ وهو الاكتساب الذي نال به مقام ولاية الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٦٩]، وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٢] بخلاف النبوة؛ فإنّها لا تحصّل بالاكتساب. وقوله (والكلام الحَيُّ): وهو الصدق من الأحوال إذا تحدّث به في نفسه عن نفسه فهو(لَيْ) بفتح اللام وسكون الياء، أي: صار ليّاً، بالتشديد، أي: كذباً عنده لاحتجاجه برؤيته عن شهود ربّه؛ فالكامل من أراه الله تعالى حقيقة أمره، فوجد المؤمن أسماء لله سبحانه، والوليّ والشهيد كذلك، فاستغنى بربّه عن من سواه قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٩٦] وكلّ من وجد سواه في نفسه أو غيره فهو مؤمن ناقص الإيمان، ووليّ مدَّعي الولاية، وشهيد لا شهود له.

٧- كَهِـــلاَلِ الـــشَّكِّ لَـــوْلاَ أَنَّـــه أَنَّ عَيْنِـــي عَيْنَـــهُ[3] لَـــمْ تَتَـــأيْ[4]

شبّه كُلّه بالهلال، ونور الهلال مستفاد من نور الشمس؛ بل لا نور للهلال في نفسه أصلاً، وإنّما هو كالمرأة المجلوَّة، يظهر فيه نور الشمس بتجليها عليه، وبعضُه

---

(١) انظر قصيدة ما بين معترك الأحداق، البيت السابع.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، عن فاطمة بنت اليمان، أخت حذيفة، ٧٤٨٢. كما أخرجه البزّار بهذا اللفظ في مسند سعد بن أبي وقّاص، باب: ومما روى سمّاك بن حرب، عن مصعب عن أبيه، ١١٥٠.

(٣) في (ق) عَيْنُهُ.

(٤) في (ق): يتأتي

يحتجب عنها بكرة الأرض التي هي بمنزلة النفس المرتفعة، فإذا ارتفع الهلال عنها، وبقيت الأرض في مركزها الأصلي استفاد منه مقابلة الشمس زيادة نور، فصار بدراً. وأمّا/ [٣٩/ أ] وأمّا (**هلال الشكّ**): فهو الذي تتحدّث به الناس، ويختلفون في رؤيته، فلا هو مقطوع بوجوده وظهوره، ولا مقطوع بعدم وجوده وعدم ظهوره. وكذلك حال هذا السالك في ظهور تجلّي ربّه عليه، لا مقطوع بوجوده ـ لأن الوجود ليس له وإن ظهر به ـ ولا مقطوع بعدم وجوده، لظهور الوجود به عليه. ثمّ قال (**لولا أنّه**): أنّ بتشديد النون، من الأنين، وهو إظهار الشكاية والتوجّع وهو الضرّ الذاتي الذي مسّه بسبب الابتلاء بالتكاليف الشرعيّة المتوجّهة عليه بنسبة الوجود إليه، وظهور حكم النفس لإقامة الأحكام التي كلّفه بها ربّه فهو يئنّ لثقلها؛ لأنّها القول الثقيل الذي قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [٧٢/ المزّمّل/ ٥] وهي أمانة التكليف التي حملها الإنسان. ثمّ قال: (**عَيني عَينه لم تَتَأيْ**): فعينه بالنصب، مفعول تتأي. و(**تتأيْ**): أي تقتصد وتتعمد رؤية شخصه. يعني: لولا أنينه بما ذكرنا ما قصدت، ولا تعمّدت عيني عينه، أي: شخصه وذاته.

وحاصله أنّه لا يراه الرائي في حاله وطوره إلا في وقت قيامه بما كلّفه الله تعالى به من الأحكام الشرعيّة. وأمّا في غيرها فهو غائب، مدهوش، فانٍ، مضمحل، ممحوق في نور الوجود الحقّ.

٨- مِثْلَ مَسْلُوبِ حَيَاةٍ مَثَلاً   صَارَ فِي حُبِّكُمُ مَلْسُوبَ حَيّ

(**مسلوب الحياة**): هو الميت، والسالك ميت لظهور الحياة الإلهيّة له، وهو الموت الاختياري الذي وردت الإشارة إليه بقوله عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا»[1] أي: اكشفوا عن موتكم اختياراً قبل أن يُكشف لكم عنه اضطراراً.

---

(١) قال السخاويّ في المقاصد الحسنة، حرف الميم، ج١ ص٢٢٨: حديث: موتوا قبل أنْ تموتوا، قال شيخنا: إنّه غير ثابت. وقال العجلونيّ في الكشف، المجلد الثاني ص٢٩١: وقال القاري: هو من كلام الصوفيّة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٠] ولكن دعوى الحياة منعت من ظهوره للعبد، ولم يقطع بموته، وإنّما قال: (**مثل مسلوب حياة**) لقيامه بالحياة الإلهيّة؛ فهو مثل الميت، كما أنّ الميت يُسأل في قبره، ويجيب، وينعم، ويعذّب؛ فهو حيّ بالحياة الإلهيّة، وهو ميّت بلا شبهة. ثمّ قال (مَثَلاً) بالحركات. (**صار في حبّكم**): أي صار مثلاً في محبّتكم يضرب به المثل فيها بين الناس. (ومَلْسُوب): بتقديم اللام على السين، أي: ملدوغ. (حَيّ): هو ذَكَر الحَيَّات، يعني: موته بسبب لدغ الحيّة الذَكَر له؛ وهي روحه المنفوخة فيه من أمر ربّه. ولدغها: غلبة حكمها على جسمانيّته بحيث ظهر له قيامه بها، فبطل حكم قيامه بنفسه، كما قال تعالى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧]، أي: لا بنفوسهم لبطلان نفوسهم عندهم، وانكشاف حكم تصرّف الحقّ فيهم.

٩- مُسْبِلاً لِلنَأْيِ طَرْفاً جَادَ إنْ ضَنّ نَوْءُ الطَّرْفِ إذْ يَسْقُطُ خَيّ

إسبال الطرف: هو إرسال العين بالدمع من كثرة البكاء بحيث يجود ويكفي. (إنْ ضَنّ): بالضاد المعجمة، أي: بَخِلَ. (نوء): أي سقوط كوكب وطلوع كوكب آخر يقابله.

و(**الطَّرْف**) كوكبان معروفان يَقْدُمان الجهة، وسمِّيا بذلك لأنّهما عينا الأسد ينزلهما القمر. (وخَيّ): بالخاء المعجمة وتشديد الياء: مصدر خَوَي النجم خَيّاً: أَمْحَل ولم يمطر؛ فهو مصدر بمعنى اسم الفاعل، أي: خاوياً. يعني: إذا بخل المطر فلم يَجُد بهطله جاد دمعه.

وحاصله: إنّ هذا المحبّ فاضت بمياه الحياة عيون قلبه على أراضي نفوسهم بالفيض الإلهيّ؛ فهو ممن تحيا به القلوب، وتنكشف بأنوار أسراره ظلمات الغيوب.

١٠- بَيْنَ أَهْلِيْهِ غَرِيْباً نَازِحاً وَعَلَى الأَوْطَانِ لَمْ يَعْطِفْهُ لَيّ

فغربته بين أهله ونزوحه، أي: بُعده عنهم، كناية عن تحقّقه في نفسه بالحيّ القيّوم، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] فهو تعالى

قيّوم عَلِيّ/ [٣٩/ ب] النفوس كلّها بإخراج ما هو لها من التقادير عليها من كسب الخير وكسب الشرّ، فإذا تحقّق بالقيّوميّة ارتحل من عالم أهله، وبَعُد عنهم، فصارغريباً وهو بينهم، ومع ذلك هوعلى الأوطان الأصليّة التي كان فيها قبل ظهوره في عالم الكون، وهي حضرة الكلام الإلهيّ، وحضرة العلم الربّانيّ قبل حضرة اللوح المحفوظ، والقلم الأعلى؛ وهي المكنّى عنها بالأوطان، لأنّه كان فيها ولم يزل فيها، ولكنّه غائب عنها. (**لم يَعْطِفهُ**): أي يميل به. (**لَـيّ**): بفتح اللام وتشديد الياء، مصدر لَواه إليه لَيّاً إذا عطفه.

وحاصله: إنّه خرج من عالم أهله وأمثاله من البشر، ولم يدخل في عالم الغيب على التمام لبقاء أثر البشريّة عليه.

١١- جَامِـحاً إنْ سِيْمَ صَـبْراً عَـنْكُمُ وَعَلَـيْكُمْ جَانِحـاً لَـمْ يَتَـأي

(**جامحاً**): ممتنعاً من الجموح، وهو الامتناع. (**إن سِيم**): كبيع مبني للمفعول، من سامه الأمر كلّفه أياه. يعني: إن كلّفه أحد. (**صبراً عنكم**): جمح أي امتنع من ذلك، فهو لا يصبر عنكم أبداً، وكيف يصبرعن بُدِّه اللازم الذي لا بدّ له منه. و(**عليكم**): متعلّق بالصبر قبله. و(**جانحاً**): مائلاً، من جنح إليه: مال. فالصبرعنهم تركهم، والصبرعليهم تحمل مشقّاتهم. يعني: إذا طُلِب منه الصبر عنكم فإنّه يمتنع من ذلك، وإن طلب منه

الصبرعليكم يجنح إليه ويميل. وقوله (**لم يتأي**): فعل مضارع، من تأييت في الأمر: إذا تثبت فيه. يعني: لم يثبت[1] ولم يتأخّر عن ذلك المطلوب منه، وهو الصبر على مشقّاتكم وتكاليفكم التي تكلّفونه بها وإن أتعبته، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [١٩/ مريم/ ٦٥] وذلك لأنّ في عبادته كمال المشقّة؛ لأنّها على خلاف عادات النفوس.

---

(١) قال في القاموس: «تأي يتأي كسعى: إذا سبق».

١٢- نَـشَرَ الكاشـحُ مـا كـان لـه   طـاويَ الكَـشْحِ قُبيـلَ النـأيِ طَـيّ

(الكاشح): هو مُضمِر العداوة، كناية عن شيطان الأغيار القائم في طبيعة النفس الإنسانيّة. و(النشر): ضدّ الطَّي. ويقال: طوى كَشْحَه على الأمر: أضمره وستره؛ فإنّ شيطان الأغيار الملازم لحكم الطبيعة مضمر العداوة لكلّ إنسان يحمله على الامتناع عن المنافع الأخروية، والمقاصد التوحيديّة، ويأمر بالشهوات، ويسوق إلى الشبهات، وقد انكشف أمره لديه. وتحقّق أنّه ساعٍ في إلقاء الضرر والأذى عليه. وهذا الكشف حصل له من عين شيطان هاتيك الأغيار ؛ فانقلبت حقائقها له، وظهرأنّها حِكَم وأسرار، فقال بسبب ذلك (نَشَرَ الكاشح). وقوله: (قُبَيْل): تصغير قَبل، لتقليل مدّة تلك الغيريّة المقتضية للبعد عن حضرة المحبوب. و(النأي): البعد؛ فإنّ إضماره للعداوة كان في حال قربكم منِّي، أي: كان مهيّأً لي بصلوح غيريته قبل إدراكي لنفسي ولغيري؛ فإنّه كما ورد في الخبر: «إنّ كلّ مولود يولد على الفطرة»[1] وقال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [٣٠/ الروم/ ٣٠] ثمّ لّما حصل البعد بادر بإدراك الأغيار نشر كاشح الأغيار ما كان مضمره، وكان طاوياً كشحه عليه طيّاً.

١٣- في هـواكمْ رَمَـضانٌ عُمْـرُهُ   يَنقَـضِي مـا بـين إحيـاءٍ وطَـيّ

يعني: في محبّتكم شهر رمضان الذي هو عمره كلّه؛ لأنّه صائم في عمره كلّه عن رؤية الأغيار اشتغالاً بتلقّي فيض التجلّيات على قلبه ببدائع الأسرار. قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [٢/ البقرة/ ١٨٥] فما نزل القرآن إلا بالصوم عن الأغيار، والأغيار أسرار تحت حُجُب الأوهام، فإذا زالت الأوهام نفذت الأفهام. و(الإحياء): بكسر الهمزة، مصدر أحيا الليل: إذا سهره. و(الطيّ): مصدر طوى: إذا لم يأكل شيئاً. فأخبر أنّه في ليل غفلته، إذا دخل عليه

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، ١٣١٩.

سهر في الطاعة، وفي نهار يقظته: إذا ظلّه/ [٤٠/ أ] طوى فلم يأكل ولم يشرب، وإنّما يطعمه ربّه ويسقيه، كما أكل ناسياً وهو صائم، فقال عنه صلّى الله عليه وسلّم: «إنّه أطعمه ربّه وسقاه»[1] وهذا أولى من الناسي في ذلك.

١٤- صَادِياً شَوْقاً لِصَدًّا طَيْفِكُمْ جِدَّ مُلْتَاحٍ إلى رُؤيَا وَرَيّ

(الصادي): الظمآن، وسبب الظمأ أنّه شرب من البحر المحيط الذي ليس لموجه غطيط، وهو بحرالتوحيد بعد فناء الأغيار، وظهور المتجلّي الحقّ بجميع الآثار. فإنّ هذا البحر كل من شرب منه لا يزال إليه ظمآنَ وإن كان به ملآنَ. وسببه تراكم الأشواق على قلبه، واستيلاء معاني العشق على لبّه. وقوله (لِصَدًّا): بتشديد الدال المهملة، هو اسم بئر عذبة الماء. و(الطيف): هو صورة المحبوب التي يراها العاشق في منامه، وقد ورد في الحديث: «الناس نيام»[2] ففي الدنيا كلّ صورة يراها المحبّ فهي طيف خيال محبوبه، خيَّلها له منامه بحسب طبعه والغالب على مزاجه؛ فلوعرف نفسه لعرف أنّ كلّ صورة يدركها في ظاهره أو باطنه صورة ربّه، تجلى بها عليه منه بحسب استعداده، والمتجلي الحقّ على ما هو عليه من إطلاقه وتنزهه عن تلك الصور كلّها. ومن لطائف الشعر قول بعضهم في العِذار على وجه الاعتذار:

أعد نظراً فما في الخدّ نبتٌ رعاه الله من ريب المنون
ولكن رقّ ماءُ الخدِّ حتى رأيتَ خيالَ أهدابِ الجفون

وقوله (جِدَّ): بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة مفتوحة، مصدر جَدَّ يجِدُّ: إذا

---

(١) قطعة من حديث، رواه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الأيمان والنذور، باب: إذا حنث ناسياً في الأيمان، ٦٦٦٩.

(٢) قال الألبانيّ في سلسلة الأحاديث الضعيفة: «أورده الغزاليّ مرفوعاً إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال الحافظ العراقيّ وتبعه السبكيّ: لم أجده مرفوعاً، وإنّما يعزى إلى عليّ بن أبي طالب» انظرسلسلة الأحاديث الضعيفة للألبانيّ، ١٠٢، ج١ ص١٧٩.

اجتهد. و(**المُلْتاح**): العطشان، أي: هو يجِدُّ جِدَّ ملتاح إلى رؤيا، على وزن رجعى، وهو ما تراه في منامك. و (**الرِّي**): بفتح الراء وتشديد الياء، قال في المصباح: «رَوِيَ من الماء يَرْوَى رَيّاً، والاسم: الرِّيّ بالكسر». يعني: أنّه مجتهد غاية الاجتهاد، كاجتهاد العطشان إلى رؤيا يراها، فيرى طيف خيال محبوبه ويرتوي من عطشه فلا يمكنه الرِّيّ، فهو دائماً على هذه الحالة، ولا دواء له غير الفناء والاضمحلال بالكلِّيَّة والاستحالة.

١٥ - حَائِراً فِيمَا إليه أَمْرُهُ حَائِرٌ وَالمَرْءُ في المِحْنَةِ عَيّ

(**حائراً**): حال من الصبّ المتقدّم ذكره. والحائر اسم فاعل من حَارَ يَحَارُ حَيْرة: إذا لم يهتدِ لسبيله. (**فيما**): أي في الذي إليه أمره. (**حائر**): اسم فاعل أيضاً، ولكن من الحَوْر، وهو الرجوع. يعني: متحيِّراً فيما أمره إليه راجع، أي: في ماذا تكون نهاية أمره؛ فهل يُختم له بالسعادة أو بالشقاوة، فإنّ حُسْن الخاتمة أمر مُغيَّب، وإنْ كان الأصل بقاء ما كان على ما كان ما لم يطرأ أمرٌ آخر، وهو الذي قطع قلوب الصدِّقين حتى قال قائلهم:

مُنىً إن تكن حقّاً تكن أحسن المُنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رَغَداً

وقوله: (**والمَرء**): الرجل، بفتح الميم، وضمّها لغة، كذا في المصباح. (**في المِحْنة**) بكسر الميم وسكون الحاء المهملة. قال في المصباح: «مَحَنْتُه مَحْناً، من باب نفع: اختبرته وامتحنته كذلك، والاسم المِحْنة، والجمع مِحَن، مثل سِدْرة وسِدَر» انتهى. و(**عَيّ**): بفتح العين المهملة وتشديد الياء. قال في المصباح: «عَيِيَ يَعْيا، من باب تعب، عِيّاً: عجز، ولم يهتدِ لوجهه، وقد يدغم الماضي فيقال عيَّ، فالرجل عَيّ وعَيِيٌّ، على فَعْل وفَعِيل» انتهى. يعني: أنّ الرجل عاجز عن حال الامتحان والاختبار، كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٧٢] وقال تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٤] فهم على ما يكسبونه من الخير أوالشرّ غير قادرين، فكيف يقدرون على ما لا يكسبونه، وهذا سبب حيرته

في منتهى أمره، وما لا يؤول إليه حال./ [٤٠/ ب]

١٦- فَكَأَيِّنْ(١) مِنْ أَسَىً أَعْيَا الإِسَا(٢)   نَـــال لـــو يَغْنِيـــهِ قَـــوْلِي وَكَـــأَيِّ

(**كأي**): أصلها أيّ، بتشديد الياء، دخلت عليها الكاف فصارت بمعنى كم، والنون تنوين أُثبت في الخط على غير قياس، وهي خبريّة. (**ومن أسىً**): بيان لها، والأسى بالفتح: الحزن. يعني: كم من حزن لهذا الصبّ. (**أعيا**): أي أتعب. (**الإسا**) بكسرالهمزة، جمع آسي، بمدّ الهمزة، على وزن فاعل؛ وهو الطبيب. والمشهور أنّ الأُسى بضمّ الهمزة، أصله أُساة كقضاة، ثمّ حُذفت الهاء منه، قال في القاموس: «والآسِي الطبيب، وجمعه كقضاة وظباة». يعني: كم من حزن في طريق المحبّة والعشق أتعب الأطباء فلم يجدوا له دواء. (**نال**): بالنون، أي: الصبّ المذكور. يعني: أصابه. (**لو**) حرف تمنٍّ بمعنى ليت. (**يغنيه**): بالغين المعجمة، أي: يصير مُغنياً له. يعني: مفيداً له فائدة، أو مخففاً عنه شيئاً من حزنه. (**قولي**): حكاية عنه. (**كأي**): فيه رد العجز على الصدر، وفيه الاكتفاء. يعني: قولي وكأي من أسى أعيا الإسى نال؛ فإنّ شكوى حال الحزين يخفف عنه بعض ما يجد، كما قال الشاعر:

ولا بـدّ مـن شـكوى إلى ذي مـروءة   يواســيك أو يــسليك أو يتوجّـــع

وأما حال هذا المحبّ فلا تغني الشكوى عنه شيئاً، فإنّ محبوبه حاجبه عنه، مع أنّه ساكن منه في الفؤاد، وحبّه له ملّته ودينه، فلا يمكنه تركه، وهو دائماً في الازدياد.

١٧- رَائِيـــاً إِنْكَـــارَ ضُرٍّ مَـــسَّهُ   حَـــذَرَ التَعْنِيْـــفِ فِي تَعْرِيـــفِ رَيّ

(**رَائِياً**): حال من الصبّ المتقدّم ذكره أيضاً، وهو مشتق من رأى في الأمر رأياً، والرَّأي: العقل والتدبير، كذا في المصباح، أي: استقر في رأيه وتدبيره. (**إنكار**

---

(١) في (ق): كأيّ.

(٢) في (ق): الأُسا.

ضُر): بضمّ الضاد المعجمة، اسم بمعنى الفقر والفاقة، وبفتحها: مصدر ضَرَّه يَضُرُّه، من باب قتل: إذا فعل به مكروهاً، يتعدَّى بنفسه ثلاثياً، وبالباء رباعياً. وقال الأزهري: كلّ ما كان من سوء حال وفقر وشِدَّة في بَدَن؛ فهو ضُرّ، بالضمّ، وما كان ضدّ النفع فهو بفتحها، وفي التنزيل: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٨٣] كذا في المصباح. (مسّه): أي أصابه. (حَذَرَ): بفتح الذال المعجمة بين الحاء المهملة والراء، وهو مفعول من أجله، تعليل لإنكار الضرّ. يعني: مخافة التعنيف، والتعنيف: اللوم له من العواذل على المحبّة التي كانت سبب مسّ الضرّ له، قال في المصباح: «عَنَّفَه تَعْنِيْفاً: لامَهُ وعَتَبَ عليه». (في تعريف): مصدر عرّفته ـ بتشديد الراء ـ به فعرفه، قال في المصباح: «عَرَفْتُه عِرْفة» بالكسر ـ وعِرفاناً: عَلِمْتُه بِحَاسَّةٍ من الحَواسِّ الخمس، والمَعْرِفة: اسم منه، ويتعدّى بالتثقيل، فيُقال: عَرَّفْتُه به فَعَرَفه» انتهى. و(رَيّ): بفتح الراء وتشديد الياء، أصله: رَيّاً، يقال: رجل رَيّان وامرأة رَيَّا، من الرِّيّ ضدّ العطش، وفيه اكتفاء بحذف الألف. يعني: في وقت ذكره لمحبوبته، وتعريفه لها حتى يعرفوها.

والحاصل: إنّه يرى في رأيه وتدبيره أنّه ينكر ما يصيبه من البلاء في طريق المحبّة الحقيقيّة التي عنده للحقّ تعالى مخافة اللوم والتعنيف الذي يكون له من العواذل الجاهلين الغافلين المحجوبين بوساوس الشياطين المستولية على قلوبهم فيرذلون أهل الله ، وينكرون عليهم، ويحتقرونهم جهلاً منهم، ويوقعون تُهمة أهل الله في قلوب بعضهم بعضاً، فيرمونهم بالفواحش والقبائح مع براءتهم من ذلك، خصوصاً إذا عرّفوهم بمن يحبّونه من صور التجلّيات الإلهيّة والمظاهر الربّانيّة.

١٨ - وَالـذِي أَرْوِيْـهِ عَـنْ ظَـاهِرِ مَـا ... بَـاطِنِي يَزْوِيْـهِ عَـنْ عِلْمِـيَ زَيّ

(الذي): مبتدأ. و(أَرْوِيْه): أي أنقله لكم، وأذكره من جميع ما تقدّم من الأحوال وغيرها. (عن ظاهر): الجار والمجرور متعلّق بواجب الحذف في موضع

رفع خبر المبتدأ. (ما): أي/ [٤١/ أ] الذي. (باطني يَزويه): بزاي معجمة، مضارع زَوَيَ، يُقال: زَوَيْتُهُ أَزْوِيه زَيّاً جمعته، وزَوَيتُ المالَ: قبضته، كذا في المصباح. وزَيّ بفتح الزاي وتشديد الياء: مصدر مؤكِّد للفعل. و(عن عِلمي): متعلّق بيزويه. يعني: جميع ما أذكره لكم من المعاني الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة إنّما أرويه، لا اختراع لي فيه عن ظاهر الأمر الذي باطني يجمعه، ويحويه عن علمي بالله الذي لا ينفد أبداً، فلساني يرويه لكم عن الظاهر الذي يظهر لي، يرويه عن باطني، وقلبي، ولبّي، وباطني يزويه عن علمي، أي: يجمعه باطني عن علمي بالحقّ تعالى، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

فؤادي عند معلومي مقيم يناجيه وعندكم لساني

١٩- يَا أُهَيْلَ الوُدِّ أَنَّى تُنْكِرُوْ نِي كَهْلاً بَعْدَ عِرْفَانِي فُتَيّ

(يا أُهَيْل): تصغير أهل، للتعظيم. ([الوُدّ] والوِداد): الحُبّ، ويثلّثان، كذا في القاموس. وهو من تجلِّي الاسم الودود. (أَنَّى): بفتح الهمزة وتشديد النون مفتوحة، وبعدها ألف مقصورة. بمعنى كيف، والاستفهام للتعجب. وقوله (تنكروني كهلاً): أي حال كوني في سنّ الكهولة. والكَهْلُ من وَخَطَه الشيب، أو من جاوز الثلاثين إلى إحدى وخمسين. وإنكارهم له إضعافهم لقواه الظاهرة والباطنة، وقلّة إمدادهم له في قواه الجسمانيّة، كأنّهم معرضون عنه، وقاطعون عنه ما عوَّدوه عليه بعد. (عرفاني فُتَيّ): بضمّ الفاء وفتح التاء المثنّاة، وتشديد الياء تصغير فتى، وهو الشابّ. والتصغير للتعظيم. يعني: بعد ما كنتم تعرفوني شابّاً، فكنتم تمدّونني بالقوى في ظاهري وباطني. وقال ذلك لأنّه كان وهو شابّ يقوى على حمل مشاقّ محبّتهم، ويقوم في خدمتهم، وامتثال أوامرهم، واجتناب نواهيهم على أبلغ وجه وأكمل حال. فلمّا كَبُرَ وشاب ضَعُفَ عن ذلك، وعَجَزَ عن تمام الخدمة، فهو يخاف أن يكون ذلك إنكاراً منهم له، وهضماً لجنابه عندهم. واعلم أنّ السالك في

بمدية أمره إذ فتح الحقّ على قلبه أنوار العرفان يكشف له من أسرار الوجود الحقّ ما يخفي عن بصره وبصيرته صور الأكوان فيعود فرحاً مسروراً، ويتعشّق بشهود الحقّ فوزاً فوزاً، وهذه الحال المُعبّر عنها في هذا المحلّ بحالة الفتيان، ومقام المعرفة، فإذا دأب على هذه الحالة، ودام في مكابدتها شعر المحبّ ببقاء نفسه وثبوت جنسه، ومرور يومه عليه، وغده وأمسه، فيدهم الرسم، ويضمحل الوسم، ولا يبقى إلا الحقّ الباقي، فيتوجّه عليه لسان الإنكار الشرعي الواقي، ويكون محفوظاً من الأغيار في جميع الأطوار، وتصير حسناته الأولى عنده سيئات، كما قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين». فالتقوى عنده ترك التقوى؛ لأنّها كانت عنده حاله الأولى بنفسه، وهي إنّما هي في نفس الأمر بربِّه، فيترك التقوى بنفسه، فيجدها بربّه، ويترك الورع بنفسه، فيجده بربّه، ويترك الزهد بنفسه، فيجده بربّه. وهكذا جميع العبادات والطاعات، بحيث يصير عنده التَّرك هو العبادة، والفعل شرك؛ وهذا إنكارهم له وهو كهل بعد معرفتهم له وهو فتى من الفتيان.

٢٠- وَهَــوَى الغَــادَةِ عَمْــرِي عَــادَة   يَجْلُــبُ الــشَّيْبَ إلى الــشَّابِّ الأُحَــيّ

(**هوى**) بالقصر، المحبّة والعشق. (**والغادة**): بالغين المعجمة، المرأة الناعمة [اللينة] البيّنة الغَيد. وغَيِدَ كفَرِح: مالت عُنُقُه، ولانت أعطافه، كذا في القاموس، وذلك هو المحبّة/ [٤١/ ب] الكونيّة للمحبوبة الإنسانيّة. وقوله (**عَمري**): العَمْر، بفتح العين المهملة، وبالضمّ، وبضمّتين: الحياة، كما في القاموس. أي: أقسم بعمري، أي: بتعمير الله تعالى، أوعمري قسمي، أو عمري الله، أي: بإقراري بحياة الله تعالى. وقوله (**عادة**): أي ديدن وطبيعة في كلّ أحد، وهو خبر المبتدأ. يعني: إنّ محبّة المليحة الحسنة أمر اعتاده كلّ إنسان. ثمّ حلف عليه بقوله عَمري لإنكار بعض المحجوبين لذلك، وزعمهم أنّهم لا يقع لهم ذلك ولا لأمثالهم من زيادة التقوى. وقد يقال: إنّ قوله عَمري، أي: طول عمري فيكون ظرفاً لهوى الغادة.

وقوله (**عادة**): أي لي. وقوله (**يجلب الشيب**): أي يقتضي بياض السواد، فمنتهاه إذا هدى الحقّ تعالى فيه العبد، واعتنى به كشف له عن سواد الأكوان، وظلمة الأعيان، فبان له بياضها بنور التجلّي، وفنيت الأغيار، فاتضحت الأسرار. وقوله (**إلى الشابّ الأُحَيّ**): بضمّ الهمزة وفتح الحاء المهملة، وبتشديد الباء: تصغير الأحوى؛ وهو الأسود الشعر، فإذا ابيضّ عنده سواد الأكوان ابيضّ عنده سواد نفسه وكلّه بعد ذلك؛ وهو قوله عليه السلام: «اجعل لي نوراً في سمعي، ونوراً في بصري» إلى أن قال: «واجعل لي نوراً واجعلني نوراً»[1].

٢١- نَـصَباً أَكْـسَبَنِي الـشَوْقُ كَـما ... تُكْـسِبُ الأَفْعَـالَ نَـصْباً لَامُ كَـيّ

(**النَّصَب**): بالتحريك، التعب. منصوب على أنّه مفعول ثانٍ مقدّم لأكسبني، والمفعول الأوّل الياء. والتقديم لإفادة الحصر. يعني: ما أكسبني، أي: أفادني الشوق إلى الأحباب إلا نَصَباً، أي: تعباً ومشقّات وافرة. (**كما**): أي مثل ما، وهي مصدريّة، والمعنى: كإكساب. (الأفعال): جمع فعل، وهو الفعل المضارع. (**نَصْباً**) بسكون الصاد المهلة. (**لامُ كيّ**) فاعل تكسب. قال في المتوسط في نواصب الفعل المضارع: كي مثل، أسلمت كي أدخل الجنّة، ومعناها السببيّة، أي: يكون ما قبلها سبباً لما بعدها؛ فإنّ الإسلام سبب دخول الجنّة، وهي ناصبة للفعل المضارع عند الكوفيين، وهو اختيار المصنِّف. يعني: ابن الحاجب. وليس النصب بعدها بإضمار أنْ كما هو مذهب البصريين لدخول اللام عليه كقوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٣٧]. وقال أيضاً في النواصب: «لام كي، نحو: أسلمت لأدخل الجنّة. والنصب بعدها بإضمار أن، وإنّما سُميت لام كيّ لأنها بمعنى كيّ، وإنّما يجب تقدير أن بعدها لكونها حرف جر، وامتناع دخول

---

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه عن أنس، كتاب الدعوات، باب: الدعاء إذا انتبه بالليل، ٦٣١٣. كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ١٨٣٠.

حرف الجر للفعل، فقدّر أن ليكون ما بعدها في تقدير الاسم». انتهى. والمعنى في ذلك أنّ الشوق إلى الأحبّة أكسبني النَّصَبَ والتعب والمشقّة مثل ما أكسبت لامُ كي الأفعالَ المضارعة النصبَ، وفي نفس الأمر ما أكسبني ذلك النصب التعب إلا الأحبّة لا الشوق إليهم، لأنّه منهم، وأثر من آثارهم، والأثرلا أثر له كما أنّ لام كي ما أكسبت الأفعال النصب؛ وإنّما الناصب أن مضمرة بعد لام كي، ولام كي لم تنصب، بنفسها ولكن نسب إليها النصب للأفعال، كما نسب النصب والتعب للشوق، وفي نفس الأمر الفاعل المؤثر مضمر، وجميع أفعال العباد من هذا القبيل في الخير والشرِّ، والنفع والضُّرّ، فتصح النسبة، ويمتنع التأثير، وهذا عقد أهل التوحيد قاطبة.

٢٢- وَمَتَـى أَشْـكُو جِرَاحـاً بِالحَـشا زِيْـدَ بِالـشَّكْوَى إِلَيْهـا الجُـرْحُ كَـيْ

(متى): اسم شرط. و(أَشْكُو): فعل الشرط مجزوم بحذف الواو، وإنّما لم تحذف لأن الضمّة لّما أشبعت لضرورة الوزن تولّدت الواو. (جراحاً): مفعول أشكو. والجِراح بالكسر، جمع جراحة. وقوله (بالحَشا): الباء ظرفيّة، أي: في الحَشا. والحَشا ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال/ [٤٢/ أ] أو كرش وما تبعه، أو ظاهر البطن والحِضْن، كما في القاموس. يعني: كلّما شكوتُ إلى المحبوبة ألم الجراحات التي في باطني أو في ظاهري من مقاساة حبّها وعشقها. (زِيد): فعل ماض مبني للمفعول، وهو جواب الشرط . وقوله (بالشكوى): متعلّق بزيد، والباء للسببيّة. و(إليها): أي إلى المحبوبة. و(الجُرْحُ): بضمِّ الجيم، ونائب الفاعل لقوله زيد. قال في القاموس: «جَرَحَه كمَنَعَه، والاسم الجُرح بالضم». و(كَيْ): مفعول ثان لزِيد. والوقف عليه بالسكون لغة، وهو اسم مصدر، والمصدر في البيت الذي بعده؛ فلا إبطاء. وحاصل المعنى: أنّ هذه المحبوبة كلّما شكوت إليها ما ألاقيه في طريق محبّتها ولو بلسان حالي دون لسان مقالي زادتني كيّاً وحرقة على ما أنا فيه من الكيّ والحرقة؛ لأنّ الشكوى منبئة عن دعوى الوجود معها، وهي

تغار أنْ يكون معها في الوجود غيرها؛ وإنّما كانت الأوجاع والآلام والحرقات قبل الشكوى لإزالة دعوى الوجود من المحبّ مع المحبوبة فإذا أوجبت الشكوى من ذلك إذ مقتضى دعوى الوجود من المُحبِّ فزادته المحبوبة مما شكى منه لتكون زيادة منها في مقابلة زيادة منه. قال أبو القاسم الجُنيد قدّس الله سرّه: «ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتها وأنا مارّ في بعض الطرقات، وهي:

إذا قلتُ أهدى الهجْـرُ لي حلـلَ البِلى	تقـولين لـولا الهجْـر لم يطـب الحـبُّ
وإنْ قلتُ هذا القلـبُ أحرَقَـه الجَـوَى	تقـولي بنـيرانِ الجَـوَى شَرُفَ القلـبُ
وإنْ قلـتُ مـا ذنبـي إليـكِ أجبْتِنـي	وجـودُكَ ذنـبٌ لا يُقـاس بـه ذنـبُ

٢٣- عَـيْنُ حُـسَّادِي عَلَيْهـا لِي كَـوَتْ	**لا تَعَـدَّاها أَلِـيمُ الكَـيِّ كَـيْ**

(**الحُسَّاد**): جمع حاسد، قال في القاموس: «حَسَدَهُ الشَيءَ وعليه، يَحْسِدُه: تمنَّى أن تتحول إليه نِعْمَتُهُ وفضيلَتُه، أو يُسْلَبَهُما، وهو حاسِد، وجمعه: حُسَّد وحُسّاد وحَسَدَه». وقوله (**عليها**): أي على المحبوبة، حيث شرّفني الله تعالى بحبّها. (**لي كوت**): أي تلك العين. يعني: آذت وأنكت بكثرة نظرها إليَّ بعين البغض والعداوة، وهي عين الشيطان المقارن له ولغيره أيضاً؛ فإنّه لا يريد للإنسان نعمة وفضيلة تكون له من الله تعالى؛ فهو يراقب الإنسان، خصوصاً السالك في طريق العرفان؛ فإنّه عدوّه الأكبر، يتعرّض له لسلب حاله، فلا يقدر، لحمايته بالإخلاص، كما قال تعالى: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [٣٨/ ص/ ٨٢-٨٣]. وقوله (**لا تعداها**) : أي لا تجاوزها. يعني: لا تجاوز عين الحسّاد. (**أليم**): أي مؤلم، فعيل بمعنى فاعل. (**الكيّ**) الذي كوتني به. وقوله (**كَي**): مصدر مؤكّد لقوله (**لي كوت**): أي كوت لي كيّاً. يعني: آذتني أذىً بليغاً، والوقف عليه بالسكون لغة. وجملة (**لا تعدّاها أليم الكَيّ**) جملة معترضة بين المصدر وعامله للدعاء على الحُسّاد.

٢٤- عَجَباً في الحَرْبِ أُدْعَى بَاسِلاً وَلَهَا مُسْتَبْسِلاً في الحُبِّ كَيّ

(عجباً): مفعول مطلق منصوب بفعل محذوف، تقديره: أَعْجَبُ عَجَباً. و(الحرب): معروفة، مؤنّثة. و(أُدْعَى): فعل مضارع مبني للمفعول، أي: أُسمّى باسلاً. والباسل بالسين المهملة الأسد والشجاع. (ولها): أي لهذه المحبوبة، والمراد لأجلها. (مُستبسلاً): اسم فاعل، من اسْتَبْسَلَ: إذا بَسَلَ نفسه للموت، وَطَّنَها عليه، واستبسل طرح نفسه في الحرب ويريد أن يَقْتُل أو يُقْتَل، كذا في القاموس. (في الحُبِّ): أي المحبّة. والكَاءُ والكَاءَة والكَيْءُ والكَيْئَة: الضعيفُ الجبان، كما في القاموس. فخفف الكَيْء بقلب الهمزة ياء وإدغامها في الياء.

وحاصل المعنى: إنّي أعجب من نفسي، أُسمَّى في الحرب شجاعاً يعني: في حرب الهوى، والعشق، والمجاهدة، النفسانيّة، والمكابدة على العبادة الجسمانيّة والروحانيّة، ومع ذلك أُدعى وأُسمّى في محبّة هذه المحبوبة لها جباناً/ [٤٢/ ب] ضعيفاً لا أقوى على ملاقاتها، ولا أقدرعلى مقاساتها، كما قال العفيف التلمسانيّ من أبيات:

يا بديع الجمال فاز محبّ بلذيذ الوصال فيك تهنّا

كيف يرجو الحياة وهو مع الهجر قتيل وعند رؤياك يفنى

٢٥- هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَسَداً صَادَهُ لَحْظُ مَهَاةٍ أَوْ ظُبَيّ[1]

قدّم السمع على الرؤية لأنّه أعمّ إفراداً؛ لأنها رتبة أهل العموم، يسمعون ولا يرون؛ فالكمال عندهم حكايات عن السلف الماضين، ولا يرونه في أحد من أهل زمانهم لبعدهم عن الحضرة الربّانيّة بالحجب الطبيعيّة. والرؤية رتبة الخواص من الناس لا يكادون ينفون الكمال من أحد لما فيه من الكمال، وكنّى بالأسد عن نفسه لزيادة شجاعته في طريق الله تعالى، ومحاربة أعدائه في حرب المحبّة والعشق الربّانيّ

---

(١) في (ق): «هل رأيتم أو سمعتم...».

من: النفس، والطبيعة، والشهوات، وزخارف الدنيا، وعقبات العلوم، ووساوس الشياطين من الأنس والجنّ. وقوله: (صاده): أي صاد ذلك الأسد، فوقع في حبالات تجلّياته، وخيالات تنزيلاته، وذلك هو المكنّى عنه بـ (لَحْظُ): أي ملاحظة. (مَهَاة) بالفتح: البقرة الوحشيّة، أو لحظ، أي: ملاحظة. (ظُبَيْ): بضمِّ الظاء المعجمة وفتح الباء: تصغير ظبي، صَغَّرَه للتعظيم. والظَّبِيّ: الغزال. كنّى بذلك عن المحبوبة الحقيقية، كما يُكَنُّون عنها أيضاً بليلى وسعدى ولبنى وميّ، ونحو ذلك من محبوباتهم العرب المشهورات لتجلِّيها وانكشافها بهذه الصور الحسان مع فناء الصور كلِّها، واضمحلالها وانمحاقها إذا ظهرت أنوار هذه المحبوبة الحقيقيّة عند العارف بالله ، المحقّق مما لا يعرفه ويتحقّق به إلا أهل الذوق والشهود القائمون بتحقّق وحدة الوجود، ومن هذا المشرب قول عفيف الدين التلمسانيّ؛ فإنّه بُلبل هذا الدوح العرفاني:

نظـــرت إليهـــا والمليـــح يظنّنـــي ... نظرت إليـه لا ومبـسمها إلا لُـمَيْ

ولكــن أعارتــه للحــسن وصــفها ... صـفات جمـال فـادّعي ملكهـا ظلـماً

٢٦- سَـــهْمُ شَـــهْمِ القَـــوْمِ أَشْوَى ... سَـــهْمُ أَلْحَـــاظِكُمُ أَحْـــشَايَ شَيْ

(السهم): واحد السهام، وهي النَّبْل. (والشَّهْم): بشين معجمة، الذكيّ الفؤاد المتوقِّد، من الذكاء والفهم. يعني: إذا رمى سهماً صاحبُ الذكاء والعقل التام من (القوم): أي رجال السلوك في طريق الله تعالى. (أشوى): أي أُصاب، الشوي وهي الأطراف، وما كان في غير مقتل كما قال تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [٧٠/ المعارج/١٦] قال في المدارك: «لأطراف الإنسان كاليدين والرجلين، أو جمع شَوَاة، وهي جلدة الرأس تنزعها نزعاً» انتهى. يعني: إنّ إصابة أهل الذكاء بأسهم أفكارهم، ونبال بصائرهم لظواهر الأكوان وأطرافها فلا يزالون يترددون إذا سلكوا بنفوسم وعقولهم بين صور المحسوسات وصور المعقولات، كما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [٣٠/ الروم/ ٧] وقوله: (وشَوَى): فعل ماض، أي: طبخ وأنضج بحرارة النار. (**سَهْمُ أَلْحاظِكُمْ**): أي نبل عيونكم وهو توجّهه بالحقّ على معرفة نفسه ومعرفة غيره، لا توجّهه بنفسه ولا بعقله، فسهم عيون هذه المحبوبة هو النافذ في تحقيق العرفان، وجعل لها عيون، لاعين واحدة، لما ورد في حديث المتقرِّب بالنوافل: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده، ورجله[1] .. إلى آخره» ففي كلّ مظهر من ذلك عين. فهي عيون، وهي عين واحدة، كما قال في سفينة نوح عليه السلام: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [٥٤/ القمر/ ١٤] لأنّ عينه الواحدة ظاهرة متجلّية بكلّ فرد فرد مما اشتملت عليه السفينة لمّا قيل له: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن / [٤٣/ أ] كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [١١/ هود/ ٤٠] فهي عين، وهي عين كعين الشمس إذا ظهرت من طاقات كثيرة؛ فهي عين واحدة لشمس واحدة، وهي عيون كثيرة لشموس كثيرة. وقوله: (**أَحْشايَ**): جمع حَشَا، وسبق معناه. و(**شَيْ**): مصدر مؤكّد لقوله شوى، أي: شوى شيّاً، بالتشديد، والسكون لغة. ومعنى: شوى أحشايَ شيّاً أحرقها وأفناها، فتحقّقت بعدمي وعدم كلّ شيء في الوجود الحقّ الواحد الأحد.

٢٧- **وَضَعَ الآسِي بِصَدْرِي كَفَّهُ   قَالَ مَا لِي حِيْلَةٌ فِي ذَا الهُوَيّ**

(**الآسي**): بالمدّ اسم فاعل بمعنى الطبيب. (**بصدري**): والعادة أن يمسك يده ليجسّ الشريان، فيعرف داءه من حركة نبضه. وهذا وضع الطبيب يده على صدره ليعرف حياته فضلاً عن معرفة دائه. (**كَفَّه**): أي كلّ كفّه، ولم يضع الأصابع ليختبر هل بقي فيه رمق حياةٍ أم لا، وهو الطبيب الروحانيّ، والكامل الربّانيّ. اختبره هل بقي فيه دعوى غيريّة حتى قال (**ما لي حيلة**): أي لا أقدر على صرفه عن الجهة المتوجسة عليها؛ وهي جهة الغيب المطلق التي معشوقة الأرواح. (**في ذا**): أي هذا. (**الهُوَيّ**): بضمّ الهاء وفتح الواو وتشديد الياء، تصغير الهوى،

(١) انظر تخريجه في الصفحة ص١٤٦.

للتعظيم. والهوى هو المحبّة. يعني: أخذته تجلّيات الحقّ، وتحقّق بالظهور من ذلك النور، وانكشفت الأمور له على ما هي عليه، فزال الحجاب وانفتح الباب.

٢٨- أيُّ شيء مُـبْرِدٌ حَـرّاً شَـوَى   لِلـشَّوَى حَـشوَ حَـشايَ[1] أيُّ شَيْ

(**أيُّ شيء**): استفهام إنكاري بمعنى النفي. (**مُبْرِدٌ**): اسم فاعل من أَبْرَدَهُ: جاء به بارداً، وأَبْرَد له: سقاه بارداً، كما في القاموس. (**حَرّاً**): مفعول مُبْرِد. (**شَوَى**): أي أنضج وحرق. (**لِلشَّوَى**) : أي الأطراف. (**حَشْوَ**): بالنصب وصفاً لقوله (**حَرّاً حَشايَ**): أي ملاء باطني، وما اشتمل عليه باطني كحشو الوسادة: ما يُحشا فيها. وهذا الحَرّ الذي هو حشو الحشا هو حرارة الروح المنفوخة فيه عن أمر الله تعالى؛ وهي القوى الروحانيّة التي قال تعالى﴿ :أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] فهذا الحَر المذكور شامل لأطرافه الظاهرة وأحشائه الباطنة. ثمّ كرّره بقوله (**أيُّ شيْ**): من قبيل رد العجز على الصدر مع الاكتفاء؛ فهو طالب لبرد اليقين الذي يطفئ حرارة الطلب، والتوجّه التام ليطمئنّ قلبه من قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٠] أي: على أي كيفيّة إحياؤك لموتانا. ومراده: انكشاف تجلِّي الحياة الإلهيّة بإحياء كلّي حيّ؛ لأنّه تعالى هو الحيّ لا غير، والكلّ موتى من قوله: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [٣٩/ الزمر/ ٣٠] و﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [١٦/ النحل/ ٢١] فقيل له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٠] فطلب طمأنينة قلبه ببرد اليقين.

٢٩- سَـقَمِي مِـنْ سُـقْمِ أَجْفَـانِكُمْ   وَبِمَعْـسُولِ الثَّنَايـا لي دُوَيّ

(**السَّقَم**): بفتح القاف، وزن جَبَل، هو المرض، و(**السُقْم**) الثاني بسكون القاف وضمّ السين: المرض أيضا، قال في القاموس: «السَقَام كسَحَاب وجَبَل وقُفْل: المرض. سَقِمَ كفَرِحَ وكَرُمَ؛ فهو سَقِيْم». و(**الأجفان**): جمع جَفْن، وهوغطاء العين

---

(١) في (ق): حشاءِ.

من أعلى وأسفل، وهو بفتح الجيم، والكسر فيه حسن أيضاً. وضمير أجفانكم للأحبّة، وهو محبوبة واحدة، ظهرت في كلّ شيء، وعينها واحدة، وعيونها كثيرة. وأجفان تلك العين صورالأكوان المحسوسة والمعقولة، وظهور الضعف في الأجفان من مقتضيات حُسْن العيون وجمالها. وكذلك كسر الجفون من جملة محاسنها، وقد ورد: «أنا عند المنكسرة/ [٤٣/ ب] قلوبهم من أجلي»(١) وإذا انكسر القلب انكسرت الجوارح كلّها، كما أنّه إذا خشع القلب خشعت الجوارح، والأجفان تمنع عن العين لحوق القذى بها، كما أنّ الحوادث تنزيه للحقّ تعالى عمّا لا يليق به، فكلّ ما ظهر من قدرة الحقّ تعالى على مقتضى إرادته مما هو في علمه، تنزيه له وتسبيح وتقديس عما يستحيل عليه من ذلك؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٤٤] فتسبِّح له بأعيانها؛ فهي تسبيح له، وتنزيه، وتقديس. فالمُسبِّح لنفسه هو بها كما قال تعالى في مرتبة الأرواح: ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٦٥-١٦٦]. وقوله **(وبمعسول)**: وهو اسم مفعول من عَسَلْتُ الشيءَ إذا خَلَطْتُه بالعَسَل. كناية عن الزيق الحلو المضاف إلى **(الثنايا)**: وهي جمع ثَنِيَّة، وهي: الأسنان الأربع التي في مقدّم الفم، ثنتان من فوق، وثنتان من تحت. **(ومعسول الثنايا)**: أي المحبوب الذي ريقه ممزوج بالعسل مضاف إلى ثناياه الأربع ، كناية عن ظهور حضرة الأسماء الإلهيّة التي أصولها أربعة: الاسم الحيّ، والاسم العالم، والاسم المريد، والاسم القادر. وهي أركان ظهورالعوالم؛ فإنّ الحيّ يعلم أشياء فيريد إظهارها وهو قادر عليها؛ فتظهر. فإذا ظهرت سالت، فإذا سالت فهي آثار هذه الأسماء، وهي الأكوان، تكون حلوة معسولة عند

---

(١) قال العجلونيّ في الكشف، ٦١٤: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، قال في المقاصد: ذكره في البداية الغزاليّ. وقال القاري عقبه: ولا يخفى أنّ الكلام في هذا المقام لم يبلغ الغاية. قلت وتمامه: وأنا عند المندرسة قلوبهم لأجلي، ولا أصل لهما في المرفوع». انظر الكشف ج١ ص٢٠٢.

السالك المحقّق لتعشُّقه بمن هي له. وقال في هذا المشرب الشيخ الأكبر قدّس الله سرَّه من أبيات له:

فــأبدت ثناياهــا وأومــض بــارق لم أدر مــن شــقّ الحنــادس مــنهما

فجعل الأكوان وميض بارقها، ومغرب مشارقها. وقول (لي دُوَي): تصغير دواء للتعظيم، وقدّم الخبر للحصر. يعني: ذلك دواء مخصوص بي، فهو دواء لي، لا لغيري، من مرضي الذي أنا مريض به، ومثله مَنْ كان مريضاً بمرضه ذلك من المولّهين.

٣٠- أَوْعِـدُوْنِي أَوْ عِـدُوْنِي وَامْطُلُـوا حُكْـمُ دِيْـنِ الحُـبِّ دَيْـنُ الحِـبِّ لَـيّ

(أَوْعِدُونِي): فعل أمر من أوعده في الشرِّ. وقوله (أو): حرف عطف. (عِدُوْنِي): من وعده في الخير، أي: افعلوا بي ما شئتم من خير أو شرّ. وقدَّم الوعيد الذي يكون في الشرّ على الوَعْد الذي يكون في الخير؛ لأنّ الوعيد لا حظ فيه للنفس، فطلبه إيثار لإرادة المحبوب على إرادة نفسه، وهو الرضى بالقضاء، بمعنى المقضي به من حيث هو مقضي به، لا من حيث هو شرّ، فلا يرد أنّ الرضى بالكفر كفر؛ فإنّه لا يكون كفراً إلا إذا رضي به من حيث هو كفر. وأمّا إذا رضي به من حيث هو مقضي به فهو رضاء بقضاء الله تعالى، وهو إيمان. وقوله (وامْطُلُوا): راجع إلى الثاني، وهو الوعد في الخير، وذلك أمر من المطل والتسويف في الوعد. و(دِين): الأول، بكسر الدال المهملة، هو الجزاء والإسلام والعبادة، واسم لجميع ما تُعُبِّدَ الله به والملَّة. كذا في القاموس. والمناسب هنا الأخير وهو الملّة. يعني: حكم ملّة الحُبّ بالضمّ، أي: المحبّة. و(دَيْن): الثاني، بفتح الدال المهملة، ما له أجل، وما لا أجل له، فهو قرض كما في القاموس. و(الحِبّ): الثاني بكسر الحاء المهملة، بمعنى المحبوب. وقوله : (لَـيّ): بفتح اللام وتشديد الياء، مصدر لَوَاه يَلْوِيهِ لَيّاً مطله. والمعنى: إنّ الوَعْد والوَعِيد سواء عند المحبّ، ومَطْل الوعد مقبول عنده، وفي حكم ملَّة المحبّة وشرع الهوى أنَّ دَين المحبوب مَطل وتسويف لا وفاء له، فلا يمتنع على المحبوب أن لا يفي ديون محبه، وأن يمطله فيها ويسوِّفه؛ لأنه المالك

الحقيقي فيفعل/[٤٤/أ] ما يشاء، ولا يُسأل عمّا يفعل، وكيفما فعل، فليس بظلم، ولا هو ظالم، ولا يجب عليه شيء لأحد.

٣١- رَجَـعَ اللاحِـي عَلَـيْكُمْ آيِـساً   مِـنْ رَشَـادِي وَكَـذَاكَ العِـشْقُ غَـيّ

(اللاحي): اللائم، من لَحَيتُه أَلْحَاه: لمته، وهوالذي يلوم العاشق على محبّته للمحبوب. وقوله (آيساً): اسم فاعل من أَيِس من كذا: قَنِطَ، ولم يبقَ له طمع فيه. يعني: الشيطان المقارن لي من الإنس والجن الذي كان لا يزال يلومني. (عليكم): أي على محبّتي لكم، ويوسوس لي، ويلقي في قلبي الشبهة والإشكالات، ويشككني في أمركم أيام جاهليتي رجع عن ذلك كلّه في حقّي، وصار آيساً لا طمع له في نصيحتي على زعمه. وقوله (مِن رشادي): متعلّق بقوله (آيساً). والرشاد الاهتداء؛ لأنّه يزعم أنّه رشيد، وأنّ لومه لي إرشاد إلى الطريق الأقوم، فلمّا رآني لا أقبل منه النصيحة آيس من رشادي واهتدائي إلى طريقته التي هو فيها من السلوان عنكم، والاعراض عن الاشتغال بمحبّتكم، والنسيان لكم بالكليّة، والغفلة عن مراقبتكم، والإقبال على الدنيا وزخارفها وشهواتها. ثمّ قال مؤكداً لذلك على وجه الإثبات لطريقته هو، التي هي طريقة أهل المحبّة والهوى. (وكذاك): أي مثل ما وقع العشق وهو المرض الوسواسي الذي يجلبه الإنسان إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور. (والغَيّ): بفتح الغين المعجمة، اسم لخلاف الرشد، وهذا من قبيل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ بعد حكاية بلقيس: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [٢٧/ النمل/ ٣٤] والملك الحقّ إذا وسعه قلب عبده المؤمن بالكشف العرفانيّ عن المقام الصمدانيّ فسدت قرية ذلك الجسد والقلب بالموت الاختياري ، وصار أعزّة تلك القرية من الحواس الظاهرة والباطنة أذلّة، وفني الجميع في أنوار التجلّيات الربّانيّة فصدق قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ على وجه التصديق لما هناك.

٣٢- أَبِعَيْنَيْهِ عَمَىً عَنْكُمْ كَمَا صَمَمٌ عَنْ عَذْلِهِ فِي أُذُنَيّ

الهمزة للاستفهام التقريري. والضمير راجع إلى اللاحي في البيت قبله. و(العمى): عدم البصر عمّا من شأنّه أن يكون بصيراً. يعني: لا شبهة أن بعينيّ اللاحي الاثنتين: عين البصر وعين البصيرة في الظاهر والباطن عمىً عنكم؛ فلا يراكم، ولا يصدَّق برؤيتكم من أحد، كما أنّ في أذني المحبّ كلتيهما (صَمَم): وهو انسداد الأذن، وثقل السمع (عن عذله): أي عَذْل اللّاحِي. والعَذْل هو اللوم. قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٩٨] وقال تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [٢/ البقرة / ٧] وقال تعالى﴿ : بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ١٤] فأفعالهم القبيحة التي كانوا يكسبونها هي التي جعلت الرين على قلوبهم. قال في القاموس: «الرَيْنُ: الطَبْعُ والدَّنَس، رَان ذَنْبُهُ على قلبه رَيْناً ورُيُوناً: غَلَبَ» انتهى. فلهذا صاروا لا يرون الحقّ المتجلّي بإظهار كلّ شيء.

٣٣- أَوَلَمْ يَنْهَ النُّهَى عَنْ عَذْلِهِ زَاوِياً وَجْهَ قَبُولِ النُّصْحِ زَيّ

الهمزة الداخلة على الواو للاستفهام الإنكاري، وهو إنكار النفي الذي بعده، ونفي النفي إثبات. والمراد إثبات نهي النهي عن عذله. والنهي خلاف الأمر، والنُّهَى بضمّ النون وفتح الهاء وبعده ألف مقصورة: جمع نُهْيَة بضمّ النون، بمعنى العقل. و (العذل): اللوم. وضميره للمحبّ. يعني: إنّ العقول كلّها تنهى عن لوم المحبّ، وهذا أمر مقرر عند المحبين؛ لأنّها تنهى عن القبيح/ [٤٤/ ب] عقلاً، واللوم قبيح عقلاً؛ لأنّه صدّ عن سبيل الله؛ فإن المحبّة الإلهيّة سبيل الله عند أهلها، والمحبّة صفة من صفات الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فإذا ظهرت في كون من الأكوان حرقت حرارتها الأكوان؛ فأُرجعت إلى أصلها، فقيل: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. وقوله : (زاوياً): بالزاي، من زَواه زَيّاً وزُوِيّاً: نَحّاه فانزوى، كما قال في القاموس. (وَجْهَ): بالنصب مفعول زاوياً. و(قَبول النُّصح): بإضافة

وجه إليه، أي: مُنحِّياً وجه قبول النصح عنه، أي: مبعده عنه على طريق الاستعارة بالكناية؛ شبّه قبول النصح من المحبّ إذا نصحه العاذل الذي يلومه بإنسان له وجه يتوجّه به؛ تشبيهاً مضمراً في نفسه، وأثبت له الوجه على طريقة التخييل، وذكر تنحية الوجه، أي: الإعراض عنه ترشيحاً للاستعارة بالكناية. وقوله (زَيّ): بفتح الزاي وتشديد الياء، مصدر مؤكّد لاسم الفاعل قبله. والمعنى: إني معرض بوجهي عن قبول نصح العاذل إعراضاً كليّاً؛ لأنّ القلب له وجهة واحدة، فإذا توجّه إلى جهة الحقّ أعرض عن الباطل وبالعكس، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [٢/ البقرة/ ١٤٨] يعني: إنّ الحقّ تعالى هو الذي يولّي الوجهة إلى الجهة التي يريدها من حقّ أو باطل، ثمّ قال تعالى : ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [٢/ البقرة/ ١٤٨] أي تسابقوا إليها. يعني: إذا كانت وجهتكم إلى الخيرات فاستبقوا إليها، ولا تتأخّروا. ثمّ قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ يعني: إلى أي جهة توجّهتم ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٤٨] فذكر الاسم الجامع لجميع الأسماء، وأكّد بقوله ﴿جَمِيعًا﴾ إشارة إلى أنّ كلّ وجهة إلى، أي: جهة توجهت فهي متوجهة إليه تعالى في نفس الأمر؛ فيجد المتوجِّه نفسه عند الحقّ تعالى، فيأتي به تعالى ليوم الجمع، فإذا انكشف الحجاب للسالك وجد قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. والهالك: الفاني المضمحل، فتستوي عنده الأحوال كلّها، فيلزم ما هوفيه ولا يتنحّى عنه أصلاً.

٣٤- ظَلَّ يُهْدِي لِي هُدَىً فِي زَعْمِهِ ضَلَّ كَمْ يَهْذِي وَلَا أُصْغِي لِغَيّ

(ظَلّ): بالظاء المعجمة، أي: أقام واستمرّ؛ يعني اللاحي. (يُهْدِي): بضمّ الياء، مضارع أَهْدَى هَدِيَّة، وبفتحها. قال في القاموس: «أَهْدَى الهَدِيَّة وهَدَّاها» انتهى. فيقال: على هذه اللغة الثانية: هَدَى الهَدِيَّة. وقوله (يَهْذِي): بفتح الياء ليتمّ الجناس بين يُهدي بالدال المهملة، ويَهذي بالمعجمة. والهُدَى بضمّ الهاء وفتح الدال المهملة:

الرشاد والدّلالة، كما قال في القاموس. (في زعمه) : أي اللاحي المتقدّم ذكره في قوله ورأيه واعتقاده. قال في القاموس: «الزَّعْمُ، مُثلثة: القول الحقّ، والباطل، والكذب، ضِدٌّ، وأكثر ما يقال فيما يُشُك فيه». انتهى. يعني: لم يزل يبعث لي هداية ورشدا في زعمه على طريق الهدية التي يتحفني بها؛ لظنّه أنّ ما هو فيه حقّ، وما أنا فيه باطل. ثمّ قال (ضلّ): بالضاد المعجمة من الضلال، وهو ضدّ الهدى، وهي جملة إنشائيّة دعائيّة، أي: أضلّه الله تعالى. أو خبريّة كاشفة لحال اللاحي. وقوله (كم): هي خبريّة، معناها التكثير. (يَهْذِي): بالذال المعجمة من الهَذَيان. قال في القاموس: «هَذَى يَهْذِي هَذْياً وهَذَيانا: تكلّم بغير معقول لمرض أو غيره». (ولا أُصْغِي): أي لا أميل، ولا أستمع يُقال: صَغِيَ كرَضِي صُغياً: مال واستمع»، كذا في القاموس. (لِغَيّ) هو مصدر غوي يغوي غيّاً ضلّ ، والغيّ الضلال .

٣٥- وَلِمَا يَعْذُلُ[1] عَنْ لَمْيَاءَ طَوْ عَ هَوَىً فِي العَذْلِ[2] أَعْصَى مِنْ عُصَيّ

(ما): في لِمَا استفهاميّة، واللام حرف تعليل، أي: لأي معنى. (يَعْذِلُ): أي يلوم اللاحي عن هوى محبوبة. (لمْيَاء): مؤنّث أَلْمى، وهو أسمر الشفة، قال في القاموس: «اللُّمَى مثلثة اللام: سُمْرَة في الشَّفَة، وهو أَلْمَى، وهي لَمْيَاء». (طَوْعَ): منصوب على أنّه مفعول يعذل، أي: مطيع. (هَوَى): لا يعصي ما أمر به في العذل، أي: اللوم. (أَعْصَى من عُصَيّ): بضمّ العين المهملة وفتح الصاد المهملة وتشديد الياء، وأصله عُصَيَّة بالتصغير، وهو اسم بطن من/ [٤٥/ أ] قبيلة من العرب، دعا عليهم النبي صلّى الله عليه وسلّم: «اللهمّ عليك برعل، اللهمّ عليك بذكوان، اللهمّ عليك بعُصيَّة؛ فإنّهم عصوا الله ورسوله»[3] وحذفت منه الهاء على طريقة الاكتفاء

---

(١) في (ق): يعدل.

(٢) في (ق): الحبِّ.

(٣) ذكره الهيثميّ في مسند الحارث في الزوائد، كتاب الصلاة، باب: القنوت ١٧٨، بلفظ: فقام بهم شهراً في آخر صلاة الفجر يقول: اللهمّ عليك ببني عصيّة عصوا ربّهم، وعليك بذكوان.

البديع بحرف واحد، وقد استوفينا بحث الاكتفاء. في شرح بديعتينا.

٣٦- لَوْمُهُ صَباًّ لَدَى الحِجْرِ صَبَا بِكُمُ دَلَّ عَلَى حِجْرِ صُبَيّ

(اللوم): العَتْب والعَذْل، والضمير للّاحي. (صَبًّا): مفعول المصدر، وهو بفتح الصاد المهملة وتشديد الباء، صفة مشبَّهة بمعنى العاشق. (لدى): بالدال المهملة، بمعنى عند. و(الحِجْر): بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم: المحوط من الكعبة بين الركنين الشاميّين بجدار قصير، بينه وبين كلّ من الركنين فتحة. (صَبَا): أي جَهِلَ جَهْلَة الفتوّة، قال في القاموس: «الصَّبْوَة: جَهْلَةُ الفُتُوَّة، صَبَا صَبْواً وصُبُوّاً. (بكم): متعلِّق بصبا، أي: بسبب محبَّتكم. (دَلَّ): أي اللوم. (على حِجْرِ): بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم، وهو العقل. و(صُبَيّ): تصغير صَبي، وهو مَن لم يُفْطَم بعد. والمعنى: إنّ لوم هذا اللاحي للعاشق الذي جَهِلَ جَهْلَ الفتوَّة في محبَّتكم عند الكعبة دليل على أنّ عقل ذلك اللاحي عقل صبي صغير لا يدرك شيئاً يشير إلى إنكار الغافلين على أهل الله تعالى العارفين، ولومهم لهم في بواطنهم وظواهرهم إذا وجدوهم وهم مهيمين سكارى مدهوشين في محبّة الحقّ تعالى، أرواحهم معتكفة على مراقبة قلوبهم التي هي بيوت الحقّ تعالى ، فيدلُّ لومهم ذلك على أنّ عقولهم عقول الصبيان الصغار الذين لم يُفطموا بعد؛ فهم يرضعون ثدي أمّهاتهم الطبيعة التي هم مطبوعون عليها؛ ولهذا لا يدركون أحوال أهل الكمال، ولا تتقلّب عليه قلوب الرجال.

٣٧- عَاذِلِي عَنْ صَبْوَةٍ عُذْرِيَّةٍ هِيَ بِي لا فَتِئَتْ هَيُّ بنُ بَيّ

(العَاذِل): اسم فاعل، من عَذَلَ بمعنى لامَ، مرفوع بالابتداء، بضمَّة مقدّرة قبل ياء المتكلِّم. و(الصَّبْوَة): جَهْلَة الفتوَّة. و(العُذْرِيَّة): بضمِّ العين المهملة والياء للنسبة، وهي قبيلة مشهورة بالعشق، كلُّ من عشق منهم مات من العشق. (هي): أي تلك الصبوة. (بي): الجار والمجرور خبر مقدّم لقوله (لا فتئت): وفتئ من

الأفعال الناقصة التي ترفع الاسم وتنصب الخبر، وخبر عاذلي هو قوله (هَيّ): بفتح الهاء وتشديد الياء. (ابن): صفة له. (بَيّ): بفتح الباء الموحّدة وتشديد الياء، أصله هَيَّان بن بَيَّان بالتشديد فيهما. يعني: لا يُعرف هو، ولا يعرف له نسب، ثمّ اختُصر بطريق الاكتفاء. يعني: إنّ عاذلي في هذه المحبّة الحقيقية مقطوع النسب، مجهول السبب كأبي لهب الذي هو من بني هاشم، وهو أخو حمزة والعبّاس رضي الله عنهما، وهو عمّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ ولكنّه بسبب الكفر بالله تعالى وإنكار نبوّة ابن أخيه محمّد صلّى الله عليه وسلّم ذهب شرف نسبه، واضمحلّت معاليه وعراقته، وصار لا يُعرف له أصل، ولا يعلو له فضل لتبرِّي أهل الحقّ منه ومن مقاربته، حتى قال تعالى في حقّه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [١١١/المسد/١] إلى آخر السورة، فصار هيّان بن بيّان. وكذلك كلّ من أنكر على الورثة المحمّديّين ما هم فيه من كمال الإيمان، ومحض العرفان، فذلك هيّان بن بيّان عند علماء هذا الشأن.

٣٨- ذَابَتِ الرُّوحُ اشْتِياقا فَهْيَ بَعْـ ـدَ نَفَادِ الدَّمْعِ أَجْرَى عَبْرَتَيّ

(ذَابَ): ذَوْباً وذَوَباناً محركة: ضدّ جَمَد كذا في القاموس. (الرُّوح): أي اضمحلّت وفنيت في أمر الله تعالى؛ لأنّها من أمر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/الإسراء/٨٥]. (اشتياقاً): مفعول من أجله، علّة لذوب الروح؛ فهي «أي: الروح» التي ذابت: أي فنيت واضمحلّت من كثرة الاشتياق إليكم. (بعد نفاد): بدال مهملة نَفِدَ، كسَمِعَ: أفنى/[٤٥/ب] وذهب، كذا في القاموس. (الدمع): هو ماء العين: من حزن أو سرور. (أجرى): أي أكثر جرياناً من (عَبْرَتَيّ): تثنية عَبْرة، قال في القاموس: «العَبْرَة، بالفتح: الدمعة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء في الصدر، أو الحُزن بلا بكاء، والجمع: عَبَرات وعِبَر»، كذا في القاموس. يعني: روحي ذابت وفنيت واضمحلَّت، ولم يبقَ

إلا أمر الله الذي كلمح بالبصر، فصرت أنظر بأمر الله ، لا بالروح، والروح صارت أجرى من العَبْرتينِ السائلتين من عينيَّ؛ لذهاب عينيّ أيضاً وذهاب العَبرتين؛ فإبصاري ونظري الآن إنّما هو بأمر الله تعالى السريع الذي هو كلمحٍ بالبصر مكان اللمح بالبصر، من قبيل: «كنتُ بصره الذي يبصر به الحديث[1]...».

٣٩- فَهَبُوا عَيْنَيَّ مَا أَجْدَى البُكَا ... عَيْنَ مَاءٍ فَهْيَ إِحْدَى مُنْيَتَيّ

(هَبُوا): فعل أمر من الهبة، وهي العطيّة، والخطاب للأحبّة باعتبار كثرة الحضرات المختلفة في مقام التجلِّيات كما قال القائل: «لتعلم أنّي واحد وكثير». (عَيْنَيّ): بتشديد الياء، تثنية عين مضافاً إلى ياء المتكلِّم. وقوله (ما أجدى): بالجيم، بعدها دال مهملة، أي: أنفع. و(ما): مصدريّة ظرفيّة، أي: مدة إجراء البكا، بالقصر، وأصله المدّ. وقوله (عَيْنَ): بالنّصب، مفعول هبَوا. و(ماء): مضاف إليه. يعني: حيث فرغ دمعي من كثرة البكاء فهبوا عينيَّ عينَ ماء تنبع ولا ينقطع ماؤها لأبكي بها عليكم، وذلك مدّة نفع البكاء في محبّتكم لي؛ حيث فيه كمال الذلِّ بين يديكم، ويقتضي الرأفة منكم والتحنُّن عليّ. وقوله (فهي): أي عين الماء التي تهبُوني إيَّاها لأبكي بها بدل دمعي. (إحدى مُنيَتَيّ): تثنية مُنية، بضمِّ الميم وسكون النون، أي: هي واحدة من مُنيتين لي أتمناهما، والمُنية الأخرى لقاؤكم ووصالكم لي، أو هي الحشا السالي في البيت بعده. يعني: هَبوا عيني الظاهرة في عالم الحسّ، والباطنة في عالم المعاني ـ أي: عالم الملك وعالم الملكوت ـ مدّة نفع البكاء لي، وهي مدّة بقاء الوجود منسوباً إلى عين ماء، وهي عين الحياة الحقيقيّة. فإذا أُسري سر الحياة الحقيقيّة في بصر العين الظاهرة كشفت عن عالم الملك وتجلِّياتكم فيه. وإذا أُسرى سرّ الحياة الحقيقيّة في بصيرة العين الباطنة كشفت عن عالم الملكوت الأعلى وتجلِّياتكم فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ

(١) تقدّم تخريجه ص١٤٦.

كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ٥ـ ٦]؛ فالأبرار عباد الاسم البَر، أي: المحسن المنعم، يمزج لهم شرابهم منها. والمقرّبون ـ عباد الاسم الجامع الله ـ يشربون من تلك العين خالصة، وهذا سرّ الحياة الحقيقيّة في بصيرة العين الباطنة. ثمّ قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [٧٦/ الإنسان/ ١٨] فيمزج منها للأبرار في شرابهم، ويشرب المقرّبون منها خالصة أيضاً، وهذا سرّ الحياة الحقيقيّة في بصر العين الظاهرة.

٤٠ - أَوْ حَشاً سَالٍ وَلَا أَخْتَارُهَا إنْ تَرَوْا ذَاكَ بِهَا مَنّاً عَلَيّ

(حشاً): بالتنوين، منصوب، معطوف على عين ماء، أي: هَبوا لي حشاً. والحشا: ما دون الحجاب مما في البطن من: كبد، وطحال، وكرش، وهي الأعضاء الباطنة. فلفظ الحشا مفرد، ومعناه متعدد، فوصفه باعتبار لفظه فقال (سالٍ): بالتنوين، أي: هو سالٍ. ثمّ قال (ولا أختارها): فَأَرْجَعَ الضمير إلى الحشا مؤنّثاً باعتبار معناه. وقوله (إنْ تَرَوْا): أي تختاروا يا أيها الأحبّة. (ذاك): أي هبة الحشا السالي بها، أي بالحشا المذكورة. والجار والمجرور متعلّق بقولهِ (مَنّاً): بفتح الميم وتشديد النون مفتوحة، مصدر مَنَّ ـ بالتشديد ـ يَمُنُّ مَنّاً. (عَلَيّ): بتشديد الياء، متعلّق بقوله مَنّاً أيضاً. وجملة الشرط قيد للحشا السالي. وقوله (ولا أختارها): جملة معترضة بين المطلوب وشرطه. والمعنى: أوهبوا لي حشاً سالياً بشرط/[٤٦/أ] أن تروا ذلك منّة عليّ منكم؛ فأنا أريد ذلك الحشا السالي، إن كان مرادكم فمرادي مرادكم، لا خصوص شيء. وأمّا من حيث أنا في نفسي باعتبار حالي فلا أريد ذلك الحشا السالي؛ لأنّ السلوّعنكم ليس من ديني، ولا هو من عقد يقيني من قبيل قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين». والمعنى في ذلك: أوهبوا لي باطناً منفسحاً في أنواع الصور الكونيّة والتجلّيات الإمكانيّة، من قبيل قوله قدّس الله سرّه في قصيدته الجيميّة:

تـراه إن غـاب عنـي كـلّ جارحـة   في كـلّ معنـى لطيـف رائـق بَهِـجِ[1]

فيسمّى عنده هذا المقام سلوّاً لغيبة الحقّ تعالى عنه في ظهوره بكلّ معنى لطيف رائق بهج. وشرط ذلك برؤيتهم له مِنّة بها عليه حيث منّوا بذلك عليه؛ فهو يقبل منّتهم على كلّ حال، ولكنّه هو لا يختار ذلك؛ لأنّه مرتفع الهمّة إلى مقام الشهود الذاتيّ؛ فنسمّي مقام الشهود الصفاتي سلوّا عن الأصل، وهو مقام الأبرار، والأوّل مقام المقرّبين.

٤١ - بَلْ أَسِيئُوا فِي الهَوَى أَوْ أَحْسِنُوا   كُـلُّ شَيْءٍ حَسَنٌ مِنْكُمْ لَـدَيّ

(بل): هنا حرف إضراب وانتقال من طلب أن يهبوه لعينيه الظاهرة والباطنة عينَ ماء أو حشا سالية؛ فإنّ ذلك اختيار منه، وإرادة لشيء من محبوبه، وخصوصاً قوله: ولا أختار الحشا السالي؛ فقد اختار شيئاً، ولم يختر شيئاً آخر، وأراد أمراً، ولم يرد أمراً آخر، فأضرب ههنا عن ذلك كلّه، وتذكر أنّه لا يليق بالمحبّ أن يختار شيئاً مطلقاً، أو يريد أمراً مطلقاً؛ وإنّما الواجب عليه أن يكون اختياره وإرادته هي اختيار محبوبه وإرادة محبوبه فقال لا تنظروا إلى ما تقدّم منّي، والأمر إليكم، فأسيؤوا إليّ بأي سوء أردتم في محبّتكم. وقدّم الإساءة لأنّ النفس لا حظ لها فيها. ثمّ قال أو أحسنوا إليّ؛ فإنّ كلّ شيء يحصل لي منكم حسن. (لديّ): بتشديد الياء، أي: عندي، وكلّ ما يفعل المحبوب محبوب، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ ﴾ [٣/ آل عمران/ ٢٦] ولم يقل والشرّ مع أنّه ذكر نزع الملك ممن تشاء، وهو أمر قد يكون شرّاً كإيتاء الملك لمن يشاء. وكذلك العزّ والذلّ؛ ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ والشيء شامل للخير والشرّ، وذلك أنّ الله تعالى أمر نبيّه صلّى الله عليه وسلّم أن يقول ذلك من مشرب المحبّة، وكلّ فعل يفعله المحبوب فهو حسن

(١) انظر البيت ٢٩ من قصيدة (ما بين معترك الأحداق والمهج).

محبوب مرغوب. والشرّ لا يكون شراً إلّا باعتبار غلبة الغيريّة، وانصراف المحبّة الإلهيّة عن المحبّ إلى ما يظهر له من الصور الحسيّة أو الخياليّة.

٤٢- رَوِّحِ القَلْبَ بِذِكْرِ المُنْحَنَى وَأَعِدْهُ عِنْدَ سَمْعِيْ يَا أُخَيّ

(رَوِّح): بتشديد الواو، فعل أمر من الرّاحة، ضدّ التعب. أو من الارتياح، وهو النشاط، وفي القاموس: «والرَّواح والرَّواحَة والرَّاحة والمُرَايحَة والرَّويحَة كسفينة: وجدانك السرور الحادث من اليقين». والمعنى: اجعل في القلب الرَّاحة من تعب الغفلة، ومكابدة الأغيار. أو ألْقِ فيه النشاط حتى يجدَ السرور الحادث من اليقين بذكر إجراء الشيء على اللسان أوعلى القلب. يقال ما زال منّي على (ذِكْر): أي تذكُّر. و(المنحنى): موضع انحناء الوادي وانعطافه، وهو اسم مكان مشهور في بلاد الحجاز، والإشارة به إلى الحضرة الربّانيّة من الانحناء، وهو التدلِّي والدنوّ من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [٥٣/ النجم/ ٨]. **(وأعِدْهُ)**: من الإعادة، والضمير للذِكْر، أي: كرر ذكره. **(عند سمعي)**: أي بحيث أُسمع. **(يا أُخَيّ)**: بضمّ الهمزة وفتح الخاء المعجمة وتشديد الياء: مصغّر أخي للتعظيم، وقد ورد في الحديث: «المرء مرآة أخيه»[1] يعني: تظهر فيه صورة أخيه، وتظهر صورة أخيه فيه. وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] أي: ليس مثل مثله شيء على عدم زيادة الكاف، وهو الأصل، فقد أثبت المِثل، ونفى أن يكون للمِثل مِثل وجميع/[٤٦/ ب] العوالم الظاهرة من علم الله تعالى مثل علم الله تعالى، وعلمه عين ذاته؛ لأنّ به ظهرت جميع صفاته وأسمائه؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] فتفصّلت ذاته بعلمه؛ لأنّه علم ذاته، فعلم العوالم كلِّها، فالعوالم كلُّها مثلُه الثابت به، وهذه المثليّة من هذه الأسماء

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه، ج٦ ص١٤ عن أبي هريرة، بلفظ: «المسلم مرآة أخيه، فإذا رأى أذى فليمطه عنه». كما ذكره الألبانيّ في صحيح الأدب المفرد للبخاري، ٢٣٨/ ١٧٧، ، بلفظ: «المؤمن مرآة أخيه، إذا رآى فيه عيباً أصلحه». قال الألبانيّ عنه حسن.

والصفات، ثمّ ظهر الإنسان الكامل مثل العوالم كلّها؛ فهو مثلُ المثل المنفي، ولا شكّ أنّ المثل أخو المثل، والتصغير هنا للتعظيم، كما قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [٤٠ / غافر/ ٥٧] الآية.

٤٣- واشدُ باسم اللّائِي[1] خَيَّمْنَ كَـذَا عَـنْ كُـدَا وَاعْـنَ[2] بِـمَا أَخْوِيـهِ حَـيّ

(**اشْدُ**): فعل أمرٍ من الشَدْوِ، وهو الترنُّم، بسكون الشين المعجمة وضمّ الدال المهملة، وفي نسخة (**واحْدُ**): فعل أمر من الحُداء، يخاطب أخاه المذكور في البيت قبله. وقوله (**باسم اللائي**): وهو اسم موصول لجمع التي، عاقلاً كان أو غيره. وقد تحذف منه الياء، فيقال: اللاءِ. و(**خيّمنَ**): فعل ماض مسند إلى نون جماعة النسوة. وفي القاموس: «الخيمة كلّ بيت مستدير، أوثلاثة أعواد، أو أربعة، يُلقى عليها الثُّمام[3]، ويُستظلّ بها في الحرّ، أوكلّ بيت يبنى من عيدان الشجر. و خَيَّمُوا: دخلوا فيها، وخيّموا بالمكان: أقاموا، وخَيّم الشيء غَطّاه بشيء» انتهى. (**كذا**): بالذال المعجمة كناية عن المكان، فهي ظرف. قال في القاموس: «كذا كناية عن الشيء، الكاف حرف تشبيه، وذا للإشارة، أي: دخلنَ تحت أستارهذه الآثار الكونيّة». وقوله (**عن كُدَا**): بالدال المهملة، قال في القاموس: «الكَدَاء كسَماء اسم عرفات، وجبل بأعلى مكّة، دخل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مكّة منه، وكسُمَيّ جبل بأسفل مكّة خرج منه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وجبل آخر بقرب عرفة» انتهى. يعني: خيّمن بمعنى استترنَ، أي: تلك الحضرات الربّانيّة بهذه العوالم الكونيّة بدلاً عن هذه الحضرات المذكورة والتجلّيات المستورة. (**وَاعْنَ**): بعين مهملة ونون مفتوحة، وهو فعل أمر، من عَنَاه الأمرُ يَعْنِيه ويَعْنُوهُ عِنَايَة وعَنَايَة وعُنُيّاً:

---

(١) في (ق): اللّايَ.

(٢) في (ق): وأغنِ

(٣) الثمام: نوع من النبات، قد يستعمل لإزالة البياض من العين.

القاموس: «يقال: حَوَاهُ يَحْوِيه حَيّاً: جَمَعَهُ». وقوله (حَيّ): في آخر البيت بفتح الحاء أَهَمَّهُ، واعْتَنَى به: اهْتَمَّ، كذا في القاموس. وقوله (بما): أي بالذي (أحويه): قال في المهملة وتشديد الياء: مصدر مؤكِّد للفعل قبله. والمعنى: اعتنِ بالذي أحويه واجمعه يا أخي في حال شذْوِك بالأسماء الإلهيّة فعرّض بعلومي وأسراري في إشارات إلهامك، وتلويحات مناجاتك في مفاهيم كلامك.

٤٤- نِعْمَ مَا زَمْزَمَ شَادٍ مُحْسِنٌ　　بِحِسَانٍ تَخِذُوا زَمْزَمَ جَيْ

(نِعْم): بكسر النون وسكون العين المهملة وفتح الميم: فعل ماض، لفظه لا يتصرّف، ومعناه إنشاء المدح. و(ما): مصدريّة مسبوكة مع ما بعدها بالمصدر، أي: زمزمة فاعل نعم. و(زَمْزَمَ): فعل ماض من الزَمْزَمَة، قال في القاموس:" الزَمْزَمَة الصوت البعيد له دَوِيٌّ، وتتابُع صوت الرعد، وهو أخشنه صوتاً، وأَثْبَتُه مطراً ، وتراطُنُ العُلُوج على أكلهم وهم صُمُوت، لا يستعملون لساناً ولا شَفَةَ؛ ولكنّه صوت تديره في خياشيمها وحُلُوقها، فيفهم بعضهم من بعض، وصَوتُ الأَسِد» انتهى. والمناسب هنا الأوّل؛ فإنّ الشادي هنا بالدال المهملة ـ أي: المترنّم ـ هو الداعي إلى الله على بصيرة هو ومن اتبعه، فإنّ زمزمته صوت بعيد له دوي مسموع لبُعد عهده من زمن المصنِّف؛ فيسمعه العارف المحقّق مع بُعده عنه من قبيل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ [٢/آل عمران/١٩٣] ثمّ وصفه بأنّه (مُحسِن): بصيغة اسم الفاعل، من الإحسان المفسر بقوله صلّى الله عليه وسلّم: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم [٤٧/ أ] تكن تراه فإنّه يراك»[1] والدعوة إلى الله تعالى من أفضل العبادات؛ فهو يدعوا إلى الله وهو محسن، وذلك هو البصيرة في قوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [١٢/ يوسف/١٠٨] ثمّ قال (بحِسانٍ): متعلِّق بشادٍ، أي: بسببهم، أو متعلّق بزمزم. وحِسان جمع حَسَن، قال

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قوله إنّ الله عنده علم الساعة، ٤٧٧٧.

في القاموس: «حَسُنَ كَكَرُمَ ونَصَرَ فهو حَاسِن وحَسَن، والجمع: حِسَان». بمعنى: أمور حِسَان، أو معانٍ حِسان ، أو أسماء حسان، وهو الأنسب لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [١٧/ الإسراء/ ١١٠].

وقوله (تَخِذُوا): فعل ماضي بمعنى اتخذوا. و(زَمْزَمَ): اسم بئرعند الكعبة، وهو المفعول الأوّل لقوله تخِذوا، كناية عن القلب المحمّدي الجامع، والمفعول الثاني قوله (جَيْ): بفتح الجيم وسكون الياء، محذوف الهمزة للتخفيف، وأصله: جَيء. قال في القاموس: «والجَيءُ: الدعاء إلى الطعام والشراب، وجَأْجَأَ بالإبل: دعاها للشرب» انتهى. فإنّ ماء زمزم يتحرك في نفس كل من شرب منه؛ فيطلب العَوْد كما هو المشهور، فكأنّ هذه الحِسان اتخذوا زمزم دعاءً وطلباً لكلّ من ورد عليهم مرة أنْ يعود إليهم أيضاً، ولا شك أنّ هذه الأسماء الإلهيّة الحسان اتخذوا ماء زمزم الذي هو ماء العلوم الإلهيّة والمعارف الربّانيّة، دعاء لكل من ذاقها وشرب نَهْلَةً منها إلى الطعم والشراب؛ أي: إلى الغذاء الروحانيّ المُغني عن الغذاء الجسمانيّ، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «لست كأحدكم، إنّي أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»[1].

٤٥- وجَنَابٍ رُوِّيَتْ مِنْ كُلِّ فَجْـ ـجٍّ لَـهُ قَـصْداً رِجَـالُ النُّجْـبِ رَيّ

(وجَنَابٍ): بالخفض، معطوف على حِسَان، أي: نعم ماء زمزم الشادي بحسان وبجناب. والجناب: الفِناء ـ بكسر الفاء والمدّ ـ والناحية، وهذا في الأصل، ويراد به جهة الذات، كما يقال: جناب المولى، وتنكيره للتعظيم، فذكر أوّلاً مقام الأسماء، ثمّ ذكر مقام الذات. ثمّ قال (رُوِّيَتْ): بتشديد الواو وبالراء، ورَيّ في آخر البيت بالراء مصدر مؤكِّد للفعل، قال في القاموس: «رَوِي من الماء واللبن كرَضِي رَيّاً ورِيّاً» انتهى. وهو ضدّ ظمئ وعطش. وقوله (من كلّ فَجٍّ): بفتح الفاء وتشديد الجيم: الطريق الواسع بين الجبلين، كناية عن عالم الظاهر، وعالم الباطن،

(١) أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة، ٧٤٣٠، دون قوله (عند ربي).

وعالم الملك، وعالم الملكوت. وكلّ منهما جبل لانجباله بعضه ببعض، وتركيبه في أجزائه، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [٦٧/ الملك/ ١] وقال﴿ :ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [٣٦/ يس/ ٨٣] فالأجسام من عالم الملك والأرواح والعقول والنفوس من عالم الملكوت. وقوله (له): أي لأجله بسبب الوصول إليه. و(قصداً): تمييز، أي: من جهة القصد والتوجّه إليه. و(رجال): نائب الفاعل؛ فإنّ المقام الذاتيّ الربّانيّ لا يقصده ويتوجّه إليه إلا الرجال الروحانيّون وإن كانوا نساءَ الأجسام والنفوس، وأُضيفت الرجال إلى (النُّجْب): بالنون والجيم والباء الموحّدة، على وزن قُفْل: جميع نَجيب ونَجِيبة، وجمعه نَجائب، كما في القاموس. وهي الأعمال الصالحة التي تحمل العبد السالك إلى حضرة الربِّ المالك، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٠] وهي الأرواح القدسيّة من قوله عن عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [٤/ النساء/ ١٧١] ثمّ قال: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [٣٥/ فاطر/ ١٠] أي: يرفع الكلم الطيِّب المذكور. وفي نسخة (زُوِيَتْ) بالزاي مكان الراء. (وزَيّ): بفتح الزاي وتشديد الياء، مصدر مؤكِّد للفعل أيضاً. وقال في القاموس: «زَوَى الشيءَ: جمعه وقبضه. يعني: جُمِعَتْ له، أي: لذلك الجناب المذكور قصداً، أو قصد له، لا لغيره، فتقديم الجار والمجرور للحصر؛ فإنّ رجال النُّجْب خرجوا من ذلك الجناب، وكذا كلّ شيء، وإليه عادوا فجمعوا فيه، أي: في حضرة علمه القديم منه بدأ الأمر وإليه يعود، وعلى الأوّل ارتووا/ [٤٧/ ب] من عطش البعد، وظمأ الغفلة عنه؛ ولهذا لا يزال الطلب والسير حتى يستقرّوا في وطنهم الأصلي، وقد ورد: «حبُّ الوطن من الإيمان»[1].

٤٦- وادِّراعي حُلَلَ النَّقْعِ وَلِي   عَلَماهُ عِوَضٌ عن عَلَمَيّ

(وادِّراعي): معطوف على حِسان أيضاً. يعني: نعم ماء زمزم الشادي بجناب

(١) قال السخاويّ في المقاصد الحسنة،٢٨٦ : «لم أقف عليه، ومعناه صحيح». ١/ ٢٩٧.

ذُكِر شرحه. وبادِّراعي أي: لُبْسي. والادِّراع: افتعال، أصله ادتراعي، فقلبت التاء دالاً، وأدغمت الدال في الدال. و(الحُلَل): بضمّ الحاء المهملة وفتح اللام الأولى، جمع حُلَّة، قال في القاموس: «الحُلَّة بالضمّ إزار ورداء بُرْد أوغيره، لا تكون حُلَة إلا من ثوبين، أو ثوب له بطانة. و(النَّقْعُ): بنون وقاف وعين مهملة،وهو الغبار، قال تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [١٠٠/ العاديات/ ٤] أي بالعاديات، وهي توجهات الأمرالواحد الإلهيّ. وحُلَل النقع: الصورالروحانيّة والصور الجسمانيّة. وادِّراعي لذلك باعتبار التبدُّل مع الأنفاس. (ولي): متعلِّق بقوله (عِوَض) لأنّه مصدر عاضني الله منه عِوَضاً كَعِنَب، وهو الخَلَف، أشار إليه في القاموس. و(عَلَمَاهُ): تثنية عَلَم، بالتحريك، وهو الجبل الطويل، والعَلَمان: جبلان بمكّة، وجبلان بمنى، وهما الأخشبان. والضمير راجع إلى الجناب في البيت قبله كناية عن حضرة الجلال وحضرة الجمال. أوحضرة الأسماء الإلهيّة، وحضرة الأفعال الإلهيّة. أو راجع إلى النقع، كناية عن العالم الروحانيّ والعالم الجسمانيّ باعتبار ظهورهما له وانكشافهما لديه، وزمزمة الشادي بذلك من كونه خلق من نوره، فإنّ الحقيقة المحمّديّة مادّة العوالم الكونيّة. والزمزمة عبارة عن كيفيّة الانتشاء من ذلك. وعلماه مبتدأ، وعِوَض خبره. وقوله (عن عَلَمَيّ): مثنى علم بالتحريك، مضاف إلى ياء المتكلّم، وعَلَمَاه هو كناية عن جلاله وجماله وأسمائه وأفعاله باعتبار المظهرية؛ فإنّ المقام الذاتيّ إذا استغرق فيه السالك ذهب كلّ أثر منه في مؤثِّره وزال من لم يكن، وحضر من لم يزُل في أثره.

٤٧- وَاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ فِي جَمْعٍ وَمَا مَـــرَّ فـــي مَـــرٍّ بأفيـــاء الأُثَيّ

(واجتماع): معطوف أيضاً على قوله بحِسان، داخل تحت زمزمة الشادي بذلك، أي: اجتماع شمل حقيقته الإنسانيّة بالحقيقة المحمّديّة. و(جَمْع): اسم المزدلفة، كناية عن مقام الروحانيّ، والتحقّق بحقيقة الروح الأعظم، روح الله

الذي قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [١٥/الحجر/٢٩] وقال تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [٣/النساء/ ١٧١]. **(وما)**: الواو للعطف على قوله بحِسان أيضاً، وما موصولة له، أي: والحال الذي مرّ أو الأمر والشأن. و**(مَرَّ)**: فعل ماض من المرور، قال في القاموس: «مَرَّ مَرّاً ومُرُوراً: جاز، وذهب، ومَرَّ بفتح الميم وتشديد الراء، وهو بطن مَرٍّ، ويقال له مَرُّ الظهران؛ موضع على مرحلة من مكّة» يعني: الحال الذي كان لي وذهب في وقت السلوك قبل الوصول. **(بأفياء)**: جمع فيء، بالهمزة، وهو ما كان شمساً فنسخه الظلّ. و**(الأُشَيْ)**: بضمّ الهمزة وفتح الشين المعجمة وتشديد الياء: مصغّر أشاء، جمع أشاءة؛ وهي صغار النخل، كنّى بأفياء صغار النخل عن أثار المُرادات الإلهيّة؛ فإنّها بمنزلة الظلالات عن شواخص ما في الإرادة من الغروس في الحضرة العلميّة، وكونه فيئاً أي: ظلاً راجعاً إلى أصله، لا ظلاً خارجاً من أصله في نور الشمس الذاتيّة من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] أي: ظلّ الكائنات عن شواخص المشيئة الربّانيّة عن طِبْق ما فيها مما هو مغروس في حضرة العلم القديم في نور شمس الذات، وكان ظلًّا باعتبار أحوال الغافلين؛ فهو متحرِّك دائماً لتزاحمه في الظهور بمقتضى الأمر الذي هو كلمحٍ بالبصر ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] / [٤٨/ أ] أي: كشف عنه ساكناً كما هو ساكن في الحضرة العلميّة لم يبرح منها، وهم الراسخون في العلم، أي العلم الإلهيّ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٢/ البقرة / ٢٣٢] وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [٦٧/ الملك/ ٢٦] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٦] كاشفاً عنها ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٦] لا تكاد العقول تشعر به؛ لأنّ عالم الخلق عالم الالتباس كما قال تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩].

٤٨- لِمَنِيّ عِنْدي المُنَى بُلِّغْتُهَا وأُهَيْلُوهُ وَإِنْ ضَنُّوا بِفَيّ

(لِمنى): الجار مع المجرور خبر مُقدَّم، وعندي ظرف متعلّق بالخبر. ومِنَى

بكسر الميم وفتح النون مقصوراً: قرية بمكّة، سُميت بذلك لما يمنى بها من الدماء، أي: يراق. كناية عن عالم الملكوت السماوي الذي كان يقول عنه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «اللهمّ الرفيق الأعلى»[1]. و(المُنى): بضمّ الميم جمع مُنية، وهي المطلوب. يعني: مطالبي كلّها هاتيك الحضرة العالية التي تذهب فيها النفوس البشرية. ثمّ قال (**بُلِّغْتُها**): بالبناء للمجهول وتشديد اللام مكسورة، جملة دعائيّة معترضة بين المتعاطفين، إما بضمّ التاء للمتكلّم، كأنّه يقول: بلَّغَنِي الله تعالى أياها، أو بفتح التاء للمخاطب، كأنّه يقول: بَلَّغَكَ الله إياها، من قبيل قول الشاعر:

إنَّ الثمانينَ وَبُلِّغْتُها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمانِ

(**وَأُهَيْلُوه**): تصغير أهله للتعظيم، والضمير راجع إلى قوله لِمنى، والتقدير: وأهيلوه عندي المُنى أيضاً؛ وذلك كناية عن الأرواح القدسيّة، والملأ الأعلى النازلين في هاتيك المنازل العليّة. (**وإنْ ضَنُّوا**): أي بخلوا عليّ. (**بفَيّ**): بفتح الفاء وتشديد الياء، أي: منعوا عنّي شهود العالم الجسمانيّ، والظلّ النفسانيّ استغراقاً في شهود العالم الروحانيّ، وانتقالاً من استجلاء لطائف المحسوسات إلى لطائف المعاني.

٤٩ - مُنْذُ أَوْضَحْتُ قُرَى الشَامِ وَبَا ... يَنَتُ بَانَاتِ ضَوَاحِيْ حِلَّتَيّ

(**مُنذُ**): ظرف زمان مبني على الضمّ. و(**أَوْضَحْتُ**): أي تَبَيَّنت ورأيت. و(**القُرى**): بضمِّ القاف جمع قَرية، بفتح القاف، وقد تُكسر: المِصر الجامع. و(**الشام**): بالشين المعجمة قطر معروف، وقال في القاموس: «الشام بلاد من مَشأَمَة القِبلة، وسُمِّيَتْ لذلك، أو لأنّ قوماً من بني كنعان شأَموا إليها، أي: تَيَاسَروا، أو سُمِّي بسام بن نوح؛ فإنّه بالشين بالسريانيّة. أو لأنّ أرضها شامات بيض وحمر وسود. وعلى هذا لا يُهْمَز، وقد يذكَّر» انتهى. و(**قرى الشام**): كناية عن عالم الغفلة والغرور؛ لأنهم شمالي الكعبة بيت الله؛ فقد نبذوا الله وراء

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب المغازي، باب: آخر ما تكلّم النبيّ [صلّى الله عليه وسلّم]، ٤٤٦٣.

ظهورهم، وهو نبذ كتابه الذي صوّرهم، وأحوالهم التي كتبها على نفسه من قوله سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٤] ولهذا احتجب بها. يعني: من حين كشف لي عن أحوال الغافلين، وتقلبات خواطرهم في نفوسهم. وقوله (باينتُ): يعني فارقت. (باناتِ): جمع بانة، والبان شجر الخِلاف. و(الضواحي): جمع ضاحية؛ وهي الأماكن التي تَتَنَحَّى عن المساكن، وتكون بارزة، فضواحي البلاد القرى الواقعة حولها قريباً منها. و(حِلّتَيّ): بكسر الحاء المهملة، مثنى حِلّة بالكسر، وهي منزل القوم؛ وإنّما ثنّاها وأضافها إلى نفسه بإدغام ياء التثنية في ياء المتكلّم بعد حذف النون للإضافة، باعتبار حالة الجلال التي يكون فيها، وحالة الجمال؛ فإنّهما منزلان ينزلهما السالك في طريق الله تعالى. والمعنى: ومن حين فارقت الحقائق الإنسانيّة النابتة حول المنزلين اللذينِ في الطريق الإلهيّ من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧] ومنه قول عفيف الدين التلمساني:

أسكرتُ بانَ الحَيِّ يا نسمةَ السحرِ ... فهل أتيتِ من الأحباب بالخبرِ

٥٠- لَمْ يَرُقْ لي مَنْزِلٌ بَعْدَ النَّقَا ... لا وَلا مُستَحْسَنٌ مِن بَعْدِ مَيّ

/ [٤٨/ ب] (راق) لزيد المكانُ يروق إذا صفت له معيشة فيه. (منزل): أي: مقام أُنزلُ فيه بعد منزل (النَّقَا): وهو مكان معروف بقرب المدينة، وقال في القاموس: «النَّقَا من الرمل: القطعة المُحْدَوْدِبَة». كناية عن المقام المحمّديّ الذي هو النقيّ، من نَقِيَ كَرَضِي، نَقَاوَة وأَنْقَاه وتَنَقَّاه فانتقاه: اختاره، وهو صلّى الله عليه وسلَّم النبيّ المُختار من جميع قبائل العرب، ومقامه هو المقام المختار له من بين جميع المقامات الإلهيّة الربّانيّة. وقوله (لا): تأكيد للنفي المفهوم من قوله لم يرق. (ولا): بواو العطف على قوله لم يرق. و(المُستحسَن): اسم مفعول من استحسنت الشيء عددته حَسَناً. (من بعدِ مَيّ): بفتح الميم وتشديد الياء: اكتفاء. وأصله مَيّة،

أو ميّ اسم مستقل، قال في القاموس: «مَيَّة وَمَيّ: من أسمائهنّ». كَنّى بذلك عن الحضرة الوجوديّة المُحْتَجَبَة بصور الأكوان العدميّة.

والحاصل: إنّه يقول من حين كُشِفَتْ لي قُرى الشام، أي: عالم الغفلة والغرور الذي كنت فيه سابقاً باستيلاء أحكام النفس والطبيعة عليّ، فأعرضت عن ذلك، ودخلت طريق الحقّ. ومن حين فارقت مقامات المُجاهَدات في طريق السلوك لم يعجبني منزل، ولا صفا لي العيش في مقام بعد المقام المحمّديّ الجامع لجميع المقامات؛ لعدم وقوف صاحبه عند كلّ ما يظهر له، فيدوم ترقّيه في معارج القرب، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] ولا راق لي شيء أستحسنه من بعد هذه المحبوبة المحتجبة عنّي بي وبكلّ شيء، وقد أشار المصنِّف ـ قدّس الله سرَّه ـ إلى ذلك بقوله من القصيدة الكافيّة الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

قال لي حُسْنُ كلِّ شيءٍ تجلّى ... بي تَمَلَّي فقلتُ قصدي وراكا[1]

هذا معنى دوام الترقّي كما ذكرناه.

٥١- آهِ وَا شَوْقِي لِضَاحِي وَجْهِهَا ... وَظَمَا قَلْبِي لِذَيَّاكَ اللَّمَيّ

(آه): بالمدِّ والهاء المكسورة، كلمة تقال عند الشكاية أو التوقع[2]. وقال في القاموس: «وا تكون حرفاً، وتختص في النداء بالندبة» انتهى. وهنا يتوجع بها من وجود الشوق. و(ضَاحِي وجْهها): أي وجهها الضاحي، والضمير راجع إلى مَيّ في البيت قبله. والضاحي: البادي الظاهر، من ضَحا الطريق ضَحْواً بدا وظهر. وأَضْحَى الشيءَ: أَظْهَره، كما في القاموس. والمعنى: أنّه أبدى الشكاية والتوجّع من كثرة شوقه لوجه المحبوبة الظاهر له من تحت براقع صور الأكوان، قال تعالى:

(١) انظر البيت ٥٣ من قصيدة ته دلالاً.

(٢) لعلّها التوجّع.

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧]. وقوله (وظما): بحذف ألف الندبة تخفيفاً، وأصله: وا ظمآه، والظمأُ: شدة العطش، قال في القاموس: «ظَمِئَ كَفَرِحَ ظَمْأً وظَمَاءَة: عطش، أو أشدّ العطش، وظمِئ إليه اشتاق». وأضاف الظَمَأَ إلى القلب؛ لأنّه موضع المعرفة الحقيقيّة. (لذيّاك): تصغير ذاك، قال في القاموس: «ذا اسم إشارة إلى المذكَّر، يقال: ذا وذاك، ويزاد لاماً فيقال: ذلك، ويصغَّر فيقال: ذيّاك وذيّالك».

و(اللُّمَيّ): بضمِّ اللام وفتح الميم وتشديد الياء: تصغير اللَّمَي، بفتح اللام وفتح الميم مقصوراً، قال في القاموس: «اللَّمَي مثلّثَة سُمْرَة في الشَّفَة» وهي كناية عن الفهوانيّة[1] حضرة الكلام الإلهيّ الذي ليس بحرف ولا صوت، وهذه الحضرة تبثُّ علوماً غريبة في قلوب المقرَّبين.

٥٢- فَبِكُلٍّ مِنْهُ وَالأَلْحَاظِ لِي سَكْرَةٌ وَا طَرَبَا مِنْ سَكْرَتَيّ

(بكلٍّ): أي بكلِّ واحدٍ منه: أي من دلك اللَّمَى: أي الريق والألحاظ، بالجرّ، عطف على الضمير المجرور بمن البيانيّة من غير إعادة الجارّ والمجرور، وهو جائز في السّعة أيضاً كقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [٤/ النساء/ ١] في قراءة الجرِّ عطفاً على الضمير المجرور في قوله: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَاءَلُونَ/ [٤٩/ أ] بِهِۦ﴾ [٤/ النساء/ ١] وقوله (لي سكرة): أي باللَّمَى الذي هو كناية عن الكلام الإلهيّ الذي يقع في قلوب العارفين بطريق الفيض والإلهام بالأسرار الربّانيّة والعلوم السريانيّة، فتقتضي غيبة العقول في تجلّيات النزول. وسكرة أخرى بالألحاظ، وهي: توجهات العيون بالنظر. كناية عن حقائق المعلومات الإلهيّة التي ظهرت آثارها في

(١) قال الجرجاني في التعريفات: «الفهوانيّة: خطاب الحقّ بطريق المكافحة في عالم المثال». انظر التعريفات للجرجاني، ج١ ص٥٤.

صورعوالم الإمكان. ثمّ قال (وَا طَرَبَا): أصله واطربي، فقلبت الياء ألفاً تخفيفاً؛ لأنّ الألف والفتحة أخفّ من الياء والكسرة. والطَرَب محرَّكة: الفرح، والحُزْن، ضِدّ، أوخفّة تلحقك، تَسرُّك أو تَحْزُنك. وتخصيصه بالفرح وهم، كذا في القاموس. والمُراد به هنا الفرح والسرور، والندبة من زيادة ذلك إلى أن توجع منه؛ لانقلابه إلى ضدِّه. وقوله (من سَكْرَتَيْ): بفتح التاء المثنَّاة الفوقيّة وسكون الياء، مثنّى سَكْرَة، وقد حُذفت منه نون لتثنية لإضافته إلى ياء المتكلّم التي أدغم فيها ياء المثنّى، وهذا مقام أهل الرسوخ من المحقّقين، أصحاب التمكين، قال شاعرهم:

لي سكرتان وللنُدمان واحدة ... شيء خصصتُ به من دونهم وحدي

٥٣- وَأَرَى مِنْ رِيحِهِ الرَّاحَ انْتَشَتْ ... وَلَهُ مِنْ وَلَهٍ يَعْنُو الأُرَيّ

(أرى): من الرؤية، بمعنى العلم. و**(من ريحه)**: أي رائحته، والضمير راجع إلى اللُّمَيّ في البيت السابق. و**(الراح)**: الخمر، وهو مفعول أوَّل لأرى. و**(انتَشَتْ)**: صارت ذات نشوة. وهذه الجملة في محل نصب هي المفعول الثاني، قال في القاموس: «نَشَا نَشْواً ونَشْوَةً مثلَّثة سَكِرَ كانْتَشَى وتَنَشَّى» انتهى. يعني: أنَّ الخمر الذي يسكر الناس وهو حرام موجب للحدّ، قد سكر من رائحة هذا اللُّمَيّ، ولم يشربه كما شربناه نحن، فإنّ التجلِّي الإلهيّ ما تحقّق به إلّا الإنسان الكامل. وأمّا كلُّ ما سواه من بقيّة العوالم إنَّما شَمَّتْ رائحته فقط، فسكِرت، فغابت عن الإدراك، ومن جملتها الخمر المعروف، ومن جملة ذلك الحيوانات التي في صور الإنسان من أهل دير الطغيان، فقد سكروا من الرائحة، فَحُمِدوا على هذه الحالة الصالحة وإنْ كانوا مذمومين لتعطيل استعداداتهم الراجحة، قال المصنِّف قدّس الله سرَّه:

هنيئاً لأهل الدير كم سكروا بها ... وما شربوا منها ولكنَّهم همّوا[1]

---

(١) انظر البيت ٣٤ من قصيدة شربنا على ذكر الحبيب مدامة.

ثمّ قال (وَلَهٌ): أي لذلك اللُّمَيّ أيضاً. (وَلَهٌ): بفتح الواو وفتح اللام، أي: تحيّر، قال في القاموس: «الوَلَهُ محرَّكة الحُزْن، أو ذَهاب العقل حُزْناً، والحَيْرَة. وَلِهَ كَوَرِثَ وَوَجِلَ وَوَعَدَ». و(يَعْنو): أي يخضع. و(الأُرَيّ) بضمّ الهمزة وفتح الراء وتشديد الياء، مصغّر الأَرى كالشمع وهو العسل. يعني: إنّ العسل أيضاً يخضع لهذا اللُّمَيّ المذكور من شدّة التحيُّر فيه لشمِّه رائحته ولا يعلمه؛ لأنّه ليس من ذوي العلم.

٥٤- ذُو الفَقَارِ اللَّحْظُ مِنْها أَبَداً وَالحَشَا مِنِّيَ عَمْرٌو وَحُيَيّ

(ذو الفقار): بفتح الفاء وفتح القاف: سيف الإمام علي كرّم الله وجهه. وأصله سيف العاص ابن منبه، قُتل يوم بدر على كفره، فصار إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثم صار إلى علي رضي الله عنه، وهو من حديدة كانت صمصامة عمرو بن معدي كرب، وُجدتْ عند الكعبة من دفن جرهم، أو غيرهم. وإنّما سُمّي ذو الفقار لأنّه كان في وسطه مثل فقرات الظهر. وذو الفقار مبتدأ، و(اللَّحْظُ): خبره، قال في القاموس: «لَحَظَه كَمَنَعَه، و ـ إليه لَحْظاً ولَحَظَاناً، محرّكة: نَظَرَ بمؤخّر عينيه، وهو أشدّ التفاتاً من الشَّزْر. (منها): أي من هذه المحبوبة. (أبداً): أي دائماً، وهو ظرف لما يستقبل من الزمان. كناية عن توجه الحقّ تعالى إلى عبده السالك؛ فإنّه يتنوّر قلب ذلك العبد السالك بالنور الحقيقي؛ فتضمحلّ رسوم ذلك العبد السالك فيموت ويفنى كما يفعل السيف الماضي بالحيوان الحيّ، فإنّه يميته ويفنيه /[٤٩/ب] بحسب العادة، ثمّ قال (والحشا): وهو ما في البطن من كبد وطحال وما يتبع ذلك. وقوله (مِنّي) على معنى: وحشايَ. (عمرو): هو عَمْرو ابن ودّ العامريّ[١]. قتله علي رضي الله عنه بسيفه ذي الفقار المذكور. (وحُيَيّ)[٢]: بضمّ الحاء المهملة وفتح الياء الأولى

(١) من جبابرة قريش وصناديدها، كانت نساء قريش تخيف أبناءها به إذا أرادت أن تنيمها، قتله عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة الخندق.

(٢) حييّ بن أخطب بن شعبة بن عبيد بن الخزرج، من سبط هارون بن عمران. من رؤساء اليهود وعلمائها وشواعرها، وهو من أشدّ يهود عداوة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم قتل مع يهود قريظة بعد الخندق.

مع تشديد الياء الثانية مصغّر حَيّ: ضدّ الميت، وهو والد صفيّة بنت حُيَيّ، اصطفاها النبي صلّى الله عليه وسلّم من سبايا خيبر، وأعتقها، وتزوّجها. وأبوها حُيَيّ يهوديّ من سبط هارون النبيّ عليه السلام، وكان قتله عليّ رضي الله عنه بسيفه ذي الفقار.

٥٥- نَحَلَتْ جِسْمِيْ نُحُوُلاً مِنْهُ حَالِي فَهْوَ أَبْهَى حُلَّتَيّ

(**نَحَلَتْ**): أي المحبوبة من نَحِلَ جَسمه كَسِمِعَ ونَصَرَ وكَرَمَ نُحُولاً: ذهب من مرض أو سفر، كذا في القاموس. (**وخَصْرُها**): أي المحبوبة، كناية عن نفس السالك التي هي وسط عالمه الإنساني، حاملة لجميع أحواله وشؤونه الباطنة والظاهرة بمنزلة الخصر للإنسان في وسط صورته الجسمانيّة، حاملاً لأعلاه وأسفله. والنُّحُول والرِّقّة في خصر المليحة حسنٌ ممدوح، معدود من محاسنها البديعة، وكذلك ضعف النفس ونحولها ورقّتها من جملة محاسن هذه الصورة الإلهيّة المعنويّة؛ ولهذا قال (منه): أي من ذلك النحول. (حالي): أي متحلٍّ، من الحِلية وهي الزينة. ثمّ قال (فهو): أي من ذلك النحول الذي نحلته لجسمي. (أبهى): أفعل تفضيل من البهاء؛ وهو الحُسن. (حُلَّتَيّ): بضمّ الحاء المهملة وتشديد اللام مفتوحة وفتح التاء المثنّاة الفوقيّة، وأُدغمت ياء التثنية في ياء المتكلّم. يعني: أنّ له رضي الله عنه حُلَّتينِ؛ إحداهما الحُلّة التي يلبسها في الظاهر، والحُلّة الأخرى التي هي (أَبْهَى): أي أحسن عنده، هي حُلّة النحول والسُّقْم حيث هي ناشئة في الحقيقةعن نحول نفسه وضعفها التي كَنّى عنها بنحول خصر هذه المحبوبة، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [٣/ آل عمران/ ٢٨] أي: نفسكم التي هي له خَلقاً وملكاً واستيلاءً؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: مصيركم إليه بعد ذهاب غيريّتكم عنكم، وفي آية أخرى قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [٣/ آل عمران/ ٣٠] أي: إذا ظهرت الرأفة بكم منكم؛ فهي رأفته بكم ظهرت منكم لكم.

٥٦- إنْ تَثَنَّتْ فَقَضِيْبٌ فِي نَقَا مُثْمِرٌ بَدْرَ دُجَىً فَرْعِ ظُمَيّ[١]

ثَنَى الشيء كَسَعَى، ردَّ بعضه على بعض فَتَثَنَّى، وانْثَنَى: انعطف، كذا في القاموس. (فتَثَنَّت): مالت وانعطفت. يعني: المحبوبة. وهو كناية عن إظهار سواها منها، فكأنها صارت اثنين وهي واحدة. (فَقَضِيبٌ): أي فهي قضيب، والقضيب الغُصْن؛ وهو الإنسان الكامل من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧] يعني: فنبتّم نباتاً. وقوله (في نَقا): بفتح النون، والنَّقَا من الرمل: القطعة المُحْدَوْدِبة، أي: المستطيلة، كناية عن المقام المحمّديّ الدائم الترقّي؛ فكان الكامل مقيم فيه، وناشئ عليه. وقوله (مُثْمِرٌ): اسم فاعل من أثمرت الشجرة: إذا خرج ثمرها. (بَدْرَ): مفعول اسم الفاعل، والبدر: القمر التمام الممتلئ. كناية عن قلب الإنسان الكامل الممتلئ من معرفة ربِّه، وهو الوُسع الوارد في الحديث القدسيّ: «ما وَسِعَنِي سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[٢] وجعله بدراً لأنّ نور البدر مستفاد من نور الشمس، أي: شمس الحضرة الإلهيّة من غير أنْ ينتقل إليه شيء منها، ولا حلّ فيه شيء منها، كما أنّه لم ينتقل نور الشمس إلى البدر، ولا حلّ فيه؛ ولكن ظهر به كالمرآة المجلوّة إذا ظهر فيها صورة الوجه أو نور السراج من غير انتقال ولا حلول، ثمّ أضاف البدر إلى الدجى؛ لأنّ سلطان ظهوره في الدجى، فإذا طلعت الشمس عليه لا يظهر له نور، كما أنّ الحقّ تعالى إذا انكشف لقلب العارف لا يبقى للعارف وجوده؛ لأنّ وجوده كان

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ رحمه الله تعالى: «بلغ إلى هنا مقابلةً وسماعاً على مؤلّفه قدّس الله سرّه ورضي عنه».

(٢) ذكره في جامع الأحاديث القدسيّة، ١١٢٨. و قال السخاويّ في المقاصد الحسنة: «ذكره الغزاليّ في الإحياء بلفظ: قال الله لم يسعني، وذكره بلفظ: ووسعني قلب عبدي المؤمن الليّن الوادع. وقال مخرجه العراقيّ: لمْ أرَ له أصلاً. وقال ابن تيميّة: هو مذكور في الإسرائيليّات، وليس له إسناد معروف عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. ومعناه: وسع قلبه الإيمان بي، ومحبّتي، ومعرفتي».

بطريق ظهور وجود الحقّ تعالى عليه، فإذا تحقّق القلب بوجود الحقّ تعالى وهو الوجود/[٥٠/أ] الحقيقي لا يبقى لشيء عنده وجود أصلاً. (**والدجى**): جمع دُجية. قال في القاموس: «الدُّجْيَة بالضمّ: الظُّلْمَة، وجمعه دُجَىً». وذلك كناية عن ظلمة الأكوان، أي: غيريّتها للحقّ تعالى بالوجود، ثمّ أبدل من الدجى قوله (**فَرْعٍ**): بالجرّ، والفَرْع الشَّعْر التامّ، ومن المرأة شعرها. ولما نشأ الكون من تجلّي الحقّ تعالى، وشَهِدَهُ الجاهل والغافل عن المعرفة انقلب نوره ظلمة؛ فصار أسوداً كالشَّعْر، وعاد الفيض الإلهيّ له شعوراً نفسانيّا، فكان شعراً. ومنه الشِّعْر، بكسر الشين المعجمة؛ لأنّه حديث النفس وشعورها، وقد تنزّهت عنه الأنبياء عليهم السلام. قال في شأنِ نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [٣٦/يس/٧٠] ثُمّ أضاف الفَرْع إلى (**ظُمَيّ**): بضمّ الظاء المعجمة وفتح الميم وتشديد الياء، أصله ظُمَيئَة، مصغَّر ظمآنة؛ وهي المليحة الظمآنة، أي: العطشانة من الشوق والمحبّة، كما يقال: كالغزال العطشان؛ فإنّه يهجم على الماء من شدّة عطشه. فيحسُنُ منه هذا الوصف. ثُمَّ بعد التصغير حذف آخره تخفيفاً على طريقة الاكتفاء، فقيل: ظُمَيّ كناية عن الحضرة الإلهيّة المشتاقة إلى الأكوان بالمحبّة الحقيقيّة.

٥٧- وَإِذَا وَلَّــتْ تَوَلَّــتْ مُهْجَتِــي   أَوْ تَجَلَّــتْ صَــارَتِ الأَلْبَــابُ فَــيْ

(**ولَّت وتولّت**): بتشديد اللام فيهما، بمعنى: أدبرت وأعرضت. و(**المُهْجَة**): الروح. يعني: إذا أعرضت عنّي هذه المحبوبة فإنّ روحي تذهب وتصير نَفْساً، والروح من أمر الله ، والنفس أمّارة بالسوء، وليس في بدن الإنسان إلا شيء واحد فيُسَمَّى روحاً لصدوره عن أمر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [١٧/الإسراء/٨٥] ويسمّى نفساً لوروده على الأكوان، واشتغاله بها بسبب غلبة أحكام الطبيعة. والنفس تموت بحكم قوله تعالى: ﴿ كُلُّ

نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨٥] وهي التي تفنى ثمَّ تعود يوم القيامة للجزاء؛ الخير والشر. والروح لا تموت أبداً لأنها خُلقت للبقاء الدائم. وقوله **(أو تجلّت)** يعني: برزت وانكشفت وظهرت للسالك. **(صارتِ الألباب)**: جمع لُبّ؛ وهو العقل. سُمّي بذلك لأنّه لُبّ، والقشر الإنسان. والعقل لسان الروح والصافي منها. يعني: صارت العقول أفياء، و**(الفيْ)**: مهموز، حذفت همزته تخفيفاً، إمّا بمعنى الظِّلّ، قال في القاموس: «الفَيْء: ما كان شمساً فنسخه الظِّلّ، وجمعه أفياء». كَنَّى به عن رسوم الأمر الإلهيّ، وهو ظهور الروح عنه بلا واسطة، كما قلنا في أبيات لنا:

إنّ العــــــوالم كلّهــــــا	بظهورهــــــا والاختفــــــاء
في سرعــــــة وتقلُّــــــب	مثــــــل الكتابــــــة في الهــــــواء

أو كَنَّى بالفَيْء عن الغنيمة التي يظفر بها المحارب من مال العدوّ. يعني: صارت العقول غنائم لها فانتهبتها. ويؤيِّد الأوّل إشارة قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥-٤٦].

٥٨- وَأَبَــــى يَتْلُــــوَ إلّا يُوسُــــفاً حُــسْنُهَا كَالــذِّكْرِ يُـتْلَى عَــنْ أُبَــيّ

(أَبى): الشيءَ يَأْبَاهُ ويَأْبِيه: كرهه. و**(يَتْلُوَ)**: منصوب بأنْ مقدرة على حدِّ قول العرب: «خُذْ اللّصَّ قبل يأخُذَكَ». أي: قبل أنْ يأخذك. وتَلَوْتُهُ: كدَعَوْتُهُ ورَمَيْتُهُ، تُلُوّاً كَسُمُوّ: تَبِعْتُهُ، كذا في القاموس. **(إلّا)**: أداة استثناء. **(يوسفاً)**: هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، والضمير في قوله **(حُسْنُها)**: عائد إلى المحبوبة. يعني: كره وامتنع حُسْن هذه المحبوبة أنْ يكون تابعاً إلّا ليوسف النبيّ عليه السلام. يعني: وصفاً ظاهراً عليه؛ فإنّ الأوصاف تابعة للذوات، ولم يجد حسنها قابلاً للظهور به إلا يوسف عليه السلام في ذلك الزمان، فكان حُسن يوسف عليه السلام في عصره الأوّل الظاهر عليه هو حُسْن هذه المحبوبة، وسماه

حُسْناً باعتبار ظهوره بالأثر، وإلا فهو جمال، والجمال: الحُسن في/ [٥٠/ ب] الخَلق والخُلق، كما في القاموس. والظاهر أنّ الواو بمعنى الجمع، أو بمعنى (أو)، بدليل قول القاموس: «والحُسْن بالضمِّ الجَمَال» فهما مترادفان. وقد يقال: إنَّ ما بالذات فهو الجمال، وما بالعَرَض فهو الحُسْن. وعلى كلّ حال فلا يقال في الحقّ تعالى: حُسْن، ويقال: جميل كما ورد في الأثر: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال»(١) . فهذه الحضرة المحبوبة ظهر جمالها، لا حُسْنُها في يوسف عليه السلام، فكان حُسْناً له؛ لأنّه أثر جمالها، لا عين جمالها. وإنْ صحّ أن يُطلق عليه جمالاً من غير أنْ يُطلق على جمال هذه الحضرة المحبوبة حُسْناً تأدُّباً مع الوارد في الأثر، ولأنّه بالعَرَض وجماله بالذّات، كما ذكرنا. ثمّ قال (**كالذِّكْر**): أي القرآن، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [١٥/الحجر/٩]. وهذا جواب عن سؤال مقدَّر، تقديره كيف يجوز أن يكون جمال الحقّ تعالى تابعاً للمخلوق، وهو يوسف عليه السلام؟. فأجاب عنه بقوله (**كالذكر**): أي كالقرآن العظيم الذي نزل على نبيِّنا محمّد صلَّى الله عليه وسلّم أفضل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. ومع ذلك يُتلى، بالبناء للمفعول. بمعنى: يقرأ، من تَلَا بمعنى قرأ. والفاعل محذوف، وهو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقوله (**عن أُبَـيّ**): بضمِّ الهمزة وفتح الباء الموحَّدة وتشديد الياء؛ وهو أُبيّ بن كعب، الصحابي رضي الله عنه، وكان يقرأ عليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم القرآن، وكان يقول عليه السلام: «أقرؤكم أُبـيّ»(٢). ورويَ عن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قرأ على أُبَي بن كعب سورة ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب: وأمّا حديث معمر،٦٩. وللحديث أطراف أخرى.

(٢) ذكره في شرح سنن النسائي، كتاب الإمامة والجماعة، إمامة أهل العلم،٧٦٩. وذكره ابن حجر في الفتح، باب: قوله باب إذا استووا في القراءة ج٢ص١٧١. وقال البقاعيّ في تفسيره: رواه أحمد والترمذيّ وابن ماجه، عن أنس، وهو صحيح. انظر نظم الدرر في الآيات والسور للبقاعيّ، ٢٢/ ١٦٨.

كَفَرُواْ﴾ [٩٨/ البينة/ ١] وقال: «أمرني الله عزَّ وجلّ أن أقرأ عليك»[١] وهي منقبة عظيمة لأُبَيّ لم يشاركه فيها أحد من الناس. وكان عمر رضي الله عنه يقول: «أُبَيّ سيد المسلمين»[٢]. والمعنى: إنّه لا يبعد تبعيّة الأعلى للأدنى، فإنّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم مع أنّ القرآن نزل عليه كان تابعاً لأُبَيّ بن كعب أحد أصحابه المؤمنين به، يقرأ عليه القرآن المنزل عليه صلّى الله عليه وسلّم بأمر الله تعالى له بذلك. وأقرب من هذا في الدلالة ما أشار إليه الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات في معنى ذلك، وهي قوله:

تطوف بقلبي ساعة بعد ساعة	بوجد وتبريح وتلثم أركاني
كما طافَ خيرُ الخلقِ بالكعبةِ التي	يقومُ دليلُ العقلِ فيها بنقصانِ
وقبَّلَ أحجاراً وهوَ ناطقٌ بها	وأين مقام البيت من قدر إنسان

٥٩- خَرَّتِ الأَقْمارُ طَوْعاً يَقْظَةً   أَنْ تَراءَتْ لَا كَرُؤْيا فِي كُرَيّ

(خَرَّتْ): بتشديد الراء، أي: سقطت من علوّ إلى أسفل، و(الأقمار): جمع قمر، والقمر يكون في الليلة الثالثة، كناية عن العارفين بالله تعالى الظاهرعلى تقادير أرواحهم وأجسامهم المحفوظة في حضرة العلم القديم، نور الوجود الحقّ الحقيقيّ من غير انتقال، ولا انفصال، ولا اتصال، ولا دخول، ولا خروج، ولا حلول، ولا اتحاد، ولا انحلال. كما يظهر نور الشمس في صفاء مرآة القمر من غير انتقال: ولا انفصال، ولا اتصال.

والمعنى: أنّه تجلّى لهم، وانكشف الوجود الحقيقي، فبطل وجودهم الموهوم، واضمحلت رسومهم عندهم. ثمّ قال (طَوعاً): أي اختياراً منهم، لا كرهاً عنهم لانكشافهم على حقيقة الأمر، وعدم استتار الشأن الإلهيّ عنهم، فظهر حُسْن هذه

(١) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب التفسير، باب: حدّثنا محمّد بن بشار، ٤٩٥٩.
(٢) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، باب: أُبي بن كعب بن قيس ١/ ١٦٨.

الحقيقة عليهم؛ وهو الجمال الإلهيّ كما ظهر على يوسف عليه السلام؛ ولهذا كنّى عنهم بالأقمار. وقوله (**يقْظة**): بسكون القاف تخفيفاً. واليَقَظَة كما في القاموس محرّكة: نَقيض النوم. يعني: إنّ ذلك لم يقع لهم في المنام، وإنّما كان في حال اليقظة على وجه التحقيق التام. ثمّ قال (**أَنْ تَراءتْ**): بفتح همزة أن، أي: لأن؛ فأن بالفتح مصدريّة. والأصل: تراءيت على وزن تفاعلت، فحرَّكت الياء، وانفتح ما قبلها، فانقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان: الألف والتاء فحذفت الألف لذلك، [٥١/أ] فوزنه تفاعَلَتْ. ومعنى تراءت ظهرت وانكشفت. يعني: تلك الحضرة المحبوبة للمكنّى عنهم بالأقمار كما ذكرنا. وقوله (**لا كرؤيا**) قال في القاموس: «الرُّؤْيا: ما رأيته في منامك» انتهى. و (**الكُرَيّ**): بضمّ الكاف وفتح الراء وتشديد الياء، مُصغَّر كَرَى، والكَرَى: النوم. يعني: إنّ ذلك لا كالرؤيا في المنام، مجرّد تخيّل؛ لأنّه تحقّق على وجه اليقين، لا ظن وتخمين.

٦٠- لَـمْ تَكَدْ أَمْنَاً تُكَدْ مِنْ حُكْمِ لَا   تَقْـصُصِ الرُّؤْيَـا عَلَـيْهِمْ يَـا بُنَـيّ

(**لم تَكَدْ**): بفتح التاء المثناة الفوقية وفتح الكاف، لم نافية جازمة لتكَد الفعل المضارع، وأصله تكاد، فحُذفت الألف لالتقاء الساكنين، والضمير المستتر للمُكَنّى عنهم بالأقمار في البيت قبله، أي: لم تكد الأقمار، وتكاد: من أفعال المقاربة. و(**أمناً**): منصوب على أنّه تمييز. والأمن: خلاف الخوف. يعني: لم تقارب من جهة الأمن الحاصل لها من الحقّ تعالى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [٢٤/ سبأ/ ٣٤] أي: في غرفات طبائعهم وبَشريّاتهم حصل لهم الأمن التام من غضب ربِّهم عليهم. وقوله (**تُكَدْ**): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وفتح الكاف، من الكيد؛ وهو المكْر، يقال كاد زيد عمراً: إذا مَكَرَ به. وهو فعل مضارع مجزوم على أنّه بدل من تكد الأولى، بدل غلط ، والمقام يقتضي الغَلط والسهو والذهول، فكأنّه أراد أنْ يقول ابتداءً تُكد بضمِّ التاء فقال تَكد بفتح التاء. وقوله (**من حُكْم لا تقصصْ الرؤيا عليهم يا بنيّ**): وهو تصغير ابن، أي: من مقتضى ما وقع

ليوسف عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عن أبيه يعقوب عليه السلام أنّه قال له: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ [١٢/ يوسف/ ٥] وقد وقع في التقدير أنّ إخوته كادوا له كيداً فنجّاه الله تعالى من ذلك. وسبب ذلك الكيد الواقع منهم له حكاية ما رآه أوّلاً في عالم خياله المنامي فتحدّث به، وهو منام ورؤيا في منام قبل أنْ يصير في اليقظة، فبلغ إخوته فكادوه، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [١٢/ يوسف/ ٤] وأمّا هؤلاء الأقمار المحمّديّون فإنّهم لم يتحدّثوا بما رأوه في خيالهم حفظاً إلهيّاً مراعاة لصاحب المقام في الإرث المحمّديّ؛ حال كونهم في عالم السلوك قبل الوصول؛ فإنّه ورد: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»[1] ولهذا لم يكدهم كائد، قال العفيف التلمسانيّ:

ولا تنطقوا حتى تروا نُطْقَها بكم ... يلوح لكم منكم فتلكم شؤونها

٦١- شَفَعَتْ حَجِّي فَكَانَتْ إِذْ بَدَتْ ... بِالْمُصَلَّى حُجَّتِي فِي حِجَّتِي

(شَفَعَتْ): أي المحبوبة المذكورة، من الشَّفْع، بخلاف الوَتر؛ وهو الزوج، وقد شَفَعه كمَنَعَه، كذا في القاموس. أي: صيَّرت حَجّي؛ وهو قصدي بيت الله تعالى لأداء النسك. (شفعاً): أي حَجَّينِ اثنين، حجاً في الظاهر إلى الكعبة التي هي بيتها المعظّم، وحجاً في الباطن إلى قلبي المتجلية عليه الذي هو بيتها المكرّم من قوله عليه السلام: «ما وسعني سمواتي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»[2]. ثمّ بيّن ذلك بقوله (فكانت): أي تلك الحضرة المحبوبة. (إذ بَدَت): أي ظهرت وانكشفت. (بالمُصَلَّى): مشدد اللام مفتوحة، اسم مكان بنواحي مكّة. كناية عن العقل المهتدي المقبل على الحقّ تعالى. (حُجَّتي): بضمّ الحاء المهملة وتشديد الجيم

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

(٢) انظر تخريجه ص٣٢٤.

مفتوحة، وهي البرهان الساطع، والشاهد القاطع، قال تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [١١/ هود/ ١٧] أي: يتبعه شاهد من نفسه، وهو عقله، مؤيِّد عنده لشرعه. (في حِجَتَيّ): بكسر الحاء المهملة تثنية حِجَّة بالكسر، المرة الواحدة من الحَجّ، قال في القاموس: «وهو شاذ، أي: مخالف للقياس؛ لأنّ فعله حَجَّ بالفتح، وحِجَّتَيْ مثنّى حذفت منه النون مضاف إلى ياء المتكلِّم، فأُدغمت الياء في الياء، يعني فهي /[٥١/ ب] دليلي وبرهاني على كونها شفعت حجِّي فصار حجَّين، ولا دليل لي، ولا حُجَّة عندي غيرها على ذلك؛ إذ لا قدرة للكامل أنْ يظهر كماله، ولا حُجَّة له ولا برهان إلا ربّه تعالى، فإنْ أظهره ظهر، وإنْ ستره استتر.

٦٢- فَلَهَا الآنَ أُصَلِّي قِبلَتْ ذَاكَ مِنِّي وَهْيَ أَرضَى قِبْلَتَيّ

(لها): أي لهذه المحبوبة لا لغيرها. (الآن): أي في مقامي هذا الذي أقامتني فيه. (أصَلِّ) لها إذا صَلَّيتُ فرضاً أو نفلاً. ثمّ قال (قَبِلْتُ): أي تلك المحبوبة. (ذاك مِنّي): أي صلاتي إليها. يعني: إلى وجهها الظاهر في كلّ شيء من قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. وسبب القبول منها أنّه قد اتّقى، أي: توقى غيرها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [٥/ المائدة/ ٢٧]. ثُمّ قال (وَهْيَ): أي تلك المحبوبة. (أرضى): أي أكثر رضاء منها عنّي إذا صلَّيت إليها، أو صلَّيت إلى الكعبة، وهما المراد بقوله (قِبْلَتَيّ): بلفظ التثنية المضافة إلى ياء المتكلِّم؛ فصلاة الظاهر قبلتها الكعبة، وصلاة الباطن قبلتها وجه المحبوبة. وكلا القبلتين للعارف الكامل، لا يدع واحدة منها في كلّ صلاة دائماً؛ ولهذا أضاف القبلتين إليه.

٦٣- كُحِلَتْ عَيْنِي عَمَىً إنْ[١] غيرَهَا نَظَرَتْهُ إيْهِ عَنِّي ذَا الرُّشَيّ

(كُحِلَتْ): فعل ماض مبني للمفعول، وعيني نائب الفاعل، ويصحّ أنْ يكون

(١) في (ق): عن.

مبنياً للفاعل، والضمير للمحبوبة. (**عَمَىً**): مصدر عَمِيَ، كَرَضِيَ، عَمِيَ: ذهب بصره كلّه، أي: كُحِلَتْ عَينيَّ كُحْلَ عمى، وهي جملة دعائيّة، دعا بها على نفسه. (**إنْ غيرَها**): أي غير هذه المحبوبة. (**نظرتُ**): أي عيني. يعني: أنَّ عيني لا تنظر إلا إلى هذه المحبوبة أعماها الله تعالى إنْ كانت تنظر إلى غيرها، من قبيل قول العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه من أبيات له:

نظـرتُ إليهـا والمليـح يظنني نظـرت إليهـا لا ومبـسمها الألمـى

ولكـن أعارتـه التـي الحسنُ وصفُها صـفاتِ جمـالٍ فـادَّعى مُلْكَهـا ظُلـما

ثمّ قال (**إيْهِ**): بكسر الهمزة وسكون الياء وكسر الهاء. قال في القاموس: «إيْهِ بإسكان الياء، زَجْر بمعنى حَسْبُك، مبنيّة على الكسر» انتهى. والمناسب هنا الزجر. يعني: انزجِرْ عنِّي وانصرف يكفيك ما اتهمت به منك عند الغافلين وبين الجاهلين . قوله (**ذا الرُّشَيِّ**): مصغَّر رشا، والرَّشَا محرَّكة: الظبي إذا قَوِيَ ومشى مع أمّه. كناية عن الغلام المليح، أوالجارية المليحة كما هو المشهور عند الشعراء قال الحاجري:

أُدْعـوهُ إنْ أبـدى التلفُّـتَ يـا رشـا وأُشـير بالغُـصن الرطيـب إذا مـشى

ومعنى (**ذا الرُّشَى**): أي يا ذا الرشا، فهو منادى يشبه المضاف، حذف منه حرف النداء. يعني: انزجرْ عنِّي وانصرف أيها المليح؛ فإنِّي لا أنظر إليك، وعميت عيني إنْ نظرت إليك. إمّا إنشاء دعاء منه على نفسه كما ذكرنا، أو خبر عن حاله أنّه متى نظر إلى مليح الكون عميت عينه عن شهود الحقّ تعالى في الذي نظر إليه، وفي غيره. وهذا أقوى دليل من المصنِّف قدّس الله سرّه على أنّ كلّ تغزل يقع في كلامه سواء كان مذكراً أو مؤنّثاً، أو تشبيب في رياض، أو زهر، أو نهر، أو طير، ونحو ذلك؛ فمراده الحقيقة الظاهرة المتجلِّية بوجهها الحقّ الباقي في ذلك الشيء الفاني الهالك. وليس مراده ذلك الشيء الذي هو في نظره وتحقيقه مجرَّد رتبة

وهميّة، وصورة تقديريّة ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [٣٦/ يس/ ٣٨]. وكذلك أمثال المصنِّف رضي الله عنه وعنهم من المحقّقين من أهل المعارف الإلهيّة، واليقين في كلامهم كلّه: نظماً أو نثراً، كلاماً عرفيّاً، أو شرعيّاً، أو عقلياً. ومن فسّر كلامهم، أو حمله على غير ما أرادوه فقد حرّف الكلمُ عن مواضعه كما قدّمناه في ديباجة هذا الكتاب، والله أعلم بالصواب.

٦٤- جَنَّــةٌ عِنْــدِي رُبَاهَــا أَمْحَلَــتْ أَمْ حَلَتْ عُجِّلْتُها مِنْ جَنَّتَيّ/ [٥٢/ أ]

(جَنَّة): خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هي جنَّة. يعني: المحبوبة. و(عِنْدِي): أي كائنة عندي، خبر مقدّم، ورباها مبتدأ مؤخّر، والضمير للجنّة. و(الرُّبا) جمع ربوة مثلثة الراء، اسم لما ارتفع من الأرض. كناية عن المقامات الإلهيّة، والأحوال الربّانيّة التي يكون فيها السالك في طريق الله تعالى، وهذه هي جنّة المعارف والعلوم كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٤٦] يعني: جنّة الحِس، وهي المعروفة في الآخرة. وجنّة المعاني، وتكون في الدنيا والآخرة. ثمّ قال تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٦٣] وقال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٦٦] إلى آخر ما وصفهما به. وقوله (أمحلت): يعني تلك الجنّة. من أمحل المكان، أي: أجدب وانقطع المطر عنه، ولم تثمر أشجارها، قال القائل:

مُنى إنْ تكنْ حقّاً تكنْ أحْسَنَ المُنى وإلا فقد عِشْنا بها زمَناً رغداً

ثمّ قال (أم): وهي حرف استفهام. و(حَلَت): فعل ماض من الحلاوة. يعني: أثمرت بما يحلو من لذائذ المناجاة ولطائف الخطابات، والمكالمات الحاصلة في الدنيا والآخرة. ثمّ قال (عُجِّلْتُها): بضمِّ العين المهملة وتشديد الجيم وسكون اللام على البناء للمفعول، أي: جُعِلَتْ هذه الجنّة مُعجّلَة لي. وقوله (من جَنَّتَيّ): بفتح الجيم وتشديد النون مفتوحة وسكون اللام[1]، بصيغة التثنية، والمثنّى مضاف

(١) هكذا وردت في المخطوط، ولعلّ عين الناسخ ذهبت إلى السطر فوقه فنقل (وسكون اللام) منه.

إلى ياء المتكلِّم. يعني: رباها جنّة عندي سواء أثمرت أو لم تثمر عجّلها الله لي من جملة الجنتين اللتين تكونان في الآخرة: جنّة الحسّ، وجنّة المعنى اللتينِ وعدهما الله تعالى لمن خاف مقامه، والتزم شرائعه وأحكامه.

٦٥- كَعَـرُوْسٍ جُلِيَـتْ فِي حِـبَرٍ   صُـنْعِ صَـنعاء ودِيبـاجِ خُـوَيّ

أي: هي. يعني: المحبوبة كعروس. (جُلِيَتْ): بالبناء للمفعول، من الجَلْوَة، وهو الزِّفاف. (في حِبَر): بكسر الحاء وفتح الباء الموحّدة، جمع حِبَرَة، كَعِنَبَة؛ وهي ضرب من بُرود اليمن. كناية عن التجلّيات الإلهيّة المختلفة في أنواع الصور البديعيّة. وقوله (صُنْعِ): بالجر، صفة حِبَر. و(صَنعاء): بفتح الصاد المهملة وسكون النون، وبالعين المهملة اسم مدينة باليمن كثيرة الأشجار والمياه، تشبه دمشق الشام، ينسب إليها غرائب الصنائع من البُرود، والديباج: نوع نفيس من الأقمشة، ينسج بالذهب والحرير. و(خُوَيّ): بضمّ الخاء المعجمة وفتح الواو على صيغة التصغير، بلدة بأذربيجان ينسب إليها الديباج البديع.

٦٦- دَارُ خُلْـدٍ لَـمْ يَـدُرْ فِي خَلَـدِي   أَنّـهُ مَـنْ يَنْـأَ عَنْهَـا يَلْـقَ غَـيْ

يعني: هي. أي: المحبوبة. (دار خُلْدٍ): بضمّ الخاء المعجمة وسكون اللام، البقاء والدوام كالخلود. كناية عن خلود عارفيها في أنواع اللطائف، ولذائذ المعارف، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي: عن كلّ ما سواه ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ وهو الاتحاد المعنوي بين أهل الكمال من قول الأستاذ الأعظم والشيخ الأكبر قدّس سرّه:

كُنّـا حروفـاً عاليـات لم تُقَـل   متعلّقـاتٍ في ذرا أعـلى القُلَـل

أنـا أنـت فيـه ونحـن أنـت وأنـت هـو   والكـلّ في هوهـو فسل عمّـن وصل

فإنّه كَنّى بقوله (ذرا أعلى القُلل) عن حضرة العلم الإلهيّ الذي فيه جميع الكائنات، وفيه أنا أنت وهو الاتحاد الذي ذكرناه بين أهل الكمال بعد محو الرسوم

وفناء الأرواح والجُسوم مما لا يعرفه إلا أهل الكمال في العلوم. وقوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [٨٩/ الفجر/ ٣٠] أي حضرة علمي التي فيها أنا أنت، ونحن أنت، وأنت هو، والكلّ في هو هو، مما يتحقّقه الواصل، فيسأل عمّا لديه منه حاصل، وهو قوله (فسل عمَّن وصل) فهي دار الخلد، ودار الأمان، وهي جنّة المعاني التي قال تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ / [٥٢/ ب] دَانٖ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٥٤] وهي عند العارفين الواصلين أشرف من جنّة الحسّ التي هي في الآخرة لعباده الصالحين، كما قال المصنِّف رحمه الله تعالى ورضي عنه:

يــا جنّــةً فارقتْهــا الــنفسُ مُكرَهــةً   لــولا التأسّي بـدار الخلـدِ مُتُّ أسىً

أي: دار الخلد المحسوسة في الآخرة وإنْ كانت هي أيضاً دار خلدٍ لأهل المقامات الفاخرة. وقوله (لم يَدُرْ): أي لم يخطر. (في خَلَدِي): بفتح الخاء المعجمة، وفتح اللام، أي: في بالي، وفي قلبي، وفي نفسي. (أنّه): بفتح الهمزة. والضمير للشأن. (مَن يَنْأَ): أي يعرض. (عنها): أي عن تلك الجنّة. (يَلْقَ): بحذف الألف؛ لأنّه مجزوم على أنّه جزاء مَنْ الشرطيّة. كما حُذفتْ الألف أيضاً من قوله (ينأ) المجزوم على أنّه فعل الشرط. والضمير في فعل الشرط وفي جزاءه راجع إلى مَن الاسميّة الشرطيّة. و(غَيْ): بالغين المعجمة مفعول يلقَ، والوقف عليه لغة ربيعة، والجملة فاعل (لم يَدُرْ). وجملة (لَمْ يَدُر في خَلَدي) صفة (دار خُلْد): أي هي موصوفة بزيادة الأمان عندي بحيث أنّه لم يخطر في بالي أنّ مَن يُعرض عنها بغفلة ونحوها يلقَ غيّاً. أي: ضلالاً، وحَيْرة، وعمى؛ لأنّها جامعة للكلّ بحيث لا يخرج عن حضرة علمها شيْ. لكن هل يستوي الذين يعلمون بذلك، والذين لا يعلمون. وقوله: مَنْ ينأ عنها... إلى آخره من قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [١٩/ مريم/ ٥٩] وهذا معنى النأي عنها: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ وبيان ذلك إنّ إضاعة الصلاة عدم الخشوع والحضور والمراقبة فيها؛ وسبب ذلك اتّباع الشهوات، أي: تعلق القلب بالشهوات تلذّذاً وتعشّقاً، وذلك

يقتضي الإعراض والنأي عن الحقّ تعالى عند الجاهلين به تعالى، المحجوبين عن معرفة تجلّياته في كلّ شيء مع بقاء أحكامه على الأشياء، والعارف الواصل في طور وراء ذلك حاصل.

٦٧- أيّ مَنْ وَافَى حَزِيناً حَزْنَهَا سُرَّ لَوْ رَوَّحَ سِرِّي سِرُّ أيّ

(أيّ): بالتشديد، اسم شرط جازم. (وافى): أي أتى. و(حَزيناً): حال من فاعل وافى. و(الحَزْن): بالفتح ضد السهل. (سُرَّ): بالبناء للمفعول، أي: دخل عليه السرور، وذلك باعتبار نسبة الحزن إليها. يعني: كلّ من اقتحم الأمور الصعاب في محبّتها سَهُلت عليه، ودخل عليه السرور من قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾[٢٩/ العنكبوت/ ٦٩] والهداية إلى سبله تعالى، أي: طرق معرفته، ومناهج شهوده في تجلّياته، ولا سرور أتمّ من ذلك عند المحبِّ السالك. ثمّ قال (لو): وهو حرف تمَنّي. (رَوَّح): بتشديد الواو، أي: جَلَبَ الراحة، خلاف التعب. (سِرِّي): مفعول روّح. و(السرّ): هنا بمعنى الباطن، والقلب. و(سِرُّ): فاعل روَّح، وهو ما تضمَّنه قوله، أي: مَنْ وافى .. إلى آخره. وفيه ردّ العجز على الصدر. والمعنى: لو أنّ هذا القول يوجد راحة في قلبي؛ فإنّ الأقوال عبارات تمرّ على اللسان ولا تؤثّر نتيجة مقصودة في قلب الإنسان، كما قال العارف الكامل أحمد الغزالي في كتابه تجريد التوحيد: ما احترقَ لسانُ أحدٍ قالَ نار، ولا استغنى من قال ألفَ دينار.

٦٨- بِئْسَ حَالاً بُدِّلَتْ مِنْ أُنْسِهَا وَحْشَةً أَوْ مِنْ صَلَاحِ العَيْشِ غَيّ

(بِئْسَ): كلمة ذمّ. و(حالاً): تمييز، أي: بئس الحال حالاً. يعني: حاله في محبّة هذه المحبوبة. وقوله (بُدِّلَتْ): على صيغة المبني للمفعول، والضمير للحال. وقوله (من أُنْسِها): متعلّق ببدّلت. و(الأُنس): بالضمّ خلاف الوَحشة، والضمير للمحبوبة، أي: من أُنسه بها، ولم يقل وحشة منها؛ لأنّها لا وحشة بها؛ وإنّما

الوحشة من ملاحظة أغيارها، والغفلة عنها؛ فإنّه لمّا ذكر في البيت قبله أنّ مَن اقتحم مشقَّاتها وشدائدها فهو مسرور أتمّ السرور / [٥٣/ أ] ذكر في هذا البيت أنّ حاله بئس الحال. حيث بُدِّلت الحال عليه من أُنسه بها وحشة بسبب ملاحظة أغيارها، والغفلة عنها. أو بُدِّلت من صلاح العيش، أي: عيشه بها، وانتظام أموره في طريق محبَّتها. (غَيّ): بالغين المعجمة، وهو الخيبة، والحرمان، وفساد الحال، واضطراب الأمور. و(غَيْ): بالسكون لغة ربيعة؛ فإنّ حاله حينئذ كان بئس الحال؛ فإنّ كلّ واحد منهما حيث حصّل لمكانة حاله بئس الحال. في الإقامة والترحال.

٦٩- حَيْثُ لَا يُرْتَجَعُ الفَائِتُ وَا حَسْرَتَا أُسْقِطَ حُزْناً فِي يَدَيّ

(حيثُ): ظرف مبني على الضم. و(يُرتجَع): بالبناء للمفعول. و(الفائتُ): بالرفع نائب الفاعل. يعني: الأمر الفائت، وهو ما وقع منه قدّس الله سرّه من الذلَّة الموجبة للغفلة، والذهول من ملاحظة الحقّ في حال سلوكه، كما وقعت الإشارة منه إلى ذلك في صدر الديوان بقوله:

من ذا الذي ما ساء قطّ ومن له الحسنى فقط

حتى سمع الهاتف الغيبي بقوله له:

محمّد الهادي الذي عليه جبريل هبط

ثمّ قال (وا حَسْرَتَا): ندبة لحاله بالتأسف بسبب ذلك. (أُسْقِطَ): بضمير الهمزة، يقال: أُسْقِطَ في يده، بمعنى: زَلَّ وأخطأ، وتحيَّر. و(حُزْناً): تمييز. وقوله (في يَدَيّ): متعلّق بأُسقط. وأصله في يدين، تثنية يد، وحُذفت النون للإضافة إلى ياء المتكلِّم، وأدغمت ياء التثنية في ياء المتكلِّم فصار في يديّ بتشديد الياء، وزلَّة هذا الشيخ رضي الله عنه تحتمل أن تكون غفلة، أو هفوة، وهي من ذنوب المقرَّبين التي هي حسنات عند الأبرار. واعلم أنّ العصمة من الذنوب الكبائر والصغائر أمر مخصوص بالأنبياء والمرسلين؛ لأنّ الأحكام الشرعيّة في الشرائع كلّها لا

تُعرف إلا منهم بسبب الوحي المخصوص بهم. وأمّا الأولياء الورثة للأنبياء والمرسلين في العلوم النبويّة، وليسوا ورثة في الوحي، ولا في العصمة من الذنوب؛ وإنّما لهم الحفظ في مقابلة العصمة والإلهام في مقابلة الوحي، فيصدر من الأولياء الذنوب، كبائرها وصغائرها، ويُحْفَظون من شؤم ذلك بالتوبة والندم والإقلاع وعدم الإصرار حتّى يترقّى في الأمر في حقّهم، فيصيرون يعدّون الغفلات ذنوباً، والعبادات مع الغفلات ذنوباً. وكلّما ترقُّوا في المقامات ترقت معهم المعاملة الإلهيّة، فيعدّون التقوى والورع، والزهد والصبر، والشكر ـ مع دعوى النفوس أنّها قائمة بذلك متصفة به ـ ذنوباً، فيتوبون منه لاقتضاء ذلك انحجابهم عن شهود مقاماتهم حتى اشتُهر قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين»؛ لانَّ المقرّبين يعدّون الحجاب عن الحقّ تعالى عنهم هو العقاب منه تعالى لهم، لأنّه يقتضي إعراض الحقّ عنهم، ومع ذلك فالأولياء كلّهم ليسوا بمعصومين من الذنوب كلِّها؛ بل ولا من الكفر والشرك، وكم من ولي مقرَّب سُلب حاله، وكان إلى الضلال مآله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٧٠- لَا تُـمِلْنِي عَـنْ حِمَـى مُرْتَبَعِـي عُدْوَتَـيّ تَـيْمَا لِرَبْـعٍ بتُمَـيّ

هذا بيان لزلّته بأنّها ميل خاطره عن جناب الحقّ تعالى بإمالةٍ حصلت له من جهة عدوٍّ له، المعادي له في نفسه وهو قرينه فقال (لا تُـمِلْني): بلا الناهية الجازمة للفعل المضارع المضموم التاء. وقوله (عن حِمَى): متعلّق بتُمِلني. و(المُرْتَبَع): بضمّ الميم وفتح التاء وفتح الباء على صيغة اسم المفعول، مصدر ميمي. أي: ارتباعي، من ارتبع المكان: أقام فيه زمن الربيع. و(عُدْوَتَيّ): مفعول مُرتَبَعي الذي هو مصدر، وهو تثنية عُدوة مثلّثة العين المهملة، قال في القاموس(١): «العُدوة مثلّثة/ [٥٣/ ب] شاطئ الوادي».

---

(١) لعلها في المحيط أو اللسان، وليس في القاموس.

وحُذفت نون الثنية لإضافته إلى (تَيْما): بالتاء المثنّاة الفوقيّة والياء التحتيّة والميم والألف. قال في الصحاح: «التيماء الفلاة». وتيماء اسم موضع، وعُدوتاها: شاطئا واديها. والوادي كناية عن نشأته الجسمانيّة. والعُدوة الدنيا منه: شاطئه اليمين، مسكن النشأة النفسانيّة. والعُدوة القصوى منه، وهو شاطئه الشمال: مسكن النشأة القلبيّة الروحيّة. والمعنى: لا تعرض بي عن دوام مراقبة نفسي وقلبي لأشهد بهما تجلّي ربِّي، ومنه قول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

عَـرِّجْ ففـي أيمـن الـوادي خيـامهم ... لله درُّك مـا تحويـه يـا وادي

جَمَعَت قومـاً هُـمُ نفسي وهـم نَفَسي ... وهـم سـواد سـويدا خِلْـبِ أكبـادي

(ولا تُـمْلِني لربع): أي مسكن. (بتُمَيّ) وفي نسخة (من تُـمَي): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وفتح الميم، قيل: هي اسم مصر، أو اسم مكان تابع لمصر. يعني: لا ترجع بي إلى أوطان طبيعتي ومسكن عاداتي فتقطعني عن ذلك الجناب العالي، والكوكب المتلالي.

٧١- فَلُبَانَـاتِي لِبَانَـاتِ تَـرَا ... ضُـعُنا فِيْهَـا لِبَـانَ الحُـبِّ سَيّ

(اللُّبانات): بالضمّ، جمع لُبانة، بضمِّ اللام، وهي: الحاجة من غير فاقة؛ بل من همة. وقوله (لِبانات): اللام حرف جر، والبانات: جمع بانة؛ وهي: واحدة البان، وهو شجر الخلاف. كَنّى بذلك عن مشايخة العارفين، وأشباله السالكين الصادقين من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧]. وقال العفيف التلمسانيّ قدّس سرُّه مخاطباً عالم الروح الشريف الأمري الإلهي بقوله في مطلع أبيات له:

أسكرتِ بانَ الحمى يا نسمة السحر ... فهـل أتيـتِ مـن الأحبـاب بـالخبر

فكنَّى عن رفقائه من العارفين ببان الحمى. ثمّ قال المصنِّف (تَرَاضُعُنا): مصدر قولك تراضع القوم اللبن تراضعاً: إذا تشاركوا في رَضاعه. والتراضع: مرفوع على أنّه مبتدأ، وخبره سَي في آخر البيت، قال في القاموس: «وقع في سَي رأسه.

يعني: بفتح السين المهملة، وسَوائة رأسه، ويُكسَر، أي: حُكْمِهِ من الخير، أو في قدر ما يَغْمُرُ رأسه، أو في عدد شَعَرِهِ» انتهى.

فمعناه: تراضعنا الذي وقعنا به في سَيِّ رؤوسنا، أي: قدر ما يغمر رؤوسنا، أو عدد شعر رؤوسنا رضعات. وقوله (**فيها**): أي فيما بينها. يعني: البانات، بأن أرضع بعضنا بعضاً ونحن ناشئون في نشأتها. و(**اللِّبان**): بكسر اللام، جمع: لبن، وهو المعروف. و(**الحُبّ**): بالضمِّ، المحبّة. يعني: المحبّة الإلهيّة التي تشاركنا في تراضُع لِبانها، والإيواء إلى منازل بانها.

٧٢- مَلَلِي مـن مَلـلٍ والخَيْـفُ حَيْـ ـــفٌ تَقَاضِـــيهِ وَأَنَّـــى ذَاكَ وَيّ

(**الملل**): السأم، وهو مصدر مَلِلْتُهُ ومَلِلْتُ منه بالكسر مَلَلاً. وقوله (**من مَلَل**): بفتحتين اسم جبل، كناية عن هذا الجسم الطبيعي المركب من العناصر الأربع الكثيف الحجاب، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

متى أغتني عـن ذا التـنفُّس والـنفس وأُخْرَج من سجني وأُطلق من حبسي

(**والخَيْف**): بالخاء المعجمة خَيف منى، قال في القاموس: «الخَيْف غُرَّة بَيْضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس، وبهما سُمِّيَ مسجد الخيف. أو لأنّها ناحية من مِنَى، أو لأنها في سفح جبل». كنّى بذلك عن حضرة الجلال الإلهيّ المشعر بالخوف منها في قلوب العارفين، وهو مبتدأ. و(**حَيْفٌ**): بالحاء المهملة خبر مقدّم. والحَيْف: الجَوْر والظلم. (**وتقاضيه**): مبتدأ مؤخَّر، أي: استيفاء الدَّين من أي دين الوعد بالوصال. والضمير للخَيْف. والمعنى: إنّ /[٥٤/أ] هذه الحضرة الجلاليّة الإلهيّة إذا تجلّت بالحقيقة الروحيّة الأمريّة محقت الأكوان، وأفنت جميع الأعيان؛ فتقاضي ديون وعودها بالوصال حَيف ومطال، وهو من قسم المحال؛ إذ لا ثبوت فيه لشيء ولا محال، حتى تتجلى تلك الحضرة الجماليّة، بتلك الحقيقة الروحيّة، أيضاً فتثبت الأعيان، ويتحقّق الخلق بأمر كن فكان، كما قال عفيف الدين التلمسانيّ؛ وهو الشارب من كأس هذه المعاني:

يـــا بـــديع الجـــمال فـــاز محـــبٌّ بلذيـــذ الوصـــال فيـــك تهنّـــى
كيـف يرجـو الحيـاة وهـو مـع الهجـ ـــر قتيـــل وعنـــد رؤيـــاك يفنـــى

ثمّ قال (وأنّى): بتشديد النون مفتوحة، بمعنى كيف؛ وهو استفهام تعجُّب. (ذاك): اسم إشارة، والمشار إليه التقاضي المذكور. وقوله (وَيّ): بفتح الواو وتشديد الياء ساكنة: كلمة تعجّب.

٧٣- بِالــدُّنَا لَا تَطْمَعَــنْ فِي مَـصْرِفِي عَـنْهُمَا فَـضْلاً بِـمَا فِيْ مِـصْرَ فَـيْ

(الدُّنا): جمع دنيا، نقيض الآخرة. يعني: بسبب أنواع الدنيا لا تطمعَنْ يا أيها العاذل من مَصْرِفِي، وهو مصدر ميمي، أي: انصرافي عنهما، أي: عن مَلَل. والخَيْف: كناية عن عالم جسمانِيَّتِه التي هي حجابه الكثيف عن المقام اللطيف، وعن عالم روحانِيَّته الشريف، الأمري الإلهي، الذي هو مجلى الجلال بالفناء، والجمال بالبقاء. يعني: أنا دائما لا أنصرف عن مقام فرقي النازل به الفرقان من قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [٢٥/ الفرقان/ ١] فإنّه لولا الحجاب بشهود مقام الفرق ما كان وجود العالمين، ولا كان إنذارهم. ولا أنصرف أيضاً عن مقام جمعي النازل به القرآن من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ١-٢] أي: أوصل إلى مقام الجمع. وفي الجمع لا شيء غير الوجود الحقّ. وفي هذا المقام فناء الأكوان في تجلّي حقيقة الرحمن بظهور الرحمة التي وسعت كلّ شيء من دون كتابتها. وحيث كتبت تبينت حروف الحدود، ومقادير التقادير، ورسوم التصاوير من قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٥٤] وهو قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٥٦] أي: لأجلهم. والكمال هو: الجمع بين الجلال والجمال؛ وهو جمع الجمع؛ وهو مقام المقرَّبين أولى البصر والسمع. وقوله (فَضْلاً): أي من جهة الفضل؛ وهو تمييز للانصراف المذكور. ثمّ قال (بما): أي بسبب ما في بلدة (مِصْرَ فَيْ): بفتح الفاء

وسكون الياء، وأصله فيء بالهمز، فحُذف تخفيفاً، وهو الظلّ. يعني: بسبب ما يكون في بلادنا مِصرَ من الدخول في ظلّ الأغيار، والاحتماء بأرباب المناصب الكبار، والراحة الأريحيّة، والعيشة الهنيّة.

٧٤- لَوْ تَرَى أَيْنَ خَمِيْلَاتُ[1] قُبَا وَتَرَاءَيْنَ جَمِيْلَاتُ[2] القُبَيّ

٧٥- كُنْتَ لَا كُنْتَ بِهِمْ صَبّاً يَرَى مُرَّ مَا لَاقَيْتُهُ فِيهِمْ حُلَيّ

(لو): شرطيّة. و(ترى): فعل مضارع من الرؤية البصريّة. و(أين): اسم استفهام عن المكان، مبني على الفتح. و(خَمِيْلَاتُ): جمع خميلة، بالخاء المعجمة، قال في القاموس: «الخَمِيْلَة المُنْهَبَطُ من الأرض، وهي مَكْرَمَة للنبات. أو رَمْلَةٌ تُنْبِتُ الشجر، والشجر الكثيف الملتف، والمَوْضِع الكثير الشجر حيث كان». و(قُبَا): بضمّ القاف وفتح الباء الموحدة مقصوراً. قال في القاموس: «قُباء بالضمِّ، ويذكر، ويقصر: موضع قرب المدينة». كنَّى بذلك عن منازل الحقيقة المحمّديَّة، وَرَثَتُها من الأولياء العارفين؛ فإنّهم نابتون في أصلها الثابت، وهم فروع دوحها النابت. والخطاب للعذول الجاهل الذي هو لا شارب من المشرب، ولا ناهل. ثم قال (وتَرَاءَيْنَ): فعل ماض [من] تراءى/[٥٤/ب]، أي: تصدّى لي لأراه، من باب التفاعل، والنون للنسوة. (جَمِيْلَات): بالجيم، جمع جميلة. من الجمال، وهو: الحُسْن الذاتي. (القُبَيّ): بضمّ القاف وفتح الباء الموحَّدة وتشديد الياء ساكنة، تصغير القُباء، وهي: نفوس الورثة المحمّديين المذكورين المستترة ـ تلك النفوس الجميلات ـ بالقباء الجسمانيّ، الطاهر، الطيِّب، اللطيف المعاني. فكنَّى بالخَميلات بالخاء المعجمة عن الأجسام، وبالجميلات بالجيم عن النفوس والأرواح الكرام. ثمّ قال (كُنْتَ): بفتح التاء، وهو جواب الشرط. (بهم) متعلِّق بـ (كنتَ): أي

---

(١) في (ق): ترى أين جميلات.

(٢) في (ق): تراءين خميلات.

بسبب رؤيتهم. وجملة (**لا كنتَ**): بفتح التاء، خطاب للعَذول، دعاء عليه بعدم الكون، أي: عدم الوجود في هذا الشهود. وقوله (**صَبّاً**): أي عاشقاً، خبر كنتَ الأولى. (**يرى**): فعل مضارع. (**مُرَّ ما**): أي الذي. (**لَاقَيْتُه**): أي وجدته أنا في محبتهم، من المشقات والأتعاب. (**حُلَيّ**): بضمِّ الحاء المهملة وفتح اللام وتشديد الياء ساكنة: مُصَغَّر حُلو، وهو ضدّ المر.

٧٦- فَأَرِحْ مِنْ لَذْعِ عَذْلٍ مِسْمَعَيْ وعَنِ القَلْبِ لِذاكَ الراءِ زَيّ

(**أَرِحْ**): فعل أمر، من أراح الله زيداً من التعب، أي: خلَّصه منه. و(**اللَّذْعُ**): إن كان من النار فهو بالذال المعجمة والعين المهملة. وإنْ كان من ذوات السموم فهو بالدال المهملة والغين المعجمة، وكلاهما جائز هنا. وهو مضاف إلى (**عَذْلٍ**): أي لوم وتعنيف حصل منك، والخطاب للعاذل. و(**مِسْمَعَيْ**): مفعول أرحْ. قال في القاموس: «المِسْمَع كَمِنْبَر، الأُذُن». وقوله (**عن القلب**): أي ازْوِ عن القلب، أي: نَحِّ، واذوِعن القلب. (**زَيّ**): في آخر البيت، مصدر من زَوَاهُ زَيّاً: إذا نحّاه فانزوى. وقوله (**لذاك الراء**): من رَوَّأَ في الأمر تَرْوِئَةً نَظَرَهُ وتَعَقَّبَهُ. كذا في القاموس. وأشار بذلك الراء إشارة بُعد إلى راء العذول، وهو السلوان. وقوله (وعن القلب): أي وأرح عن القلب لذاك الراء؛ وهو حرف الراء التي في قوله (**أرح زَي**): لغة في الزاي، قال في القاموس: «والزَّاي إذا مُدَّ كُتب بهمزة بعد الألف، وفيه لغات: الزَّاي والزَّاءُ والزَّيُّ كالطيّ». فإذا كان مكان الراء زاي صار أزح. يعني: أزح عن القلب هذا العزل.

٧٧- خَلِّ خِلِّي عَنْكَ أَلْقَاباً بِهَا جِيءَ مَيْناً وَانْجُ مِنْ بِدْعَةِ جَيّ

(**خَلِّ**): فعل أمر، أي: انزع، ودَعْ. (**خِلِّي**): بكسر الخاء المعجمة، منادى مضاف إلى ياء المتكلِّم، حُذف منه حرف النداء، أي: يا خِلِّي (**عنك أَلْقَاباً**): جمع لقب، وهو ما أشعر بمدح أو ذمّ. وفي القاموس: «اللَّقَب، مُحَرَّكة، النَّبْز، وجمعه: ألقاب،

ولَقَّبَهُ تَلْقِيْباً فَتَلَقَّب» انتهى. وذلك كشرف الدين وناصر الدين. وقوله (**بها**): أي بالألقاب. (**جِيْء**): بكسر الجيم، فعل ماض مبني للمفعول، أي: جيء **بها**. يعني: جاء بها الذين جاؤوا من الناس. وقوله (**مَيْناً**): أي كذباً، قال في القاموس: «مَانَ يَمِينُ: كَذَبَ؛ فهو مائن. يعني: لا تذكرني بلقب شرف الدين ونحوه، كما لقبني بذلك الناس؛ فإنّه كذب في حقّي. (**وانجُ**): فعل أمر من النجاة ضدّ الهلاك». (**من بِدْعَة**): قال في القاموس: «البِدْعَة بالكسر: الحَدَث في الدين بعد الإكمال، أو ما استُحدِث بعد النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم من الأهواء والأعمال، وجمعها بِدَع كَعِنَب». وقوله (**جَيّ**) قال في القاموس: «جَيّ بالفتح لقب أصبهان قديماً، أو قرية بها» انتهى. ويقال: إنّ أوّل ما ظهرت البدعة منها. يعني: اترك الألقاب؛ **فإنّها** بدعة في دين المحبّة، وانجُ، واسلم من بدعة أصبهان التي هي أشد بدعة، لأنّها أوّل بدعة ظهرت.

٧٨- وَادْعُنِي غَيْرَ دَعِيٍّ عَبْدَهَا ... نِعْمَ مَا أَسْمُو بِهِ هَذَا السُّمَيّ

(**ادْعُنِي**): فعل أمر بمعنى سَمِّنِي. وقوله (**غيرَ دَعِيٍّ**): بتشديد الياء، أي: غير كاذب في نسب عبوديّتي. (**عبدها**) مفعول ادعني. و(**نِعْم**): كلمة وضعت لإنشاء المدح. (**ما**): أي اسم. (**أَسْمُو**): أي أعلو وافتخر به. (**هذا السُّمَيّ**): بضم السين المهملة، تصغير الاسم/[٥٥/أ] قال القائل:

لا تدعُني إلا بيا عبدها ... فإنّه أشرف أسمائي

وقال الآخر:

ودَعَتْهُ بالعبد يوماً فقالوا ... قد دَعَتْه بأشرف الأسماء

وقال الآخر:

وهان عليَّ اللومُ في جنب حُبِّها ... وقولَ الأعادي إنّه لخليعُ

أصمم إذا نوديت باسمي وإنني ... إذا قيل لي يا عبدَها لَسَميع

٧٩- إِنْ تَكُنْ عَبْداً لَهَا حقّاً تَعُدْ خَيْرَ حُرٍّ لَمْ يَشُبْ دَعْوَاهُ لَيّ

العبد الحقّ هو: المتصف بصفة العبوديّة في ظاهره وباطنه، والعبوديّة هي الرضا بأفعال المولى؛ فلا فعل للعبد غير الرضا، والرضا وصف المولى بأفعاله، فلمّا ظهر العبد بوجود المولى ظهرعليه هذا الوصف، فسُمِّي عبوديّة. وقوله (لم يَشُب): أي يمازج ويخالط. (دعواه): العبوديّة. (لَي): بفتح اللام وتشديد الياء ساكنة، أي: جحود وإنكار.

٨٠- قُوْتُ رُوْحِي ذِكْرُهَا أَنَّى تَحُوْ رُ عَنِ الشَّوْقِ لِذِكْرِي هَيَّ هَيَّ

يعني: ذكرها، أي: تذكرها واستحضارها. (قُوت روحي): يعني أنّ روحي تقتات بذكر هذه المحبوبة، فمتى ذُهِلْتُ عنها، وغفلت عن تذكرها ماتت روحي لعدم القوت الذي به حياتها، فصارت روحي نفْساً؛ والنفس أمّارة بالسوء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [١٢ / يوسف/ ٣٥] ثمّ إنّ النفس إذا ماتت بزوال غفلتها عن شهود ربِّها ومولاها، وترك شهواتها ومقتضى طبيعتها عادت روحاً؛ والروح من أمر الله كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] ولهذا لا يموت ويحيا إلا النفوس، بخلاف الأرواح؛ فإنّها لا تموت أبداً قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [٣/ آل عمران/ ١٨٥] وقوله (أنّى تحور): فأنّى بفتح النون مشددة بمعنى كيف، وهواستفهام تعجّبي. و(تحور) بالحاء المهملة والراء بمعنى ترجع. والفاعل ضمير يعود إلى الروح. (عن الشوق): متعلّق بتحور. ثمّ قال (لِذِكْري) ومراده: لذكرها، أي: المحبوبة، ولكنّه أضاف الذكر إليه لأنّه ذَكَرَها على حسب قدرته واستطاعته؛ لا على ما يليق بها لمقتضى ما هي عليه من كمال التنزه والتجرُّد عن مشابهة المحسوسات والمعقولات؛ فهو ذكره أياها المردود عليه؛ وهو ذكره بحسب حاله على مقتضى ما لديه. وقوله (هَيَّ هَيّ): بفتح الهاء فيهما وتشديد الياء، كلمة مكررة لطلب الإقبال إلى الذِّكر بسرعة من غير إمهال.

٨١- لَسْتُ أَنْسَى بِالثَّنَايَا قَوْلَهَا   كُلُّ مَنْ فِي الحَيِّ أَسْرَى فِي يَدَيّ

(الثنايا): جمع ثَنيَّة وهي العقبة، أو طريقها، أو الجبل، أو الطريق فيه، أو إليه. كذا في القاموس. كَنّى بالثنايا عن حضرات الأسماء الإلهيّة المؤثرة في إظهار الأكوان، وإثبات حقائق الأعيان. وضمير. (قولها): للمحبوبة الحقيقيّة، والحضرة الإلهيّة الغيبيّة. و(الحيّ): بطن من بطون العرب، والجمع أحياء. كنّى به عن عالم الإنسان الذي هو نوع من أنواع الأكوان. و(أسرى): جمع أسير. و(يدَيّ): بصيغة التثنية، مثنى يَد، واليدان هما الحضرتان اللتان تنقسم إليهما الأسماء الإلهيّة؛ فإنّها تنقسم إلى أسماء الجلال، وأسماء الجمال. والأسماء بقسميها هي المتصرِّفة في العوالم، والعوالم هي القائمة بها، والقابضة عليها، وهذا معنى قوله أسرى في يدَي.

٨٢- سَلْهُمْ مُسْتَخْبِراً أَنْفَسَهُمْ   هَلْ نَجَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْ قَبْضَتَيّ

الضمير المستكن في قوله سلهم راجع إلى قوله (خِلِّي): أي يا خلِّي في البيت السابق[1] وضمير الهاء المستكن في قوله سلهم راجع إلى (من في الحيّ). و(أَنفَسُهم): بفتح الفاء على صيغة أفعل التفضيل. (هل نجت): أي تخلّصت. (أَنْفُسُهم): بضمّ الفاء، جمع نَفْس بسكون الفاء. (من قبضتيّ): تثنية قبضة/[٥٥/ب] أي: قبضة السعادة وقبضة الشقاوة، كما قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [٤٢/الشورى/٧] وخصّ السؤال بالأنفس منهم، أي: الأعرف لأكمل المحقّق؛ إذْ القاصر منهم يظنّ أنّه يفعل ما يشاء؛ وإنّما العارف هو الذي يعرف أنّه في قبضته تعالى على كلِّ حال، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [٧٦/الإنسان/٣٠] فمشيئتهم أثر مشيئته، كما أنهّم آثار قدرته وإرادته.

---

(١) انظر البيت ٧٧.

٨٣- فَالقَضَا مَا بَيْنَ سُخْطِي وَالرِّضَى مَـنْ لَـهُ أُقْـصِ قَـضَى أَوْ أُدْنِ حَـيّ

(القضا): حكْم الله تعالى في الأزل على جميع الأكوان بما يتداول عليها من الألوان، فمن الأكوان ما هو الخير، وهو أثر الرضى؛ ولهذا يظهر الرضى من الحقّ تعالى عُقَيبَه. ومن الأكوان ما هو الشرّ؛ وهو أثر السخط الإلهيّ والغضب، ولهذا يظهر السخط والغضب من الحقّ تعالى عُقَيْبَه، وهذا معنى قوله (**ما بين سُخْطي والرضى**). وقوله (**مَنْ له أُقْصِ**): بضمّ الهمزة وسكون القاف وبالصاد المهملة، أي: أبعد. (**قضى**): بالضاد المعجمة، من القاضية، وهي الموت. وقوله (**أو أُدْنِ**): بحذف الياء تخفيفاً. يقال: أَدناه إذا قرّبه ولم يبعده. (**حيّ**): ضدّ الميت. والمعنى: إنّ كلّ من أبعدته عن شهود حضرتي في التجلي بأسمائي فقد أقصيته؛ فإنّه يقضي، أي: يموت ويهلك من حيث إنسانيّته وروحانيّته. وكلّ من أدنيته منّي بشهود حضرات أسمائي فهو حيٌّ بي، وبتجلّي حياتي الأزليّة الأبديّة عليه، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾ [٧/ الأنعام/ ١٢٢].

٨٤- خاطِبَ الخَطْبِ دَعِ الدعوى فما بـالرُّقى تَرْقَـى إلى وَصْـلِ رُقَـيّ

(خاطِبَ): اسم فاعل بمعنى طالب، وحذف منه حرف النداء تخفيفاً، والتقدير يا خاطب، وهو منادى منصوب لإضافته إلى الخَطْب بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة الأمر العظيم قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾ [٧٨/ النبأ/ ١-٣] فسمّاه نبأً، أي: خبراً عظيماً لاتصافه بالعظمة؛ ولهذا لا يُدرك كما قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ الآية [٦/ الأنعام/ ١٠٣]. وقوله (**دع**): أي اترك الدعوى، أي: دعوى الحَوْل والقوّة، فلا حول، أي: لا تحوّل في النفس والخاطر من معنى إلى معنى. ولا قوّة في الأعضاء الظاهرة والباطنة من الحواس الظاهرة والباطنة إلا بالله قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥]؛ بل

دعوى الوجود؛ لأنّه للحقّ تعالى وحده: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨]. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] وكان الله ولا شيء معه. وهو الآن على ما عليه كان. فلامُ الدعوى لام العهد الذهني، وهي شاملة لما ذكرنا. ثمّ قال تأكيداً لذلك (فما بالرُّقى): بضمّ الراء وفتح القاف مقصوراً، جمع رُقية بضمِّ الراء وسكون القاف ما يُرْقى به المَلْسوع ونحوه، كَنى بذلك عن قراءة الأوراد والأحزاب والمداومة على الأذكار فقط من غير تنبّه لشهود تجلِّيات الحقّ تعالى، ولا التفات إلى رؤية الأفعال، والأعمال، والأقوال كلّها، والأحوال صادرة منه تعالى خلقاً وإيجاداً؛ وإنّما هي مستندة إلى سواه من العوالم استناداً. وقوله (بالرُّقَى) متعلِّق بترقى، قُدِّم عليه لإفادة الحصر كما ذكرنا، ومعنى (تَرقَى): تعلو وترفع. يعني: من حضيض نفسك وطبعك وهواك إلى أوج وصل، (رُقَى): بضمّ الراء، وهو اكتفاء. وأصله رُقَيّة، قال في القاموس: «رُقَيَّة كسُمَيَّة» انتهى. كنّى بها عن المحبوبة المُطْلَقَة الجمال، والحضرة العليّة المتصفة بالكمال التي هي مطلوبة الكُمَّل من الرجال.

٨٥- رُحْ مُعَافَىً وَاغْتَنِمْ نُصْحِي وَإِنْ   شِئْتَ أَنْ تَهْوَى فَلِلْبَلْوَى تَهَيّ

[٥٦/ أ] (رُحْ): فعل أمر بمعنى اذهب، من راح: إذا سار وذهب. (مُعافَىً): اسم مفعول من عافاه الله تعالى: جعله صاحب عافية. (واغتنمْ): من الغنيمة. (نُصْحِي): أي نصيحتي لك. يعني: إنّ هذا الأمر الذي تحاوله أمر صعب؛ فإنّ لازمه المحبّة؛ لأنّها الوسيلة إلى المعرفة الإلهيّة الذوقيّة الكشفيّة. وأمّا المعرفة الخياليّة العقليّة فطريقها النظر العقلي، وغايتها العلم المقتضي للغفلة عن العلوم الحقّ، ونتيجتها الاحتجاج، والجدال، والانتصار لتحقيق مذهب المتكلِّمين من الرجال. وليست هي المعرفة المرادة للمصنِّف ولا غيره من أهل الكمال؛ وإنّما المطلوب المعرفة الأولى، فإنّها طريقة النبيين أولى العلوم الإلهيّة اللدنيّة التي هي

نتيجة التقوى والذكرى. وقوله (**وإنْ شئتَ أنْ تهوى**): أي تدخل في هذه المعرفة الذوقيّة المذكورة التي لازمها المحبّة كما ذكرنا من قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية [٥/ المائدة/ ٥٤]. (**فَلِلْبَلْوَى**): أي الابتلاء؛ وهو الامتحان من الله تعالى في أي نوع يريد تعالى من أنواع الامتحان، فيبتلي تعالى مَنْ يحبُّ جماله الظاهر على صفحات مخلوقاته بالبلاء الحسن كما قال: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] أي: لا بلاء قبيحاً، وهو البلاء في الدين، كالبلاء بالجهل، والكفر، والضلال، والفسق، ونحو ذلك. والبلاء الحَسَن: كالبلاء في بدن الإنسان، أوفي عرضه بالتهمة، والإنكار من الجاهلين، والحاسدين، والافتراء، والبغي، ونحو ذلك. وقوله (**تهيّ**): فعل أمر، أصله بالهمزة تَهَيَّأ على وزن تقدّم، فحُذفت الهمزة تخفيفاً، من التَّهيئَة، مصدر هيّأه تَهْيئَة وتَهْييئاً: أصلحه، كذا في القاموس. واعلم أنّه تعالى إذا أحبّ عبداً أنعم عليه وأكرمه من حيث أنّه يحبّه، فيجد ذلك العبد في نفسه آثار محبَّة الله تعالى له، ويظهر له الجمال الإلهيّ ببدائع الألطاف، ومحاسن المنن والأوصاف، فيحبّ الله تعالى قهراً عنه، فتكون محبته لله تعالى أثر محبّة الله تعالى له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فهو البادئ بالمحبّة ثم قال: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥/ المائدة/ ٥٤] فهم من حيث أنّهم محبوبون له تعالى مكرمون معظمون، ومن حيث أنّهم مُحِبُّون له تعالى مُبْتَلَوْن، مُمْتَحَنون، وهذا معنى قوله (وإن شئتَ أن تهوى فللبلوى تهيّ).

٨٦- وَبِسُقْمٍ هِمْتُ بِالأَجْفَانِ أَنْ ... زَانَهَا وَصْفاً بِزَيْنٍ وَبِزَيْ[1]

(**بِسُقْمٍ**): على وزن قُفْل، وهو المرض، والمراد: الضعف. والباء للسببيّة، والجار والمجرور متعلّق بهِمْتُ، قُدِّم عليه لإفادة الحصر، ادِّعاء مبالغة في المحبّة. وفي القاموس: «هَامَ يَهِيم هَيْماً وهَيَماناً: أَحَبَّ امرأة» . وقوله (**بالأجفان**): صفة سُقْم،

(١) في (ق) تزيّنْ وتزيْ.

وهي جمع جَفْن، وهي غطاء [العين]. كنّى به عن صور الأكوان التي هي حُجُب على العين الإلهيّة. وضعفُ الأجفانِ مقبولٌ؛ لأنّه نوع من المحاسن، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ الآية [٣٠/ الروم/ ٥٤] ولا أضعف من العارف بالله تعالى لتحقّقه في نفسه بلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. وقوله (أنْ): بفتح الهمزة هي أن المصدريّة، والأصل لأن. (زَانَهَا): أي حَسَّنَها وجَمَّلها. وفاعل زانها ضمير راجع إلى السُّقْم. وضمير زانها: أي الأجفان، أي: لزينته لها. وقوله (وصْفاً): منصوب على التمييز. و(بزَيْن): متعلّق بزانها. والزَّيْن: ضِدّ الشَّين، و (بِزَيْ): بفتح الزاي، وأصله زأي بالهمز، فحُذف تخفيفاً، وهو مصدر زَأَى كَسَعَى: تَكَبَّرَ، ذكره في القاموس. يعني: إنّ السُّقم زان الأجفان بالحُسن وبالتكبُّر، أي: الامتناع على العشّاق، وهو نوع الملاحة.

٨٧- كَمْ قَتِيْلٍ مِنْ قَبِيْلٍ مَا لَهُ   قَوَدٌ فِي حُبِّنَا مِنْ كُلِّ حَيّ

(كَمْ): للتكثير، و(قتيل): فعيل بمعنى مفعول، من القتل، و(قبيل): بالباء الموَحدة والياء/ [٥٦/ ب] التحتيّة، قال في القاموس: «القَبِيل: الجماعة من الثلاثة فصاعداً من أقوام شتّى. وقد يكون من نَجْرٍ واحد، وربّما كانوا بني أب واحد» انتهى. والجار والمجرور صفة لقتيل. يعني: كم لذلك السُّقم الذي في الأجفان من قتيل موصوف بأنّه من جماعات متفرّقين من أنواع الناس. وقوله (ما لَهُ): أي لذلك القتيل المذكور. (قَوَد): محرَّكة، وهو القصاص. (في حُبِّنا): أي محبَّتنا، وهو كلام على لسان المحبوبة التي في أجفانها السُّقْم. وقد تكلَّم على لسانها، لأنّها لسانه الذي يتكلَّم به لفنائه في محبّتها، كما ورد في حديث المتقرِّب بالنوافل: «كنت لسانه الذي ينطق به». ثمّ قال (من كلّ حَيّ): بفتح الحاء المهملة. و(الحيّ): البطن من بطون العرب وقبائلهم، وهو تأكيد لمعنى القبيل كما ذكرنا؛ لأنّ من أهل الله تعالى المحبِّين مَنْ هو من العرب، ومن هو من العجم ومن الفرس ومن الهند ومن الروم وغيرهم.

٨٨- بَابُ وَصْلِي السَّامُ مِنْ سُبْلِ مِنْهُ لِي مَادُمْتُ حَيّاً لَمْ تَبيّ

(السام): بالسين المهملة الموت. وأصله سَوَّم القوم على القوم: أغار فعاث فيهم. يعني: إنّ الباب الذي يُتوصّل منه إلى وصالي، والقرب إليّ هو الموت في محبَّتي. وهذا تكلُّم على لسان المحبوبة أيضاً كما ذكرنا. ثمّ قال (مِنْ سُبْل): بضمّ السين المهملة وسكون الباء الموحّدة، وهو الطريق. و(الضَّنَى): المرض، وهو الضعف الحقيقي في الظاهر والباطن. يعني: باب الوصال والشهود الذوقي هو الموت من شواغل النفس، والخروج عن حكم الطبيعة بمخالفة النفس والهوى من طريق التخلِّي عن القوى الحسيّة والعقليّة. ثمّ قال (منه): أي من وصلي. (لي) متعلّق بِتَبَيّ في آخر البيت. (مادمت): أي مدة دوامك حيّاً لم تمُتْ في محبَّتي. (لم تَبيّ): بفتح التاء المثنّاة الفوقيّة وفتح الباء الموحّدة وتشديد الياء ساكنة، أي: لم تغنم، قال في القاموس: «تَبَا يَتْبُو، كَدَعَا: غَنِم، يعني: ما دمت حيّاً لم تغنم لي، أي: أكون غنيمتك من وصلي؛ فإنّ الحيّ يَدَّعي كلّ وصف تقتضيه الحياة من العلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، وما يتبع ذلك من بقيَّة الأوصاف، والمُدّعي صاحب شرك خفي، كما قال الشيخ أرسلان[1] قدّس الله سرَّه في ابتداء رسالته المختصرة كُلُّكَ شرك خفي.

٨٩- فَإِنْ اسْتَغْنَيْتَ عَنْ عِزِّ البَقَا فَإِنَّ وَصْلِي بِبَذْلِ النَّفْسِ حَيّ

(اسْتَغْنَيْتَ): أي وجدت الغنى بما لديك من الجوارح، والأعضاء، والحواس، والعقل، والفكر، والخيال، وبقيّة الأحوال التي خلقها لك الحقّ تعالى. (عن عِزِّ البَقَا): أي عن عزِّ العزيز الذي له البقاء والدوام، ولك الفناء والزوال. وهذا الاستغناء مجرّد توهّم منك؛ إذْ لا غنى لك عنه؛ لانّه القيوم عليك، الممد لك في

(١) أرسلان بن يعقوب بن عبد الله بن عبد الرحمن الجعبريّ الدمشقيّ، ويقال له: رسلان الدمشقيّ. صوفي، متكلّم، عاصر الجيلاني، توفي ٦٩٩هـ. من آثاره رسالة في التوحيد شرحها كثيرون، انظر معجم المؤلّفين ج٢ص٢٢٤.

كلِّ شؤونك ظاهراً وباطناً، كما وردَ: «أنا بُدُّكَ اللازم الذي لا بُدَّ لك مِنِّي؛ فإلى أين تفرَّعنِّي»[1] ، وقال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٥١/ الذاريات/ ٥٠]. وقوله: (فإلى وَصْلي): ببذل النفس: أي الخروج عنها، قال في القاموس: «بَذَلَه يَبْذُلُهُ ويَبْذِلُهُ: أعطاه وجاد به». وقوله (حَيّ): أي أعجل من قولهم: حَيَّهْل، بسكون الهاء، حيّ، أي: أعجل وهو صِلة، كذا في القاموس. يعني: أعجل إلى وصْلي ببذل نفسك في سبيل مرضاتي؛ لأمتعك بنعيم جناتي.

٩٠- قُلْتُ رُوْحِي إنْ تَرَيْ بَسْطَكِ قَبْضِهَا عِشْتُ فَرَأْيِي أَنْ تَرَي

(قُلْتُ): أي لها. يعني: للمحبوبة في جواب قولها ذلك. (روحي إنْ تَرَي): بفتح التاء المثنّاة/ [٥٧/ أ] الفوقيّة وفتح الراء وسكون الياء التحتيّة، وضمير الخطاب للمحبوبة. وقوله (بَسْطَك): بسكون السين المهملة وبكسر الكاف، قال في القاموس: «بَسَطَ فلاناً: سَرَّهُ». فالبَسْطُ كناية عن الرضا. يعني: إن ترى رضاك في قبضها، أي: قبض روحي. (عِشْتُ) جواب الشرط، أي: صرتُ حيّاً بالحياة الحقيقيّة الأزليّة، وزال عنّي حكم الحياة المجازيّة الفانية، فحييتْ بك لابالروح، وهذا هو المراد. ثمّ قال (فرأيي): أي الذي أراه صواباً. (أنْ تَرَي): أي رأيك قبض روحي، فرأيك ذلك هو رأيي، ومرادي هو مرادك، كما قيل لأبي يزيد البسطاميّ قدّس الله سرَّه: «ماذا تريد يا أبا يزيد؟. فقال: أريد أنْ لا أريد». فقال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: «كان الغالب على أبي يزيد رأيُ العموم، وإلا فلو قال: أريد ما تريد لكان أتمّ وأكمل ولطف الله أشمل».

---

(١) ذكره ابن الجوزي في كتاب الموضوعات بلفظ: «عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يقول الله تعالى: يا ابن آدم، أنا بدّك اللازم فاعمل لبدّك. قال الخطيب: هذا ا الحديث موضوع المتن مركب على هذا الإسناد. وكلّ رجاله مشهورون معروفون بالصدق إلّا ابن الجارود؛ فإنّه كذّاب، ولم نكتبه إلّا من حديثه». انظر الموضوعات لابن الجوزي، ج٣ص١٣٦. وانظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، باب من اسمه محمّد واسم أبيه الحسين، ج٢ص٢٤٧.

٩١- أَيُّ تَعْـذِيْبٍ سِـوَى البُعْـدِ لَنَـا   مِنْـكِ عَـذْبٌ حَبَّـذَا مَـا بَعْـدَ أَيّ

(أي): بالتشديد، مرفوع على الابتداء، مضاف إلى تعذيب. و(سوى): صفة تعذيب. و(البعد): مضاف إليه. و(لنا): متعلّق بتعذيب. و(منكِ): بكسر الكاف صفة تعذيب. و(عَذْبٌ): مرفوع على أنّه خبر المبتدأ. يعني: كلّ تعذيب تُعَذِّبينا به غير بُعْدِكِ عنّا؛ فإنّه عَذْب، أي: حلو لنا لنستلِذَّ به من قبيل قول أبي يزيد البسطاميّ قدّس الله سرَّه:

أحبّـكَ لا أحُبُّـك للثـواب   ولكنِّـي أحِبّـك للعقـاب
وكـلّ مـآربي قـد نِلـتُ منهـا   سـوى مَلْـذوذ وجـدي بالعـذاب

وقوله :(حبَّذا): جرى مجرى المثل. حَبَّ: فعل ماض، وذا فاعله، والجملة خبر مقدَّم، و(ما): بمعنى الذي. (بَعدَ أَيّ): يعني بعد قولك أي في أولّ البيت، وبعدها التعذيب. والمعنى: التعذيب حبذا عندنا، وإنّما كان البعد غيرعذب له لغيبته به عن شهود المحبوبة، فحجاب الكافرين بالبعد عن حقيقة حقّ اليقين؛ وهو عين العذاب المهين، كما قال تعالى في حقّهم: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ١٥][١].

٩٢- إنْ تَـشِيْ رَاضِـيَةً قَـتْلِي جَـوًى   فِـي الهَـوَى حَسْبِي افْتِخَـاراً أَنْ تَـشِيْ

(تشيْ): بسكون الياء التحتيّة، أصله تَشينَ، خطاب للمحبوبة، فحذفت النون للجازم، وهو إنْ الشرطيّة. (راضيةً): حال من الضمير المؤنّث في تشي. (قتلي): مفعول تشي وراضية على طريقة التنازع. وقوله (جَوَى): منصوب على التمييز، أي: محبَّة وعشقا.(في الهوى): أي في طريق الهوى. (حسبي): أي يكفيني. (افتخاراً): تمييز أيضاً. وقوله (أنْ): بفتح الهمزة مصدرية. و(تَشي): محذوف النون

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: بلغ مقابلة وسماعاً على المؤلّف عفا الله عنه.

للناصب الذي هو أن المصدريّة. يعني: حسبي مشيئتك افتخر بها بين قومي، ويزيد بها غَدي على أمسي ويومي.

٩٣- مَا رَأَتْ مِثْلَكِ عَيْنِي حَسَناً وَكَمِثْلِي بِكِ صَبّاً لَمْ تَرَيْ

(ما رأتْ): أي تحقّقت مثلك بالنصب مفعول أول لِرأت. والكاف مكسورة لخطاب المحبوبة؛ وهي الحضرة الإلهيّة من حيث ظهور الأكوان عنها، وهي حضرة الأسماء والصفات، لا من حيث الذات التي هي الغيب المطلق؛ فإنّه لا شيء بالنسبة إليها، وإنّما الأشياء موجودة بها في حضرات أسمائها الحُسنى، وهي محبوبة الرجال من أهل الكمال، وهي المرئيّة لهم على كلّ حال، وهي التي ليس كمثلها شيء. و(عَيْنِي): فاعل رأت، فالرؤية بصريّة، كما قال الصدّيق الأكبر أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه: «ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه»؛ فإنّ الله اسم الذات الجامع لجميع الأسماء؛ فهذا اسم من حيث تجلّيها بالأسماء الظاهرة بالأشياء، ولم يقل إلا رأيت ذات الله لعلمه بأنّ الذات لا شيء معها؛ لا رأي ولا رؤية ولا مرئي. وقوله (حَسَناً): [حال] من قوله مثلك، ومفعول/ [٥٧/ ب] ثاني لرأت إن كانت الرؤية علميّة لا بصريّة. وقوله (كَمِثْلِي): أي مثلي إنْ كانت الكاف زائدة، أو بمعنى مثل: أي مثل مثلي. (بكِ): بكسر الكاف، جار ومجرور متعلّق بـ(صبّاً): بتشديد الباء الموحّدة، قَدَّم على متعلقه لإفادة الحصر، أي: لا صبّاً بغيرك. والصبُّ: صفة مشبّهة من الصبابة، وهي المحبّة والعشق. وقوله (لم تَرَي) بفتح التاء وفتح الراء. والنون محذوفة للجازم، والأصل تَرَيْنَ. ولا يريد مخاطبة الحضرة بأنّها لم ترَ مثله؛ لأنّها لم تتجلَّ على شيئين بتجلٍّ واحد أزلاً وأبداً. والأشياء إنّما تظهر بالتجلّي؛ فلا شيء يشبه شيئاً أصلاً، وإن تشابهت الأشياء في نظر المخلوقين فهي غير متشابهة في نظر الخالق، فكلّ شيء لم يرَ الحقّ تعالى مثله لأنّه لم يخلق مثله.

٩٤- نَسَبٌ أَقْرَبُ فِي شَرْعِ الهَوَى   بَيْنَنَا مِنْ نَسَبٍ مِنْ أَبَوَيّ

(نَسَبٌ): مبتدأ وبيننا صفته، أي: نسب كائن بيننا. و(أقرب): خبره. يعني: نسب التقوى وكمال العبوديّة، وهو النسب الحقيقي الذي يرتفع كلّ نسب دونه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [٢٣/المؤمنون/ ١٠١] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: اليوم أرفع أنسابكم وأضع نسبي، أين المتّقون»[1].

وقوله (في شرع الهوى): أي في دين المحبّة الإلهيّة، لا في شرع الأحكام الظاهرة بين الأنام. وقوله (من نسب): الجار والمجرور متعلّقان بأقرب. و(من أبَوَيّ): تثنية أبّ تغليباً، أي: من أبٍ وأمّ. وحُذفت النون لإضافة المثنى إلى ياء المتكلِّم، فأُدغمت الياء في الياء، فإنّ نسب الأبوين نسب مجازي باعتبار السببيّة، وإلا فلا تأثير لهما في الحمل والولادة كما قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [٤٦/الأحقاف/ ١٥] وقوله (من أَبَوَيّ): فيه ردّ على من اعتبره من أب، كقول النصارى: «إنّ عيسى ابن الله» فيقول المصنِّف: إنّ نسب المحبّة أقرب من هذا النسب؛ لأنّ الله تعالى مُنَزَّه عن هذا النسب المجازي السببي، وقد ردّه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٥٢] وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٥٨] .

٩٥- هَكَذَا العِشْقُ رَضِيْنَاهُ وَمَنْ   يَأْتَمِرْ أَنْ تَأْمُرِي خَيْرُ مُرِيّ

[هكذا] الهاء للتنبيه. والكاف للتشبيه. وذا اسم إشارة. والمشار إليه جميع ما

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب تفسير سورة الحجرات، ٣٦٨٤، عن أبي هزيرة أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ الله عزّ وجلّ يقول يوم القيامة: أمرتكم فضيعتم ما عهدت إليكم فيه، ورفعت أنسابكم، أين المتقون؟ أين المتقون؟ إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم». قال الحاكم: «هذا حديث عال غريب الإسناد والمتن ولم يخرجاه، وله شاهد من حديث طلحة بن عمرو عن عطاء بن رباح عن أبي هريرة».

تقدّم في الأبيات قبله. يعني: هذا لسان المحبّة الإلهيّة مبني على حقائق الأمور دون مجازاتها. و(**العِشْق**): خبر المبتدأ الذي هو اسم الإشارة. وقوله (**رضيناه**): أي رضينا جميع أحكامه وإنْ خالفت مقتضى العقول، وأوهمت المخالفة لأقوال أهل النقول. ولا مخالفة في نفس الأمر في نظر المحقّقين الفحول. وقوله (**ومَنْ يأتَمِر**): فعل مضارع مجزوم بمن الشرطيّة، أي: يمتثل. (**أن تأمري**) أنْ مصدريّة. يعني: أمركِ بكسر الكاف خطاب للمحبوبة، إشارة إلى أنّه وإن تبع دين المحبّة، وسلك على حقائق الأمور، ورضي ذلك، كما قال [رضيناه]؛ فإنّه لا يخالف الأمر الظاهر من أحكام الشريعة المحمّديّة فيتمثل الأمر، ويجتنب النهي. وقوله (**خَيْرُ مُرَيّ**): خبر مبتدأ محذوف، أي: هو خير مُرَيّ. ومُرَيّ: تصغير مَرء. قال في القاموس: «المَرْء مثلث الميم: الإنسان، أو الرجل». يعني: فذلك الممتثل للأمر هو خير إنسان وخير رجل.

٩٦- لَيْتَ شِعْري هل كَفَى مَا قد مُذْ جَرَى مَا قد كَفَى مِن عَبْرَتَيّ[١]

(**ليت**): حرف تمنٍّ. و(**شِعري**): بمعنى شعوري، أي: ليتني أشعر، أي: أعلم هل كفى ما قد جرى، أي: جرى لي في طريق المحبّة عند المحبوبة فهل هي راضية عنّي بذلك/ [٥٨/ أ]. أو غير راضية، فإنّي لا أعلم ذلك؛ لأنّها لا غرض لها ولا علّة لأفعالها، ولا سبب طاعة ينفع عندها. ولقد وجدت في بعض المجاميع بخطّ جَدّنا الأعلى الشيخ الإمام العلامة إبراهيم بن عبد الرحيم المشهور بابن جماعة المقدسيّ النابلسي رحمه الله تعالى، قال: سمعت الإمام أبا الطيب سهل بن محمّد بن سليمان[٢] يقول : سمعت أبي يقول : ما قُبِلَ من قُبِلَ لعلّة، ولا رُدَّ مَنْ رُدَّ لِزِلّة؛ إنّما هي إلهيّة محضة، وربوبيّة صِرفة، وجباريّة بتّة، وقهاريّة بتلة» انتهى. ولعمري فإنّ

---

(١) في(ق) مُقْلتَيْ.

(٢) سهل بن محمّد بن سليمان الصعلوكيّ النيسابوريّ، مفتي نيسابور، وابن مفتيها، وشيخ الشافعيّة فيها، كان إمام وقته، من كتبه الفوائد، توفي ٤٠٤. انظروفيات الأعيان، ج٢ ص٤٣٥.

فإنّ الأمر كذلك، وهذا حكم ظاهر مشهود في الممالك. وقوله (مُذْ): أي حين. (جرى ما قد كفَى من عَبْرَتَيّ): تثنية عبرة، قال في القاموس: «العَبْرَة بالفتح الدمعة قبل أنْ تفيض، أو تردد البكاء في الصدر أو الحزن بلا بكاء. والجمع عبرات». والمعنى: إنا في ذلك الحين تجري دموعي من كثرة البكاء مخافة أن أكون غيرمقبول عندها، وقد رَدّتْ عليَّ جميع ما عملته، وطردت عندها.

٩٧- حَاكِيـــاً عَـــيْنَ وَلِي إنْ عَـــلَا خَـــدَّ رَوْض تَبْـكِ عَـن زَهْـرٍ تَبـيّ

(**حاكياً**): حال من فاعل جرى في البيت قبله، وهو ما قد كفى من العَبرتين من العينين. وقوله (**عينَ ولي**): مفعول حاكياً. و(**الوليّ**): المطر بعد المطر. شبّه المطر بإنسان يبكي، استعارة بالكناية. وأثبت له العين استعارة تخيُّليّة. والبُكاء: ترشيح للاستعارة. وقوله (**إنْ علا**): بكسر الهمزة حرف شرط. وفاعل علا ضمير راجع إلى المطر. (**خَدّ روضٍ**): مفعول علا. (**تَبْكِ**): جواب الشرط، وفاعله ضمير راجع إلى عين ولي. وقوله (**عن زَهْرٍ**): بالتنوين متعلِّق بِتَبَيّ. و(**تَبيّ**): فعل ماض من قولهم بَيَّاك، أي: أضحكك، قال في القاموس: «بَيّاك الله : أضحكك» انتهى. والأصل تَبِئ على وزن فرح، ثمَّ صيغ منه تفعّل بتشديد العين، وحُذفت منه الهمزة فصار تَبَيّأ بفتح التاء المثناة الفوقيّة، وفتح الباء الموحّدة، وتشديد الياء ساكنة. وضمير تَبيّ إلى الروض. والمعنى: إنْ عَلا هذا المطر خَدَّ روضٍ تبكي عينه فيضحك ذلك الروض عن زهر فتنفتح كمائمه، وتتقطّر نسائمه.

٩٨- قَدْ بَرَى أَعْظَمُ شَوْقِيْ[1] أَعْظُمِي وَفَنِــيَ جِــسْمِي حَاشَــا أَصْــغَرَيّ

(**بَرَى العظم**): نحته. و(**أعْظَمُ**): أفعل التفضيل من العِظَم. أي: أجلُّ شوقٍ عندي إلى المحبوبة. (**أعْظُمِي**): جمع عَظْم. و(**فَنيَ**): كرَضيَ، أي: عَدَمَ جسمي،

---

(١) في (ق) سُقْمِ.

وهو مجموع البدن، كناية عن فنائه واضمحلاله ظاهراً وباطناً في تجلّي وجه الحقّ له، وانكشاف نور وجوده. ثمّ قال (**حاشا**): وهو فعل يستعمل للاستثناء. يعني: إلّا (**أصغريّ**): تثنية أصغر، وذلك أصغر ما في أعضائه وهما: قلبه ولسانه، كما ورد «المرء بأصغريه: قلبه ولسانه»(1) فقلبه لتلقّي المعارف الإلهيّة، ولسانه لنشر العلوم اللدنيّة، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

فــؤادي عنــد مَعْلــومي مُقــيم ... يناجيــه وعنــدكُمُ لِســاني

وهذه صفة الرجال من أهل الحقائق والكمال، يجمعون بين الغيبة والحضور، وهي من أشرف الأحوال.

٩٩- شَـافِعِي التَّوْحِيْـدُ فِي بُقْيَاهُـمَـا ... كَـانَ عِنْـدَ الحُـبِّ مِـنْ غَـيْرِ يَـدَيّ

(**شافعي**): خبر كان مُقدَّم، و(**التوحيد**): مبتدأ. يعني: إنّ توحيد الله تعالى يعني اعتقاد وحدانيَّته في مقام العموم، وشهودها برفع حجب الأوهام على الخصوص. أو فناء ما لم يكن، وبقاء ما لم يزل. أو طمس الرسوم، ومحو العلوم في تجلّي الحيّ القيوم. أو زوال الحدود عن حقيقة الوجود. ثمّ قال (**في بُقْياهما**): متعلّق بشافعي، أي: الأصغرين: القلب واللسان؛ فالقلب لأنّه لا يتحقّق بالتوحيد. واللسان لأنّه يقرره ويبيّنه؛ فبقاؤهما أمر لازم في ظهور الكمال بحقائق صور الرجال/ [٥٨/ ب] المتحقّقين بالتوحيد الحقيقي على كلّ حال. وقوله (**كان**) اسمها ضمير راجع إلى التوحيد. وجملة كان من الاسم والخبر خبر المبتدأ، والتقدير: التوحيد كان **شافعي** في بُقياهما. وقوله (**عند الحِبِّ**): بالكسر، أي: المحبوب صادر. (**مِنْ غير يديّ**): تثنية يد، أي: من غير اختيار منّي لذلك. وعند الحِبّ ظرف للشفاعة. والمعنى: إنّ

---

(1) في الأمثال العربية من كلام ضمرة بن ضمرة الأسدي للنعمان بن المنذر، انظر الأمثال لابن سلّام ج١ ص٩٨. وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ج١ ص٢٦٦. والمزهر في علوم اللغة للسيوطي ج١ ص٣٨٤.

التوحيد شافعٌ عند المحبوب في بقاء الأصغرين إلى قلبي ولساني؛ وكان ذلك من غير اختيار مني، ولو كان باختياري لاخترت فناءهما أيضاً، كفناء بقيّة جوارحي مع جملتي غيرةً منّي على المحبوب أن يكون معه غيره. وهذا البقاء إنّما هو بقاء بالمحبوب لا بقاء معه. وإذا كان بالمحبوب فلا يقتضي نقصان توحيده بالتبعيّة له، لا بالاستقلال، بحيث لو نظر المحبوب لم يرَ إلا نفسه من قبيل قول القائل:

تسترتُ عن دَهري بظلِّ جناحِهِ ... بحيثُ أرى دهري وليس يراني

فلو تسألُ الأيامَ عنِّي ما درتْ ... وأينَ مكاني ما عرفْنَ مكاني

وعند كتابتي هذا المحلّ خطر في نفسي بأنّ بقاء القلب واللسان من غير فناء كيف يكون عند العارف الكامل الفاني! وكيف لا يطعن ذلك في التوحيد! وكيف يشفع التوحيد عند المحبوب بإبقاء ذلك، وإبقاؤه مما ينقص التوحيد الكامل الحقيقي!. فسمعتُ هاتفاً في الحال أسمع صوته يقول: «بقاء بالاعتبار»، فعلمت أنّ الأمور الاعتباريّة لا تغيّر الحقائق عمّا هي عليه.

١٠٠ - وَتَلَافِيكِ كَبُرْئِي دَونَهُ ... سَلْوَتِي عَنْكِ وَحَظِّي مِنْكِ عَيّ[1]

(التلافي): التدارك، والخطاب للمحبوبة. **(والبُرء)**: الشفاء. والكاف للتشبيه. يعني: إذا تداركتيني قبل أن أهلك في محبَّتِكِ وغرامي فيك، كان ذلك بمنزلة شفائي من دائي، والتدارك لا يكون إلا بتمام الظهور له والانكشاف عليه، وعند ذلك كان يبرأ من داء الهجر والإعراض عنه. ثمّ قال **(دونه)**: أي دون تلافيكِ، في ذلك **(سلوتي عنكِ)**: أي نسياني محبّتك؛ فالتلافي بتمام الظهور محالٌ لعدم المناسبة بيني وبينك؛ لأنّك وجود صِرف، وأنّي عدم صِرف، وأنت نور محض، وأنا ظلمة محضة، وأنت حقّ خالص، وأنا باطل خالص، وهيهات أن يجتمعا أو يلتقيا، ولا وجود لأحدهما

(١) في (ق) وحظّي فيك غيّ.

إذا وجد الآخر، ولا ظهورَ له إذا ظهر الآخر، كما قلنا في مطلع قصيدة:

أنـتَ قيـدُ الوجـودِ إنْ غبـتَ غابـا   وإذا مـا ظهـرتَ كنـتَ حجابـا

وقال الجنيد قدّس الله سرّه: «الحادث إذا قُرِن بالقديم لا يبقى له وجود بإرجاع ضمير له، إمّا للحادث أو للقديم؛ فإنّ الوجود واحد، إذا نُسِب لأحدهما لا يبقى للآخر وجود. والوجود واحد فرد، إنْ نُسب للعوالم بسبب تجليه عليه أُوجدت به؛ فلا يبقى له وجود. وإذا تجرّد عنها وتنزّه كما هو في نفس الأمر كذلك لا يبقى للعوالم كلّها وجود، ويشير إلى ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [٢٤/النور/ ٣٥] فقد أضاف نفسه إليها ولم تُغيِّرْهُ الإضافة عمّا هو عليه من التنزه عنها؛ لأنّ العوالم كلّها في أنفسها مع قطع النظر عنه عدمٌ صِرف، والعدم لا يغيِّر الوجود. وقد شبّه التلافي المذكور ببرئه وشفائه من داء هجرها وإعراضها عنه؛ فبرؤه وشفاؤه محال؛ لأنّه مشبَّه بمحال وهو التلافي. ثمّ أخبر أن سلوته عنها دون التلافي المذكور في كونها محالا منه؛ لتمكن محبّتها من قلبه، وسريانها في جميع أجزائه. وقوله (**وحظّي**): أي قسمي ونصيبي منك. والواو للحال. (**عَيّ**): أي تعب ومشقّة لا فائدة في ذلك غير الحيرة؛ فإنّه لا ينال الحادث من العلم بالقديم غير العجز عن العلم به، كما ورد عن الصديق الأكبر رضي الله عنه/[٥٩/أ] أنه قال: «العجز عن درك الإدراك إدراك».ولعمري فَمَن تحقّق بعجزه عن العرفان فهو عين العرفان.

١٠١ - سَـاعِدِي بِـالطَّيْفِ أنْ(١) عَـزَّتْ   قِـصَرٌ عَـنْ نَيْلِهـا في سَـاعِدَيّ

(**ساعدي**): فعل أمر للمخاطبة المؤنثة، وهي المحبوبة الحضرة الإلهيّة، و(**بالطيف**): متعلّق بـ(**ساعدي**): من المساعدة، وهي الإسعاف، أي: أسعفيني بمشاهدة طيفك، قال في القاموس: «الطَّيْف: الخيال الطائِف في المنام» انتهى.

(١) في (ق) إنْ.

وجميع العوالم في نفس الأمر بمنزلة الطيف، طيف المحبوبة الحقيقيّة في المنام، والناس جميعهم في منام في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٣] وقال صلّى الله عليه وسلّم: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»(١). وليس كلّ أحد من الناس يعرف نفسه، ويشعر من نفسه بأنّه في منام، وأنّ الذي يراه هو طيف خيال المحبوبة؛ ما عدا العارف بالله تعالى، المعرفة الذوقيّة الكشفيّة؛ فإنّهم يعرفون ذلك من أنفسهم؛ ولهذا طلب المصنّف أنْ تساعده المحبوبة بشهود طيف خيالها في مقام الحياة الدنيا. وأمّا الغافلون المحجوبون فإنّهم لا يشهدون إلّا الأغيار؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار. وقوله (أنْ عَزّت): بفتح الهمزة وسكون النون؛ لأنّ (عَزّت): بتشديد الزاي من عَزَّ الشيء: قَلّ؛ فلا يكاد يوجد. كذا في القاموس. (مُنَىً): بضمّ الميم، جمع مُنْيَة، يعني: لإعزاز، أي: قِلّة حصول المرادات. ثمّ قال: (قِصَرٌ): بكسر القاف وفتح الصاد المهملة. و(عَنْ نَيْلِها): متعلّق بقِصَر، وهو مبتدأ. والذي سوّغ الابتداء بالنكرة الجار والمجرور به. (في ساعديّ): بتشديد الياء فأُدغمت ياء التثنية في ياء المتكلّم بعد حذف النون للإضافة. يعني: إنّ المُرادات التي أتمنّاها من إدراك المحبوبة، والكشف عنها على الوجه التامّ قصرت عن ذلك يديّ، ولم أستطع الوصول؛ فساعدني بطيف الخيال ومشاهدته.

١٠٢- شَامَ مَنْ سَامَ(٢) بِطَرْفٍ سَاهِرٍ طَيْفَكِ الصُّبْحَ بِأَلْحَاظِ عُمَيّ

(شام): بالشين المعجمة، بمعنى: نظر إلى البرق، قال في القاموس: «شامَ البَرْقَ بالشين المعجمة، بمعنى: نظر إليه أين يَقْصِد، وأين يُمْطِر». (مَنْ سَامَ): بالسين المهملة، أي: طلب. (بِطَرْفٍ): متعلّق بـ(شَامَ): بالمعجمة. (ساهرٍ): نعت لطرف.

---

(١) قال العجلونيّ بالكشف: «من قول علي بن أبي طالب». انظر تخريجه في الصفحة ٢٨٦.

(٢) في (ق) سامَ مَنْ سام.

(**طيفك**): مفعول سام بالمهملة. والمعنى: الذي طلب أنْ يشاهد طيف خيالك أيتها المحبوبة بطرف ساهر، أي: لم ينم نوم التسليم لأمر الله تعالى؛ بل استيقظ يقظة التدبير النفسانيّ في ليل الغفلة والحجاب. وقوله (**الصبح**): مفعول شام بالمعجمة، أي: نظر الصبح، أي: صبح نور الحقّ. (**بألحاظ**): أي عيون. (**عُمَيّ**): تصغير أعمى، يعني: إنّما هو ناظر بعيون ناظر أعمى؛ فلا يرى صبحَ الظهورِ، ولا يقدر أنْ يفرِّق بين الظلمة والنور.

١٠٣ - لَوْ طَوَيْتُمْ نُصْحَ جَارٍ لَمْ يَكَدْ فِيْهِ يَوْماً يَأْلُ طَيّاً يالَ طيّ[1]

(**لو**): شرطيّة. و(**طَوَيتُم نصح**): أي نصيحة. (**جارٍ**): أي مجاور لكم في السلوك في طريق الله تعالى، كناية عن نفسه. ونصحُهُ: هو التكلُّم له بالمعارف الإلهيّة، والحقائق الربّانيّة تنشيطاً لهمَّته في دوام الطلب. وقوله (**لم يكد**): أي لم يقارب هذا الجار. وفي نسخة لم يكن. (**فيه**): أي في النصح ، كذلك. (**يألُ**): أصلها بالواو، وحُذفت تخفيفاً، أي: لم يكد يقصر. و(**طيّاً**): تمييز. يعني: من جهة. الطيّ، أي: طيّ ذلك النصح؛ فإنّه كان يفعل مثل ما تفعلون معه؛ ولكِنَّكم ما طويتم أنتم نصح الجار لكم في السلوك. يعني: نصحه فتبعكم هو أيضاً، وما طوى نصح الجار له في السلوك؛ لأنّه مُقتدٍ بكم، وأنتم شيوخه وأساتذته. (**يال طيّ**): وأصله يا آل، أي: أهل طيّ؛ القبيلة المعروفة من عرب المغرب، ومراده: حضرة شيخه الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر محيي الدين بن العربي الحاتمي الطائي، وكنى عنه بآل طيّ تفخيماً له، وتعظيماً لمقامه كما، تقدّم في كثبان طيّ؛ فإنّه قدّس الله سرّه هو أوّل/[٥٩/ب] من بسط الكلام في الحقائق الإلهيّات، والمعارف الربّانيّات. وصنَّف الكتب الكثير في هذا الشأن تنشيطا وتسهيلاً على أهل السلوك في العرفان.

---

(١) في (ق) يال طيّ يأل طيْ.

١٠٤- فَاجْمَعُوا لِيْ هِمَماً أَنْ فَرَّقَ الدْ دَهْرُ شَمْلِي بالأُلَى بَانُوا قُصَيْ

(اجمعوا): فعل أمر للجماعة المخاطبين في البيت قبله، وهم آل طيّ، بإرادة الواحد منهم على جهة التفخيم والتعظيم، أو إرادة الطائفة المحبوبة المتابعين لإمامهم الجليل في سلوك السبيل. و**(هِمَما)**: مفعول اجمعوا، أي: اجعلوا هممي كلّها مجموعة متوجّهة إلى وجه واحد. وقوله **(أنْ)**: بفتح الهمزة، أي: لأن **(فرق الدهر شملي)**: أي لأجل تفريقه شملي. **(بالأولى)**: أي الذين، متعلّق باجمعوا. **(بانوا)**: أي بعدوا. **(قُصَيّ)**: بضمّ القاف وفتح الصاد المهملة، مصغّر قَصِيّاً، أي: بانوا بيناً، أي: بُعداً قصيّاً يعني: بعداً بعيداً، والذين بانوا هم الأحبّة، كناية عن حقائق الأسماء الإلهيّة الظاهرة بآثارها؛ وهي الأكوان.

١٠٥- مَا بِوِدِّي آلَ مَيٍّ كَانَ بَثْ ثُ الهَوَى إذْ ذَاكَ أَوْدَى أَلَمَيّ

(الوُدُّ): بالضمّ، الحبّ. و**(ما بودي)**: أي ما بحبّي ومرادي وقصدي. **(آل)**: أي يا آل بمعنى يا أهل. **(مَيّ)**: ترخيم مَيَّة. والترخيم في المنادى جائز مطلقاً، وفي غير المنادى يجوز في ضرورة الشعر، لكن قال في القاموس: «مَيَّة وميّ من أسمائهن. ومَيَّا: اسم بنت أُدّ بنت مدينة فارقين، فأضيفت إليها؛ فسُمِّيت مَيَّا فارقين». فعلى هذا لا ترخيم. و**(آل ميّ)**: كناية عن أهل هذه المحبوبة الحقيقيّة؛ وهم الأولياء الكاملون. وقوله **(كان بثّ الهوى)**: قال في القاموس: «بَثَّ الخَبَرَ يَبُثُّهُ: نَشَرَهُ وفَرَّقَه». يعني: إذا فشا سرّ المحبّة والعشق بشكوى الغرام، وإيراد معاني حقائق المقام لم يكن بقصد منّي ولا مرام؛ وإنّما ذلك من غلبة الحال على جهة الاضطرار، واستيلاء سلطنة الأسرار، وامتلاء القلوب بتجلّيات الغيوب والأنوار. ثمّ قال **(إذْ)**: وهي تعليليّة. و**(ذاك)**: اسم إشارة عائد إلى بثّ الهوى. و**(أودى)**: اسم تفضيل من الوَدَى كفتى؛ وهو الهلاك. يعني: إنّ شكوى الهوى عندي أهلك **(ألَمَيّ)**: تثنية ألم. والألَمَ محرَّكة: الوجع، كما في القاموس. وأصله

أَلَمِنِ، فأضيف المثنى إلى ياء المتكلِّم فحُذفت النون، ثمّ أدغمت الياء في الياء. فأَحَدُ الألمين بثُّ الهوى وإظهاره، والآخر كتمانه واستتاره. والأوّل عنده أهلك من الثاني؛ لأنّه يقتضي كشف ستر الغواني، وهتك حجب المعاني.

١٠٦- سِرُّكُـمْ عِنْـدِي مَـا أَعْلَنَـهُ غَـيْرُ دَمْـعٍ عَنْـدَمِيٍّ عَـنْ دُمَـيّ

(**سِرُّكُمْ**): يعني يا آل مَيّ. (**عِنْدِي**): وهو سِرّ المحبّة الإلهيّة الحقيقيّة. (**ما أَعْلَنَه**): أي أظهره. (**غير دمع عندمي**): أي منسوب إلى العَنْدَم؛ هو نبت أحمر. وقوله (**عن دُمَيّ**): أي هو صادر ـ يعني ذلك الدمع ـ عن دُمَيّ، بضمّ الدال المهملة وفتح الميم: تصغير دم. ذلك كناية عن سيلان حقيقته عن عين الأمر الإلهيّ؛ فكأنّ روحه دمع يسيل عن تلك العين الأمريّة أحمر اللون، ينتج السرور بمعاني الحضور، فكلّ من رآه رأى ذلك السرّ الخفيّ، والعهد الوفي؛ وهم الذين إذا رأوا ذُكِر الله كما ورد في الأثر عن خير البشر.

١٠٧- مُظْهِرٍ مَا كُنْتُ أُخْفِي مِنْ مِ حَـدِيْثٍ صَـانَهُ مِنِّـي طَـيّ

(**مُظْهِر**): بصيغة اسم الفاعل، نعت لدمع في البيت قبله. وقوله (**ما كنت أُخْفي**): يعني من حيث حقيقتي العلميّة في غيب الهوية الربّانيّة من قدم بيان لِما كنت أخفي. (**حديثٍ**): أي كلام ربّاني؛ وهو الكلام المنزل كما قال تعالى:﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ [٥/ الشعراء/ ٥] يعني: عندهم باعتبار تكلّمهم به، وهو قديم منْ قديم؛ فالعوالم كلّها قديمة/[٦٠/ أ] بالعلم والكلام القديمين الإلهيين، ومُحدثة بالعلم والكلام الحادثين للمخلوقين. ثمّ قال (**صانه**): أي صان ذلك الحديث القديم. (**مِنّي طَيّ**): وهو مصدر طوى الحديث يطوي: كَتَمَه؛ وذلك لأنّه كان في حقيقته مخفيّاً، وعن بصيرته مطويّاً.

١٠٨- عِبْرَةٌ فَيْضُ دُمُوعِي(١) عَبْرَةً   بِيَ أَنْ تَجْرِيَ أَسْعَى وَاشِيَّ

(عِبْرَة): بالكسر خبر مقدّم. قال في القاموس: «العِبْرة بالكسر: العَجَب». و(فيض): مبتدأ مؤخّر، أي: سيلان دموعي. (عَبْرَة): بفتح العين المهملة، أي: حُزْناً، قال في القاموس: «العَبْرَة بالفتح، الدمعة قبل أنْ تفيض، أو تردد البكاء في الصدر، أوالحزن بلا بكاء. والجمع عَبَرَات». والمناسب الأخير. وهذا كناية عن ظهوره من عين الموجودات بطريق الأمر الجاري كلمح البصر، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقال تعالى: ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [٣٤/ سبأ/ ٤٨] وقال تعالى لموسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٣٩] وقوله (بِيَ): بتحريك الياء، الجار والمجرور متعلّق بأسعى. و(أنْ): مصدريّة. و(تجري) منصوب بها، بتأويل جريانها، مبتدأ. و(أسعى): أفعل التفضيل خبر المبتدأ. وقوله (وَاشِيَّ): مثنّى واشٍ؛ وهو النمام الذي يسعى بالفتنة بين الناس. وقد حذفت نون التثنية، وأدغمت الياء في ياء المتكلّم. وأحدُ الواشينِ الدمعُ، والآخر الذي يسعى بين المحبِّ والمحبوب بإيقاع العداوة، وهو خاطر الأغيار. ولا شك أنّ يد الله فوق أيديهم بالغيريّة، ويده بالنسبة الحقيقيّة.

١٠٩- كَادَ لَوْلَا أَدْمُعِي أَسْتَغْفِرُ الْـ   لَـهَ يَخْفَى حُبُّكُمْ عَنْ مَلَكَيَّ

(كاد): أي قارب. و(لولا): حرف امتناع لوجود. و(أدمعي): مبتدأ، والخبر محذوف، تقديره موجودة. (أستغفر الله): جملة معترضة بين كاد ومعمولها. وقوله (يخفى حبُّكم): أي محبّتكم التي في قلبي.(عن مَلَكَيّ): تثنية مَلَك، بفتح اللام. وقد أُدغمت ياء التثنية في ياء المتكلِّم. وهما المَلَكان الحافظان الموكّلان بكل إنسان. والملائكة الكرام قال تعالى في حقّهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ

(١) في (ق): جفوني.

عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [٨٢/ الانفطار/ ١١-١٢] فقد أخبر تعالى عنهم أنّهم يعلمون ما يفعل العباد. والمحبّة فعل في القلب؛ فلو كانوا لا يعلمونها، وتخفى عنهم لخفي عليهم من أفعال العباد، ولما صدق قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [٨٢/ الانفطار/ ١٢] ولهذا قال: (**أستغفر الله**) أي: من هذه المبالغة في الكتمان للمحبّة المؤدية للخطأ بعد أن ذكر فيها كاد المفيدة للمقاربة.

١١٠- صَارِمِيْ حَبْلَ وِدَادٍ أَحْكَمَتْ بِـاللِّوَى مِنْـهُ يَـدُ الإنْـصَافِ لَـيّ

(**الصارمُ**): القاطع، وصارِمِيْ: أصله صارِمِيْنَ، جمع مذكر سالم، وهو منادى مضاف إلى حبل. حُذف منه حرف النداء تخفيفاً، والتقدير: يا صارمي. (**حبْل وداد**): الحَبْل بالحاء المهملة والباء الموحّدة معروف. والوِداد: المَوَدّة. كنّى بذلك عن أحبابه من العارفين، ورفقائه في سلوك طريق الله تعالى المشتغلين بشهود تجلِّيات ربِّهم عن أنفسهم، وعن غيرهم. ثمّ وصف الوداد الذي بينه وبينهم بقوله (**أَحْكَمَتْ**): أي أتقنت. (**باللِّوى**): وزنه أَلِّي؛ وهو ما التوى من الرمل، أو مُستدقُّه، اسم مكان، كناية عن مقام التجلِّي الأمريّ الملتوي بتصاوير الكائنات على الطريق الأمم في كُن فيكون الذي تجتمع في شهود جميع أهل الله، ويتعاهدون عليه، ويتعارفون لديه؛ لأنّه مشهد ذوقيّ برقيّ. ثمّ يفترقون منه في مقامات شتى. (**منه**): أي من ذلك الحبل. وقوله (**يد الإنصاف**): فاعل أَحكمت. والإنصاف العدل. وقوله (**لَـيّ**): مصدر لواه يلويه لَيّاً، قال في القاموس: «لَوَاهُ يَلْوِيهِ لَيّاً ولُوِيّاً، بالضمّ، فَتَلَه وثَنَاه». وهو مفعول أحكمت. والمعنى: يا قاطعين/[٦٠/ ب] حبل ودادي الذي أتقنتْ منه يد العدل منّي فتلاً ولَيّاً فصار محكماً متقناً في المقام والقوّة.

١١١- أَتُـرَى حَـلَّ لَكُـمْ حَـلُّ أَوَا خِـي رُوَى وُدٍّ أَوَاخِـي مِنْـهُ عَـيّ

الهمزة للاستفهام، و(**تُرى**): بضمَ التاء المثنّاة الفوقيّة مبني للمفعول. و(**حَلّ**): فعل ماض ضدّ حَرَّم. و(**لكم**): الخطاب للأحبّة المذكورين في البيت قبله. وقوله

حَلَّ العقدة: نقضها فانحلّتْ. و(أَوَاخِي): بالخاء المعجمة، جمع آخية، كائنة، عود في حائط، أو في حبل يُدفن طرفه في الأرض، ويبرز طرفه كالحلقة يشد فيها الدابّة. وقوله (رُوَي): بضم الراء مقصوراً، أي: فُتِلَ، من رَوَيْتُ الحبلَ: فتَلْتُهُ. وقوله (أُواخي): فعل مضارع من المؤاخاة؛ وهو ملازمة الشيء، واتخاذه ديدناً. وقوله (منه): أي من ذلك الحبل المذكور. (عَيّ): بالعين المهملة، مصدر عَيِيَ بالأمر، كرضي: لم يَهْتَدِ لوجه مراده، وعَجَزَ. وهو مفعول أواخي. والوقف عليه لغة ربيعة. والمعنى: هل حلّ لكم يا أيها الصارمون لحبل ودادي أن تحلوا حبال فتل الود، أي: فَتْل حِبال الودّ على القلب، وجعلها حبّاً لا؛ لأنّه يخاطب جمعاً؛ فكلّ واحد منهم له حبل ودٍّ مفتول قد حلّه هو، وأفرد الحبل في البيت قبله، لأنّه حبل ودِّه الذي صرموه هم. ومن المعلوم أنّ نقض العهد، وحلَّ عقد الودّ بالإعراض بين الأحباب، وقطع رحم الأصحاب من غير عذر حرام، قال تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [٥/ المائدة/ ١] والأمر للإيجاب. وعذر القوم معروف، وبالقبول موصوف؛ لأنّ الاشتغال بالله لم يترك لهم حساً لسواه، ولا تذكراً لمن عداه، ولله درّ القائل:

أدنى الهوى ما يُنسي العبدَ اسمَه وأوسطُه نارٌ تأَجّجُ بالوَقْدِ

١١٢ - بُعْدِيَ الدَّارِيَّ وَالهَجْرَ عَلَيْـ ـيَ جَمَعْتُمْ بَعْدَ دَارِيّ هِجْرَتِيّ

(بُعْديَ): بضمّ الباء الموحَّدة وسكون العين المهملة مفتوح الياء التحتيّة، وهو مفعول مقدّم لقوله جمعتم، وصف البعد بالداريّ، أي: المنسوب إلى تميم الداري[1]

(١) هو تميم بن أوس بن خارجة، ينسب إلى الدار، وهو بطن من لخم، يكنّى أبا رقيّة بإبنة له تسمّى رقيّة. كان نصرانياً فأسلم سنة تسع من الهجرة. كان يسكن المدينة، ثمّ انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه. روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس أنّها سمعت من النبي صلّى الله عليه وسلّم يذكر الرجال في خطبته، وقال فيها: حدّثني تميم الداري، وذكر الجسّاسة وقصّة الدجال. وهذا أولى ممّا يخرجه المحدّثون في رواية الكبار عن الصغار. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البرّ ج١ ص١٩٣.

رضي الله عنه الذي اختطفه الجانّ في قصته المشهورة. وهو بعد اختطافٍ من أهله ومعارفه من الناس، بحيث لا يشعر بهم، ولا بأحوالهم لغيبته عنهم، الغيبة الكلِّيّة. و(الهجر): معطوف على بُعدي. وقوله (عليّ): بتشديد الياء التحتيّة متعلِّق بـ(جمعتم) يعني: يا أيها الأحباب جمعتم عليَّ بُعدَينِ: بُعد الاختطاف الذي اختطفت فيه عنِّي وانفصلت مني. وبُعدُ الهجرِ؛ وهو إعراضكم عنّي، واشتغالكم بما ينسيكم إيّاي بالكلّيّة مع أن فنكم فنّي.

والحاصل: إنْ بُعْدَه عنهم بعد الاختطاف وبُعْدَهم عنه بعد الاشتغال. والأحبّة هم السبب عنده في حصول هذين البعدين. ثمّ قال (بَعْدَ دَارَي): تثنية دار، وقد حُذفتْ نون المثنى للإضافة إلى (هجرتيّ): تثنية هجرة، حُذفت منه النون أيضاً للإضافة إلى ياء المتكلِّم. وكنّى بداريّ الهجرتين عن مثل الهجرتين اللتين كانتا للصحابة في عصر النبوّة المحمّديّة: الهجرة الأولى من مكّة إلى بلاد الحبشة؛ وهي الهجرة النفسانيّة، خرج فيها من النفس؛ التي نفس الأمر هي القلب الذي هو بيت الربّ، ولكنّه في جاهليّته مملوء بأصنام الأغيار إلى بلاد حبشة الأكوان المكدّرة بغيريَّة الأطوار. ثمّ الهجرة الثانية، وفيها النورانيّة المحمّديّة من النفس المطمئنّة التي هي القلب أيضاً إلى المدينة المحمّديّة، والحضرة الأحمديّة.

١١٣ - هَجْرُكُمْ إنْ كَانَ حَتْماً قَرِّبُوا مَنْزِلِي فَالْبُعْدُ أَسْوَا حَالَتَيّ

[٦٠/أ] (هجركم): مبتدأ، والخطاب للأحباب. يعني: صدّكم وإعراضكم عنِّي لاشتغالكم بي تجلّى، مع احتياجي إليكم في وصول الإمداد الإلهيّ إلى قلبي، وتقوية روحي ولُبِّي بالحكم الإلهيّة، والنصائح العرفانيّة. وقوله (إنْ كان): إنْ شرطيّة. واسم كانَ ضمير راجع إلى هجركم. و(حتماً): خبر كان. والمعنى: إنْ كان ولا بدَّ من هجركم لي. (قرِّبوا): جواب الشرط. (منزلي): أي اجعلوه قريباً منكم. والمنزل المقام الذي ينزله في حضرة القرب الربّانيّ، والتجلِّي الصمدانيّ؛ فإنّه إذا شهد السالك حضرة الغيب المطلق في مظاهر تصاوير المشايخ، ومقادير هياكلهم

الفانية في حضرة العلم الراسخ سهل عليه ما يصدر منهم من الهجر والإعراض، ونجحت مقاصده والأغراض، ونسب التقريب إليهم باعتبار الظاهر بهم، وهو الحقّ، وهم الفانون فيه. و قوله (**فالبُعْد أسوا**): بالقصر، وأصله أسوأ بالهمز على وزن أفعل التفضيل، من السوء، فخفّف بقلب الهمزة ألفاً، ثمّ أضيف أسوا إلى (**حالَتَيّ**): تثنية حالة، فحُذفت نون المثنّى لإضافته إلى ياء المتكلِّم، وأُدغمت الياء في الياء. يعني: إنّ البُعْد أسوأ الحالتين عنده: حالة البعد، وحالة الهجر؛ وإنّما كان كذلك لأنّ حالة البعد يغيب عنه محبوبه الحقيقي، فيشتد عليه أمره، وحالة الهجر لا يغيب عنه غير إقباله عليه فيسهُل الأمر لديه.

١١٤ - يَا ذَوِي العَوْدِ ذَوَى عُودُ وِدا　　دِي مِنْكُم بَعْدَ أَنْ أَيْنَعَ ذَيّ

(**يا ذَوِي**): أي يا أصحاب العَوْدِ، بفتح العين المهملة: الرجوع السهل عن مقتضيات الغضب والقهر أو العَود بالإحسان بعد الإحسان . (**ذَوَى**) بالذال المعجمة: أي ذبل ويبس. و(**العُوْدُ**): بالضم الغصن. و قوله (**ودادي**): أي محبَّتي. يعني المحبّة منكم لي (**بعد أنْ أينع**): أي نضج. قال في القاموس: «يَنَعَ الثمرُ حان قطافه. و(**ذَيّ**): مصدر ذَوَى. وأصله ذيّاً، والوقف عليه لغة ربيعة». يعني: أنتم أصحاب أخلاق حسنة، وطباع مهذَّبة، وقد يبس عود مَوَدّتكم لي، ومحبتكم لجنابي، بعد ما كان أخضر ريّان، وكنت معروفاً بالإحسان.

١١٥ - عَهْدُكُم وَهْناً كَبَيْتِ العَنْكَبو　　تِ وَعَهْدي كَقَليب آدَ طَيّ

يعني: عهدكم من جهة الوَهْن بسكون الهاء، قال في القاموس: «الوَهْن الضَّعْف في العمل، ويحرَّك». (**كبيت العنكبوت**): قال تعالى : ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [٢٩/ العنكبوت/ ٤١] يضرب به المثل في شدّة الضعف. وكذلك عهد الأحبّة، أي ما يُعهَد منهم؛ وهي صورهم الظاهرون بها في عالم الأكوان، في تجلّي الرحمن، فلا تُمنع قوة البصائر من شهود الملك الحقّ عند ذوي

العرفان. وقوله (وعَهْدي): أي ما يعهد الناس منّي من صورتي الظاهرة والباطنة. (كقَليب): أي بئر. (آدَ): بالمدّ، أي اشتدّ وقوي. (طَيّ): أصله طَيّاً، وهو تمييز، أي: من جهة طيِّه، وهو تعميره. والمعنى: إنَّ ما يُعهد منّي مثل البئر المعمورة التي اشتدّ وقوي بنيانها، قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [٢٢/ الحج/ ٤٥] فقال بعضهم: البئر المعطّلة قلب الكافر. والقصر المشيد قلب المؤمن، وهنا البئر المعمورة الشديدة الطَيّ القويّة البنيان قلب السالك، ينتفع به الوارد والصادر بإدلاء دلو السؤال، فتخرج منه الحِكَم والنوادر.

١١٦- يَـا أُصَـيْحَابِي تَمَـادَى بَيْنُنَـا وَلِبُعْـدِ بَيْنَنَـا لَمْ يُقْـضَ طَـيّ

(الأُصَيْحاب): تصغير أصحاب للتعظيم. يُكَنّي بهم عن الملائكة الحفظة الملازمين له؛ لشرف مقامهم وإنْ كانوا على حال لا يقبل الترقّي، والإنسان يقبل الترقّي و(تمادى)/ [٦١/ ب] تطاول. و(بَيْنُنا): بضمّ النون، أي: فراقُنا. وقوله (لِبُعْدِ بيننا): بين ظرف مبني على الفتح، أي: كائن بيننا. وقوله (لم يُقضِ): بضمِّ الياء التحتيّة مضارع مبني للمجهول. و(طَيّ) نائب الفاعل، وهو مصدر طواه يطويه: قطعه وأمضاه. والمعنى: أنّه يشكو إلى أصحابه أنّ فراق محبوبه تطاول عليه، وما ذلك إلا لبعد بينه وبينه لم ينقضِ طيّه، وهذا البعد أمر لازم ؛ إذ لا مناسبة بين الوجود والعدم، ولا بين الحدوث والقِدم.

١١٧- عَلِلُوا رُوْحِي بِأَرْوَاحِ الصَّبَا فَبِرَيَّاهَـا تُعِيْـدُ المَيْـتَ حَـيّ

(عَلِّلُوا): فعل أمر، أي: اشغلوا، قال في القاموس: «تَعَلَّلَ بالأمر: تَشاغَل، وعَلَّلَهُ بالطعام وغيرِه تَعْليلاً: شغله به». وقوله (رُوحِي): أي اشغلوها عن شكوى الفراق، وبُعد التلاق. والفراق يقتضي وصلة سابقة، وهي حضور المعلوم في حضرة العلم الأزلي، حضور معدوم في موجود؛ فلمّا تَجَلّى عليه الوجود فارقه، وبعد عنه، فشكا الفراق على طريق العشّاق، وظهر له البعد الذي لا ينقضي أبداً،

وتبين عدم المناسبة له؛ فازداد غماً وكمداً، فطلب من أصحابه أن يشغلوا روحه المتوجِّهة من حضرة الأمر الإلهيّ على الأمر الإلهيّ بأرواح. (**الصَّبَا**): قال في القاموس: «الصَّبَا ريح مَهَبُّهَا من مَطْلع الثُّرَيَّا إلى بنات نعش». يُكَنِّي بها عن الروح الأعظم الظاهر عن الأمر الإلهي بغير واسطة عن ثُرَيَّا الأسماء الربّانيّة. وبنات نعش التقادير الأزليّة من الحضرة العلميّة. وأرواح تلك الصَّبَا كناية عن الأرواح المنفوخة في الهياكل النورانيّة والترابيّة الراضية المرضيّة. ثمّ قال (**فَبَرَيَّاها**): بالتشديد للياء، وهي الريح الطيِّبة. يعني: بطيب روائح هاتيك الأرواح المذكورة (**تُعِيد الميت حَيّ**): أي حيّاً، والسكون لغة ربيعة. يعني: تحيي الميت بروائح أنفاسها من طيب غراسها. وفي نسخة يعود الميت حيّ؛ فإنّ الأرواح المنتشرة عن الروح الأعظم كانتشار أشعة الشمس عن قرص الشمس، هي التي تحي الأجسام بانتشارها عليها. أو الروح الأعظم الذي هو يحيى بها ما انتشرت عليه أرواحه، وأصل الأحياء للاسم المحيي المتجلِّي بصيغة الأمر في ذلك الروح، متجلّياً على حقيقة يوحَ من باب الفتوح.

١١٨ - ومتى ما سِرَّ نَجْدٍ عَبَرَتْ   عَبَّرَتْ عن سِرِّ مَيٍّ وأُمَيّ

(**سِرَّ**): بكسر السين المهملة وتشديد الراء: بطن الوادي وأطيبه، وما طاب من الأرض وكَرُم، وخالص كلِّ شيء، كما في القاموس. وهو منصوب على أنّه مفعول. (**عَبَرَتْ**): مضاف إلى (**نجد**): وهو ما أَشْرَف من الأرض، والطريق الواضح المرتفع، وما خالف الغَور، أي: تِهامة، مذكَّر، أعلاه: تِهامة واليمن، وأسفله: العراق والشام، وأوّله من جهة الحجاز: ذات عِرق. كذا في القاموس. كِناية عن عالم الهياكل الطيِّبة الظاهرة، والأجسام الزكيّة، بالأخلاق الفاضلة الزاهرة. وقوله (**عَبَرَتْ**): بفتح العين المهملة وفتح الباء الموحّدة، والتاء لتأنيث الفاعل. والفاعل ضمير راجع إلى أرواح الصَّبَا في البيت قبله. ومعنى عبرت:

دخلت وجازت. يقال: عبر الوادي مَرَّ به وقطعه. يعني: متى ما مرّت هذه الأرواح الطيِّبة على هذه الهياكل الطاهرة. (عَبَّرَتْ): بتشديد الباء الموحَّدة، من التعبير وهو الإخبار. يقال: عبَّرعمّا في نفسه: أعرب وأخبر. وقوله (عن سِرّ): بكسر السين المهلة أيضاً قال في القاموس: «السِّرّ: ما يُكتم كالسَّرِيرَة. والجمع أسرار. (مَيَ): ترخيم مَيَّة، وهي محبوبة غيلان ذي الرِّمة. و(أُمَيّ): بضمّ الهمزة وفتح الميم ترخيم أميّة أيضاً: اسم امرأة، رخماً على غير القياس لضرورة الوزن والقافية. كنّى بهاتين المحبوبتين عن حضرة الذات الإلهيّة، وحضرة الأسماء الربّانيّة. يعني: لا يكون من التعبير عن ذلك إلا بعد/[٦٢/أ] هبوطها إلى هياكلها الطبيعيّة وأجسامها النورانيّة، فإنّها ما أدركت الكمال إلا في عالم الكثافة، وهو عين حقيقة اللطافة، قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه من أبيات له:

ولا فخـــر إلا في الجُـــسوم وكونهـــا   مولِّـــدة الأرواح ناهيـــك مـــن فخـــر

١١٩- ما حَديثي بِحَدِيثٍ كَمْ سَرَتْ   فـــأَسَرَّتْ لِنَبِـــيٍّ مِـــنْ نُبَـــيّ

(**ما حديثي**): أي كلامي الذي أحدِّثكم به. يعني: معناه الذي أريده. (**بِحَدِيثٍ**): أي حادث؛ بل هو قديم، لأنه من كلام الله القديم، يلقي تراكيبه وجمله في نفسي بطريق الفيض والإلهام وإنْ كان ذلك من قسم النظام، قال الشيخ الأكبر:

كلامنـــــا لـــــيس بـــــشعر ولا   مـــن شـــاعر بـــل وارث مـــصطفى
أنطقـــــه الله بـــــه مثـــــل مـــــا   أنطـــق أهـــل الـــدين والاصـــطفا

وقوله (**كم سرت**): فاعله ضمير عائد إلى أرواح الصَّبَا في البيت السابق. (**وسرت**): من السُّرى كالهُدى، وهو سيرعامّة الليل. سرى يسري، وذلك لأنَّ عالم الأجسام ليل مظلم، فسير أرواحها فيها سيرٌ في ليل مظلم. وقوله (**فأسرّت**): من الإسرار، وهو السرّ ضدّ الجهر، أي: أخبرت خفية لنبئ فقيل بمعنى مفعول. أي: مخبر مَنْ غيره. أو بمعنى فاعل مخبر لغيره، وهو صاحب النبوّة. وقوله (**من نُبَيّ**):

تصغير نَبَأ، وهو الخبر، متعلّق بأَسرّت. والمعنى: إنّ الأولياء إذا ورثوا الأنبياء في علومهم يرثوها بكيفيّة تلقّيها من حضرة الغيب لا بطريق التعليم؛ فإنّ الأنبياء عليهم السلام ما تلقَّوها بطريق التعليم من غيرهم، وكذلك الأولياء عليهم الرضوان.

١٢٠ - أيْ صَبَا أَيُّ صَباً هِجْتِ لَنا   سَحَراً مِنْ أَيْنَ ذَيّاكَ[1] الشُّذَيّ

(أَيْ): بفتح الهمزة وسكون الياء، حرف نداء للقريب. و(صَبَا): بفتح الصاد المهملة، منادى، وهو ريح الصَّبَا، كَنَّى به عن عالم الأرواح الأمريّة، كما مرّ. وقوله (أيّ): بتشديد الياء، استفهاميّة. أو دالَّة على معنى الكمال، صفة موصوف محذوف، تقديره: (صَباً) بفتح الصاد المهلة، من الصَّبْوَة، وهو جَهْلة الفتوَّة. صَبَا يَصْبُو: وأصله الميل، صَبَا إليه: مال وحنّ. يعني: يا أيها الصَّبَا، أيّ ميلٍ وحنين إلى الأحبّة. (هِجتِ): بكسر الهاء وكسر التاء المثنّاة الفوقيّة، خطاب لريح الصَّبَا. وهو فعل ماض، من هَاجَ يَهِيْجُ هَيْجاً وهِياجاً بالكسر: أثار. وقوله (لنا): أي لذلك الصَّبَا والميل كائناً لنا، ونحن موصوفون به؛ لكنّه كان ساكناً فهِجته علينا. وقوله (سَحَراً): أي وقت السحر، وهو قبيل الصبح أواخر الليل، وهو وقت نزول الربِّ إلى السماء الدنيا كما ورد في الخبر[2]، أي: ظهوره متجلياً بعالم المحسوسا ت. قال عفيف الدين التلمسانيّ:

أسكرتِ بانَ الحيِّ يا نسمةَ السَّحَر   فهل أتيتِ عن الأحبابِ بالخبرِ

إلى آخر الأبيات، وهي في ديوانه المشهور. وقوله (من أين): أي من عالم الكون، أو من عالم العين المغيّبة عنا. (ذيّاك): تصغير ذاك، اسم إشارة للبعيد.

---

(١) في (ق):هاذي.

(٢) إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم فيما أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب: المواقيت. والبخاريّ في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب: دعاء نصف الليل، ٦٣٢١: «يتنزّل ربّنا كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له».

(والشُّذَيّ): بضمٍّ الشين المعجمة وفتح الذال المعجمة، وتشديد الياء، مصغَّر الشَّذَا، بالقصر، وهو: قوة ذكاء الرائحة. يعني: من أين قُوَّة هذه الرائحة الفائحة التي دخلت في أنوفنا، فَسَرَتْ فينا حتى أعقبتنا فناء نفوسنا. وأصله الرُّوْح، بالضمِّ النفخ ، وحكم الله وأمره، والقرآن، والوحي، وجبريل، وعيسى عليهما السلام، وما به حياة الأنفس كما في القاموس وهو للحقّ الوجود المتجلّي كالرائحة للمسك تُدرك بالشمّ ،ولا يُدرك المسك منها ما لم يعلم من قبل الرؤية ونحوها، فلو شممنا رائحة لا تشبه الروائح لا يمكن أن نستبدل/ [٦٢/ ب] بها على ما هي له من الأشياء. وقد وقع لنا مرّة أننا كُنّا داخلين مع جماعتنا على بلاد الخليل، وهي حبرون في زمن الربيع فشممنا رائحة زهرمن أعطر الروائح، وعجزنا نحن وجماعتنا عن معرفة ذلك الشيء الذي تخرج منه تلك الرائحة فلم نقدر على معرفته، ومضينا.

١٢١ - ذَاكَ أَنْ[١] صَافَحْتِ رَيَّانَ وَتَحَرَّشْتِ بِحَوْذَانِ كُلَيّ

(ذاك): أي الشذا المذكور شممناه منكِ يا ريح الصبا. (أنْ): بفتح الهمزة وسكون النون، أي: لأنّ لأي من أجل أنْ (صافحتِ): بكسر التاء المثنّاة الفوقيّة خطاب لريح الصّبَا، أي: مَسَسْتِ في حال مرورك. (ريّان): ضدّ عطشان. (الكَلا): بالفتح العشب النابت في الصحارى والقفار، كناية عن الأسرار المحمّديّة، والأنوار الأحمديّة التي بدأ بها الله تعالى خلق الأكوان، ولأجلها تفصلت حقائق الأعيان. قوله (وتَحَرَّشْتِ): بالشين المعجمة وكسر التاء أيضاً، خطاباً لريح الصَّبَا. واحترش بالشيء: تصدّى له وقصده، أي: تصدَّيت وقصدت وتعرضت. (بحَوْذان): وهو اسم بنت، بالحاء المهملة، بعدها واو ، وذال معجمة، وألف ونون، قال في القاموس: «الحَوْذان نَبْت» وقد كنَّى به ههنا عن الجناب الإلهيّ الغيبيّ الذي لا يُدرك، ولا يُترك؛ فمن تحَرَّشَ به لا يصل إليه، ولا يقدر أنْ

---

(١) في (ق):إنْ.

يهجم بعقله عليه، ثمّ أضافه إلى قوله (كُلَيّ): بضمِّ الكاف وفتح اللام وتشديد الياء، مصغّر كِلَى بكسر الكاف، قال في القاموس: «كُلى الوادي: جوانبه" كناية عن جوانب وادي الأكوان؛ فإنّها مظاهر تجلّيات الرحمن. ومعنى ذلك: إنّ هذه الرائحة لعلّها فاحت لدينا من أحد هذين الأمرين، وليس بعد الله ورسوله عين هي أشرف عين، وقدّم الكناية الأولى، لأنّه ترقّى في البين، والمصافحة مناسبة للحقيقة المحمّديّة، كما أنّ التحرش يناسب الثاني، المنزل الثاني.

١٢٢- فَلِـذَا تُـرْوِي وَتَـرْوِي[1] ذَا   وَحَـدِيْثاً عَـنْ فَتَـاةِ الحَـيِّ حَـيّ

(فلِذا): أي فلأجل ما ذكر من المصافحة والتحرُّش (تُرْوي): بضمّ التاء، مضارع أرواه، يقال: أروى العطشان إذا أشبعه من الماء. و(تَرْوي): بفتح التاء، رويت الحديث أرويه: نقلته. وقوله (ذا): أي صاحب. (صدى): أي عطش، مفعول تروي الأوّل. (وحديثاً): أي كلاماً معطوف على ذا صدى، وهو مفعول تروي الثاني؛ ففي الكلام لفٌّ ونشرٌ مُرَتَّب. وقوله (عن فتاة الحَيّ): متعلّق بتَرْوي الثاني. وكنّى بـ(فتاة الحيّ): عن الحضرة الأسمائيّة الإلهيّة التي مبدؤها الاسم الحَيّ، وكونها فتاة: أي ظاهرة في كلّ حين بتجلٍّ جديد؛ فهي فتاة دائماً. وقوله (حَيّ): صفة حديثاً، وقف عليه في لغة ربيعة، والحيّ: الحقّ. قال في القاموس: «لا يعرف الحَيَّ من اللَّيّ، الحقّ من الباطل».

١٢٣- سَائِلِي مَا شَفَّنِي فِي سَائِلِ الدْ   دَمْـعِ لَـوْ شِـئْتَ غِنَـىً عَـنْ شَـفَتَيّ

(سَائِلِي): أي يا سائلي. (ما): استفهاميّة. و(شَفَّنِي): نَحَّلَنِي وهَزَلني، قال في القاموس: «شَفَّ جِسمُهُ شُفُوفاً: نَحَل، وشَفَّهُ الهَمَّ: هَزَلَه». يعني: أي شيء شفّني، بمعنى أسقمني وأنحلني. وقوله (في سائل): أي جارٍ، من السيلان، وهو جريان

---

(١) في (ق):تَروي وتُروي.

الدمع، وهو ماء البكاء. كناية عن المعاني التي تفيض من عين بصيرته، أي: معاينتها للحقائق الإلهيّة، بحيث تظهر شواهدها في أثناء عبارته من غير قصد منه، من قبيل قول العفيف التلمسانيّ قدّس سرّه:

ولا تنطقوا حتى ترَوا نطقها بكم   يلوح لكم منكم فتلك شؤونها

كالعارف ساكت، والحقّ ينطق على لسانه بالمعاني الفائضة على قلبه. وقال الجنيد رضي الله عنه لـمّا سُئِل عن التوحيد فأجاب بكلام لم يفهمه السائل فطلب /[٦٣/ أ] منه أن يعيده، فقال: «إنْ كنت أجريه فأنا أمليه». وقوله (**لو شئتَ**): يعني يا أيها السائل. (**غِنَىً**): مبتدأ مؤخَّر، وخبره المقدّم قوله: في سائل الدمع. والغِنى للاستغناء. (**عن شفتيّ**): تثنية شَفَة. يعني: عن الكلام الذي يخرج من بين الشفتين قصداً منه له؛ فإنّه إذا اشتغل القلب واستغرقه شغله سكت اللسان عنه عنده فلا ينطق إلا بإنطاق الحقّ تعالى له كما قال: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٤١/ فُصِّلت/ ٢١] وذلك أنّ الحقّ تعالى إذا كان لسان العارف على حسب المعنى الذي أراده النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في حديث المتقرِّب بالنوافل: «كنت لسانه الذي ينطق به»[1] سلب اللسان عنه عنده ؛ بل سلبه كلَّه مستولياً على حقيقته الفانية بحقيقته الباقية، ظهرت العين الواحدة في قلبه وسالت دموع العلوم؛ فحصلت الكفاية بذلك لأهل العقول والفُهوم.

١٢٤-عُتْبُ لَمْ تُعْتِبْ وَسَلْمَى   وَحَمَى أَهلُ الحِمَى رُؤْيَةَ رَيّ

(**عُتْب**): بضمّ العين المهملة وسكون التاء المثنّاة الفوقيّة، عَلَم امرأة. وقد كَنّى بذلك عن الروح الإنسانيّة المتوَجِّهة من عالم الملكوت الأعلى لتدبير هذا الهيكل الإنساني. وقوله :(**لم تُعْتِب**): بضمّ التاء المثنَّاة الفوقيّة، أي: لم ترفع العتب، أي: المَلام، يقال: فما أعتبني، أي: ما أزال عنّي بسبب عتبي. يعني: أنّها دائماً تكثر

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

العَتْب عَلَيّ في جميع أفعالي وأقوالي وأحوالي؛ لأنّها من العالم الأعلى، وأنا من العالم الأدنى. وهي من العالم النوراني، وأنا من العالم الظلماني. وهي من العالم الأمر، وأنا من عالم الطبيعة. ثمّ قال (وسلمى): وهي اسم محبوبة مشهورة. كنّى بها عن النفس الإنسانيّة. ثمّ قال (أسلمتْ): أي سلّمت الأمر، ولم تنازع شيئاً، من قبيل قول الشيخ الأكبر قدّس سِرُّه:

فأســـلمتْ ووقانـــا الله شِرَّتَهـــا   وزَحْـزَح الملـكُ المنـصورُ إبليـسا

(وحَمَى): أي منع أهل الحِمَى، قال في القاموس: «الحِمى كإلى ما حُمِيَ من شيء». وكنّى بأهل الحِمى عن الأسماء الإلهيّة. وقوله (رؤيةَ رَيّ): أي ريّا مرخّم، وهو اسم محبوبة، كنّى بها عن الذات الإلهيّة المحميّة بأسمائها الحسنى لكثرة ظهور آثار أسمائها المختلفة، قال العفيف التلمسانيّ قدّس سرّه:

منعـــتها الـــصفات والأســـماء   أنْ تـــري دون برقـــع أســـماء

فالأول جمع اسم، والثاني اسم واحد، عَلَم على المحبوبة، أصله مقصور، وقد مدّه الناظم للضرورة الشعريّة:

١٢٥- والّتي يَعْنُو لَها البَدْرُ سَبَتْ   عَنْـــوَةً رُوْحِـــي وَمَـــالِي وَحُمَـــيّ

(يعنو): يخضع ويذل. و(البدر): كناية عن الإنسان الكامل الذي قابل الشمس الأحديّة بكلّه، ولم يبقَ فيه فضلة لمقابلة شيء أصلاً، فلا تدخل عليه الظلمة من جهة أبداً؛ لارتفاع الحجب كلّها عنه؛ فقد امتلأ من النور الأحديّ. ولم ينتقل النور الأحديّ إليه، ولا حلّ في شيء منه أصلاً؛ إذ لا شيء معه، وإنّما هي مراتب ينزلها؛ فتظهر به ويظهر بها، كما قلنا في مطلع قصيدة:

ظهـرتَ يـا نـورُ والـسِّوَى عَـدَمُ   فأشرقَـتْ مـن ظهـوركَ الظُّلَـمُ

وقوله (سَبَتْ): فعل ماض من سَبَى العدوَّ سَبْياً وسِبَاء: أسَرَه. و(عَنْوَة): أي قهراً وغلبة. (روحي): مفعول سبت، فصارت روحي ملكاً لها، فصارت روحها،

وظهر قوله تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [١٥/الحجر/٢٩]. (ومالي): معطوف على روحي. يعني: جميع ما أملكه فصار ملكها من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ [١٩/ مريم/ ٤٠] وإنّما ينتقل الإرث بعد موت المورِّث. وهنا انتقل بالسبي والقهر والغلبة. وقوله (وحُمَيّ) بضمِّ الحاء المهملة وفتح الميم مضافاً إلى ياء المتكلِّم، مصغَّر حِمَى، بكسر الحاء، وهو ما يُحمى من كلِّ شيء/[٦٣/ ب] من دار، أو أرض، أو جهة، أو بلاد، ولله درّ القائل:

لا تقــلْ دارُهــا بــشرقيّ نجــدٍ   كــلُّ نجــدٍ للعامريّــة دارُ

١٢٦- عُدْتُ مِمَّا كَابَدَتْ مِنْ صَدِّهَا   كَبِدِي حِلْفَ صَدَىً والجَفْنُ رَيّ

(عُدْتُ): أي صرت. (مما كابدت): أي قاست، من المكابدة بمعنى المقاساة. وقوله (من صَدِّها): أي المحبوبة. والصّدّ الإعراض والهجر. و(كبدي): فاعل كابدتْ. وقوله (حِلْفَ) بكسر الحاء المهملة وسكون اللام، المحالف المعاشر. و(الصدى): العطش. يعني: من كثرة التعطُّش والتشوُّق إلى لقاء المحبوبة، ولقاؤها ممتنع. (والجَفْن): أي جَفْن العين. (رَيّ): أي ريّان من كثرة البكاء.

١٢٧- وَاجِداً مُنْذُ جَفَا بُرْقُعُهَا   نَاظِرِي مِنْ قَلْبِهِ فِي القَلْبِ كَيّ

(واجداً): بالجيم، من الوُجدان، وهو حال من فاعل عُدتُ وهو التاء. (منذ): اسم مبني على الضم. (جَفَا): أي هجر ولم يصل. (بُرقُعُها): فاعل جَفَا، والبُرقُع بضمّ الباء وضمّ القاف، وتُفتَح أيضاً: ما تَستُر به المرأة وجهها. كنّى بالبرقع عن الإنسان الكامل الذي هو غطاء على وجه الحقّ، وهو غطاء هالك، أي: فانٍ مضمحِلٌ عن نفسه كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ٢٦-٢٧] وقوله (ناظري): مفعول جفا، والناظر: العين، أي: كلّ ما ينظر مِنّي فيشمل الحواس كلّها والعقل؛ وهو

بعد الإنسان الكامل عنه في شيخه أو في نفسه لتحقّقه بالفناء في العيان، وغيبته عن عوالم الإمكان. وقوله (**من قلبه**): أي قلب برقع، وهو عقرب، ويُشبَّه به شعر الأصداغ. كناية عن حجب الآثار الكونيّة من أهل الغفلات الطبيعيّة، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [٧١/ نوح/ ١٧]. وقوله (**في القلب**): أي الفؤاد. (**كَيّ**): مصدر كَوَاه يَكْوِيه كَيّاً: أحرق جلده بحديدة ونحوها، وهي المِكْوَاة. والكَيَّة: موضع الكَيّ، كذا في القاموس، وهو التعشُّق بملاح الأكوان، لأنّها آثار تجلّيات الأسماء الحسان.

١٢٨- وَلَنَا بِالشِّعْبِ شَعْبٌ جَلَدِي بَعْدَهُم خَانَ وَصَبْرِي كَاءَ كَيْ

(**الشِّعْب**): بكسر الشين المعجمة: الطريق في الجبل، كناية عن عالم الأجسام العنصريّة. (**وشَعْب**): بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة: قبيلة عظيمة، وهي كناية عن حضرات الأسماء الإلهيّة المتجلّية بإظهار الأكوان. وقوله (**جَلَدي**): محرّكة، أي: قوّتي. (**بعدهم**): أي بعد فراقي لهم بانحراف خاطري عن مراقبتهم ومشاهدة ظهورهم في الآثار الكونيّة. وقوله (**خان**): بالخاء المعجمة من الخيانة خلاف الوفاء، أي: لم يسعفني، ولم يثبت معي في تحمّل مشقات بُعدهم عنّي. (**وَصَبْرِي كاء**): أي ضَعُفَ وَجَبُنَ. وقوله (**كَيْ**): أصله كيئاً، مصدر كاء، فحُذفت الهمزة تخفيفاً، والوقف عليه بالسكون لغة ربيعة.

١٢٩- حَلَفَتْ نَارُ هَوَىً(١) حَالَفَنِي لَا خَبَتْ دُوْنَ لِقَا ذَاكَ الـخُبَيّ

(**حَلَفَتْ**): أقسمت. (**نارُ هَوَىً**): أي حرارة محبَّتي التي هي كالنار في الحرقة. وفي نسخة جَوَى، أي: وجد وشوق، والتنكير للتعظيم. وقوله (**حالفني**): بالحاء المهملة، أي: لازمني وعاهدني، قال في القاموس: «الحِلْف، بالكسر: العَهْد بين القوم والصَّداقة، والصديقُ يحلف لصاحبه ألا يَغْدُر به، وحالفه عاهده ولازمه».

---

(١) في (ق): جوى.

(**لا خَبَتْ**): لا سَكَنَتْ، ولا انطفأتْ. (**دون لقا**): بحذف الهمزة لضرورة الوزن، أي: إلا أن تلاقى، أي: تجد بالمعاينة ذاك. (**الخُبَيّ**): بضمِّ الخاء المعجمة وفتح الباء الموحّدة، مصغر الخِبَاء. والخِبَاء ككِساء، من الأَبْنِيَة، يكون من وَبَرٍ، أو صُوف، أو شَعَر، كما في القاموس. كنّى بذلك/[٦٤/أ] عن الصور الحسيّة والمعنويّة الظاهرة بطريق التأثر عن الأسماء الإلهيّة. والإشارة بذلك الخُبَيّ إلى جنس الخِباء؛ إذ لا يكون خِباء واحداً محمياً إلّا وهو محفوظ بأخبية كثيرة. وأيضاً فإنّ كلّ أثر في الكون توجّهت على إظهاره جميع الأسماء الإلهيّة، باعتبار أنّ كلّ اسم منها جامع لكل اسم قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [١٧/الإسراء/ ١١٠].

١٣٠- عِيْسَ حَاجِي البِيْتِ حَاجِي لَوْ كَـنُ أَنْ أَضْـوِي إلى رَحْلِـكِ ضَيّ

(**العيس**): بكسر العين المهلة وسكون الياء التحتيّة: إبِل بيض، يخالط بياضها شُقْرَة، كذا في القاموس. (**حاجي**): بتخفيف الجيم لضرورة الوزن. وأصله حاجِّي بالتشديد، جمع حاجّ، وحُذفت النون للإضافة إلى (**البيت**): أي بيت الله تعالى، وهو الكعبة. والمعنى: يا عِيسَ الحاجِّين إلى بيت الله تعالى. وقوله (**حاجي**): يعني حاجاتي، قال في القاموس: «الحُوْج، بالضمِّ: الحاجة، وجمعه: حَاج وحاجات وحَوائِج». وقوله (**لو أُمَكَّنُ**): بضمِّ الهمزة وفتح الميم وتشديد الكاف مفتوحة، على البناء للمفعول. (**أَنْ**): مصدريّة. (**أَضْوِي**) بالضاد المعجمة مضارع ضَوَى يَضْوِي ضَيّاً وضُوِيّا: انْضَمّ ولجَأ، كما في القاموس. (**إلى رَحْلِكِ**): بالحاء المهملة وكسر الكاف، خطاب للعِيس. والرحل: مركب البعير، أي: موضع الركوب منه. وقوله (**ضَيّ**): بالضاد المعجمة، أصله ضَيّاً، مصدر مؤكّد لأَضوي، وإسكانه لغة ربيعة. كنّى بالعيس عن عالم الأجسام، وبحاجّي البيت عن الأرواح الكاملة المتوجّهة بالهمم العالية إلى حضرات التجلّيات الإلهيّة في العوالم الإمكانيّة. ومعنى قوله (**لو أُمَكَّنُ**): أي يمكِّنُنِي منه أنَا في تصرّف أمره أنْ أنضمّ وألتجئ إلى جملة

الراكبين السائرين على تلك العيس إلى حضرة الغيب المطلق.

١٣١- بَلْ عَلَى وِدِّي بِطَرْفٍ[1] قَدْ كُنْتُ أَسْعَى رَاغِباً عَنْ قَدَمَيّ

(بل): حرف إضراب. (على وِدّي): أي محبَّتِي، متعلِّق بقوله دَمِي. يعني: على حسب ذلك الذي أجد من المحبّة وبمقتضاه. وقوله (بطَرْفٍ): متعَلِّق بأسعى. و(الطَّرْف): العَين. و(دَمِيَ): فعل ماض، أي: جرى دمه مكان الدمع من كثرة البكاء. وقوله (كنت أسعى راغباً): أي معرضاً. (عن قدميّ): تثنية قدم. والمعنى: لو أتمكَّن من الانضمام والالتجاء إلى هؤلاء الركب السائرين إلى بيت الله الحرام كنت أسعى على قدميّ معهم؛ بل كنت أسعى بعيني الدامية من البكاء على محبَّتي التي أجدها لهم، معرضاً عن المشي على قدميّ؛ وهم ركب العارفين من أهل الكمال، السالكين في مقامات الجلال والجمال.

١٣٢- فُزْتِ بِالْمَسْعَى الذِي أُقْعِدْتُـ ـهُ وَعَاوِيكِ لَهُ دُونِيَ عَيّ

(فُزْتِ): بضمٍّ الفاء وسكون الزاي وكسر التاء المثَنَّاة الفوقيّة، خطاباً للعِيس. و(المَسْعَى): مكان بين الصفا والمروة. كناية عن مقام تحقيق الشهود، بالتردد بين الصفا الروحانيّة، ومروة الجسمانيّة، سبعة أشواط الصفات المعنويّة؛ شوط الحياة الإلهيّة الساري أثرها في عالم الطبيعة العنصريّة، وشوط العلم القديم الممد للعقول والحواس الكونيّة، وشوط الإرادة الربّانيّة المؤثرة في النفوس الإنسانيّة، وشوط القدرة الأزليّة الظاهرة بإظهار القوى الإمكانيّة، وشوط السمع الإلهيّ المؤثر بإظهار السمع الكوني، وشوط البصر الرحمانيّ المؤثّر بإظهار البصر الحادث، وشوط الكلام الحقّ المؤثّر بإظهار المعاني والحروف والأصوات. وقوله (أُقْعِدْتُ): بضمٍّ الهمزة وسكون / [٦٤/ ب] القاف وكسر العين وضمّ التاء، على أنّه مبني للمجهول، أي: أقعدني الحظ والقصور في الهمّة والحال عنه، أي: عن

---

(١) في (ق): بجفنٍ.

ذلك المسعى. وقوله (وعاويكِ): بالعين المهملة، بعدها ألف فواو، وبكسر الكاف: خطاب للعيس، معطوف على التاء في فزتِ، أي: وفاز عاويكِ. و(العاوي): اسم فاعل من عَوَى يَعْوِي عَيّاً: لَوَى خَطْمَه. يعني: زمام ناقته، ثُمَّ صَوَّتَ، أومَدَّ صَوْتَه ولم يُفْصِح، و ـ الشيء عَطَفَه، كذا في القاموس. والمعنى: فُزْتِ يا أيتها العِيس بالمسعى المذكور، وفاز أيضاً من لَوَى زمامك وعطفك له، أي: للمسعى المذكور دوني، حيث لم أفز أنا بمثل ذلك، وقوله (عَي): مصدر مؤكّد لاسم الفاعل وهوعاويك، وأصله عيّاً، وسكونه في لغة ربيعة.

١٣٣ - سِيءَ بِي إنْ فَاتَني مِنْ فَاتِنِي الْـ ـخَبْتِ مَا جُبْتُ[1] إِلَيْهِ السَّيِّ طَيّ

(سِيْءَ): بكسر السين المهملة، وسكون الياء وفتح الهمزة، فعل ماض مبني للمفعول، من ساءه سَوْءاً: فعل به ما يكره. (بي): أي فعل الله تعالى بي ما أكره. (إنْ فَاتَني): من الفَوْت قال في القاموس: «فَاتَه الأمرُ فَوْتاً وفَوَاتاً: ذهب عنه». وقوله (مِنْ فَاتِنِي): جمع فاتِن، من فَتَنَهُ يَفْتِنُهُ وفُتُوناً، والفِتْنَة بالكسر: الخِبْرَة، والضلال، والإثم، والفضيحة، والعذاب، والجنون. والمِحْنَة. وأصل فاتِني: فاتِنينَ، حُذفت منه النون لإضافته إلى (الخَبْتِ): بالخاء المعجمة المفتوحة وسكون الباء الموحّدة وكسر التاء المثنّاة الفوقيّة، وهو المُتَّسِع من بُطون الأرض، وصحراء بين الحرمين، كذا في القاموس. كنّى بذلك عن حضرة الأسماء الإلهيّة الظاهرة بإظهار آثارها من العوالم الإمكانيّة. ومعنى كونها فاتنة الخَبْت: أي مثيرة في علوم الإمكان بمَنْ هي أسماؤه؛ وهو الحقّ تعالى أحوالاً مختلفة، وأعمالاً متقابلة، وأقوالاً متباينة، كما قال تعالى حاكياً عن موسى الكليم عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ الآية [٧/ الأعراف/ ١٥٥]. وقوله (ما): أي الأمر العظيم الذي (جُبْتُ): بضمّ الجيم وسكون الباء الموحّدة وضمّ التاء، ضمير

(١) في (ق): خُبْتُ.

المتكلِّم، أي: قطعت (إليه): أي إلى ذلك الأمر العظيم، أي: لأجل حصوله، والوصول إليه. (السَّيّ): بفتح السين المهملة وتشديد الياء التحتيّة: الفلاة، واسم موضع، كذا في القاموس. كنًى به عن طريق المجاهدة، وسبيل السلوك إلى ملك الملوك. وقوله (طَيّ): مصدر طَوَى الأرض يَطْوِيهَا طَيّاً: قطعها. وهو مفعول مطلق مؤكد لقوله (جُبْتُ): من حيث معناه كقولهم قام وقوفاً، وقعد جلوساً، والوقف عليه بالسكون لغة ربيعة.

١٣٤ - حَاظِرِي مِنْ حَاضِرِي مَرْمَاكِ ... دِي قَـضَاءٍ لَا اخْتيـار لِـيَ شَيْ

(**حاظِري**): أي مانعي من الحَظْرِ، بالحاء المهملة وسكون الظاء المعجمة، وهو المنع. وقوله (**من حاضري**): بالحاء المهملة والضاد المعجمة، جمع حاضر من الحضور خلاف الغيبة، وهو مضاف إلى مَرْمَاكِ بكسر الكاف، خطاب لعِيس حاجّي البيت في البيت المتقدّم. والمَرْمَى موضع الرمي، أي: رمي الجمار، يقول للعيس، أي: لراكبها، إنّ المانع لي من حضوري في موضع رمي الجمار كل عام. كناية عن إلقاء دعاوي الصفات السبعة، صفات المعاني: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام؛ وهي الحصيّات السبع المحصونة بالدعوى في النفس الإنسانيَّة. فرميها في هذه المواضع الثلاثة جمرة العقبة في الدنيا، والوسطى في البرزخ، والتي عند مسجد الخيف، من الخوف في العقبى؛ إنّما ذلك لتظهر له أصولها، وهي الصفات السبعة الإلهيّة. وقوله (**بادي**): خبر المبتدأ الذي هو حاظري، أي: مانعي من ذلك إنّما هو ظاهر. (**قضاء**): بالتنوين، وتنكيره للتعظيم، أي: ظاهر قضاء الله تعالى الأزلي. ثمّ قال (**لا اختيار لي شي**)/ [٦٥/أ] بسكون شي بعد حذف الهمزة، والأصل شيئاً بالنصب، خبر لا العاملة عمل ليس، و(**اختيار**): اسمها، والسكون لغة ربيعة. والمعنى لا اختيار موصوفٌ بأنّه لي شيئا، وإذا كان اختياره ليس شيئا كان ليس موجوداً؛ وإنّما هو ثابت ليس بمنفي، كما أنّ الأكوان كلّها ليست موجودة مع الله تعالى؛ وإنّما هي ثابتة ليست بمنفيّة،

ولا يلزم من الثبوت الوجود؛ فقد يكون الحقّ المستحقّ ثابتاً لإنسان، ولكنه غير ظاهر، فهو ليس بموجو د؛ لأنّ الموجود هو الظاهر.

١٣٥ -لَا بَرَى جَذْبُ البُرَى جِسْمَكِ   تَضَتِ مِنْ جَذْبِ البَرَى وَالنَأيُ نَـيّ

(لا): دعائيّة. و(برى): نَحَتَ وهزل. و(الجذب): بالجيم والذال المعجمة مصدر جَذَبَه يَجْذِبُه: مدّه. و(البُرى): بالضمّ جمع بُرَة كَثُبَة حلقة في أنف البعير أوفي لحمة أنفه. (جسمَكِ): مفعول بَرى، بكسر الكاف، خطاب لعيس حاجّي البيت. كناية عن عالم الأجسام الإنسانيّة. و(جذب البُرى): كناية عن التكاليف الشرعيّة الشاقّة. و(اعْتَضَتِ): بالعين المهملة فالتاء المثنّاة الفوقيّة فالضاد المعجمة، وكسر التاء: خطاب للعيس أيضاً، معطوف على جملة لا بَرى. والمعنى: عوَّضك الله تعالى، أي: جعل لك عوضاً (من جَدِب): بالجيم والدال المهملة، أي: مَحْل وقَحْط. (البَرَى): بفتح الباء، ومن البُعد عن أوطان التحقيق. (نَيّ): بفتح النون وسكون الياء مشددة: مصدر نَوَتِ الناقة نَيّاً ونَوَاية: سَمِنَت من أكل النوى، فهي نَاوية. يعني: سِمَناً من ثواب الأعمال الظاهرة، وزيادة أجر، وهو مناسب لعالم الأجسام، إذ هي كثيفة، وعملها كثيف، وجزاؤها كثيف، جزاء وفاقاً.

١٣٦ - خَفِّفِي الوَطْءَ فَفِي الخِيْفِ   ـتِ عَلَى غَيْرِ فُؤَادٍ لَـمْ تَطَـي

(خَفِّفِي): فعل أمر خطاب لعيس حاجيّ البيت. و(الوَطْءَ): مفعوله، وهو مصدر وطِئَه، بالكسر، يَطَأَه: داسَه. وقوله (ففي الخِيف): أي خيف وادي مِنى. (سلِمْتِ): بكسر التاء، خطاب للعيس، وهي جملة دعائيّة. وقوله (على غير فؤاد): أي قلب من قلوب المحبِّين (لم تَطَي). والمعنى: إذا مررتِ يا عيسَ حاجّي البيت بخِيف وادي منى خففي الوطء فإنّكِ لا تدوسين وتطئين هناك إلا على قلوب المحبِّين المنطرحة على هاتيك الأراضي شوقاً إليها، وتلهفاً عليها. وكنّى: بالخيف عن مقام الهيبة والجلال في حضرة القرب من الحقّ المتعال؛ فإنّ القلب الداخل إلى

هذه الحضرة يكون معه جسمه كالذي في خِيف منى تكون معه مطيته التي يركبها، وتحضر معه المناسك كلّها إلا الطواف بالبيت، فإنّها لا تدخل معه إلى المسجد الحرام، وقد طاف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على ناقته يعلمنا المناسك؛ فهي خصوصيته، وللورثة من ذلك نصيب.

١٣٧ - كَانَ لِي قَلْبٌ بِجَرْعَاءِ الحِمَى ... ضَاعَ مِنِّي هَلْ لَهُ رَدٌّ عَلَيّ

(الجرعاء): أرض ذات رمل وحجارة، كناية عن مقام المجاهدة في الله، وأضافها إلى **(الحمى)**: أي حمى الحَضْرَة الإلهيّة. وقوله **(ضاع منّي)**: أي فقدته؛ لأنّه ذهب مع القلوب، فانطرح في خِيف منى بين يدي المحبوب. ثمّ قال **(هل له ردٌّ عليّ)**: أي لا أدري هل يمكن عودة إليّ فأصحو من سكر الغرام أم أبقى كذلك في قيود الهيام، وما ألطف قول القائل:

لي في الحجاز وديعةٌ خَلَّفتُها ... أودعتُها يومَ الوداعِ مودِّعي

وأظنُّها لا بل يقيناً أنّها ... قلبي لأني لم أجد قلبي معي/ [٦٥/ب]

١٣٨ - إنْ ثِنَى نَاشَدْتُكُمْ نِشْدَانَكُمْ ... سُجَرَائي[١] لَيَ عَنْهُ عَيُّ عَيّ

(إنْ): حرف شرط مكسورة الهمزة ساكنة النون. و**(ثَنَى)**: بالثاء المثلثة والنون: فعل ماض بمعنى أمال، وقوله **(نَاشَدْتُكُمْ)**: أي سألتكم بالله ، يقال: نَشَدْتُكَ اللهَ، أي: سألتك بالله. وقوله **(نِشْدَانَكُمْ)**: بالنصب، مفعول ثنى. والنِّشْدان بكسر النون: مصدر نَشَدَ الضَّالّة نَشْداً ونِشدَة ونِشْداناً بكسرهما: طَلَبَها وعَرَفَها، كذا في القاموس. وقوله **(سُجَرَائي)**: جمع سَجَير بالسين المهملة والجيم، قال في القاموس: «السَّجَيْر الخَليل الصَّفِيّ، وجمعه سُجَراء»، وقد أضافه هنا إلى ياء المتكلّم. وحذف منه حرف النداء؛ فتقديره يا سُجَرائي، أي: يا أخلائي وأصفيائي. **(لِيَ)**: متعلّق بنِشدانكم. و**(عنه)**:

---

(١) في (ق):شجرائي.

متعلّق أيضاً به، أي: عن قلبي الذي ضاع منِّي. وقوله (**عَيُّ عَيّ**): فعَيُّ الأوّل من عَيِيَ بالأمر كرضي، عَجِزَ عنه وتعب، وهو فاعل ثنى. وعَيّ الثاني: مضاف إليه. الأوّل من عيي في المنطق: حُصر. والمعنى: سألتكم بالله يا أصحابي، إنّ آمال تَعَبَ الحصر الذي اعتراكم إنشادكم وسؤالكم لي عن قلبي الذي ضاع منّي، فتركتم إنشاده والسؤال عنه لعجزكم عن وجدان من يخبركم عنه؛ فالجزاء في البيت بعده.

١٣٩ - فَاعْهَدُوا[1] بَطْحَاءَ وَادِي سَلَمٍ فَهْوَ مَا بَيْنَ كَدَاءٍ وَكُدَيّ

(**فاعهَدوا**): من التعهُّد للشيء، قال في القاموس: «تَعَهَّدَهُ وتَعَاهَدَهُ: تَفَقَّدَهُ، وأَحدث العَهْدَ به». و(**البطحاء**): مسيل واسع فيه دقاق الحصى. و(**السَّلَم**): بالتحريك، اسم شجر نابت في ذلك الوادي؛ فيُقال له وادي سلم. وكنّى ببطحاء وادي سَلَم عن عالم الأرواح الذي هو الوادي المقدّس طُوَى، قدّس عن دنس الطبيعة، وانطوى فيه كلّ شيء. وبطحاؤه موضع قبول الفيض الإلهيّ، والمدد الربّانيّ؛ وهو عالم العقول والألباب. وقوله (**فهو**): أي قلبي الذي ضاع منّي بين كَدَاء وكُدَيّ، قال في القاموس: «كَداء كسماء، اسم عرفات، وجبل بأعلى مكّة؛ دخل النبي صلّى الله عليه وسلّم مكّة منه. وكُدَيّ كسُمَيّ، جبل بأسفل مكّة خرج منه، وجبل آخر بقرب عرفة». كنّى بالأوّل عن النور الأوّل الأعلى، وهو نور الحقّ تعالى. وبالثاني عن النور الثاني الأسفل، وهو نور محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي قال تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [٢٤/ النور/ ٣٥].

١٤٠ - يَا سَقَى الله عَقِيْقاً بِاللِّوَى وَرَعَى ثَمَّ فَرِيْقاً مِنْ لُؤَيّ

(**يا**): حرف نداء، والمنادى محذوف، أي: يا قوم. (**سقى الله عقيقاً**): هو الوادي، وكلّ مسيل شقّه ماء السبيل، وموضع بالمدينة، وباليمامة، وبالطائف، وبتهامة، وبنجد، كذا في القاموس. و(**اللِّوَى**): كإلى، ما التوى من الرمل. كنّى بذلك عن المقام المحمّديّ الذي

---

(١) في (ق): فاعمدوا.

هو موضع الفيض الربّانيّ، والمدد الصمدانيّ، والوحي الرحماني. (**وسقاه الله**): أي أدام غيث العلوم نازلة لديه، وهاطلة عليه. وقوله (**رَعَى**): أي حَفِظَ. (**ثَمَّ**): بفتح الثاء المثلَّثة وتشديد الميم، بمعنى هناك. و(**الفريق**) الطائفة من الناس ؛ يعني حفظ الله تعالى جماعة من العارفين المحقّقين في ذلك المقام المحمّديّ، ورثوه بنسب التقوى. وقوله (**من لُوَيّ**): يعني أنّهم من بني لؤي ابن غالب بن فهر؛ فهم من آل بيته صلّى الله عليه وسلّم، كما قال عليه السلام: «آل محمّد كلّ تقيّ إلى يوم القيامة»[1].

١٤١ - وَأُوَيْقَـاتٍ بِـوَادٍ سَـلَفَتْ فِيْـهِ كَانَـتْ رَاحَتِـيْ فِي رَاحَتَـيّ

(**أُوَيْقاتٍ**): تصغير أوقات، وهو منصوب بالكسرة معطوف على (**فريقاً**) في البيت قبله. أي: رعى الله أويقاتٍ. (**بوادٍ**): نكرة للتعظيم، وهو الوادي المقدّس طُوى؛ قلب العارفين/ [٦٦/ أ] الكامل ينطوي بأمر الله ، وينشر بأمر الله ، وهو أوّل أثر من آثار أمر الله . وقوله (**سَلَفَتْ**): أي مضت في ذلك العالم الروحانيّ قبل النفخ في الأجسام، كما ورد في الحديث: «إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجسام بألفيّ عام»[2]. وقوله (**فيه**): أي في ذلك الوادي. (**كانت راحتي**): الراحة ضدّ التعب. (**في راحَتَيّ**): أي في يديّ، تثنية راحة، وهي باطن الكفّ. يعني: كانت راحتي في باطن كفي قابضاً عليها، إذا شئتُ أطلقتُها أو أمسكتُها. كناية عن العالم الروحانيّ الأصليّ الذي كان فيه قبل أنْ ينزل إلى عالم الطبيعة ويسكن في المُركَّب العنصري.

١٤٢ - مَعْهَدٍ مِنْ عَهْدِ أَجْفَانِي عَلَى جِيـدِهِ مِـنْ عِقْـدِ أَزْهَـارٍ حُلَـيّ

(**مَعْهَدٍ**): بالجرّ بدل من وادٍ. والمعهد: المكان الذي يتعهَّده صاحبه للسُّكنى فيه، وفي القاموس: «المَعْهَد: المَنزِل المَعْهُوْد به الشيء». فهو وادٍ باعتبار انصباب غيوث

(١) انظر تخريجه في ص١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢) ذكره العجلونيّ في الكشف، وقال ضعيف جدّاً فلا يعوّل عليه، وكذا قول ابن عبّاس: خلق الله الأرواح قبل الأجسام بأربعة آلاف سنة فلم يثبت عن ابن عبّاس؛ بل هو باطل عنه، قاله ابن حجر المكّيّ في فتاويه الحديثية، انظر الكشف للعجلوني ج٣ ص٣٨٣.

الفيض وسيول الإمداد إليه النازلة من سماوات الغيوب الأسمائيّة، وحضرات التجلِّيات الإلهيّة. وهو معهد باعتبار سُكناه المعهود وما يَعهَد فيه ساكنه من التوجّهات الربّانيّة، والكمالات النازلة من الحضرة العليّة. وقوله (**مِنْ عَهْدٍ**) والعَهْدُ مطرٌ بعد مطرٍ، يُدرِكُ آخرُه بَلَلَ أوَّلِه، كذا في القاموس. (**وأجفاني**): مضاف إليه. كناية عن البُكاء بسيلان الدموع منها، وهي حجب العين، وهي من العين؛ إذ الحقّ تعالى ليس بمحجوب؛ وإنّما نحن محجوبون عنه بنا، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [٨٣/ المطففين/ ١٥] ولم يقل هو محجوب عنهم. والبكاء من الفرقة بالحجاب. وقوله (**على جيده**): أي جيد ذلك المعهد على طريق الاستعارة. والجِيْد: العنق. وقوله (**من عِقْدِ**): بكسر العين المهملة وسكون القاف، وهو القِلادة، مضاف ذلك إلى (**أزهار**): نُكِّرَ للتعظيم. كنّى بالأزهار عن الأحوال التي ينتجها له ذلك البُكاء من الذلّ والانكسار، والشكر والثناء الجميل. و(**حُلَيّ**): بضمّ الحاء المهملة وفتح اللام، تصغير حَلْي بفتح الحاء المهملة وسكون اللام: ما يُتَزَيَّن به.

١٤٣ - كَمْ غَدِيْرٍ غَادَرَ الدَّمْعُ بِهِ أَهْلَهُ غَيْرَ أُولِي حَاجٍ لِرَيّ

(**كَمْ**): للتكثير، ويخفض ما بعدها بمَن مقدّرة، أو بالإضافة. و(**الغدير**): بالغين المعجمة القطعة من الماء يغادرها السيل. وغادر الشيء بالغين المعجمة: تركه وأبقاه. و(**الدمعُ**): فاعل غادر، أي: دمع عينين. (**به**): أي بذلك المعهد المذكور، يعني: فيه. (**أهْلَهُ**): مفعول غادر، أي: أهل ذلك المعهد. (**غير أولي**): أي أصحاب. (**حاجٍ**): أي حاجات، قال في القاموس: «الحاجة جمعها حاجٌ أو حاجات». وقوله (**لِرَيّ**): بفتح الراء مصدر رَوِي من الماء واللبن كَرَضِيَ رَيّاً ورِيّاً. يعني: بالفتح وبالكسر .

١٤٤ - فَثَرَائِي مِنْ ثَرَاهُ كَانَ لَوْ عَادَ لِي عَفَّرْتُ فِيْهِ وَجْنَتَيّ

(**ثرائي**): بالثاء المثلّثة والراء، غَنائِي وثروتي. وقوله (**من ثَرَاه**): الثرى بالثاء المثلّثة والراء مقصوراً: التراب. والضمير للمعهد في البيت السابق. واسم كان ضمير راجع إلى ثراه. وخبرها قوله (**من ثراه**): أي كان ثرايَ من ثراه. (**لو عاد**): أي رجع.

(لي): يعني ثراه مرة أُخرى، وهو كناية هنا عن حال الذلّ والانكسار الذي كان له في ذلك المعهد. وقوله (عفَّرْتُ): أي مَرَّغْتُ، يُقال: تعَفّرَ في التراب تمرّغ فيه، قال تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [١٠٠/ العاديات/ ٤] والنقع هو التراب والغبار الدقيق؛ فإنّه مما تثيره العاديات: أي الأرواح العاديات، أي: المسرعات من أمر الله؛ فإنّها تثير، أي: تهيج الأحوال السائرة لها. وقوله (وَجْنَتَيّ): تثنية وَجْنَة، مفعول عَفَّرْتُ، مضافاً إلى ياء المتكلِّم، حُذفت منه النون فأُدغمت ياء التثنية في ياء المتكلِّم، وفي القاموس: «الوَجْنَة مثلَّثة، وكَكَلِمَة ومحرَّكة: ما ارتفع من الخَدَّين». وكَنّى بالوجنتين عن ظاهره وباطنه.

١٤٥- حَـيِّ رَبْعَـيَّ الحَيَـا رَبْـعَ الحَيَـا بِـأَبِي جِيْرَتَنَـا فِيْـهِ وَبَيِّ / [٦٦/ ب]

(حَيِّ): فعل أمر من التحيَّة. و(رَبْعيَّ الحَيا): حُذف منه حرف النداء، وتقديره: يا رَبْعيَّ الحَيَا، وهو من رَبَعَ، كَمَنَعَ، يَرْبَعُ رَبْعاً، بفتح الراء؛ فالرَّبْعُ مصدر من قولك رُبِعُوا، بالضمّ؛ مُطِروا في الربيع. والياء في الرَّبْعي ياء النسبة. و(الحَيا): من أسماء المطر، وهو بالحاء المهملة والياء مقصورة؛ وإنّما أضيف إلى الحَيَا لئلا يُتوهَّم أنّ الرَّبعي منسوب إلى الرَّبْع بمعنى المنزل. وهو كناية عن مطر العلم الإلهيّ من سماء الغيب الحقّ في ربيع قوة الحال الشوق الإلهيّ. وقوله (رَبْعَ): مفعول حَيِّ: أي منزل الحياء، بمعنى الاستحياء؛ وهو هيكل الإنسان الكامل. ثم قال (بأبي): أي أفدي جيرتنا منصوب بأفدي المحذوف. (وجيرته): المجاورون له في المقام؛ وهم العارفون الكاملون. وضمير (فيه): راجع إلى رَبع الحَيا. وقوله (وَبَيِّ): بفتح الباء الموحّدة، فعل أمر معطوف على حيّ من قولهم حيّاك وبيّاك: أي أضحكَكَ، أو قَرَّبَكَ، أو جاء بك أو بوَّأك، ذكره في القاموس.

١٤٦- أَيُّ عَـيْشٍ مَـرَّ لِي فِي ظِلِّـهِ أَسَـفِي إِذْ صَـارَ حَظِّـي مِنْـهُ أَيّ

(أيّ): اسم استفهام، يقصد به التهويل والتعظيم. و(عيش): مضاف إليه. وقوله (مَرَّ لِي): أي انقضى. (لي في ظلّه): أي ظلّ ربع الحيا المذكور في البيت قبله. وقوله (أسفي): أي يا أسفي، فحرف النداء محذوف منه. و(إذْ): تعليليّة. (صار

حظِّي): أي نصيبي. (منه): أي من ذلك العيش. (أيّ): يعني قولي أيُّ عيشٍ... إلى آخره على طريقة ردّ العجز على الصدر.

١٤٧ - أَيْ لَيَالِي الوَصْلِ هَلْ مِنْ وَمِنَ التَّعْلِيلِ قَوْلُ الصَّبِّ أيْ

(أيْ): بفتح الهمزة وسكون الياء، حرف نداء للقَريب. و**(ليالي الوصل)**: كناية عن عالم الروح الأمري، فكونها ليالي لأنّها من عالم الكون؛ فهي أوّل مخلوق ظهر عن أمر الله تعالى القديم، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وكونها ليالي الوصل فإنّ السالك إذا صفا من أكدار الطبيعة وأحكامها يصير روحانيّاً، فيتصل بأمر الله تعالى الذي كلمحٍ بالبصر من غير اتصال. وقوله **(هل من عودة)**: فإنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام، كما ورد في الأثر. ثُمّ إذا سوّى الله الجسم من العناصر والطبائع على حسب ما سبق به العلم القديم، والقضاء العدل، والتقدير القويم، نفخ فيه من روحه، وأنزله من حضرة قلمه الأعلى إلى لوحه، فاختفى على هذا السالك حقيقة ما هنالك، فطلب العَوْد إلى ما كان لتنكشف له شُجْنَة الرَّحِم المتعلِّقة بعرش الرحمن، ولله درّ الإمام الجيليّ: حيث قال في مثل هذا الشأن:

تَعَالُوا بنا حتّى نعود كما كُنّا ولا عهدُنا خُنتم ولا عَهدَكم خُنّا

وقوله **(ومن التعليل)** مصدر تعلل بالأمر: تشاغل به، وتعلل بالمرأة: تلهّى. والمعنى: من تعليل الإنسان لنفسه وتسليتها، أنْ ينادي ليالي الوصل، ويسألها هل من عودة إلى الوصال بعد الانفصال.

١٤٨ - وبأيِّ الطُّرْقِ أرجو رَجْعَها ربَّما أَقْضي ولا أَدْرِي بِأيّ

[بأي]: يعني لا أدري بأي طريق أرجو رجع هاتيك الليالي؛ فإنّ الروح قبل اتصالها وتعلّقها بالجسم كانت خالية من عالم الخيال، فلمّا اتصلت بالجسم وتعلّقت به انفتح عليها عالم الخيال، فأشغلها عمّا كانت فيه من قبل من: الصفا عن كلّ ما يشغلها ويلهيها عن الاتصال بعالم القدس، وحضرات الأمر الإلهيّ

فتمنّى لو رجعت له الحالة الأولى، وأخبر أنّه لا يدري بأيّ طريق يصل إلى ترجيه رجوعها فضلاً عن رجوعها. ثُمّ قال (ربّما أقضي): أي أموت على حالتي هذه؛ والميت يُحشر على حالته التي مات عليها؛ فكان في حياته لا يدري بأيّ طريق يرجو رجوعها وبعد./ [٦٧/ أ] موته كذلك لا يدري بأي طريق يرجو رجوعها.

١٤٩ - حَـيْرَتِي بَـيْنَ قَـضَاءٍ جِـيْرَتِي مِــنْ وَرَائِــي وَهَــوَىً بَيْــنَ يــدَيَّ

(حَيْرَتِي): بالحاء المهملة مفتوحة، بمعنى التحَيُّر؛ وهو عدم الاهتداء للسبيل، وذلك بين أمرين: قضاء إلهيّ قديم لا بُدّ من نفاذه كيف ما كان. والقضاء من ورائه بحيث لا يعلم ما تضمّنه من مراد الله تعالى. و(هوىً) وهو الميل النفسانيّ الذي لا يمكن ردّه إلا بمعونة الله تعالى. والهوى بين يديه حاضر يعلمه ويعلم ما تضمّنه من الأمور. وقوله (جِيْرَتِي): بالجيم منادى حُذف منه حرف النداء، تقديره يا جيرتي؛ وهي جملة معترضة بين الصفة والجار والمجرور في قوله (من ورائي): أي كائن من ورائي، وبين الموصوف، وهو قضاء. والجِيرة: جمع جار، وهو المقاسم، والحليف، والناصر. كناية عن أهل طريق الله تعالى من العارفين.

١٥٠ - ذَهَبَ العُمْرُ ضَيَاعاً وَانْقَضَى بَــاطِلاً إِذْ لَــمْ أَفُــزْ مِــنْكُمْ بِــشَيْ

قوله (العُمْر): أي عُمري؛ فالألف واللام عوض عن ياء المتكلِّم، وقال ذلك يندب حاله بأنّ عمره ذهب ضياعاً، وانقضى باطلاً؛ حيث لم يفُز من معرفة ربّه بشيء يدركه منه، والأمر كذلك؛ فإنّ غاية ما يحصل عليه العارف بربّه يحصل على معرفة نفسه، ويكشف له عن فنائها وفناء العوالم كلّها في وجود الحقّ الحيِّ القديم، ولا يُكشف له عن وجود الحقّ القيوم ما هو فيتحقّق به، ولا يعرف ما هو، ولا يفوز منه بشيء؛ إذ كُلّ شيء هالك إلا وجهه، فلا شيء معه حتى يفوز منه بذلك الشيء.

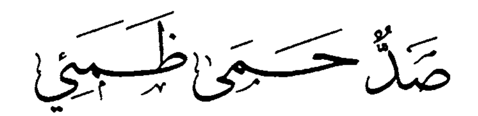
١٥١ - غَـيْرَ مَـا أُولِيْـتُ مِنْ عَقْـدِ وَلَا عِــتْرَةِ المَبْعُــوثِ حقّــاً مــن قُــصَيّ

قوله (ما أُوليتُ): استثناء من قوله (ذهب العمر): إلى قوله (لم أفُزْ منكم بشيء): وهو استثناء متّصل؛ فإنّ ما ذكر شيء وهو قوله (ما أُوليتُ): بضمّ التاء للمتكلّم

فعل ماض مبني للفاعل، قال في القاموس: «أَوْلَيْتُهُ الأَمْرَ: وَلَّيْتُهُ إياه». وقوله (مِنْ عَقْدٍ): بيان لما أُوليت. والعَقْدُ هو عَقْدُ المُوالاة. ويُقال: عَقَدَ الوَلاءَ، بالفتح؛ وهو حكم في الشرع لمن أسلم على يد رجل ووالاه، أو والَى غيره على أنْ يرثُهُ ويعقل عنه، فإنّه صحيح كما صرّحت به الفقهاء، وقد نوّه بولاء العتاقة، وعقدوا لهما باباً من أبواب الفقه، وشَرَطوا فيه أنْ يكون مجهول النسب، وألا يكون عربياً، و ألا يكون له عتاقة، ولا ولاء موالاة مع أحد، وقد عقل عنه. وليس المراد هنا هذا الحكم؛ وإنّما مراده موالاة آل بيت النبوّة على طريقة التشبيه بأنْ يعقد مع قلبه، ويأخذ العهد على قلبه بنُصرتهم ومحبّتهم. والمعنى: أنّه لم يَفُز طول عمره من الحقّ تعالى بشيء؛ لأنّه تعالى ليس كمثله شيء. وإن عرف نفسه، وقيل له من عرف نفسه فقد عرف ربّه. يعني: عرفانه. يعرف ثمّ استثنى من ذلك الشيء الذي لم يفُز به من ربّه، عقد موالاته لآل بيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وعدّ هذا الشيء فوزاً له، ونجاة، وهبة، وعطيّة من ربّه محبّة فيه صلى الله عليه وسلَّم، وهو شيء من أشرف الأشياء من قبيل قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٥] وقد أضاف في البيت (عقد) إلى (ولاء). في نسخة (عقدي) بياء المتكلّم. وأضاف (ولاء) إلى (عِترة) بكسر العين المهملة وسكون التاء المثنّاة الفوقيّة وبالراء، قال في القاموس: «والعِتْرَة، بالكسر: نَسْلُ الرجلِ ورَهْطُهُ وعَشِيْرَتُهُ الأَدْنَوْن ممن مضى وغَبَر». وأضاف (العترة) إلى (المبعوث): أي الذي بعثه الله تعالى، أي: أرسله لهم لهداية الأمّة. والمبعوث صفة لموصوف محذوف، أي: عترة النبيّ/ [٦٧/ ب] المبعوث. وقوله (حقّاً): أي بعثاً حقّاً من نسل. (قُصَيّ): بضمّ القاف وفتح الصاد المهملة وتشديد الياء ساكنة؛ وهو قُصيّ بن كلاب، واسمه زيد؛ أحد أجداد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقد سلك هذا المسلك الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه فقال:

جَعلتُ ولائي آلَ أحمدَ قُرْبَةً على رَغْمِ أهلِ البعدِ يورثني قُربا

وما طَلَبَ المُخْتارُ أجراً على الهُدى بتبليغه إلا المودّة في القُربى



[الكامل]

وقال الشيخ عمر رضي الله عنه[1]:

١ - صَدٌّ حَمَى ظَمَئي لَمَاكَ لماذا   وَهَواكَ قلبي صار منه جُذاذاً

يُقال صَدَّ عنه صُدُوداً: أَعْرَض. وصَدَّ فلان فلاناً عن كذا: منعه، وصرفه، كأَصَدَّه، أشار إليه في القاموس. فقوله (صَدٌّ): مصدر، نُكِّر للتعظيم، معناه: مَنْعٌ حصل من المحبوب الحقيقي، صاحب الجمال الحقيقي الذي محبّته هي المحبّة الحقيقيّة. ثمّ قال (حَمَى): بمعنى منع، وهو فعل ماض، وفاعله ضمير فيه راجع إلى قوله صدّ. و(ظَمَئِي): أي عَطَشي مفعول أوّل لقوله حَمَى؛ فإنّ حمى ينصب مفعولين، قال في القاموس: «حَمَى المريض مما يَضرّه: مَنَعَهُ أياه. وقوله (لَمَاكَ): مفعول ثانٍ لقوله حمى. والمراد باللَّمى هنا الريق البارد من فم المحبوب. والكاف حرف خطاب للمحبوب الحقيقي؛ وهو الحقّ تعالى المتجلّي بوجوده في كلّ صورة عدميّة صوّرها باسمه المصوِّر؛ لأنّه الخالق البارئ المصوِّر. و(لَماه): حلاوة توحيده التي يُضرب بها المثل عند الشعراء، وهو التوحيد الحقيقي الذي ترتفع فيه الأكوان، وتفنى جميع الأعيان، ولا يبقى غير حقيقة الوجود الحقّ الذي كلّ يوم هو في شأن. وقوله (لماذا): استفهام على التركيب، قال في القاموس: «يكون ماذا كلّه استفهاماً على التركيب كقولك: لماذا جئت» انتهى. وهو سؤال واستفهام رغبة في الجواب، ولا يمكن أن يكون للعدم من الوجود خطاب إلا في الصور العدميّة التي هي عين الحجاب. وإذا وقعت الكنايات من العاشق تكلّم بها أراد، وطلب المستحيل وكلّ ما يتمنّاه الفؤاد وإنْ علم من نفسه عدم الاستعداد. ومن هذا القبيل قول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه.

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: تصحيحي على المؤلّف قدّس سرّه.

ومــاذا عليهــا لــو تَــرُدُّ تحيّــةً　　علينا ولكنْ لا احتكامَ على الدُّمى

فجعلها من قسم الدُّمى بضمّ الدال المهملة، جمع دُمية: وهي صورة الصنم المنحوت من حجر أو خشب، لعدم إمكان نطقها عادة؛ فلا تُجيب من سألها، ولا تتكلّم لجماديَّتها، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ الآية [٢١/الأنبياء/٦٣] فأنزل الأصنام منزلة من يعقل بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ والقياس: فاسألوها، وكذلك قوله: ﴿يَنطِقُونَ﴾ مجارات لقومه بإثبات دعوى المماثلة مع زيادة استحقاق المعبوديّة وقد نفى المماثلة بنفي النطق في المعنى، وكذلك الحقيقة لكمال تنزيهها عن مشابهة الأكوان لا تنطق ولا تجيب إذا سُئِلت؛ ولكنّها تتكلّم بكلام ليس من جنس الكلام المعهود بالصوت والحرف؛ ولهذا قال: «لا احتكام على الدُّمى». وأشار بقوله: «وهواك قلبي صار منه جُذاذاً» بواو الحال إلى أنّ كلامه ذلك من قبيل كلام العشّاق، يُطوى ولا يُنشَر، ويُسمَع ولا يُذكَر؛ لأنّ لسان المحبّة مطلق، ولهجه بسرّ القلوب مغلق، ألم تسمع إلى قوله موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [٧/الأعراف/١٥٥] ومن يقدر على مثل هذا الخطاب في الكلام ؟!. و(الجُذاذ): بالذالين المعجمتين، اسم مصدر من جَذّ بمعنى قَطَع.

٢ــ إنْ كَـانَ فِي تَلَفِـي رِضَـاكَ صَـبابَة　　وَلَكَ البَقَاءُ وَجَدْتُ فِيْهِ لَذَاذَا/ [٦٨/أ]

(التَّلَف): محرَّكة الفَناء والهلاك. والفناء في طريق الله هو الكشف عن جميع أعيان العوالم مما هو سوى الله تعالى من المحسوسات والمعقولات؛ بحيث يجدها السالك كلّها ونفسَه معها ووُجدانَه فانيةً، هالكةً، معدومةً بعدمها الأصلي ؛ وإنّما هي مقدّرة مفروضة بتقدير الوجود الحقّ سبحانه وتعالى، وفرضه لها على حسب ما يريد أزلاً؛ وإنّما تظهر موجودة بإضافة الوجود الحقّ تعالى إليها من قبيل قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٢٤/النور/٣٥] أي: وجودهما الذي هو النور الحقيقي بإضافته إليهما. وبسبب هذه الإضافة حكم الإدراك العقلي من جميع العقلاء بوجود السموات والأرض، وسمّوا ذلك بالوجود المستفاد، وبالوجود

المجازي بالنسبة إلى وجود الحقّ تعالى الوجود الحقيقي. واعتبروا ابتداء هذه النسبة؛ فسمّوا العوالم كلّها حوادث، لأنّ وجودها مستفاد عندهم من الوجود القديم، وهو أثر الوجود القديم، لا عين الوجود القديم عندهم. وتلاعبت بهم الأوهام، وعجزت الأفهام. ونصوص الكتاب والسنّة تأبى ذلك؛ بل استفادة الوجود من الوجود الحقّ طرف من الولادة، وقال تعالى: ﴿ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [٣٧/ الصّافات/ ١٥١-١٥٢] وقال سبحانه: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ بل هو الوجود الحقّ الواحد الأحد الذي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [١١٢/ الإخلاص/ ٣-٤] وجميع العوالم ظاهرة بعين وجوده، فوجوده هو الظاهر لكل أحد، وهو المنسوب عند العقل لجميع العوالم، فهو الباطن عن كلّ أحد، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٣] فلا وجود إلا وجوده. والعوالم كلّها تظهر بوجوده، وتختفي في شهوده. و(**الصبابة**) شدة الشوق. يعني: إنْ كان رضاك في فنائي واضمحلالي حتى تنفرد أنت بالوجود وحدك كما هو الأمر عليه في نفسه. ولكن لا يصل السالك إلى التحقيق بذلك إلا من باب المحبّة، ولهذا قال صبابة، أي: تلفي من جهة الصبابة. (**ولَكَ البقاء**): أي الدوام والاستمرار بلا زوال. وقوله (**وَجَدْتُ**): جواب أنْ الشرطيّة، من الوُجدان، وَجَدَ المطلوبَ يَجِدُهُ وُجداناً: أدركه. وقوله (**فيه**): أي في تلفي. (**لَذاذا**): بالذالين المعجمتين من اللذّة، نقيض الألم. يقال: لذّه الشيء ولذَّ به لَذاذاً. وقولهم: «ما التذّ عارف بفناء قطّ» معناه: إذا عمّه الفناء. وأمّا إذا بقيتْ فيه بقيّة لضرورة المحبّة فإنّ المُحبّ يجد في فنائه في المحبّة لَذّة بسبب بقائه مُحِبّاً؛ ولهذا ذكروا «حجاب المحبّة لأجل البقيّة» التي بها يحبّ؛ بحيث لو زالتْ لزالتِ المحبّة؛ ولهذا قال الملّا جلال الدين الروميّ[1] قدّس الله سرّه في كتابه «المثنوي» ما معناه:

---

(١) محمّد بن محمّد بن الحسين بن أحمد البلخي، القونوي، الرومي، جلال الدين. عالم بفقه الحنفيّة والخلاف، وشتّى أنواع العلوم الإسلامية. صاحب المثنوي المشهور بالفارسيّة. صاحب الطريقة =

الكُلّ هم المعشوق، والعاشق هو الحجاب، والمعشوق هو الحيّ، والعاشق ميْت.

وماذا عليها لو تَرُدُّ تحيّةً ... علينا ولكنْ لا احتكامَ على الدُّمى

٣- كَبِدِي سَلَبْتَ صَحِيْحَةً فَامْنُنْ ... رَمَقِي بِهَا مَمْنُونَةً أَفْلَاذاً

المراد بـ (الكبد): القلب. و(سَلَبْتَ): بفتح التاء، خطاب للمحبوب الحقيقي. أي: اختلستَ وأخذتَ قهراً وذلك بسبب المحبّة الحقيقيّة. وقوله (**صحيحة**): حال من كبدي، أي: سلبتها منّي وهي صحيحة سليمة، فهي عندك في جميع الأوقات، لا تغيب عنها طرفة عين، وهو شأن المحبِّين في دوام مراقبة محبوبهم. (فامنن على رمقي): بفتح الراء، وفتح الميم، والرَّمَق: بقيَة الحياة. يعني: امنن على بقيّة حياتي التي بقيَتْ فيَّ. (بها): أي بكبدي المذكورة حال كونها (ممنونة): اسم مفعول مِنْ قولهم مَنَّ الحبلَ: قطعه. وقوله (أفلاذاً): حال من الضمير في ممنونة. والأفلاذ: جمع فِلْذة بكسر الفاء وسكون اللام وبالذال المعجمة، قال في القاموس: «الفِلْذة: بالكسر وبهاء القطعة من الكبد، ومن الذهب، والفضة، واللحم. والأفلاذ جمعُها» انتهى. وإنّما طلب أنْ يرجع إليه قلبه لي فيتحقّق بمعرفة محبوبه. ولقد اجتمعت/ [٦٨/ ب] مرّة برجل من أهل الجذب و الاستغراق في الله، فسألته عن مسألة إلهيّة. فقال لي: نحن لا نؤكّد، أنتم تؤكِّدون. فتعجّبت أنا والحاضرون من كلامه ذلك». ويُحكى عن الشيخ عبد القادر الكيلاني قدّس الله سرّه أنّه قيل في مجلسه: «ما أحسنَ المُولَّهين في الله!. فاطرق ساعة، ثُمّ رفع رأسه وقال : غُفلاء الله أحسن منهم؛ تَهُبُّ عليهم نسمات الله باقةً؛ فلا تُحرِّك من شعرات لحاهم طاقة، يحملون بها على محامل النبوّة».

=

المولويّة. ولد في بلخ ٦٠٤هـ وتوفي فيها٦٧٢هـ. انتقل إلى بغداد وهو ابن أربع سنوات ونشأ فيها في المدرسة المستنصريّة. درَّس في أربع مدارس في وقت واحد، ثمّ ترك التدريس والتصنيف والدنيا وتصوّف سنة ٥٤٢هـ. انظر الأعلام للزركلي ج٧ ص٣٠.

٤- يَـا رَامِيـاً يَرْمِـي[1] بِـسَهْمِ لَحَاظِـهِ عَـنْ قَـوْسِ حَاجِبِـهِ الحَـشَا إِنْفَـاذَا

(**اللَّحاظ**): بفتح اللام كَسَحاب، مؤخّر العين، كناية عن توجّه أمره تعالى بالروح، فالسهم أمره، واللَّحاظ حضرة الروح المدبِّر لعالم الأجسام. وقوله (**عن قوس حاجبه**): كنّى بالحاجب عن عالم الجسم. وكونه قوساً لاعوِجاجه بالكثافة. وهذا الرمي حاصل له من كلّ شيء. وقوله (**الحَشا**): مفعول يرمي. يعني: إنّ رميه مخصوص بالبواطن فينفذ فيها. (**إنفاذاً**): وهي محل نظر الربّ، كما ورد في الخبر: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم؛ وإنّما ينظر إلى قلوبكم»[2].

٥- أَنَّى هَجَرْتَ لِهُجْرِ وَاشٍ بِي كَمَنْ فِي لَوْمِـهِ لُـؤْمٌ حَكَـاهُ فَهَـاذَى

(**أنّى**): بفتح الهمزة وتشديد النون مفتوحة، معناها كيف، اسم استفهام. و(**هَجَرْتَ**): من الهَجر بفتح الهاء وسكون الجيم، بمعنى تركتَ، أي: تركتني ولم تحفل بي، وأعرضتَ عني. كنايه عن إشغاله بعالم الأكوان والهاً قلبه عن شهود التجلّي باسمه الرحمن. وقوله (**لِهُجْر**): بضمّ الهاء وسكون الجيم، أي: هذيان. (**واشٍ**): اسم فاعل؛ وهو النمّام، والساعي بالنميمة للإفساد. كنّى بذلك عن الهوى الذي يقع في القلب؛ فينقل الأعمال الحسنة إلى حضرة الحقّ تعالى ناقصة قاصرة عن كماله. وقوله (بي): متعلّق بواشٍ. (**كمن في لومه**): أي ملامته لي على المحبّة وهو العَذول. كناية عن العقل القائم به، المحجوب عن حقائق المعارف الإلهيّة في ابتداء سلوكه في طريق الله تعالى. وقوله (**لؤم**): بالهمزة، وهو ضدّ الكرم، وهو مبتدأ مؤخّر، وخبره مقَدَّم وهو قوله: في لومه. وكون عقله لائماً يلومه على المحبّة؛ لأنّ العقل يمشي بالعبد على مقتضى الإدراك القاصر،

---

(١) في (ق): أصمى.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله واحتقاره، ٦٧٠٨، بلفظ: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

والوساوس النفسانيّة، والأمور الإلهيّة من وراء طور العقل، ولا يقدم بالعبد على ذلك إلا توفيق الله تعالى وهدايته، والعناية السابقة له أزلاً. وقوله **(حكاه)**: أي مَن في لومه لؤم، حكى ذلك الواشي المذكور. وقوله **(فهاذى)**: فعل من المهاذاة، أي: شاركه في هذيانه، وهو الهُجْر من الكلام.

٦- وَعَلَيَّ فِيْكَ مَنِ اعْتَدَى فِي حَجْرِهِ فَقَدِ اغْتَدَى فِي حَجْرِهِ مَلّاذاً

(عليَّ): بتشديد الياء جار ومجرور متعلّق باعتدى. و**(فيكَ)**: أي في محبّتك. وقوله **(من اعتدى)**: أي ظلم وافترى. **(في حَجْره)**: بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم، أي: منعه. يعني: منعه لي أنْ ألقاك وأشهدك. كناية عن العقل؛ وهو اللائم في البيت قبله، من قبيل قول الشيخ أرسلان في رسالته المشهورة: «الناس تائهون عن الحقّ بالعقل». وقوله **(فقد اغتدى)**: بالغين المعجمة، أي: صار في **(حَجْرِه)**: بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم، أي: في حفظه لي، وستره لأحوالي، قال في القاموس: «نشأ في حَجْره: أي في حفظه وستره» ولا شكّ أنّ الإنسان ينشأ في حَجْرِ عقله، أي: في حفظه له من جميع المؤذيات، وستره لمقابحه وعيوبه. وقوله: **(مَلّاذاً)**: بالتشديد، أي: خفيفاً مُتصنِّعاً لا تصحُّ مودّته، قال في القاموس: «المَلّاذ المُتصنِّع لا تَصِحُّ مَوَدَّتُه، وذِئب ملّاذ: خفيف».

٧- غَيْرَ السُّلُوِّ تَجِدْهُ عِنْدِي لائِمي عَمَّنْ حَوَى حُسْنَ الوَرَى

(غَيْر): منصوب بفعل محذوف يفسره الفعل المذكور، وتقديره: تجد غير السُّلوِّ تجده. و**(السلوّ)**: النسيان، أي: نسيان المحبوب. وقوله **(لائمي)**: أي يا لائمي. **[عمَّن]**: متعلِّق بالسلوّ، أي: عن المحبوب الذي. **(حَوَى)**: أي جمع. **(حُسن الورى)**: أي المخلوقات كلّهم. **(استحواذا)**: أي غلبة واستيلاء، قال في القاموس: «اسْتَحْوَذَ:غَلَبَ واسْتَوْلَى». ولا شك أنّ جميع الحُسْن الظاهر على كلّ صورة من صور العالم في الحواس الخمس، وفي العقل كلّ ذلك مظاهر الجمال

الإلهيّ، ونظيره أيضاً جميع المحبّات الظاهرة في كلِّ صورة من صور العالم، هي محبّته تعالى لجماله كما ورد في الخبر: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال»[1].

٨- يَا مَا أُمَيْلَحَهُ رَشَاً فِيْهِ حَلَا   تَبْدِيلُهُ حَالِي الحُلِيّ بَذَاذَا

(**يا**): حرف نداء. والمنادى محذوف، تقديره يا قوم، أو يا رجل. وقوله (**ما أُميلحه**): ما تعجبيّة، وأُمَيْلَح تصغير أملح. والأصل: ما أملحه، وهو فعل تعجّب وتصغيره شاذٌّ؛ لأنّ التصغير من خواص الأسماء. و(رشاً): منصوب تقديراً على أنّه حال من ضمير أُمَيْلَحَه البارز. وقوله (**فيه**): متعلّق بـ(**حَلا**). وحلا فعل ماض من الحلاوة. و(**تبديلُه**): بالرفع فاعل حلا. والضمير راجع إلى المحبوب الحقيقي. ومعنى تبديله: ظهوره في كلّ طرفة عين في صوَر غير الصور التي ظهر بها أولاً، وهكذا في كلّ حين وإن تشابهت الصور، وظن الغافل أنّها جامدة واقفة غير متغيِّرة. وينكشف ذلك في عالم الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٨٨] فهي صور تُخلَع، وصُوَر تُلْبَس إلى الأبد في الدنيا والآخرة، كما قلنا في مطلع قصيدة لنا:

هذه الأثوابُ والخِلَع   تُكتسى طَوراً وتُختلع

والحامل لها الممسك لأعيانها بقدرته وإرادته هو اللّابس لها، كما قال: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] وحقائقهم لابسة لصوَرهم؛ فهذا معنى ما يلبسون. وإنّما سُمِّي اللباس لأنّ به يحصل الالتباس على مَن لم يعرف اللابس، ومن عرفه لا يلتبس عليه بجميع ما يلبس عن الصور، كما ورد في حديث مسلم: «فيأتيهم ربّهم في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا يتجلّى. فيقولون: نعوذ بالله منك، لست ربّنا، نحن ههنا حتى يأتينا ربّنا. فيتحوّل لهم في

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٧.

الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا يتجلّى. فيقولون: أنت ربّنا فيتّبعونه»[1] الحديث بطوله. فالذين ينكرونه هم غير العارفين به في الدنيا. والعارفون لا ينكرونه؛ لأنّهم يعرفونه غير لابس شيئاً من الصوَر، ويعرفونه وهو لابس للصور، فلا يتعوّذون منه؛ وهو الواحد لا سواه، والجميع صوره التي صوّرها باسمه المصوِّر، وهو الغنيّ عن العالمين. وكلّ الصور فانية في وجوده، فلا صور ولا لبس؛ ولهذا قال: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ [٦/ الأنعام/ ٩] ولم يقل: ﴿وَلَلَبَسْنَا﴾ من غير أنْ يقول: ﴿عَلَيْهِم﴾ وقوله (حالي): اسم فاعل من الحلاوة مضاف إلى (الحُلِيّ): بضمّ الحاء المهملة وكسر اللام وتشديد الياء، جمع حَلْي بفتح الحاء المهملة وسكون اللام، ما يُزيَّن به من مَصوغ المَعْدِنيّات والحجارة، كذا في القاموس. و(حالي الحُلِيّ): مفعول تبديله الأوّل. وكنّى بالحالي من الحُلِيّ عن جميع الصور المحسوسة، والصور المعقولة؛ فإنّها ملابسة كما ذكرنا، وهي حليُّه التي يتحلّى بها، أي يتزيّن عند عارفه كما قلنا في موشّح لنا:

كــــلُّ شيءٍ عِقـــــد جـــــوهر حِليـــــة الحُـــــسْن المَهيــــــب

وقوله (بَذاذا): مفعول ثاني لتبديله، قال في القاموس: «بَذِذْتَ كعلمتَ بَذَاذَةً وبِذَاذاً: ساءت حالتك، وباذُّ الهيئةِ وبَذُّها: رَثُّها. والمعنى: يحلو من هذا المحبوب تبديله وتغييره/ [٦٩/ ب] الهيئة الحاليّة في أنواع حُليِّها بالهيئة الرثَّة، فيظهر تارة بملابس حسنة تزينه مشتملة على أنواع الحُلي، فيحلو للناظرين إليه، ويتبدّل تارة أخرى فيظهر بالهيئة الرثة، كما ورد: «ربَّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه»[2]. والإقسام هنا الإلزام، والجميع صوره وأشكاله، وهي

---

(١) قطعة من حديث طويل، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ٤٦٩. كما أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم، ٦٥٧٣ بألفاظ مشابهة. وكذلك أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، ٧٩٣٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٧٩٣٢، عن أبي هريرة، بلفظ: «رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين، تنبو عنه أعين الناس، لو أقسم على الله لأبرّه»، وقال هذا حديث صحيح الإسناد، أظن مسلماً أخرجه من حديث حفص بن عبدالله بن أنس. وتعليق الذهبي في التلخيص: هذا حديث صحيح.

الأمثال التي يضربها للناس، ولا يعقلها إلا العالمون؛ وإنّما ينكرها الجاهلون.

٩ - أَضْحَى بِإِحْسَانٍ وَحُسْنٍ مُعْطِياً لِنَفَائِسٍ وِلأَنْفُسٍ أَخَّاذَاً

(أَضحى): أي صار المحبوب الداخل في وقت الضحى، وهو كمال الظهور بإحسان منه، أي: إنعام. و(حُسْنٍ): أي جمال حقيقي. (معطياً): خبر أضحى. (لنفائس): متعلّق بمعطياً، أي: واهباً لنفائس العلوم الإلهيّة، والمعارف الربّانيّة، وهو راجع إلى قوله بإحسان. وقوله (لأنفس): جمع نفس بالسكون. والجار والمجرور متعلِّقان بأخّاذ، وهو اسم فاعل للمبالغة من الأخذ، بالخاء والذال المعجمتين. وهو راجع إلى قوله وحُسْن على طريقة اللف والنشر المرتب. وإعطاؤه للنفائس: جمع نفيسة من العلوم ظاهر، وأخذه للأنفس بالاختيار والطوع؛ حيث تجلى لها ببدائع الحسن والجمال في الكاملين من الرجال، وهو الموت الاختياري الوارد في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٢٣] وفي الأثر: «موتوا قبل أنْ تموتوا»[1]. وفي غيرهم من بقيّة الناس يأخذ أنفسهم بالموت الاضطراري قهراً عليهم كما قال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[١٨/ الكهف/ ٧٩].

١٠ - سَيْفاً تَسُلُّ عَلَى الفُؤَادِ جُفُوْنُه وَأَرَى الفُتُوْرَ لَهُ بِهَا شَحَّاذَا

(سيفاً): مفعول تسلُّ مقدّماً عليه. وقوله (على الفؤاد): أي القلب؛ لأنّه موضع المعرفة به تعالى، والتحقّق بتجلِّيه على كلّ شيء، حتى وُجد الشيء بوجود المتجلِّي الحقّ، والشيء هالك في نفسه، معدوم؛ لأنّه شيء في الأصل، فعيل بمعنى مفعول، أي: مَشيوء. يعني: شاءه تعالى بمشيئته الأزليّة، فصار شيئاً، فما ثَمّ إلا أشياء مشيوءات، لا وجود لها سوى ظهور وجود الحقّ الذي شاءها على حسب ما يريد الظهور بها عند من يريد الظهور له، والتجلّي عليه، وله في كلّ شيء وجميع الأشياء على حدّ ما ذكرنا هي المُكنّى عنها هنا بقوله (جُفُونه): جمع جَفْن: وهو غطاء

(١) انظر تخريجه ص٢٨٢.

العين؛ فإذا انفتح نظرت العين؛ وهو قوله في حديث المتقرّب بالنوافل: «كُنتُ بصره الذي يبصر»[1]. والانفتاح: رفع الجفن الأعلى إلى فوق؛ وهو النشأة الروحانيّة العُلْويّة. وخفض الجفن إلى تحت؛ وهو النشأة الجسمانيّة؛ فتظهر العين الإلهيّة حينئذٍ لامع الروح ولامع الجسم؛ وإنّما هي قائمة بنفسها، بينهما حاملة لهما، وحافظة لكليهما، وهي الرافعة للجفن الأعلى، والخافضة للجفن الأسفل؛ فهي في الوسط، والوسط محلّ القلب، والقلب موضع التجلّي، فكما ورد: «ما وسعني سماواتي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»[2]. وكنّى عن العين بالسيف لقطعها آثار جميع الأغيار. وقوله (**وأرى الفتور**): أي الضعف والانكسار له، أي: لذلك السيف الذي تسلّه الجفون. (**بها**): أي بتلك الجفون. يعني: الفتور الكائن فيها. (**شحّاذاً**): بالشين المعجمة والحاء المهملة والذال المعجمة، فعّال بالتشديد، صيغة مبالغة من الشحذ، يقال شحذ فلان سيفه: إذا سنّه وحدّده ليقطع. وهذا من [قبيل] قوله في الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»[3] فإذا انكسر القلب من أجل الله تعالى انكسرت جميع الجوارح، فظهر الانكسار على ذلك العبد، وهو انكسار جفن الحقّ تعالى؛ لأنّه غطاء على عينيه كما ذكرنا. وقد سأل أبو يزيد البسطاميّ رضي الله عنه/ [٧٠/ أ] ربَّه في بعض تجلِّياته عليه بماذا يتقرب إليك المتقرّبون، فقال بما ليس لي: الذلّة والافتقار.

١١ - فَتْكٌ بِنَا يَزْدَادُ مِنْهُ مُصَوِّراً ... قَتْلَى مُسَاوِرَ فِي بَنِي يَزْدَاذَا

(**الفتك**): مصدر فَتَكَ به إذا انتهز منه فرصة فقتله أو جرحه. و(**يَزْدَادُ**): من الزيادة. وقوله بكسر (**منه**): أي من المحبوب الحقيقي، أو من السيف الذي تسلُّه جُفُونُه. وقوله (**مُصَوِّراً**): بكسر الواو، حال من الضمير في منه. و(**قَتْلَى**): مفعوله،

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) انظر تخريجه ص٣٢٤.

(٣) انظر تخريجه ص١٤٦.

وهو جمع قتيل، مضاف إلى (مُساوِر): وهو بالسين المهملة، اسم شجاع من الشجعان. وقوله (في بني يَزْداذا): بالياء المثنّاة التحتيّة المفتوحة والزاي الساكنة ثمّ الدال المهملة، فالذال المعجمة. ومساور هذا كان رجلاً روميّاً شجاعاً، وكان بنو يزداذ هؤلاء أعداء له، فأوقع بهم، قال المتنبّي في مثل ذلك:

أمُساوِرٌ أمْ قَرْن شمسٍ هذا　　أمْ ليثُ غابٍ يقْدُم الأستاذا

هَبْكَ ابنَ يزداذٍ حَطَمْتَ ورَهْطَهُ　　أترى الورى أضْحَوْا بَني يَزْداذا[1]

وما ذكر كناية عن عموم الفناء والاضمحلال عن ظهور الحقّ في بصائر الرجال، قال تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ظهر. ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ أي: تبيَّن بطلانه من الوجود وفناؤه واضمحلاله في حالة الشهود. ثمّ قال: ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ أي: كلّ ما سوى الله تعالى ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ [١٧/الإسراء/ ٨١] أي: باطلاً، فانياً، مضمحلّاً من قبل أنْ يظهر للسالك بطلانه وفناؤه واضمحلاله. وإنّما كان الباطل كلّ ما سوى الله تعالى لقوله عليه السلام كما ورد في حديث مسلم: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كلّ ما خلا الله باطلاً»[2].

١٢ - لَا غَـرْوَ إنْ تَخِـذَ العِـذارَ حَمَائِلاً　　إذْ ظَـلَّ فَتَّاكـاً بِنَـا[3] وَقَّـاذا

(لا غروَ): بالغين المعجمة والراء، أي: لا عجب. و(إنْ): بكسر الهمزة ـ وفي نسخة بفتحها ـ وسكون النون، يعني: لأنْ. و(تَخِذَ): بمعنى اتخذ. و(العِذار): بكسر العين المهملة وفتح الذال المعجمة، أصله من اللجام: ما سال على خدّ

---

(١) انظر ديوان المتنبي ج٢ص٨٢. كذلك معجز أحمد لأبي العلاء المعرّي، باب الشاميّات ج١ ص٥٩.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: أيام الجاهليّة، ٣٨٤١، عن أبي هريرة بلفظ: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطلاً، وكاد أميّة بن أبي الصلت أنْ يسلم.

(٣) في(ق): به.

الفرس، ثُمَّ قيل عَذِرَ الغلام: إذا نبت شعر عِذاره، وهو ما على الخدَّين من الشعر.

كناية هنا عمّا ينبت في القلب من المعاني، وإدراك الأشياء، والشعور بها. فلمّا جعل العين سيفاً، وجعل جفونها ـ وهي الروح والجسم ـ أجفاناً لذلك السيف جعل ما يقع في القلب من الشعور والإدراك للمعاني الإلهيّة حمائلاً لذلك السيف؛ لأنّها تحمله حتى يبقى معلوماً عندها، وأفرد السيف في البيت الذي سبق، وجمع الجفون للإشارة إلى الوحدة الإلهيّة الظاهرة في كلّ شيء من غير تعددٍ فيها، وإن تعددت مظاهرها من قبيل قولنا في مطلع قصيدة لنا:

يا شمْعةً هي في كلّ الفوانيس   يُخالِفُ العقل هذا في التقاييس[1]

و(الحمائل): جمع حَميلة بالحاء المهملة، فيُقال: حَميلة وحِمَّالة بالكسر وهي عِلاقة السيف. وقوله (إذْ): تعليليّة. وفي النسخة الأُخرى (أن ظلّ): أي لأنْ ظلّ، بمعنى صار، وأنْ مصدريّة، أي: لصيرورته.(فتّاكاً): بصيغة المبالغة، من الفَتْك، وهو رُكوب ما هَمَّ من الأمور ودعت إليه النفس، كالفُتُوك والإفتاك، فَتَكَ يَفْتُكُ فهو فَاتِك: جَريء شجاع، كذا في القاموس. ويُقال في المبالغة: فتّاك كما ذكرنا. وفاعل ظلّ ـ وهو اسمها ـ ضمير راجع إلى المحبوب الحقيقيّ. وقوله (بنا): متعلّق بفتّاكاً. وقوله (وقّاذاً): صيغة مبالغة من الوَقْذ، بالقاف والذال المعجمة، وهو شدّة الضرب. ووَقَذَه: صَرَعَه، وغَلَبَه، وتركه عليلاً، كأَوْقَذَهُ، كذا في القاموس.

١٣- وَبِطَرْفِهِ سِحْرٌ لَوَ أبْصَرَ فِعْلِهِ   هَارُوتُ كَانَ لَهُ بِهِ أُسْتَاذاً

(بطرفه): أي بعينه، وتقَدَّم معنى الكناية فيها. وقوله (سحر): أي ما هو يشبه السحر في تشتيت عقل السالك، والتفريق بينَه وبين ما كان ملاحظه أوّلاً من العوالم. ثمّ قال (لَوَ أَبصر فعله/ [٧٠/ ب] مفعول أبصر. و(هاروتُ): بالرفع فاعل أبصر، وهو المَلَك الذي أنزله الله تعالى لتعليم السِّحْر للناس ليفرقوا به بين

(١) انظر ديوان الحقائق للشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ ج١ ص٢٦٥.

معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وبين السِّحْر الذي هو استعمال الجنّ في الأمور الخارقة للعادة. وأصل السحْر: كلّ ما لَطُف مأخذه ودقّ، كأنّه مأخوذ من السَّحَر، بالتحريك، وهو قُبَيل الصبح لاختلاط السواد من الليل فيه بشيء من بياض الصبح القريب، وفي قوله (**لَوَ أَبصر فعلَه هاروت**): يعني أنّ هذا المَلَك لمّا علَّمه الله تعالى السِّحْر أوجب ذلك عنده غفلة من المعلم لضرورة كونه سحراً، فلو أبصر ذلك الفعل نفسه الصادر منه تعالى له لكان، أي: ذلك المحبوب الحقيقيّ. (**له**): أي لهاروت. (**به**): أي فيه. والضمير راجع إلى السِّحْر.

(**أُستاذاً**): أي معلِّماً كما هو المعلِّم له ذلك في نفس الأمر، ولعلمه أنّ الأُستاذ أعلم منه في ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [١٢/ يوسف/ ٧٦].

١٤ - تَهْذِي بِهَذَا البَدْرِ فِي جَوِّ السَّما خَـلِّ افْـتِرَاكَ فَـذَاكَ خِـلِّي لَا ذَا

(**تَهْذي**): بالذال المعجمة، فعل مضارع من هذى إذا تكلَّم بغير معقول لمرضٍ أو غيره، كذا في القاموس، وهو خطاب للائم المتقدِّم ذكره في قوله (**غير السلوّ تجده عندي لائمي**)[1]. وقوله (**بهذا**): اسم إشارة إلى البدر؛ وهو القمر ليلة التمام. كناية عن الحقيقة الإنسانيّة المُستمدَّة من شمس الحقيقيّة الإلهيّة. كما أنَّ البدر نوره الظاهر فيه نور الشمس كالمرآة المجلوَّة الظاهر فيها ما يقابلها من الأنوار؛ بحيث لم ينتقل النور بذاته إلى البدر، ولا فارق الشمس. ومعنى هذيانه بهذا البدر المشار إليه لحضوره في حقيقة المشير المخاطب بذلك؛ وهو اللائم الجاهل بما هو الأمرعليه في نفسه؛ فإنّ أصل اللائم إنسان يسلك بنفسه في طريق ربّه ليتَوَصّل بعقله وفهمه في علوم العرفان إلى التحقّق بتجلِّيات الرحمن، وغَلَبَتْ عليه شهوته وهواه؛ فجهل أمر الله المحيط به؛ فقال في نفسه لنفسه: «أنا الحقّ». وهو في ظلمات الطبع والهوى والشهوة؛ فكأنّه قال عن نور بدر نفسه: إنّ ذلك النور هو نور

---

(١) انظر البيت السابع من القصيدة نفسها.

حقيقة ربّه، ولو كان نور بدر نفسه هو نور حقيقة ربِّه لفنيَ بدر نفسه في شمس ربّه، واضمحلّت رسومُه بالكليّة؛ وإنّما هو واقع في الوساوس النفسانيّة، والأوهام الخياليّة، فهو أسير الأوهام، المُكبّل بقيود الانبهام[1]، وزخارف الأفهام؛ فجميع ما عنده هَذَيَان، وتباعد عن مقام العرفان. وقوله (في جَوٍّ): أي هواء. (السما): بالقصر، وهي العلوّ. كناية عن العابد الزاهد الذي أفعاله، وأعماله، وأقواله، وأحواله كلّها على طِبق الشريعة، ولكنَّه لم يفنَ عن نفسه التي هي جِرْم القمر الخالي من النور، وجميع ما يصدر عنه صادر عن نفسه الأمّارة بالسوء من حيث لا يشعر. وقوله (خَلَّ): بالخاء المعجمة وتشديد اللام، أي: أترك. (افتراك): بالقصر في الافتراء لضرورة الوزن؛ فإنّه افتراء منك على الحقّ تعالى، وعلى نفسك في قولك أنا هو، فإنّك لو كنت هو لقدرت على خلق كلّ شيء، وعلى إعدام كلِّ شيء، وأنت لا تقدر مع ذلك على تحريك جناح بعوضة. ولّما عجزت عن شيء، وأنت عاجز عن كلّ شيء ما لم يقدّرك الله تعالى على ما يريد، ولما متَّ وأنت تمرض قهراً عنك، وتموت وتدفن، والله منزّه عنك وعن كلّ ما سواه. ثمَّ قال (فذاك): أي المشار إليه، البعيد عنّي وعنك، مع كمال قربه إلينا من غير مسافة، ولا اتّصال، ولا انفصال، ولا حلول، ولا انحلال. ثُمّ قال (خِلِّي): بكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام مكسورة، أي خليلي المصاحب لي، الذي لا يفارقني أزلاً، ولا أبداً كما ورد في الأثر: «اللهمّ إنّك أنت الصاحب في السفر»[2]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٥٧/ الحديد/ ٤]. ثمّ قال (لا ذا): أي لا، إنّ خلِّي الذي أنا أخالل، وأطلب انفراده دوني، هوذا الذي تشير إليه أنت يا أيها اللائم لي، الجاهل/ [٧١/ أ] بي الذي لا يرضى بطزيقتي، ويريد أنْ يسوقني إلى طريقته المعوجّة الفاسدة فيلومني، ويُوبِّخني على ما يجده منّي مما يخالف طريقته، كما قال الشيخ علي الوفائي المصري

---

(١) في المطبوع: الإيهام.

(٢) أخرجه مالك في الموطّأ، باب: ما يؤمر به من الكلام في السفر،٣٥٨٣. إلى آخره.

قدّس الله سرّه في موشّحٍ له:

يـــــا أيهـــا المربـــــوطْ	إنّـــــا نريـــــد حلّـــــكْ
وأنـــــت تريـــــد تـــــربطْ	رجـــــلي جِـــــذا رجلـــــك

١٥ - عَنَـتِ الغَزَالَـةُ وَالغَـزَالُ لِوَجْهِهِ مُتَلَفِّتـــاً وَبِـــهِ عِيَـــاذاً لَاذَا

(**عَنَت**): أي خضعت وذلّت. (**الغزالة**): أي الشمس. و(**الغَزال**): كسحاب، الشادن حين يتحرّك ويمشي، أو من حين يولد إلى أنْ يبلغ أشُدّ الإحضار، كذا في القاموس. (**لوجهه**): أي وجه المحبوب الحقيقي؛ فالشمس بالنسبة إلى نوره الحقيقي كنسبة نور القمر إلى نور الشمس؛ بل الأنوار كلّها آثار نور وجهه، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [٢٠/ طه/ ١١١] أي: لوجهه تعالى كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨] وقال: ﴿تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥]. وعنى الغزال أيضاً لوجهه حال كونه ذلك المحبوب الحقيقي (**متلفّتاً**): فهو حال من الضمير في قوله لوجهه؛ يعني خضع له الغزال، وذلك حُسْن الالتفات، وهو العطف بالرحمة واللطف والإحسان على السالك في طريقه. وقوله (**وبه**): أي بذلك المحبوب المذكور، والجار والمجرور متعلّق بـ (**لاذا**). والألف ضمير التثنية راجع إلى الغزالة والغزال. و(**عِياذاً**): بكسر العين المهملة والذال المعجمة، مصدر عاذ، وهو الاستعاذة، بمعنى الالتجاء، وهو منصوب على أنّه مفعول لأجله، أو حال من ضمير التثنية في قوله (**لاذا**) على معنى عائذينِ، بصيغة الثنية. والمعنى: لاذ به الغزالة والغزال، أي: استترا بنور وجهه الكريم، وتحصّنا عن الفناء والاضمحلال. وربّما كنّى بالغزالة عن الروحانيّة الإنسانيّة المشرقة على العالم الجسمانيّ الإنساني، وبالغزال عن القلب الإنساني المُتلفِت بالفكر والخيال إلى عوالم الإمكان.

١٦ - أَرْبَـتْ لَطَافَتُهُ عَلَى نَشْرِ الـصَّبَا وَأَبَـــتْ تَرَافَتُـــهُ الـــتَّقَمُّص لاذا

(**أَرْبَتْ**): بالراء والباء الموحّدة، أي: زادت. (**لطافته**): من اسمه اللطيف. (على

نَشْر): وهي الرائحة الطيِّبة. كناية عن الروح الآمريّ من قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ الآية [١٧/ الإسراء/ ٨٥]. وهو الروح الأعظم بمنزلة الرائحة الفائحة من المسك ونحوه، تنقل رائحة الأمر الإلهي إلى جميع الأكوان. وقد أضاف النشر إلى (**الصَّبَا**): وهو ألطف الرياح التي تهبُّ وقت الصَّبا. والصَّبا: كناية عن الأرواح الجزئيّة المدبِّرة للأجسام الإنسانيّة. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [٦/ الأنعام/ ١٠٣] إنّ هذا لفٌّ ونشر مرتَّب. يعني: لا تدركه الأبصار، لأنّه اللطيف، وهو يدرك الأبصار؛ لأنّه الخبير. فذكر أنّ سبب عدم إدراك الأبصار له تعالى زيادة لطفه تعالى؛ فهو بالنسبة إلى الروح الأعظم الذي هو ألطف من الأرواح كلِّها المنفوخة منه في الأجسام بمنزلة الروح الأعظم بالنسبة إلى الأجسام الكثيفة؛ فالروح الأعظم مع كمال لطافته أكثف من أكثف الأجسام بالنسبة إلى لطافة الحقّ تعالى؛ ولهذا قال: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾. وقوله (**وأَبَتْ**): أي كرهت. (**ترافته**): بالتاء المثنَّاة الفوقيّة والراء بعدها ألف وفاء، قال في القاموس: «المُتْرَف كمُكْرَم: المَتْروكُ يَصْنَع ما يشاء، ولا يُمْنَع، والجَبَّار» انتهى. فالترافة هنا كناية عن كمال إطلاقه وتنزهه وجبروته سبحانه. وقوله (**التقمُّص**): أي لبس القميص؛ وهو الصورة من اسمه المصوِّر. وقوله (**لاذا**): مفعول التقمُّص الذي هو مصدر، وفي القاموس: «واللَّاذة: ثوب حرير أحمر صيني، وجمعه لَاذ». والمعنى: أنّه من كمال نزاهته وإطلاقه امتنع عليه أنْ يلبس الصورة اللطيفة؛ فضلاً عن الكثيفة وإنْ كان متجلِّياً بها، وظاهراً بتصويرها من اسمه المُصَوِّر، وقوله سبحانه: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٢/ البقرة / ٢٨٤] وقوله: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] كما هو المعروف/[٧١/ ب] عند أهل الأذواق من السالكين، فإنّ هذا كلّه بالنظر إلينا؛ حيث نراه ونعلمه كذلك بعيون العقول والألباب. والله أعلم بالصواب.

١٧ - وَشَكَتْ بَضَاضَةُ خَدِّهِ مِنْ وَرْدِهِ وَحَكَتْ فَظَاظَةُ قَلْبِهِ الفُولَاذَا

(شَكَتْ بَضَاضَةُ): بالباء الموحَّدة والضادين المعجمتين بينهما ألف، هي الرِّقة مع الامتلاء في البشرة. و(الخَدّ): معروف. كنّى به عن صفات الجمال؛ وهو الخدّ الأيمن، والخدّ الشمال صفات الجلال. وكلاهما في الوجه المكنّى به عن التوجّه على الإيجاد. وبضاضة الخدّ كناية عن كمال النعيم الصادر لأهل التجلّي الجمالي؛ وهم فريق الجنّة، فتشكو تلك البضاضة. (من وَرْدِهِ): أي وَرْدِ ذلك الخدّ، وهو الحُمرة الجماليّة التي تتعشّق بها النفوس الأبيّة، نفوس المحبِّين، من قبيل قول الناظم قدّس سرّه في قصيدته الكافية:

قال لي كلّ حُسْنٍ تجلّى بي تَمَلَّى فقلت قصدي وراكا[1]

لأنّ مقصود المحبوبين الذاتيّين من كمال العارفين الوصول إلى معرفة الذات الإلهيّة وهم يعرفون أنّها لا تُعرف؛ لأنّهم آثار أسمائها الحسنى، وصفاتها العليّة. ولكنَّ المقامِ جذبهم إلى ما هم فيه من الهمم السنيّة، والأسماء والصفات تتحفهم بأنواع الآثار البديعة، وتكشف لهم عن محاسن صنائعها الرفيعة، وهم يعرضون عن ذلك، ويشكون مما هنالك؛ لأنّهم بضاضة خدِّه،وملاحة ورده. وقد ورد في الحديث: «إنّ من أمتي مَن يدخل الجنّة بالسلاسل»[2] وذلك إشارة إلى أهل هذا المقام، كما قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [١٨/الإسراء/٢٨] أي: ذاته. وقوله (حَكَتْ فظاظة): أي غِلظَة قلبه. كناية عن عظيم جبروته وتكبُّره، بحيث لا يذلّ أصلاً من حيث اسمه الجبّار المتكبّر. وقوله (الفولاذا): مفعول حكت، وهو خالص الحديد. وهذه الفظاظة إنّما هي على أهل محبّته الذين حرقهم بنار بعده عنهم وهجره لهم،

(١) انظر البيت رقم٥٣ من قصيدة ته دلالاً.

(٢) لم نعثر عليه في مصادرنا بهذا اللفظ، وإنّما ذكر السيوطيّ في جمع الجوامع، ٣٤٩٥، عن أبي هريرة، بلفظ: «إنّي لأرى أمماً تقاد بالسلاسل إلى الجنّة»، وقال: أخرجه الحاكم في الكنى عن أبي هريرة، كما أخرجه البخاريّ في التاريخ الكبير.

وهم أهل الشمال الذين هم مظهر الجلال، فعاملهم بالنَّكال، وسوء المنقلب والمآل: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [٢١/الأنبياء/ ٢٣]؛ فإنّ محبّته أوصلتهم إلى أنْ عملوا ما كانوا يعملون، كما قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [١٥/ الحجر/ ٤٩-٥٠].

١٨- عَمَّ اشْتِعَالاً خَالُ وَجْنَتِهِ أَخَا   شُغْلٍ بِهِ وَجْداً أَبَى استِنْقَاذَا

(عَمّ): شمل. (اشتعالاً): بالعين المهملة، أي: التهاباً بالنار. (خَالُ): فاعل عمّ. و(الخال) هو الشامة، نقطة سوداء. كناية عن ظلمة عالم الإمكان في صفحة وجنة الأسماء والصفات. (أخا): مفعول عمّ، أي: مؤاخي، بمعنى ملازم. (شُغْل): بالغين المعجمة، أي: اشتغال به عمن سواه، وهو العارف به الذي يراه في كلّ شيء. وقوله (وجداً): تمييز لنسبة الشغل إليه، أي: مشتغلاً به من جهة الوجد، أي: الشوق والمحبّة. (أبى): أي كره. (استنقاذاً): أي نجاة وتخلُّصاً من محبّته؛ فهو دائم الاشتغال والالتهاب بسبب حسْن سواد ذلك الخال الظاهر في بيض وجنة الأسماء الحسنى من وجه الجميل المتعال.

١٩- خَصِرُ اللَّمَى عَذْبُ المُقَبَّلِ بُكْرَةً   قَبْلَ السِّوَاكِ المِسْكُ سَادَ وَشَاذَا

(خَصِرُ) بفتح الخاء المعجمة وكسر الصاد المهملة، البارد. و(اللَّمَى): أي الريق، وهو ماء الفم. كناية عن لطائف المناجاة السريّة بالمعاني الربّانيّة. وقوله (عَذْب): أي سائغ حُلْو. (المُقَبَّلِ): بتشديد الباء الموحّدة، كمُعَظَّم، محل التقبيل؛ وهو الفم. كناية عن التجلِّي الرحماني والانكشاف الربّانيّ بالظهور السبحانيّ. وقوله (بُكْرة): أي في ابتداء كلّ خَلْق جديد، والخلق الجديد متكرر الأنفاس من قوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن/ [٧٢/ أ] تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٥] فقيامها بالأمر تجدّدها كلمحِ بالبصر وهو قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [٤٥/ ق/ ١٥] وقوله (قبل

السواك): أي قبل استعماله. وكنّى بالسواك عن التنزيه الذي يزيل من التجلّي أوساخ الأغيار، ودنّس الآثار؛ إذ لا يحتاج تجليه على ما هو عليه إلى تنزيه لكمال نزاهته في أصله على ما هو عليه. وقوله (**المِسْك**): بالنصب مفعول مقدّم لقوله (**سَاد**): بالسين المهملة، أي: صار سيِّداً على **المسك**. وفاعل ساد ضمير راجع إلى **المُقَبَّل**. و(**شاذا**): بالشين المعجمة، أي: ذلك المسك بالطيب. يعني: أكسبه الطيب، قال في القاموس: «الشياذ ذلك الجيّد بالطيّب». ولا شك أنّ التجلّي الإلهيّ هو الذي أظهر المسك وأكسبه الرائحة الطيّبة.

٢٠- مِنْ فِيْهِ وَالأَلْحَاظِ سُكْرِي بَلْ　　　فِي كُـــلِّ جَارِحَــــةٍ بِــــهِ نَبَّـــاذَا

كنّى بـ(**فِيه**): أي فمه عن تجليه كما ذكرنا. وكنّى بـ(**الألحاظ**):عن حضرات أسمائه وصفاته. وقوله (**سُكْرِي**): أي ما أجده ويظهر مني من الغيبة عن جميع الأكوان. (**بل أَرَى فِي كُلِّ جَارِحَة**): أي عضو من أعضائي. (**نَبَّاذا**): مفعول أرى، والنبّاذ بالتشديد صيغة مبالغة، وهو الذي يعطي النبيذ أو يبيعه. وقوله (**به**): أي بسبب كلّ واحد من فيه ومن ألحاظه، وذلك قوله عليه السلام: «كنت سمعه الذي يسمع به» وهذه جارحة الأذن، وقوله: «بصره الذي يبصر به» وهذه جارحة العين وكذلك باقي الجوارح[1].

٢١- نَطَقَتْ مَناطِقُ خَصْره حَتماً إذا　　　صَـــمْتُ الخـــواتم للخنـــاصر آذى[2]

(**المناطق**): جمع مِنْطَقَة كَمِكْنَسَة، بكسر الميم وفتح النون. والمِنْطَقَة ما يُنْتَطَقُ به على الناطقة؛ وهي الخَصر. فقوله نطَقت: أي تكلّمت لسعتها من ضيق الخصر ورقّته. كنّى بالخصر عن حضرة الذات الإلهيّة، وبالمناطق عن حضرات الأسماء والصفات؛ لأنّها دائرة على الذات تشبه المحيطة بها، وليس بمحيطة، لأنّ الأسماء

---

(١) انظر تخريجه ص١٤٦.

(٢) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ».

والصفات هي الظهور من حضرات الذات المطلقة على مقدار ما يناسب الأكوان. وقد ورد: ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٣٧/ الصافات/ ١٨١] فنزّه نفسه ـ سبحانه ـ عن صفات الواصفين سماعاً أوعقلاً. ثمّ قال (حتماً): بالحاء المهملة والتاء المثنّاة الفوقيّة، أي: نطقاً حتماً. يعني: كلاماً ملزماً من الحتم، وهو القطع. كناية عن الأمر والنهي اللازمين شرعاً بالكلام الإلهيّ. وفي نسخة خَتماً بالخاء المعجمة، أي: نطقها يشبه الختم في إظهار الأثر على طِبْقِ ما هو في الحضرة العلميّة. ثم قال (إذا صَمْت): بفتح الصاد المهملة وسكون الميم، وهو السكوت، ضدّ التكلّم، وأضاف ذلك إلى (الخواتم): جمع خاتم، وسبب صمتها ضيقها وعدم سعتها. وقوله (للخناصر): جمع خنصر، وهو الإصبع الصغيرة في اليد. (آذى): بمدّ الهمزة، فعل ماض من الأذى، وسبب ذلك السِّمَن في الأصابع؛ بحيث ضاقت عليها الخناصر ولم تتسع، فكنّى بالأصابع عن حضرات الجلا ل وحضرات الجمال. وكنّى بالخواتم عن مظاهر هذه الحضرات من قلوب العارفين، وهي الحضرات الإلهاميّة، والمعاني الكثيفة؛ فإنّها تضيق عن استيفاء جلال الحضرة وجمالها؛ لسعة عالم الجلال والجمال، وضيق عالم الإمكان عن ذلك، وقد ورد: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبه كيف يشاء»(١).

٢٢- رَقَّتْ وَدَقّ فَنَاسَبَتْ مِنّي النَّسِيْـ ـــبَ وَذَاكَ مَعْنَاهُ اسْتَجَادَ فَحَاذَى

(رَقَّتْ): يعني المناطق المذكورة، فكادت تخفى من كمال رقّتها؛ لتناسب اللطف الإلهيّ من اسمه اللطيف، حتى إنّ بعض الفِرَق أنكروا الصفات الإلهيّة؛ وهم حكماء الفلاسفة. وذلك من كمال خَفائها عليهم، ولولا ورودها في الشرع لأنكرها الكلّ. وقوله (دَقَّ): أي الخصر. يعني: خفي فلا يكاد يظهر إلا بقيام المناطق عليه. (فناسبت): أي المناطق/ [٧٢/ ب] وأمّا الخصر فلا مناسبة له لعدم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، ٦٩٢١.

ظهوره بالكليّة. (**مني النسيب**): بالنون والسين المهملة؛ وهو التشبيب بالشعر في امرأة ونحوها. أراد به هذا اللسان الغزليّ الذي لهج به هنا. يعني: ناسبته في الرِّقة وحسن اللطافة. وقوله (**ذاك**): أي الخصر الذي دَقَّ. (**استجاد**): أي عَدَّ الشيء جيِّداً. يعني: جعل الأسماء والصفات جيِّدة له، أي: حسنة، جميلة؛ ولهذا يقال لها الأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [٨/ الأعراف/ ١٨٠] وحُسْنها بسبب نسبتها إليه تعالى. وقوله (**فحاذى**): بالحاء المهملة من المحاذاة، أي: المقابلة والمقارنة للأسماء والصفات؛ إذ كلّ اسم منها، وكلّ صفة هي عين الذات العليّة من وجه حقيقي. ومع ذلك هي غير الذات أيضاً من وجه عقليّ؛ فالناظر بالحقيقة ـ وهي عين الإيمان بالغيب ـ يرى الأسماء والصفات عين الذات، والناظر بالأنظار العقليّة يراها غير الذات.

٢٣- كَالغُصْنِ قَدّاً وَالصَّبَاح صَبَاحَةً والليْـلِ فَرْعـاً مِنْـهُ حَـاذَى الحَـاذا

المعنى: إنّ هذا المحبوب الحقيقي قَدُّه كالغصْنِ. يعني: ظهوره في قلوب العارفين به قَدّ له. وفي القاموس: «القَدُّ قَامةُ الرجل، وتقطيعه، واعتداله». فيما يظهر في القلوب من المعنى المسمّى عند القلوب بأسماء الحقّ تعالى، وموصوفاً بصفاته تعالى، يُسَمّى إله المعتقدات، يشبه الغصن النابت من أصل الشجرة الإنسانيّة بقدر طاقتها في أرض الحقيقة الغيبيّ المعجوزعنها، ويسمّى المناظر العُلا، وهذا كلّه تنزيه للحقّ تعالى عند العارفين به سبحانه. ثُمّ قال (**والصباح**): أي كالصباح. (**صباحةً**): أي نوره الذي أشرق على ظلام الأكوان أفنى الأكوان كنور الصباح الذي إن أشرق على ظلام الليل أعدمه، وإنْ أشرق على أسمائه الحسنى أظهر أمثال ما فيها من الحضرة العلميّة فترتسم ظلالات المعلومات على صفحة الإمكان. وقوله (**والليل**): أي وكالليل من جهة (**الفَرْع**) : أي الشعر النابت من الشعور بمعنى الإدراك، هو شعور العقول بالمعاني النابتة في نفوسهم؛ فإنّها له تعالى بحكم:﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٨٤] أي: سموات الأرواح،

وأرض النفوس، وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىۡءٍ﴾ [٢٧/ النمل/ ٩١] وهي مظلمة كالليل، لأنّها معاني الأغيار التي لولاها لم يُعرف نهار الأسرار. وقوله (منه): أي من ذلك المحبوب الحقيقي. (حاذى): أي وصل إلى حِذاء، بكسر الحاء المهملة والذال المعجمة. (الحاذا): بالحاء المهملة والذال المعجمة؛ وهو الظَّهْر، أي: من طوله كان كذلك، فإنّ الشعور والإدراك النفسانيّ متصل بعضه ببعض، طويل إلى أنْ ينكشف الأمر الإلهيّ على ما هوعليه وتشهده البصيرة خلق الله ؛ فيذهب الليل ويأتي العرفان.

٢٤- حُبِّيهِ عَلَّمَنِي التَّنَسُّك إذْ حَكَى مُتعَفِّفَـــاً فَـــرَقَ المَعَـــادِ مُعَـــاذاً

قوله (حُبِّيه) : أي حُبّي إياه عَلَّمَني (التَّنَسُّك): أي التعَبُّد رغبة في الوصول إليه. (إذْ): تعليليّة. يعني: لأنّه (حَكَى): أي ذاك الحبّ الذي أحبّه به. (مُعَاذا): هو معاذ بن جبل الصحابي المشهور. وهو منصوب بأنّه مفعول حَكى. (مُتعَفِّفاً): حال من معاذ مُقَدَّم عليه. و(فَرَقَ) بالحركات الثلاث، أي خوف. (المعاد): بالدال المهملة، أي: المرجع، وهو الآخرة. يعني: حكى حبِّي له معاذ بن جبل رضي الله عنه حال كون معاذ مُتَعَفِّفاً من خوف الآخرة، وههنا أمران، الأوّلُ: كون المحبّة لصاحب الأخلاق الجميلة الحسنة تُعلِّم الأخلاق الجميلة الحسنة للمحبّ؛ فالمحبّة نفسها للحقّ تعالى إذا صَدَقَ بها المُحبّ أورثته أخلاق الحقّ تعالى، كما ورد في الحديث: «تخلّقوا بأخلاق الله»[1] فإنّ من أحبّ أحداً وجب عليه أنْ يسلك طريقه فيما يفعله، وهي المراد بالتَّنَسُّك في قوله/ [٧٣/ أ] (حُبِّيه علمني التنسُّك). والأمر الثاني كون حُبِّه له. حكى مُعاذ بن جبل في حالة كون معاذ مُتَعَفِّفاً عن كلّ شيء سوى محبوبه ذلك، من خوف مجيئه في الآخرة إلى بين يدي محبوبه. ومعنى ذلك: إنَّ المحبّة التي توجب التخلُّق بالأخلاق الإلهيّة كما ذكرنا هي المحبّة التي لا تعلُّق لها بغير المحبوب الحقيقيّ أصلاً كحالة معاذ بن جبل في تعفُّفِه عن الأغيار،

---

(١) ذكره الألبانيّ في السلسلة الضعيفة، ٢٨٢٢، وقال: «لا أصل له».

وخوفه من لقاء ربّه، فإنّ حُبَّه لما علمه أشبه إنساناً يعلمه وأخبر عنه بأنّه حكى معاذاً في محاسن أحواله.

٢٥- فَجَعَلْتُ خَلْعِي لِلعِذَارِ لِثَامَهُ إذْ كَانَ مِنْ لَثْمِ العِذارِ مُعَاذَا

(خَلْع العِذار): كناية عن التهتُّك وعدم التقيُّد بها تعتبره العامّة من الآداب العرفيّة، مع المحافظة على الأحكام الشرعيّة فيما لا يعرفه غير الخاصّة مِن البريَّة، وذلك حال السادة الملاميّة[1] الذين هم من كمال الرجال المعروفين بكتم الأسرار وإخفاء الأحوال. وقوله (لِثامَه): المفعول الثاني لجعلتُ، والمفعول الأوّل هو خلعي للعِذار. والضمير للمحبوب الحقيقيّ، أي: حجابه الذي يستر وجهه الكريم عن أعين الناظرين، فإذا نظروا ينظرون إليّ فيَرَوْني دونه غَيْرَةً مِنِّي عليه. وإذا رأوا أحوالي أنكرها مَنْ لم يعرف الطريق فيزداد الحجاب على غير الأحباب. ثُمَّ قال (إذْ): أي لأنّه. (كان): أي المحبوب الحقيقيّ. (مِنْ لَثْم): أي تقبيل العِذار، وهو الشعر النابت على الخدين، كناية عما يشعر بوجهه الكريم من الحجب الروحانيّة النورانيّة. (مُعاذا): بضمّ الميم، اسم مفعول، من أعاذه يُعيذه: يحفظه بالعَوذة، وهي الرُّقيَة، أي: كان محفوظاً من ذلك لكمال صيانته، وفرط علوِّه، وتنزُّهِه عن إدراك الأبصار والبصائر، وتوهُّمات القلوب والسرائر.

٢٦- وَلَنَا بِخَيْفِ مِنَى عُرَيْبٌ دُوْنَهُمْ حَتْفُ المُنَى عَادَى لِصَبٍّ عَاذَا

(الخَيْف): بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء التحتيّة، ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه مسجد الخَيْف بمنى. و(مِنى): بكسر الميم، مقصورة، موضع بمكّة، كنّى بذلك عن القلب الملازم للخوف وللتّمَنِّي، فهو يخاف ويرجو. وقوله (عُريب): تصغير عَرَب، من الإعراب وهو الإبانة والإفصاح، وتنكيره

---

(١) الملاميّة أو الملامتيّة أو الملامكيّة: هم الذين لم يظهر على ظواهرهم ممّا في قلوبهم شيئاً، وهم يجتهدون في الإخلاص ولا يظهرونه، ولا يظهرون شرّاً وقد يظهر بعضهم الشرخوف الرياء. انظر معجم مصطلحات الصوفيّة للحفني ص٢٤٩.

للتعظيم، كنّى بذلك عن الحقّ الذي وسعه قلب عبده المؤمن، وهو مقدار ما انكشف للقلب من الغيب المطلق. وقوله (دونهم): أي دون الوصول إليهم. (حَتْفُ) بحاء مهملة وتاء مثنّاة حتف أنفه، أي: من غير قتل ولا ضرب. و(المُنى): بضمّ الميم، جمع مُنية، وهي البُغْية، والطلبة، فمعنى (حَتْف المُنى): أي هلاك المُنى واضمحلاله بحيث لا يبقى منى فوقيّة وهو الموت. وقولهم مات أصلاً لشيء من أمور الدنيا وأمور الآخرة، وذلك دون الوصول إليهم كما قال شيخنا الشيخ عبد القادر الجيلانيّ قدّس الله سره:

لا أمـــــــلاً ولا أمنيـــــــةً أرجـــو ولا موعـــودة أترقّـــبُ

٢٧- وَبِجِـزْعِ ذَيَّـاكَ الحِمَـى ظَبْـيٌ بِظُبَـا اللَّـوَاحِظِ إذْ أَحَـاذَ إِخَـاذَا

(الجِزْع): بكسر الجيم وسكون الزاي، أي: منعطف الوادي. (ذيّاك): بتشديد الياء التحتيّة، اسم إشارة مُصغّر، و(الحِمى): المكان الممنوع الذي لا يُقرَب، كنّى بذلك عن قلب العارف أيضاً. وقوله (ظَبْيٌ): أي غزال. كنّى بذلك عن جناب الغيب المطلق الذي لا يزال نافراً عن الحصول لكمال تنزُّهه عن مدارك العقول، وقوله (حَمَى): أي مَنَعَ الوصول لِمَن أراده بـ(بِظُبَا): بضمِّ الظاء المعجمة، جمع ظُبة بالضمّ، وهي حدّ السيف، أو السنان ونحوه. و (اللواحظ): العيون. كناية عن حضرات الأسماء والصفات الإلهيّة/ [٧٣/ ب]. وقوله (إذْ): تعليليّة، أي: لأنّه (أحاذ): بالحاء المهملة والذال المعجمة، أي: قهر وغلب، على معنى أنّه وصف بالقهر والغَلَبة. وقوله (إخاذا): بكسر الهمزة وبالخاء المعجمة، اسم الغدير من الماء. كناية عن عالم الأكوان. قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [١١/ هود/ ٧] وإخاذا مفعول حَمى فالمعنى: إنّه تعالى حَمَى عالم الأكوان بأسمائه الحسنى؛ لأنّه متّصف بالقهر والغَلَبة.

٢٨- هِيَ أَدْمُعُ العشّاق جَادَ وَلِيُّهَا الـ ـــوَادِي وَوَالَى جُودُهَـا الإِلْـوَاذَا

(هي): ضمير القصة مرجعه القصّة، مثل ضمير الشأن، وبيان القصّة: صدور

عالم الأكوان الذي كنّى عَنه بالغدير في البيت قبله عن الأسماء الحسنى الإلهيّة المكنّى عنها هنا بالعشّاق وما تحمله وتتوجّه به. كنّى عنه بـ (**الأدمع**): جمع دمع. ثمّ قال (**جاد**): يُقال جاد المطر جوداً: إذا نزل. وقوله (**وَليُّها**): الوليّ المطر الثاني الذي يكون بعد الوَسْمِيِّ. وكنّى بالوليّ بمعنى المطر عمّا كنّى عنه أوّلاً بأدمع العشّاق باعتبار تجدده من قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [٥٠/ ق/ ١٥]. و(**الوادي**): مفعول جاد. وكنّى بالوادي عن أهل الحضرة القدسيّة كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [٢٠/ طه/ ١٢] لانطواء الكلّ منها، رجوعه إليها. ومن هذا القبيل قول الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كُنّــا حُرُوفــاً عاليــاتٍ لم تُقَــل ... مُتَعَلِّقــاتٍ في ذُرى أعــلى القُلَــل

أنـا أنـتَ فيـه ونحـنُ أنـتَ وأنـت هُـو ... والكلّ في هُو هُـو فَسَلْ عمّـن وَصَـل

وقوله (**ووالى**): أي تابع. (**جودها**): أي مطرها الغدير. والضمير راجع إلى أدمع العشّاق، المكنّى عنه بالوليّ. (**والإلْوَاذ**): مفعول وَالَى، وذلك جمع أَلْوَاذ، قال في القاموس: «الأَلْوَذ: من لا يميل إلى عَذلٍ، ولا ينقاد لأمر، وقد لَوِذَ كَفَرِح، وجمع: الأَلْوَاذ»[1]. والكناية فيه عن المتكبّرين على أصلهم الذي نشؤوا عنه، الجبارين على خلقه. كما كنّي بالوادي عن العارفين المحقّقين الفانين المضمحلّين في حقيقة العالم بهم.

٢٩- كَمْ مِنْ فَقِيرٍ ثَمَّ لَا مِنْ جَعْفَرٍ ... وَافَى الأَجَــارِعَ سَــائِلاً شَــحَّاذَا

(**فَقِير**): أي بئر. كناية عن المريد الكاذب في إراده، كما قال تعالى: ﴿وَبِئۡرٖ

---

(١) الألوَد، بالدال المهملة، مَن لا يميل إلى عدل ولا ينقاد إلى الأمر، وقد لَوِدَ كفَرِحَ، والجمع أَلْوَاد. والأَلْوَذ بالذال المعجمة، من اللَّوْذِ: الاستتار والاحتصان به، كاللُّواذ، مثلّثة، واللِّيَاذ، والمُلاوَذَة. والإحاطة كالإلاذة، وجانب الجبل، وما يطيف به، ومنعطف الوادي، والجمع أَلْوَاذ، ولعله المقصود، ولعلّ الشيخ وَهِمَ هنا، والله أعلم. انظر القاموس مادتي لَوِدَ ولَوِذ.

مُعَطَّلَةٍ وَقَصۡرٍ مَّشِيدٍ﴾ [٢٢/الحج/٤٥] فالبئر قلب المريد الكاذب لطلبه أسافل الأمور كالدنيا والشهوات. والقصر قلب المريد الصادق لطلبه معالي الأمور، وهمّه بها كمعرفة ربِّه، ومعرفة ما يقرِّبه إليه. (ثَمَّ): بفتح الثاء المثلثة، أي: هناك إشارة إلى الوادي في البيت قبله. وقوله (لا مِنْ جَعْفَر): معطوف على فقير، أي: لا كم من جعفر، وهو النهر الصغير. كناية عن المريد الصادق. (وافى): أي جاء. (الأَجَارِع): جمع أَجْرَع؛ وهو الكثيب جانب منه رمل، وجانب حجارة. كناية عن المشايخ الكاذبين الذين ما عندهم شمس من المعرفة بالله تعالى، ولا بشيء من علوم الحقيقة والشرعيّة؛ فإنّ أمثال هؤلاء لا يقصدهم إلا المريد الكاذب في إرادته، لا المريد الصادق؛ فإنّهم لا يختفون عليه من قبيل قول العفيف التلمسانيّ قُدِّس سرُّه:

ومـن لم يجـب داعـي هـداك فخلِّـه | يجب في العمى من جهله كلّ مدَّعي

وقوله (سائلاً): حال من فاعل وافى. و(شحّاذا): بالشين المعجمة والحاء المهملة، أي: ملحّاً في سؤاله.

٣٠- مِنْ قَبْلِ[1] مَا فَرَقَ الفَرِيقُ عَمَارَةً | كُنَّـا فَفَرَّقَنَـا النَّـوَى أَفْخَـاذَا

(فَرَقَ): كَنَصَرَ: فَصَّ. و(الفريق): الطائفة الكثيرة من الناس. واللام للعهد، قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [٤٢/الشورى/٧] والمراد هنا الفريق الأوّل. ومعنى فَرَقَ الفريق: انفصل إلى خواص وعوام. وذلك بانصباغ أعيانهم بنور الوجود، وقبل ذلك هو عالم التقادير والأقضية الأزليّة. وقوله (عَمَارَة): بفتح العين المهملة أصغر من القبيلة ـ وتكسر العين/[٧٤/أ] أيضاً ـ والحيّ العظيم. وقوله (كُنّا): أي معشر أهل الله تعالى. (فَفَرَّقنا النوى): أي البُعد المتفاوت بيننا عن الحقّ تعالى بحسب الأحوال وتَوجّهات الهمم؛ وبهذا اختلفت المراتب بين

(١) في (ق): غير.

أهل الله تعالى. وقوله (**أفخاذاً**): جمع فَخْذ؛ وهو الحيّ من العشيرة، أي: جُعِلنا أقساماً وأنواعاً.

٣١- أُفْرِدْتُ عَنْهُمْ بِالشَّآمِ بُعَيْدَ ذَا   كَ الالْتِئَامِ وَخَيَّمُوا بَغْدَاذا

(**أُفردْتُ**): بضمِّ الهمزة مبنيّاً للمفعول. (**عنهم**): أي عن العَمارة المذكورة في البيت قبله. وقوله (**بالشأم**): بالهمز، والمدِّ لغة في الشأم: القطر المعروف. ومعنى إفراده: دخوله في مقام الفرديّة الخارجة عن حكم الأقطاب كلهم. و(**بالشأم**): أي: حصل له ذلك بسبب دخوله أرض الشأم، ومفارقته مصر. ثمّ قال (**بُعَيْد**): بضمّ الباء الموحّدة، مصغّر بعد. (**ذاك الالتئام**): أي الاتفاق معهم، والانضمام إليهم. ثمّ قال (**وخَيَّموا**): يقال خيَّم بالمكان إذا أقام فيه. وضمَّنه معنى استوطنوا فقال (**بغداذا**): مفعول خَيّموا، ولهذا لم يقل وضمّوا بغداذا[1]. وهي بالغين المعجمة، دار السلام، وفيها لغات، منها هذه، **بغداذ**، بالذال المعجمة. وخَصّ بغداذ لأنها مسكن القطب الذي تدخل جميعُ أهل المراتب الإلهيّة تحت حيطته من أقطاب المقامات وغيرهم إلا الأفراد خاصّة.

٣٢- جَمَعَ الهُمُوْمَ البُعْدُ عِنْدِي بَعْدَ أَنْ   كَانَتْ بِقُرْبِي مِنْهُمُ أَفْذَاذَا

(**الهموم**): جمع همّ، وهو الحُزن. و(**البُعْدُ**): فاعل جمع، أي: بُعدي عنهم عِندي؛ لأنّ مقام الفرديّة يقتضي الانفراد بمرتبة خاصّة لا يعلمها إلا صاحبها، فلا تتفرّق هموم صاحبها على بقيّة أهل الله لعلوِّ مرتبته عليهم، وكمال تحمّله للبلاء النازل أكثر منهم. ثمّ قال (**بعد أنْ كانت**): أي تلك الهموم. (**بقربي**): أي بسبب كوني من جملتهم. (**أفْذاذا**): جمع فَذ، وهو الفرد، فإنّ تلك الهموم كانت من قبل. يعني: البلايا والمصائب النازلة على الخلائق تتفرّق على جميع الصالحين بحسب مراتب صلاحهم، وعلى مقدار مقاماتهم وقربهم من الله [تعالى]. وكان الناظم

(١) في المخطوط: ولم يقل خيموا، ولعلّ الصواب: ولم يقل ضمّوا، كما في المطبوع.

قدّس الله سرّه أولى منهم؛ فكان له نصيب من ذلك البلاء. فلمّا كان في الفرديّة كان بلاؤه أشدّ؛ لأنّه الوارث المحمّدي الجامع، قال صلّى الله عليه وسلّم: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل»[1].

٣٣- كَالْعَهْدِ عِنْدَهُمُ العُهُودُ عَلَى الصَّفَا   أَنَّى وَلَسْتُ لَهَا صَفاً نَبَّاذَا

(**العَهْد**): أوّل المطر الوَسميّ. (**عِنْدَهُم**): أي هؤلاء الأحبّة المذكورين في الأبيات قبله، بأنّه أفرد عنهم العهود، جمع عهد، وهو الموثِق. وقوله (**على الصفا**): متعلّق بمحذوف حال من العهد. والصفا: جمع صَفاة، وهي الحجر الصلد. والمعنى: إنّ عهودهم كالمطر على الحجر الصلد، وإنّ الحجر لا يمسك شيئاً منه، وذلك لكمال اشتغالهم بربهم، فليسوا مع أحد غير الحقّ. ثمّ قال (**أنّى**): بفتح الهمزة وتشديد النون مفتوحة؛ اسم بمعنى كيف، وهو استفهام على طريق التعجّب من حالهم مع قوله (**ولستُ لها**): أي للعهود. (**صَفا**): مفعول من أجله، أي: من أجل الصّفا، وهو عندي في مقام الفرديّة، وصاحب هذا المقام يسع الحقّ تعالى، وما يظهر منه مِن الأكوان، وهم لا يَسَعون إلا الحقّ وحده. وقوله (**نَبّاذا**): صيغة نسبة كالقطّان، نسبة إلى بيع القطن ونحو ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [٤١/ فصلت/ ٤٦] أي: منسوب إلى الظلم.

٣٤- وَالصَّبْرُ صَبْرٌ عَنْهُمُ وَعَلَيْهِمُ   عِنْدِي أَرَاهُ إذاً أَذَىً أَزَّاذَا[2]

(**الصَّبْرُ**): نقيض الجزع والضجر، وقوله (**صَبْرٌ**): هوعصارة شجر مُرٍّ، وهو على وزن كتف، وتسكينه لضرورة الشعر. وقوله (**عنهم**): أي عن الأحبّة بأنْ

---

(١) أخرجه البزار في مسنده بهذا اللفظ، باب: ومّما روى سماك بن حرب عن مصعب عن أبيه، ١١٥٠. كما أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: محنة أبي ذرّ رضي الله عنه،٥٤٧٢، بلفظ: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثمّ العلماء ثمّ الأمثل فالأمثل».

(٢) ورد على حاشية المخطوط قول الناسخ: «بلغ». أي: بلغت مقابلته على المؤلّف الشيخ النابلسي. وقد وردت الشطرة الثانية في(ق): « عندي أراه إزاء ذا آزاذا»

اشتاق إليهم/ [٧٤/ ب] وأمنع نفسي من مطالبتها بهم، فإنّ ذلك الصبر عندي مُرٌّ. وقوله (وعليهم): أي وصبرعليهم، أي: على هجرهم وصدِّهم. (**عِندي أراه**): أي أجده. (**إذاً**): أي حينئذٍ. يعني: حين يكون مِنّي، وهي بكسر الهمزة وفتح الذال المعجمة مع التنوين. (**أذىً**): بفتح الهمزة وفتح الذال المعجمة منوناً. وقوله (**أزّاذا**): بفتح الهمزة وتشديد الزاي وبالذال المعجمة؛ هو نوع من التمر الحلو.

٣٥- عَزَّ العَزَاءُ وَجَدَّ وَجْدِي بِالأُلَى صَرَمُوا وَكَانُوا بِالصَّرِيْمِ مَلَاذَا

(**عَزَّ**): أي قلَّ. و(**العَزَاءُ**): بفتح العين المهملة وفتح الزاي مع المدّ وهو الصبر. (**وجَدَّ**): أي قوي. (**وَجْدي**): أي محبَّتي وشوقي إلى الأحبّة. (**بالأُلى**): أي بالذين. (**صرموا**): أي قطعوا حبل مَوَدَّتي لكمال اشتغالهم بمحاسن أحوالهم، وكانوا قبل ذلك (**بالصريم**): أي في الصريم، وهو اسم مكان. كناية عن الحالة التي يجتمعون فيها، حيث يمتازون عن عوام المؤمنين، وهو معهم في تلك الحالة. وقوله (**ملاذا**): أي حصناً لبعضهم بعضاً في المساعدة على الخير، ودفع الضمير.

٣٦- رِيْمَ الفَلَا عَنِّي إلَيْكَ فَمُقْلَتِي كُحِلَتْ بِهِمْ لَا تُغْضِهَا اسْتِيْخَاذَا

(**الريم**): الظبي الخالص البياض. و(**الفلا**): جمع فلاة؛ وهي المفازة التي لا ماء فيها، وهو منادى مضاف، حُذف منه حرف النداء تخفيفاً وللوزن. كناية: عن المحبوب المجازي، وهو المليح اللطيف الشمائل الذي كبدر التمام فوق الغصن المائل. وقوله (**عَنّي**): متعلّق بقوله إليك. و(**إليك**): اسم فعل بمعنى تنحَّ وتباعد. وقوله (**فمُقْلَتي**): هي الحدقة، أو الشحمة التي تجمع السواد والبياض. والمراد بها العين. وقوله (**كُحِلَتْ**): بضمِّ الكاف مبنياً للمفعول، والضمير في بهم راجع إلى الأحبّة المشار إليهم بالأُلى في البيت قبله. يعني: رأتْهم وشاهدتْهم من قبيل ما ورد في الأثر الذين إذا رأوا شهدوا الله فهو يشاهده تعالى بالأحبّة ويشهد ما شهده بالأحبّة بكُلِّ شيء، قال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه:

نظـرْتُ إليهـا والمَليـح يظنُّنـي نظـرْتُ إليـه لا ومَيـسَمها الألمـى

ولكـن أعارتْـه التـي الحُسْنُ وَصْفُها صِـفاتِ جَمَالٍ فادعـتْ مُلكهـا ظلـما

وقوله (**لا تُغْضِها**): أي لا تُغضِ مقلتي، بالغين المعجمة والضاد المعجمة، يقال أغضى جفونه: أدناها، وضمّ بعضها إلى بعض. يعني: **لا تحجب عيني عن رؤية** محبوبي الحقيقي الذي أراه. وقوله (**استِيخاذا**): بالخاء المعجمة، **أي: طأطأة** للرأس، قال في القاموس: «المُستأخِذ: المُطأطِئ رأسَه من وجع». **كناية عن النظر** إلى أغياره، وعدم رفع الرأس إلى المتجلّي بالأسرار.

٣٧- قَسَماً بِمَنْ فِيْهِ أَرَى تَعْذِيْبَهُ عَذْباً وَفِي اسْتِذْلَالِهِ اسْتِلْذَاذَا

قوله (**بِمَنْ**): أي بالمحبوب الحقيقي الذي. (**فيه**): أي في محبّته. (**أرى**): أي أجد (**تَعْذيبه**): لي. (**عَذْباً**): أي حلْواً. وفي (**استذلاله**): أي وأرى في استذلاله، أي: جعله لي ذليلاً. يقال استذلَّه: جعله ذليلاً، وكذلك استذلّه: رآه ذليلاً. (**واسْتِلْذَاذَا**): هو المفعول الثاني لأرى المقدّرة، وإنّما أتى بفي في الاستذلال دون التعذيب؛ لأنّ الاستذلال صفة كلّ مخلوق بين يديّ خالقه، فكأنّه مظروف في الذِّلّة، ولا هو كذلك مظروف في التعذيب.

٣٨- مَا اسْتَحْسَنَتْ عَيْنِي سِوَاهُ وَإِنْ لَكِنْ سِوَايَ وَلَمْ أَكُنْ مَلَّاذَا

(**سِواه**): أي غير المحبوب الحقيقيّ. (**وإنْ سَبَى**): أي ذلك السِّوى من جميع ملاح الأكوان. وقوله (**لكنْ**): حرف استدراك. (**سِوايَ**): مفعول سبى. (**ولم أكن ملَّاذا**): معطوف على جواب القسم. و(**الملَّاذ**): بالتشديد من **المَلْذِ؛ وهو الكذب**. يعني: لم أكن كاذباً في يميني ذلك.

٣٩- لم يرقُبِ الرُّقَبَاءُ إلا في شَجٍ مِنْ حَوْلِهِ يَتَسَلَّلُوْنَ لِوَاذَا

(**رَقَبَ**): بمعنى حَرَسَ. و(**الرقباء**): جمع رقيب. بمعنى: **الحارس كناية عن** الأغيار المستحسنة بالبصائر/ [٧٥/ أ] والأبصار؛ **فإنّها تراقب أهل المحبّة الإلهيّة**

لتلهّي قلوبهم عن مشاهدة الحقّ تعالى. وقوله (إلا في شجٍ): أي محبّ أشجته المحبّة، أي: أحزنته وبرحت به. وأمّا الفاني المتحقّق بمعرفة نفسه وربّه الذي فات مقام المحبّة فلا رقيب له، قال عفيف الدين التلمسانيّ قُدِّس سرُّهُ.

ومهما يكن للصحو فيك بقيّة ... يجد نحوك اللاحي سبيلاً إلى الظلم

وقال الآخر:

لمّا نظر العُذال حالي بُهِتوا ... في الحال وقالوا لوم هذا عَنت

ما نفرض إلا أننا نعذله ... مَنْ يسمع من يعقل مَنْ يلتفت

٤٠- قَدْ كَانَ قبْلَ يُعَدُّ مِنْ قَتْلَى رَشَاً ... أَسَداً لآسَادِ الشَّرَى بَذَّاذَا

(قد كان): أي ذلك الشجيّ في البيت قبله. **(قبلَ)**: بالنصب على الظرفيّة مضافاً إلى الجملة بعده، بتقدير أنْ. وقوله **(يُعَدّ)**: بالبناء للمفعول وتشديد الدال المهملة. وقوله **(من قتلى)**: جمع قتيل بسبب المحبّة. و**(رشاً)**: هو الظبي إذا قوي، إشارة إلى المليح الجامع للمحاسن، كناية عن المحبوب الحقيقي. وقوله **(أسداً)**: خبر كان. **(لآساد)**: جمع أسد. **(الشرى)**: بالشين المعجمة طريق في جبل يسمّى سُلمى كثير الآساد، وجبل بتهامة كثير السباع. وقوله **(بَذّاذَا)**: نعت لأسد، وهو صيغة مبالغة من البذّ، وهو الغَلَبة. وسبب ذلك أنَ المُحبّ له بقيّة دعوى يحبُّ بها، فكلّما قُتل بأسياف المحبّة أخّرته تلك الدعوى.

٤١- أَمْسَى بِنَارِ جَوَىً حَشَتْ أَحْشَاءَهُ ... مِنْهَا يَرَى الإيْقَادَ لَا الإِنْقَاذَا

(أمسى): أي دخل في المساء، وهي ظلمة الأكوان. واسمها ضمير راجع إلى الشجيّ المتقدِّم ذكره[1]. **(بنار)**: أي محترقاً بنار. **(جَوَىً)**: أي شوق إلى حبيبه. ثمّ وصف تلك النار بقوله **(حَشَتْ)**: بمعنى مَلأتْ. **(والأحشاء)**: جمع حشا؛ وهو ما في البطن من قلب وكبد وغيرهما. وقوله **(منها)**: أي من تلك النار. **(يرى**

(١) انظر البيت ٣٩ من هذه القصيدة نفسها.

الإيقاد): أي الاشتعال. لا يرى (الإنقاذ): مصدر أنقذ من كذا: إذا خَلَّصه.

٤٢- حَيْرَانُ لَا تَلْقَاهُ[1] إلَّا قُلْتَ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ أَرَى بِهِ جَبَّاذَا

(الحَيْران): بالحاء المهملة مَن لا يستهدي لسبيله، وذلك من كثرة تراكم الظهورات الإلهيّة على قلبه في الأضداد والأمثال الكونيّة. وقوله (لا تلقاه): يا أيّها الناظر. (إلا قُلتَ من كلّ الجهات أرى به جَبَّاذا): يجبذه بمعنى يجذبه؛ وذلك لانكشاف المعنى الإلهيّ له من قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [٢/البقرة/ ١١٥] وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [٢٨/القصص/ ٨٨] حتى من نفسه يجذبه إليه، فهو مجذوب من كلّ جهة توجَّه عليها، وذلك سبب حيرته.

٤٣- حَرَّانُ مَحْنِيُّ الضُّلُوْعِ عَلَى أَسَىً غَلَبَ الإِسَى فَاسْتَنجذ استنجاذا[2]

(الحَرَّان): زائد الحرارة، يقال: أحرّ النهار: صار حاراً. وقوله (مَحْنِيّ): أي مِعوَج، من الانحناء لكثرة همه وحُزْنه. (والضلوع): جمع ضِلْع. (على أسىً): أي حزن زائد، فتنكيره للتعظيم. وقوله (غَلَبَ الإسى): بكسر الهمزة، جمع آسي بالمدّ، وهو الطبيب، فمعناه أنّ مرضه وداءه غلب الأطباء فعجزوا عنه. وقوله (فاستنجذ): بالجيم والذال المعجمة من النَّجذ، قال في القاموس: «النَّجْذُ: شِدَّة العضِّ بالنَّواجِذ؛ وهي أقصى الأضراس، وهي أربعة». والمعنى: إنّه من شدّة تألُّمه وتوجّعه مما هو فيه من المرض والداء العضال عضَّ على نواجذه عضّاً شديداً. وقوله (استنجاذا): مصدر مؤكّد للفعل.

٤٤- دَنِفٌ لِسِيْبِ حَشاً سَلِيْبُ حُشَاشَةٍ شَهِدَ السُّهَادُ بِشَفْعِهِ مُشَاذَا

(دَنِف): كَفَرِح؛ وهو المريض مرضاً مزمناً. و(اللسيب): اللديغ، بمعنى الملدوغ. و(السليب) بمعنى المسلوب. و(الحُشاشة): بضمّ الحاء المهملة، بقيّة الروح في

(١) في (ق): لا تلقاه.

(٢) الشطرة الثانية في (ق) كما يلي: "غلب الأُسا فاستيخذ استيخاذا"

المريض والجريح. و(شَهِدَ)/ [٧٥/ ب] من الشهادة. و(السُّهَاد): بالضمّ، السهر والأرق. و(الشفع) على وزن نفع، مصدر شفَعَه كَمَنَعَه، أي: صار ثانياً له، والضمير في شفعه راجع إلى هذا المُحبّ. (مِمْشَاذَا): مفعول المصدر، وهو بميم مكسورة بعدها ميم ساكنة؛ رجل كان من كبار الصالحين، قيل إنّه استمرَّ أربعين سنة لا ينام؛ فالمعنى أنّ طول سهده في الليل شهد عند الناس بأنّه صار ثانياً لهذا الرجل المشهور في كمال السهر في عبادة الله تعالى، وكثرة محبَّته.

٤٥ - سُقْمٌ أَلَمَّ بِهِ فَآلَمَ إِذْ رَأَى بِالجِسْمِ مِنْ إِغْدَادِهِ إِغْذَاذَا

(**سُقْمٌ**): بضمّ السين المهملة وسكون القاف، أي: مرض. (**ألـمّ**) بتشديد الميم، أي: نَزَلَ به. وقوله (**فآلَم**): بالمدّ؛ أوصل الألم، أي: الوجع إليه. و(**إذْ**): ظرفيّة. والضمير في به وفي رأى للدنِف في البيت قبله. وقوله (**بالجسم**): الجار والمجرور متعلّق برأى. وقوله (**من إغداده**): بدالين مهملتين بعد الغين المعجمة، والإغداد مصدر قولك: أغدَّ البعير إذا صار ذا غُدّة، وهو كناية عن ظهور نفسه له، وظهور صفاتها على جسمه من التكَبُّر والعُجْب ونحو ذلك. وقوله (**إغذاذا**): بالغين المعجمة والذالين المعجمتين، وهو مفعول رأى، مصدر قولك: أغذَّ الجرح إذا سال ما فيه، أو ورم. كناية عن رؤية ما تقتضيه صفات نفسه من الأحوال، فهو في مجاهدة شديدة مع نفسه، وهذه كُلُّها أوصاف الشجيّ الذى مضى الكلام عليه في قوله (**لم ترقب الرقباء إلا في شجٍ**) إلى آخره.

٤٦ - أَبْدَى حِدَادَ كَآبَةٍ لِعَزَاهُ إِذْ مَاتَ الصِّبَا فِي فَوْدِهِ جَذّاذَا

(**أبدى**): أي أظهر، والحداد: مصدر حَدّتِ المرأة تَحِدّ حَدّاً وحِداداً: تركت الزينة للعدَّة. وكان الحِداد في اصطلاح أهل الأندلس لبس البياض لا السواد، حتى قال شاعرهم ابن شاطر السرقسطي:

قد كنت لا أدري لأية علّة صار البياضُ لباسَ كلِّ مصاب

حتّى كساني الدهر سَحق مُلاءة ... بيضاً من شيبي لفقد شَبابي

فبذا تبيَّن لي إصابة من رأى ... لبس البياض على نَوَى الأحباب

ذكره ابن الصيرفي في كتاب المختار من شعر الأندلسيين العصريين، وقال: «هذه عادة أهل الأندلس». ولأبي الحسن علي بن عبد الغنيّ الحصري:

إذا كان البياضُ لباسَ حُزنٍ ... بأندلسٍ فذاك من الصواب

ألم ترني لبستُ بياضَ شيبي ... لأنّي قد حزنت على الشباب

انتهى. وهو كناية هنا عن بياض الشعر من الشيب. وقد أضاف الحِداد إلىّ الكآبة، وهي الغمّ وسوء الحال والانكسار من الحزن. كنّى بذلك عن ظهور نور الوجود له في مشاعره ومداركه. وقوله (لِعَزاه): أي لصبره. يعني: لتصبُّره وهو على علّة للبسه الحِداد، فإنّ في لبس الحداد بعض تصبّر لإظهار بعض ما عنده من الحزن؛ فتخفَّ مؤنة حزنه عليه. وقوله (إذْ): ظرفيّة. (مات الصِّبا): بكسر الصاد المهملة؛ وهو الصغر. (في فَوده): بفتح الفاء جانب الرأس ومعظم شعر الرأس مما يلي الأذن. وقوله (جَذَّاذَا): بالجيم من الجَذّ بمعنى القطع، أي: قطاعاً للذائذه وشهواته.

٤٧ - فَغَدَا وَقَدْ سُرَّ العِدَا بِشَبَابِه ... مُتَقَمِّصاً وَبِشَيْبِهِ مُشْتَاذَا

(غَدا): أي صار. (وقد سُرَّ): بالبناء للمفعول. و(العِدَا): نائب الفاعل. وقوله (بشبابه): أي بلباس شبابه. (مُتَقَمِّصاً): أي لابساً للشباب كالقميص. ولباس الشباب: القوّة. وسواد الشعر، أي: الشعور، فلا يرى إلا الأكوان في بعض الأحيان. (وبِشَيبِه): أي لباس شيبه/ [٧٦/ أ] وهو ضعف قوَّته، وبياض شعره بظهور نور الوجود في شعوره وإدراكه أحياناً. وقوله (مُشْتاذا): بضمّ الميم وبالشين المعجمة، اسم فاعل من اشتاذ، بمعنى تعمم، بالشين المعجمة. وسرور (العِدا): جمع عدوّ، وهي شياطين الوساوس النفسانيّة لتقلّبه بالتلوّن في مقام المحبّة الإلهيّة؛ لأنّ المحبّة حجاب عن المحبوب.

٤٨ - حَـزْنُ الـمَـضَاجِعِ لَا نَفَـادَ لِبَثِّـهِ   حُزْنَـاً بِـذَاكَ قَـضَى القَـضَاءُ نَفَـاذَا

(الحَزْن): بفتح الحاء المهملة، ما غلظ من الأرض. [والمضاجع][1] جمع مضجع، وهو موضع الاضطجاع، وَضَجَع كمَنَع، ضَجْعاً وَضُجوعاً وضع جنبه بالأرض كانْضَجَع واضْطَجَع، والمَضْجَع كمَقْعَد: موضعه، كذا في القاموس. كناية عن صلابة حاله على حجاب المحبّة، وقوّة الشوق النفسانيّ إلى الجناب الربّانيّ. وقوله (لا نَفَاد): بالدال المهملة، أي: لا فراغ (لِبَثِّهِ): أي إظهاره ونشره. والضمير لِحَزْن المضاجع، أي: بثّ المحبّ له. وقوله (حُزْناً): بضمِّ الحاء المهملة، وهو الهمّ، منصوب على أنّه تمييز لنسبة البث إليه. وقوله (بذاك): متعلّق بقضى. والقضاء فاعل قضى، أي: قضاء الله تعالى. و(نَفَاذا): بالذال المعجمة مصدر منصوب بفعل محذوف، تقديره ونَفَذ نَفاذا. والنفاذ: جواز الشيء، والخلوص منه.

٤٩ - أَبَـداً تَـسُحّ وَمـا تَـشِحُّ جُفُونُـهُ   لِـــجَفَا الأَحِبَّـــةِ وَابِـــلاً وَرَذَاذَا

(تسُحّ): بالسين المهملة، أي: تصبّ وتسيل. (وتشِحّ): بالشين المعجمة، مضارع شحّ بمعنى بخل. و(جفونه): فاعل الفعلين على التنازع، والضمير للمحبّ في الأبيات قبله. وقوله: (لجَفا): متعلّق بتسُحّ، بالمهملة. وقال في القاموس: «الجَفَاء: نقيض الصلة، ويقصر، جَفَاهُ جَفْواً وجَفاءً». و(الأحبّة): جمع حبيب. وقوله (وابلاً): مفعول تسُحّ بالمهملة، والوابل: المطر الكثير الشديد، و(الرذاذ): بالراء والذالين المعجمتين: المطر الضعيف، والساكن الدائم الصغار [القَطْر] كالغُبار، وهو بعد الطلّ[2]، كذا في القاموس. وجمع الأحبّة لكثرة ظهورات الأسماء الإلهيّة؛ فالظاهر الحقّ بكل اسم حبيب له، والجفاء الامتناع عن الإدراك.

---

(١) نقص من المخطوط.

(٢) في القاموس: أو هو بعد الطلّ.

٥٠- مَنَحَ السُّفُوْحَ سُفُوْحَ مَدْمَعِهِ   بَخِـلَ الغَـمَامُ بِـهِ وَجَـادَ وِجَـاذَا

(مَنَح): بمعنى أعطى، والاسم المِنْحَة بالكسر. (والسُّفُوح): بضمِّ السين المهملة جمع سَفْح، يقال: سَفْح الجبل: عَرْضُ الجبل المُضْطَجِع، أو أصله، أو أسفله، أو الحضيض. وسَفَحَ الدمعَ: أرسله سَفْحاً وسُفُوحاً انصبّ، كذا في القاموس. فسفوح الأوّل مفعول مَنَحَ الأول، وسفوح الثاني مفعوله الثاني. و(مَدْمَعِه): مضاف إليه، والضمير للمحبّ في الأبيات قبله. يعني: أعطى المحبّ سفوح الجبال، انصباب دمعه كناية عن كثرة سياحته بين الجبال، جبال مكّة في ابتداء سلوكه في طريق الله تعالى، وكثرة بكائه وحُزنه على فوات حظه من الحقّ تعالى. وقوله (بَخِل الغمام به): أي بمطلق السفوح وهو سفوح المطر. (وجاد): بالجيم والدال المهملة، من الجَوْد، بفتح الجيم؛ وهو المطر الغزير، أو لا مطر فوقه، كذا في القاموس. وهو معطوف على منح. يعني: وجاد، أي: سفوح مدمعه. (وِجاذا): بكسر الواو، وجمع وَجْذ بسكون الجيم وبالذال المعجمة؛ وهو النقرة في الجبل تُمْسِكُ الماء، كما في القاموس. يعني: ملاء نقرات الجبال أيضاً.

٥١- قَـالَ العَوَائِـدُ عِنْـدَمَا أَبْـصَرْنَهُ   إنْ كَـانَ مَـنْ قَتَـلَ الغَـرَامُ فَهَـذَا

(العَوائِد): جمع عائدة، مؤنّث عائد؛ وهو زائر المريض. (وأَبْصَرْنَهُ): بنون النسوة الراجعة إلى العوائد، أي: حين تحقّقنَ حاله. وقوله (إنْ كان..... إلى آخر): مقول القول. (والغرام): بالغين المعجمة، الولوع، والعذاب في المحبّة. وضمير أبصرنه للمحبّ؛ وهو المشار إليه بقوله فهذا. وقَتْل الغرام له أي: العشق الملازم لقلبه شوقاً إلى رؤية المحبوب الحقيقي فيتجلّى/ [٧٦/ ب] عليه الاسم الحيّ بالاسم المحيي؛ فينكشف له حقيقة الموت، فيقتله سيف الجمال الحقيقي المجرّد من غمد المعاني الإمكانيّة، والصور الكونيّة في اليد الممتدّة الإلهيّة، والله الأعلم والأحكم.

نَعَمْ بِالصَّبَا قَلْبِي صَبَا

[الطويل]

وقال رضي الله عنه من قافية التاء، وهي التائيّة الصغرى:

١ - نَعَمْ بِالصَّبَا قَلْبِي صَبَا لِأَحِبَّتِي   فَيَا حَبَّذَا ذَاكَ الشَّذَا حِيْنَ هَبَّتِ

(**نَعَمْ**): كلمة كَبَلَى، إلّا أنّها في جواب الواجب، كذا في القاموس. فكأنّه قيل له: أَصَبَا قلبك بالصَّبَا لأحبّتك؟. فقال في جوابه: (**نَعَمْ بالصَّبَا**): أي بسبب اتصالها بجسمي. والصَّبَا: ريح مَهَبُّها من مطلع الثريّا إلى بناة نعش. كنّى بالصَّبَا عن الروح الأمر الإلهيّ الذي يهبّ من مطلع ثريّا الأسماء الإلهيّة إلى بناة نعش الأسماء الإنسانيّة؛ فالأسماء الإلهيّة سبعة: الحيّ، العليم، المريد، القادر، السميع، البصير، المتكلِّم. والأسماء الإنسانيّة تضاهيها، سبعة أيضاً: الحيّ العليم المريد القادر السميع البصير المتكلّم. إلا أنّ الأسماء الإلهيّة هي المؤثرة الغنيّة عن الأكوان. كما أنّ الثريّا مُصَغَّر الثروى، قال في القاموس: «وامرأة ثَرْوَى: مُتَمَوِّلَة. والثُّرَيَّا تصغيرها، والنجم، لكثرة كواكبه مع ضيق المحلّ». والأسماء الإنسانيّة المُتأثِّرة بنات نعش؛ وهي سبعة كواكب أيضاً، والنَّعْش: سرير الميت، ولها الافتقار إلى تلك الغنيّة، كما لها الموت في مقابلة ما لتلك من الحياة. ونعشها الجسم المركّب من الطبائع والعناصر تركيب السرير؛ فالروح من أمر الله كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥] وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْۚ ﴾ [٦٥/ الطلاق/ ٥]. وقوله (صَبَا): أي حَنَّ ومال؛ فالقلب بسبب الروح المتصلة به حَنَّ إلى أحبَّته ومال إليهم؛ لأنّها روح محبوبه كما قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [٣٨/ ص/٧٢]؛ فالروح الإنسانيّة أوّل مخلوق شرفت بإضافتها إليه سبحانه، فمتى تجردت عن أغشية الطبائع، وأكنّة العناصر، وتخلّصت عن الخلود إلى أرض الأجسام صفت، فوصفت الحضرة الإلهيّة على التمام بما أودعه الحقّ

تعالى فيها من مضاهاة أسمائه وصفاته، فأحبّت واشتاقت إلى ذاتها الحقيقيّة، وتخلت عن ذاتها الوهميّة، فكانت محبّتها لنفسها، وزال البَين من البَين، وقرت العين بالعين، وارتفعت نقطة الغين، وظهر الواحد باختفاء الاثنين. ثمّ قال (**فيا حبّذا**): أي هو حبيب، فجعل حَبَّ وذا كشيء واحد، وهو اسم، وما بعده مرفوع به. (**ذاك**): اسم إشارة إلى البعيد؛ لِبُعْد الحضرة الإلهيّة عن مشابهة الأكوان. ثمّ قال (**الشذا**): بالشين المعجمة والذال المعجمة، وهو الرائحة. كناية عمّا تنقله الروح إلى الحقيقة الإنسانيّة عن الحقيقة الربّانيّة من الأخبار اللطيفة، والأسرار المنيفة، والعلوم اللَّدنيّة، والمعارف الرحمانيّة. وقوله (**حينَ هَبَّتِ**): بكسر التاء للقافية، وأصلها السكون؛ لتأنيث الفاعل وهو الصَّبَا المكنى بها عن الروح كما ذكرنا، فإنّها تهبُّ، أي: تنبعث عن أمر الله قبل كلّ شيء.

٢- سَرَتْ فَأَسَرَّتْ لِلْفُؤَادِ غُدَيَّةً أَحَادِيثَ جِيْرَانِ العُذَيْبِ فَسَرَّتِ

(**سَرَتْ**): فعل ماض من السُّرى كَهُدَى، وهو سيرعامّة الليل. والضمير للصَّبَا المكنّى بها عن الروح. يعني: انبعاثها الآن عن أمر الله تعالى في ليل الأكوان. وقوله (**فأسرّتْ**): ضدّ أعلنت. (**للفؤاد**): أي للقلب. وقوله (**غُدَيَّة**): بتشديد الياء التحتيّة، مصغّر غَداة، وفي القاموس: «الغُدْوَة بالضمّ البُكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغَدَاة». وهي ظرف لأسرّت؛ يعني: إسرارها لقلبي كان في حال انتشار نور فجر الأحديّة قبيل طلوع شمس الوجود الحقّ على صفحات الأعيان الكونيّة. وقوله (**أحاديث**): مفعول أسرَّتْ. و(**جِيران**): بكسر الجيم، جمع جار؛ وهو المجاوِر، أي: القريب كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [٥٠/ق/١٦] وجَمَعَ الجار باعتبار/ [٧٧/ أ] الظهور بالأسماء الحُسنى؛ بحيث لا يحصرها الإحصاء. و(**العُذَيْب**) كَزُبَيْر بصيغة التصغير، ماء معروف للعرب. كناية عن حضرة الإمداد الربّانيّ. وقوله (**فَسَرَّتِ**): بكسر التاء، وأصلها السكون. سُرَّ فعل ماض من السرور، أي: ألقتِ السرور في قلبي بما أسرّته إليّ من أخبار الأحبّة

الذين هم أقرب إليّ مِنّي، وهم حضرة الإمداد لي بكلّ ما أرادوا على كلّ حال.

٣- مُهَيْنِمَةً بِالرَّوْضِ لَدُنٌ رِدَاؤُهَا   بِهَا مَرَضٌ مِنْ شَأْنِهِ بُرْءُ عِلَّتِي

(**مُهَيْنِمَةً**) اسم فاعل من الهينمة، وهي الصوت الخفيّ. و(**الروض**) جمع روضة. والروضة من الرمل والعشب: مستنقع الماء؛ لاستراضة الماء فيها. فالمهينمة وصف للصَّبا المكنّى بها عن الروح. والروضة الذي تهينم فيه هوعالم الأجسام والهياكل العنصريّة، فتدرك هينمتها النفوس، وهو الكلام النفسانيّ الخفي؛ لأنّه ليس بصوت، ويُسمع بالسمع النفسانيّ. وقوله (**لَدُنٌ**): اللدن باللام والدال المهملة والنون: الليّن من كلّ شيء. (**رداءها**): أي ثوبها الذي هي ملفوفة به، وهو النفس؛ فإنّ النفس غشاء يشمل الروح، بحيث يسترها. وهذا الغشاء اعتراها من طبيعة الجسم. والنفس هي التي يدركها الموت كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [٣/آل عمران/ ١٨٥] والروح لا تموت أبداً، لأنّها من أمر الله تعالى، وأمر الله تعالى قديم؛ فالصادر عنه بلا واسطة سبب باق إلى الأبد. وقوله (**بها مرض**): أي ضعف وهو عجزها الحقيقي الذي هي متحقّقة به لظهور الأمر الإلهي الذي هي ظاهرة عنه بلا واسطة سبب لديها، وهذا المرض الذي بها هو عين صحَّتها؛ إذ لا التباس للأمر الإلهي، فهي قائمة بأمر الله تعالى، ضعيفة جداً من قبل نفسها؛ بل هي إمكان محض وتقدير صرف، فقوّتها قوة الأمر الإلهيّ، ووجودها وجوده، ولا وجود لها من نفسها عنده أصلاً. ثمّ قال (**من شأنه**): أي شأن ذلك المرض إذا تحقّقتُ به، وكشفتُ عنه، واستعملتُه بأنْ تحقّقتُ به في نفسي، فمرضت مثلها في ذلك المرض الذي هو لها. ثمّ قال (**بُرْء**): أي شفاء. (**عِلَّتي**): بكسر العين المهملة، أي: مرضي الذي أنا مريض به، وهو مرض الدعاوي النفسانيّة، والأغراض الشهوانيّة؛ فإنّ السالك مريض بالجهل والغفلة، فإذا عرف نفسه عرف روحه، وإذا عرف روحه صحّ من مرضه ذلك، وكان في مرض هو صحة وشفاء، وهو المرض المُلازم، وهو داء الكون الذي أشرنا إليه في بيت من قصيدة لنا بقوله:

داءُ كَوْني من عِلّتي ليس يبرى والشفاءُ الشفاءُ مَحْضُ الوجودِ

٤- لَها بِأُعَيْشَابِ الحِجَازِ[1] تَحَرُّشٌ بِهِ لَا بِخَمْرٍ دُوْنَ صَحْبِيَ سَكْرَتي

(لها): أي لتلك الصَّبا المكنى بها عن الروح الأمري. **(بِأُعَيْشاب)**: تصغير أعشاب، صُغِّر للتعظيم، جمع عشب، وهو الكلأ الرطب. كناية عن العلوم النبويّة المحمّديّة المضافة إلى الحجاز، وهي بلاد معروفة؛ سُمِّيَتْ بذلك لأنّها حَجَزَتْ بين نجد والغور. وفي القاموس: «الحجاز: مكّة والمدينة والطائف ومخالفيها، لأنّها حجزت بين نجد وتهامة، أو بين نجد والسُّراة؛ أو لأنّها حُجِزَت بالحرار الخمس: حَرَّة بني سُليم، وواقم، وليلى، وشَوْرَان[2]، والنّار. وفي نسخة **بأُعَيْشاب الغوير**، تصغير الغور ، قال في القاموس: «الغَوْر ما بين ذات عِرقٍ إلى البحر، وكلُّ ما انحدر مغَرِّباً عن تهامة، فهو من جملة الحجاز». والكناية فيه عمَّن ظهر في تلك البلاد ونشأ فيها، وهو نبيُّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وقوله **(تَحَرُّش)**: هو المبتدأ، والخبر قوله لها، وقُدّم لإفادة الحصر، أي: لا تَحَرُّش لها إلا بذلك. والتَحَرُّش: الإغراء بين القوم. فمعنى التحرّش بالأُعيشاب: الدخول بينها ليُحَرِّك بعضها بعضاً، فكأن هذه الصَّبا ـ المكنّى بها عن الروح الأمري ـ تدخل بين الحقائق والمقامات المحمّديّة والعلوم/ [٧٧/ ب] والمعارف النبويّة فيحَرّك بعضها بعضاً فتظهر في قلوب الورثة المحمّديين، وعلى ألسنتهم، وتمر على خواطر الأولياء الكاملين. ثمّ قال **(به)**: أي بذلك التحرّش الذي يثير تلك العلوم والإلهامات الفائضة من الحقيقية المحمّديّة

---

(١) في (ق): الغوير.

(٢) في المخطوط شَرْوَان وهي من مدن أرمينيا، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، باب: الهمزة والراء ج١ص١٦٠. ولعلّ الصواب شَوْرَان ما قاله ياقوت الحموي: حرّة شوران بفتح الشين المعجمة وسكون الواو وراء وألف ونون، قال: عرام وعير جبلان أحمران من عن يمينك وأنت ببطن العقيق تريد مكّة وعن يسارك شوران؛ وهو جبل مطلّ على السد». انظر معجم البلدان، باب الحاء والراء، ج٢ص٢٤٧.

على قلوب الورثة الكاملين، وقوله (**لا بخمرٍ**): أي بشراب يخامر العقل، أي: يستره غير ذلك التحرّش المذكور. ثمّ قال (**دون صَحبي**): أي لصحابي ورفقتي في طريق الله تعالى؛ لأنّهم بعد لم يدركوا ما أدركتُ. وقوله (**سَكْرَتي**) هو المبتدأ، وخبره قوله به، أي: لا بغيره كما هو قاعدة تقديم الخبر.

٥- تُـذَكِّرُنِي العَهْـدَ القَـدِيمَ لِأَنَّـهَـا حَدِيْثَـةُ عَهْـدٍ مِـنْ أُهَيْـلَ مَـوَدَّتِي

(**تُذَكِّرُنِي**): بتشديد الكاف، أي: ترسم ذلك في القوّة الحافظة بعد النسيان، والعهد القديم هو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [٧/ الأعراف/ ١٧٢] وفي حديث الترمذيّ عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنّه سُئِل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سُئِل عنها فقال: «إنّ الله خلق آدم ثمّ مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريّة...»(١). الحديث. وفي رواية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لمّا خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كلّ نسمة هو خالقها من ذريّته...»(٢). الحديث. فإنّ من جملة ما تنتجه معرفة الروح الإنساني تذكُّر العهد الربّانيّ، والاطّلاع على ما هنالك من السرّ الروحانيّ. ثمّ قال (**لأنّها**): أي الصَّبَا المذكورة. (**حديثة عهد**): أي عهدها جديد. يعني: هي متجدِّدة، حادثة، مخلوقة، قريبة العهد. (**من أُهيل**): تصغير أهل مودّتي، وهم حضرات الأسماء الإلهيّة الحُسنى المتوجِّهة على إيجاده، وتدبيره على مقتضاها؛ وذلك لأنّها إنّما سُمِّيتْ رُوحاً

---

(١) أخرجه الترمذيّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف، ٣٣٥٥، بلفظ: «إنّ الله خلق آدم ثمّ مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرّية فقال: خلقت هؤلاء للجنّة، وبعمل أهل الجنّة يعملون. ثمّ مسح ظهره فاستخرج منه ذرّيّة فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون...» الحديث.

(٢) أخرجه الحاكم بهذا اللفظ، في المستدرك، كتاب التفسير، باب ذكر نبيّ الله داوود عليه السلام، ٤١٣٢.

من سُرعة رَواحها، وذَهابها، وتجدُّدها مع الأنفاس، وانكشاف هذه الحال منها لها؛ فإنّها قائمة بأمر الله تعالى. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] فالروح كلمح بالبصر؛ وهذا معنى قرب العهد من الحقّ تعالى الذي من أسمائه الودود، أي: الكثير التوَدُّد إلى عباده، وإنْ لم يشعر بذلك الغافلون، فهو أهل المَودّة.

٦- أَيَا زَاجِراً حُمْرَ الأَوَارِكَ تَارِكَ الـ مَـوَارِكِ مِـنْ أَكْوَارِهَـا كَالأَرِيْكَـةِ

(الزجر): سَوْق الإبل، والزاجر السائق لها. كناية عن القائم على كلّ نفس بما كسبت، وهو الحقّ تعالى من تجلّي اسمه القيّوم. (والأوارك): جمع أَرِكَة، وهي الإبل التي أقامت في الأراك ـ وهي شجرة من الحَمْض يُستاك به ـ رعته الإبل، أو لزمته، وأقامت فيه تأكله. و(الحُمْر): جمع أحمر، وصف للأوارِك، أُضيف إليه الأوراك. والأصل الإبل الأوارك الحُمْر. كناية عن النفوس البشريّة التي تتزيَّن لها شهوات الدنيا، فتلازمها، وتقيم فيها. واحمرارها باعتبار قوّة شهوتها. وزجرها كناية عن تكليفها بالأوامر والنواهي. وقوله (تارك): أي جاعل. (الموارك): جمع موركة، وموركة الرحل أي: رحل الإبل، الموضع الذي يجعل عليها الراكب رجله إذا ملّ من الركوب. (من أكوارها): أي أكوار الإبل، جمع كُور، بالضمّ، وهو الرحل بأداته. وقوله (كالأَرِيكَة): كسَفِيْنَة: سَرير في حَجَلَةٍ، أو كُلُّ ما يُتّكأ عليه من سرير، ومِنَصَّة، وفِراش، أو سرير مُتخذ، مُزيَّن في قُبَّةٍ أو بيت، وجمعه أرائك، كذا في القاموس. كناية عن كمال استيلاء الحقيقة الإلهيّة على النفوس البشريّة كما ورد: «ما وسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1] فإذا استولى على القلب الذي وسعه حيث آمن بتنزيهه عن مشابهة كلّ شيء فقد استولى على جميع جسده ظاهراً وباطناً/ [٧٨/ أ].

---

(١) انظر تخريجه [ص٤٩/ ب].

٧- لَكَ الخَيْرُ إنْ أَوْضَحْتَ تُوضِحَ مُضْحِياً وَجُبْتَ فَيَافِي خَبْتِ آرامٍ وَجْرَةِ

(لك الخير): أي أنت مختصٌّ بك الخير كما قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [٣/آل عمران/ ٢٦]. وفي الأثر: «والشرّ ليس إليك»[1]. ويقال: أوضح زيد المكان إذا أشرف على مكان فنظره منه، والحقّ تعالى مشرف من الأزل باسمه البصير السميع على جميع معلوماته المترتِّبة أزلاً، باسمه المقسط الجامع. و(تُوضِح): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وكسر الضاد المعجمة: اسم موضع. كناية عن حضرة العلم القديم التي توَضِّح للعالم المتَّصف بها أزلا ـ وهو الحقّ تعالى ـ كلَّ ما تعلّقت به من الواجبات العقليّة والممكنات والمستحيلات، وهو مقرر في محَلِّه كما يُفهم ذلك من إشارة كلام الشاعر، وهو امرؤ القيس، وإنْ لم يكن بصدده فإنّه من نطْق الوجود على لسان غير أولي الشهود:

قِفا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوضِحَ فالمُقْراةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها لما نسجته من جنوب وشمألِ

فذكرى الحبيب والمنزل تذكُّر الحقّ تعالى، وتذكُّر منزل الكائنات في حضرة علمه أزلاً، أمَرَ الشاعر بالوقوف على ذلك، والبكاء خشية منه، أو فرحاً بلقائه. وسِقْط اللِّوَى: ما سقط من العلم إلى الكون؛ وذلك بين الدَّخول في الحضرة الذاتيّة وحَومَل ما خرج عنها من العدم؛ فتوضح هي الحضرة العلميّة الأزليّة كما ذكرنا. فَالمُقْراة هي الكتابة في اللوح المحفوظ. وقوله لم يعفُ، أي: لم يندرس. رَسْمُها، أي: ما رسمته من الصور الحسيّة والعقليّة. من جنوب: فريق السعير، وشمأل: فريق الجنّة. وقوله (مُضْحِياً): حال من التاء في أَوضَحْتَ، وهو اسم فاعل من أضحى زيد: دخل في الضُّحَى. كناية عن كمال طلوع شمس الأحديّة على جدران الأعيان الكونيّة. وقوله (وَجُبْتَ): فعل ماض، من جاب الأرض:

---

(١) قطعة من حديث طويل في أذكار الصلاة، أخرجه أحمد في المسند، مسند عليّ بن أبي طالب، ٨١٤.

قَطَعَها، وهو تكرار الظهور بالتجلّي المتنوّع باعتبار كثرة الأسماء الإلهيّة. (**فيافي**): جمع فَيْفَاة وفَيْفَاء، ويُقْصَر. وفَيْفُ: هو المكان المستوي، أو المَفازة لا ماء فيها، كما قال في القاموس. كناية عن استواء عوالم الإمكان بالنظر إلى تصرّف الأسماء الإلهيّة فيها، كما قال: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [٢/ البقرة/ ٢٥٥] وقال : ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [٤٦/ الأحقاف/ ٣٣] وقال: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٧]. وقوله (**خَبْتِ**): بالخاء المعجمة والباء الموحّدة والتاء المثنّاة الفوقيّة: المتسِع من بطون الأرض. كناية عن وسع الإمكان بحيث يشمل ما كان وما هو كائن، وما لا يكون مما لا يريده الحقّ تعالى. و(آرام): جمع ريم وهو الظبي [الأبيض] الخالص. كناية عن الممكنات التي يريدها الحقّ تعالى؛ فإنه ما أرادها إلا وهو يحبُّها، ولا يحبّها إلا وهي ذات ملاحة وحُسْن في نظره ـ سبحانه ـ تشبه الأرام في جمال العيون والأعناق. وأضاف الآرام إلى (**وَجْرَة**): بالواو والجيم والراء والتاء المثنّاة الفوقيَّة: اسم موضع، قال في القاموس: «وَجْرَة: موضع بين مكّة والبصرة أربعون ميلاً ما فيها منزل؛ فهي مرتع للوَحْش»؛ فآرامها كثيرة التوَحُّش من الغير، كما هي الأعيان، قبل ظهورها بالوجود، وهي في إمكانها الـمُتَّسع.

٨- وَنَكَّبْتَ عَنْ كُثْبِ العُرَيْضِ مُعَارِضاً   حُزُوْناً لِحُزْوَى سَائِقاً لِسُوَيْقَةِ

(**وَنَكَّبْتَ**) بتشديد الكاف قبلها نون، أي: عُدِّلتَ بفتح التاء، خطاباً للزاجر في الأبيات قبله، من التنكيب، قال في القاموس: «نَكَبَ وَتَنَكَّبَ تَنْكِيْباً: عدل». (**عَنْ كُثْبِ**): بضمّ الكاف وبالثاء المثلَّثة وسكونها تخفيفاً والباء الموحَّدة، جمع كَثِيْب؛ وهو التلّ من الرمل. (**والعُرَيْض**): بضمِّ العين المهملة وفتح الراء، مصغَّر، اسم وادٍ بالمدينة، فيه أموال لأهلها. ذكره في القاموس. فالكُثْب كناية عن الجبّارين المتكبِّرين الغافلين المعرضين/ [٧٨/ ب] عن الحقّ تعالى الذين هم في وادي الجهل والغرور بأموالهم وما يمسكون منه أنواع الزخارف؛ فإنّه تعالى عادل عنهم، ومعرض عن

الالتفات إليهم لفساد أحوالهم ـ بالنظر إليهم لا بالنظر إليه ـ في ملاحتهم الإمكانيّة كما قدّمناه. وقوله (**معارضاً**): حال من التاء في نُكِّبْت، وهو اسم فاعل من عارض الشيء إذا جانبه وعدل عنه. و(**حُزُوناً**): مفعوله؛ وهو جمع حَزْن، بالفتح، اسم لما غَلُظ من الأرض، كناية عن الكثائف الطباع، القباح الأفعال؛ فإنّه تعالى مجانب لهم، وعدل عنهم. وقوله (**لِحُزوى**): بضمّ الحاء المهملة، اسم موضع بالدّهناء، ذي تلال شامخات من الرمل، نسب الحُزُون إليه لكمال كثافته، كناية عن أصول أولئك الكثائف الطباع المذكورين. وقوله (**سائقاً**): اسم فاعل حال من بعد حال. و(**سُوَيْقَة**): بضمّ السين المهملة، قال في القاموس: «سُوَيْقَة كَجُهَيْنَة، جبل بين يَنْبع والمدينة، وموضع ببطن مكّة وبنواحي المدينة، يسكنه آلُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه. كناية عن سوق الحقّ تعالى السعداء من بني آدم إلى منتهى أحوالهم بالكشف من النور المحمّدي الذي هم متكوِّنون منه؛ فإنّه تعالى يسوقهم مقبلاً عليهم كما يسوق من تقدّم ذكرهم من الأشقياء معرضاً عنهم.

٩- وبايَنْتَ بَانَاتٍ كَذَا عَنْ طُوَيْلِعٍ لِسَلْعٍ فَسَلْ عَنْ حِلَّةٍ فِيْهِ حَلَّتِ

(**بايَنْتَ**): فارقْتَ من البَيْن، وهو الفُرْقَة. يعني: أوقَعْتَ الثنويّة بينك وبين (**بانات**): جمع بانة؛ وهي شجرة البان، كناية عن النشأة الإنسانيّة الفاضلة قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [٧١/ نوح/ ١٧] وذلك في وقت القيام بأحكام التكاليف الشرعيّة، فإنَّ الثَّنويّة من ضرورة ذلك؛ ليكون عبداً وعابداً، ومعبوداً وعُبادة. وقوله (**كذا**): كناية عن المجانب المتباعد. (**عن طُوَيْلِع**): بضمِّ الطاء المهملة، كَقُنَيْفِذ: اسم جبل. كناية عن الطاعات والعِبادات والأعمال الصالحة الرافعة لصاحبها. وقوله (**لِسَلْع**): وهو جبل بقرب المدينة. كناية عن الأحوال السَّنِيَّة، والمقامات المحمّديّة التي تُنْتِجُها تلك الأعمال الصالحة. وقوله (**فَسَلْ**): أمر من السؤال، وأي: تفقدْهُمْ وراءِهم. (**عَنْ حِلَّةٍ**): قال في القاموس: «الحِلَّة بالكسر القوم النُّزول. كناية عن أهل الله تعالى العارفين، النازلين بفناء أسمائه

الحُسنى. (وفيه): أي في سَلْع، أي: في المقامات المحمّديّة. (حلَّتِ): بكسر التاء للقافية المكسورة، وأصلها السكون لتأنيث الضمير الراجع إلى الحِلَّة قبله. ومعنى حلَّتْ: أقامت.

١٠ - وَعَـرِّجْ بِـذَيَّاكَ الفَرِيْـقِ مُبَلِّغـاً سَـلِمْتَ عُرَيْبـاً ثَـمَّ عَنِّـي تَحِيَّتِـي

(عَرِّجَ): بِتَشديد الراء تعريجاً: مَيَّل وأقام، وحَبَسَ المطيّة على المنزل. وهو فعل أمر معطوف على سَلْ في البيت قبله. و(ذيَّاك): تصغير ذاك، إشارة للبعيد لعلو المقام، وهم البانات أصحاب طُوَيْلِع الحِلّة المذكورة في البيت قبله. و(الفريق): كأمير، أكثر من الفرقة؛ وهي الطائفة من الناس، وهم فريق السعادة، فريق الجنّة، كما قال تعالى: ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٧]. وقوله (مُبَلِّغاً): حال من فاعل عرّج، من التبليغ؛ وهو الإيصال . (سَلِمْتَ): جملة دعائيّة معترضة بين العامل والمعمول. يعني: سَلِمْتَ من كلّ تشبيه ونقص يُخِلُّ بكمالك المطلق. وقوله (عُرَيْباً): مفعول أوّل. وهو تصغير عَرَب بَيِّنَ العُروبَة، وهو وضوح الحال، وصفاء المَبْدأ والمآل. كناية عن العارفين الكاملين، أهل الحقائق واليقين. وقوله (ثَمَّ): بفتح الثاء المثلّثة إشارة إلى المقامات المحمّديّة المشار إليها في البيت قبله. وقوله (عَنِّي): مُتَعَلّق بمبلغاً. و(تحيَّتي) مفعول ثان لمبلغاً.

١١ - فَلِي بَيْنَ هَاتِيْكَ الـخِيَامِ ضَنِيْنَةٌ عَـلَيَّ بِجَمْعِـي سَـمْحَةٌ بِتَـشَتُّتِي

[٧٩/ أ] (لي): خبر مُقدّم، والإشارة بـ(هاتيك الخيام): إلى المُكَنَّى عنهم بالعُرَيب من العارفين الكاملين في البيت قبله، باعتبار قيامهم بها من حيث أنّهم مظاهرها عنده. وقوله (ضَنينَة): بالضاد المعجمة، مبتدأ مؤخر، وهي البخيلة. (عليّ): بتشديد الياء التحتيّة. (بِجَمْعي): متعلّق بضَنينة، أي: اجتماعي بها، وهو مقام الجمع الذي لا يشهد صاحبه فيه غير الحقّ تعالى، ويفنى عن كلِّ ما سواه؛ وإنّما عبَّرعن الحقيقة بضنينة لكمال تنزُّهِها وامتناعها عن إدراك العقول وظهورها بحسب المظاهر، وهذه شكوى حاله رضي الله عنه في ابتداء سلوكه في طريق الله

تعالى أيام تَجَرُّدِه للعبادة والزهد والتقوى. وقوله (سَمْحَةٌ): صفة ضنينة، من سَمُحَ كَكَرُمَ سَماحاً وسَماحَة وسُمُوحاً: جَادَ وكَرُمَ، كذا في القاموس. وقوله (بِتَشَتُّتِي): أي تفرُّقي، وهو مقام الفرق الذي يشهد فيه صاحب الكثرة والتعدد في الخلق على الاستغلال؛ وإنّما كانت سمحة بذلك لِغَلَبَة شهود أعيان الكاملين على بصيرته من شيوخه وغيرهم.

١٢ - مُـحَجَّبَةٌ بَـيْنَ الأَسِـنَّةِ وَالظُّبَـا إِلَيْهَــا انْثَنَــتْ أَلْبَابُنَــا إِذْ تَثَنَّــتِ

(**مُحَجَّبَة**): المستورة، صفة لضنينة أيضاً في البيت قبله، وحجابها ظهورصور الكاملين عنها من تجلِّي الاسم المصوِّر. وقوله (**بين الأسنّة**): جمع سنان؛ وهو نصل الرمح. و(**الظُّبَا**): بضمّ الظاء المعجمة، جمع ظُبَة، كَثُبَة، وهي حَدُّ السيفِ. وكونها بين ذلك، أي: محميّة بالرماح والسيوف عمَّن يخبر عنها بأنّها مستورة خلف صُوَر هؤلاء الكاملين لقصور أفهام علماء الشريعة عن معرفة ذلك، فيفهمون من القائل به طولها، أو اتحادها، فيحكمون بكفر مَنْ يقول ذلك، ويغزّونه بالرِّماح وبالسيوف، وهذا سبب إيراد أهل العلوم الذوقيّة الكشفيّة معارفهم وحقائقهم بالكنايات الغزليّة وغيرها؛ لأنّهم لو صرحوا بذلك لما قدر أن يفهم مرادهم غيرُ أبناء طريقهم، ويقع الغافلون بالأفهام العقليّة في أديانهم وأعراضهم بغيرعلم. وقوله (**إليها انثنت**): أي مالت. (**ألبَابُنا**): أي عقولنا ميلَ تعشُّق روحانيّ في جمال حقيقي. وقوله (**إذْ تَثَنَّت**): أي تمايلت. وتثنِّيتها كناية عن توجهها بالإرادة الأزليّة على التكوين. وما أحسن قول الأرجاني[1] الشاعر في نحو هذا المعنى:

وقْفــاً لــصائِدَةِ القلــوبِ بــدَلِّها وخفــا جنايــة عينهــا الحَــوْراء

---

(١) أحمد بن محمّد بن الحسين القاضي أبو بكرا لأرّجاني الشاعر، الملقب ناصح الدين. كان قاضي مدينة تستر، وشاعر عصره، ولد ٤٦٠هـ ومات بتستر٥٤٤. انظر طبقات الشافعيّة الكبرى للسبكي، ج٦ص٢١.

وتحـــدُّثا سِرّاً فحَـــولَ خِبائهـــا سُـمْر الرمـاح يَمِلْـنَ للإصـغاء

[وله أيضاً]:

يـــا طـــارق الحـــيِّ إذا جِئْتَـــه فحـيِّ عنِّـي سـاكني ذي البِطـاح

وارمِ بطـــرفٍ مـــن بعيـــدٍ فمـــن دونِ صِفاحِ البيض بيضُ الصفاح

١٣- **مُنَّعَـةٌ خَلْـعُ العِـذَارِ نِقَابُهَـا مُـسَرْبَلَةٌ بُـرْدَيْنِ: قَلْبِـي وَمُهْجَتِـي**

(**مُمَنَّعَة**): بصيغة المفعول، أي: عن إدراك العقول. ثمّ قال (**خَلْعُ**): أي إزالة (**العِذار**): هو من اللجام ما سال على خدَّي الفرس. كناية عن التهَتُّك، وعدم المبالاة وما يتحفّظ الناس عنه. وقوله (**نِقَابُهَا**): أي حجاب وجهها عن الظهور؛ فإنّ كلّ متهتِّك لا يبالي بما يظهر منه من المباحات التي تحترز العقلاء منها؛ فيفعلها فلا يخطر لأحد من الناس أنّه وليٌّ، وأنّ الحقّ تعالى متصرفٌ به في ظاهره وباطنه، بحيث أنّه عند نفسه بلا نفس، فهو في ظلّ الإرادة الإلهيّة يظهرعنها كالظلّ عن الشاخص، معدوم، مرسوم عن موجود، معلوم بعلم هو من جملة تلك الرسوم. ثمّ قال (**مُسرْبلة**): اسم مفعول من سربلته: ألبسته السربال، بالسين المهملة، مكسورة، والراء والباء المَوَحَّدة؛ هو القميص، أو الدرع، أو كلّ ما لُبس. وقوله (**بُردَين**): تثنية بُرْد، بالضمّ، ثوب مخطط/ [٧٩/ ب] (**قلبي**): القلب هنا العقل، وهو القوّة الروحانيّة الربّانيّة المحمّديّة؛ لأنّها نور محمّد صلى الله عليه وسلّم الذي هو أوّل مخلوق خلقه الله تعالى قبل كلّ شيء. (**ومُهْجَتي**): المُهْجَة هي دم القلب الجسمانيّ. والمعنى: أنّ هذه الحقيقة لابسة صورة قلبه الروحانيّ، وهي صورة عقله النورانيّ. ولابسة أيضاً صورة قلبه الجسمانيّ. وهي المهجة من تجلِّي اسمه المصوِّر، كما قال تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [٦/ الأنعام/ ٩]؛ فإنّ الاسم الحقّ المصوِّر لابس دائماً للصور التي يصوِّرها على مَنْ يريد أنْ يُلبَس الأمرعليه. وإليه يشير عفيف الدين التلمسانيّ من قصيدة له بقوله:

شـــمسٌ ومطلعهـــا ذاتي ومغربُهـــا بين السوادينِ من قلبي ومـن بـصري

١٤- تُتِيحُ المَنَايَا إذْ تُبِيحُ لِـيَ الـمُنَى وَذَاكَ رَخِـــيْصٌ مُنْيَتِـــي بِمَنِيَّتِـــي

(تُتيحُ): بتائينِ مثنَّاتين فياء تحتيّة فحاء مهملة، [فعل] مضارع، قال في القاموس: «تَاحَ له الشيءُ يَتُوحُ: تهَيَّأَ». ومعناه: تُهَيِّءُ لي. (المنايا): جمع مَنِيَّة وهي الموت، وجَمَعَه لكثرة: الموتات. الموت الأبيض الفقر، والموت الأحمر مخالفة النفس، والموت الأسود تحمُّل أذى الخلق، ونحو ذلك. (إذْ تُبيح): فعل مضارع، من أباحه: جعله مباحاً. و(الـمُنى): جمع مُنْية، بضم الميم وسكون النون، وهي المطلوب. وجَمَعَها لكثرة مطالبه في حين سلوكه في طريق الله تعالى. ثمَّ قال (وذاك): إشارة إلى الأمر البعيد، وهو أمر واحد يجمع الأمور كلّها حقيقة جمع الحقائق بأسْرِها من تجلّي اسمه الجامع واسمه الكافي. ثمّ قال (رَخيص): من الرُّخص بالضمّ ضدّ الغلاء. ومعنى الرخص هنا: كونه مَبْذولاً، سهل الاضطلاع عليه إنْ أراد الحقّ تعالى كما ورد: «اللهمّ لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحَزْنَ إذا شئتَ سهلاً»[1]. وقوله (مُنْيَتي): أي ما أتمنّاه.

وأفرد المنية هنا لجمعها لجميع المُنى المتفرِّقات من قبيل إذا حصلتْ لك حصل لك كلّ شيء، وإذا فاتتك فاتك كلّ شيء. وقوله (بِمَنِيَّتي): أي بموتي. فأفرد الموت هنا، وهوموت التحقيق بحقائق العرفان، والاضطلاع على مراكز الاضطرار في حقيقة الإنسان؛ فإنّه يجمع الموتات كلّها، قال العارف الذي هو من هذا البحر الغارف:

كـــلُّ أوقـــاتي اضـــطرار إلى الله ومـــا لي وقـــتٌ بغـــير اضـــطرار

١٥- وَمَا غَـدَرَتْ فِي الحُـبِّ أَنْ هَـدَرَتْ بِـشَرْعِ الهَـوَى لَكِـنْ وَفَـتْ إِذْ تَوَفَّـت

(الغَدْر): بالغين المعجمة، خلاف الوفاء. وقوله (في الحُبّ): بالضمِّ، أي: المحبّة.

---

(١) أخرجه ابن حبّان في صحيحه، كتاب: الرقائق، باب: الأدعية، ٩٧٩.

(أنْ): بفتح الهمزة مصدريّة. و(هَدَرَتْ دَمي): أي أبطلت حكم المؤاخذة به فأباحت قتلي. (بشرع الهوى): أي بشريعة المحبّة؛ لأنّ المحبوب الحقيقيّ يأبى انفراده بالوجود، وتوحُّده بالأسماء والصفات أن يكون معه مُحِبُّه يضاهيه في ذاته، وأسمائه، وصفاته. ويزاحمه في جماله، وجلاله، وكماله؛ فيقتضي شرع المحبّة أن يقتل محبَّه ويفنيه، ويبقى هو على ما هو عليه أزلاً وأبداً. وقوله (لكن وَفَتْ): أي بما هو بمقتضى شرع المحبّة. (إذْ توفَّتِ): بكسر التاء للقافية، أي: توفَّتني. بمعنى: أماتتني؛ وذلك حين ظهورها بي عندي.

١٦- مَتَى أَوْعَدَتْ أَوْلَتْ وَإنْ وَعَدَتْ لَوَتْ[1]
وَإنْ أَقْسَمَتْ لَا تُبْرِئُ السُّقْمَ بَرَّتِ

(أَوْعَدَتْ): فعل ماض من الإيعاد وهو بالشرّ. وقوله (أولَتْ): فعل ماض بمعنى: اتبعتْ الإيعاد بما أوعدت به من الهجر والصدِّ والإعراض ونحو ذلك مما لا يلائم العاشق. وقوله (وَعَدَتْ): فعل ماض من الوعد بالخير. (لَوَتْ): بمعنى أمطلتْ وهذا شأن الحقّ تعالى بعباده المؤمنين الكاملين متى صدرت منهم هفوة في الدنيا عجَّل لهم العقوبة والمآخذة ليؤدِّبهم، فيحسن تأديبهم، فينَفِّذ وعيده فيهم في الحال. أو يعفو، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [٤٢/ الشورى/ ٣٠] وإنْ صدرت منهم أفعال [٨٠/ أ] حسنة مرضية، أخّر الجزاء عليها إلى الآخرة، فيبقى الوفاء بوعده إلى دار البقاء. وقوله (وإنْ أقسمتْ لا تُبْرِئ): فعل مضارع من أبرأه الله: شفاه. و(السُّقْم): بضمّ السين المهملة وسكون القاف، المرض، أي: مرض عباده المؤمنين؛ وهو من البلاء الحسن، قال تعالى: ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] وقوله (بَرَّتْ): فعل ماض من برَّ في يمينه، أي: صدق. ومعنى إقسامه: تأكيد ابتلائه

(١) الشطرة الأولى في (ق): «متى أوعدت ألوت وإن وعدت لوت».

لعباده، كما قال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ الآية [٤٧/ محمد/ ٣١].

١٧ - وَإِنْ عَرَضَتْ أُطْرِقْ حَيَاءً وَهَيْبَةً وَإِنْ أَعْرَضَتْ أُشْفِقْ فَلَمْ أَتَلَفَّتِ

(**عَرَضَتْ**): فعل ماض من العَرْض؛ وهو الظهور، يُقال: عرض له الشيء، أي: ظهر. يعني: إذا تجلّت له، وانكشفت. (**أُطرِق**): من الإطراق؛ وهو أنْ يُرخي عينيه، ينظر إلى الأرض. يعني: ينظر إلى ذلّه ومسكنته في كمال عزِّ الحقيقة، وتكبّرها، وجبروتها. وقوله (**حياء**): وهو انقباض النفس خوف القبائح. (**وهَيْبَة**): أي إجلالاً لها، واحتراماً لشأنها، وتعظيماً لها، فيذوب العبد حينئذٍ بين يدي ربّه، وتضمحلّ رسومه. وقوله (**وإنْ أعرضت**): من الإعراض خلاف الإقبال، أي: استترت واحتجبت، فأرتني صورتي وهيئتي؛ لأنّ بصري وبصيرتي بيدها تُقَلِّبُهما كيفما شاءت، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٨]. وقوله (**أشفق**): فعل مضارع، من أشفقَ من كذا: خاف منه. وقوله (**فلم أتلَفّت**): أي لا يميناً ولا يساراً من خوفي منها، وحذاري أنْ تكون قد مكرت بي بإعراضها عنّي قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾.

١٨ - وَلَو لَمْ يَزُرْنِي طَيْفُهَا نَحْوَ مَضْجَعِي قَضَيْتُ وَلَمْ أَسْطِعْ أَرَاهَا بِمُقْلَتِي

(**زار الطيف**): أتى في المنام، والطيف هو الخيال الطائف في المنام، والمراد خيال المحبوب، وهو على صورته، ومن لا صورة له؛ فكلّ صورة صورته لتجلّيه باسمه المصوِّر، وورد في الأثر: «الناس نيام»[1] وفي القرآن: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [٣٠/ الروم/ ٢٣] فكلّ صورة يراها السالك فهي طيف خيال محبوبه الحقّ تعالى من تجلي اسمه المصوِّر كما قال من قال: «ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه». مع قوله: «العجز عن درك الإدراك إدراك» وذلك لعلمه بعجزه الحقيقيّ، وعلمه بأنّ

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

الحياة في الدنيا منام؛ فكلّ صورة هي صورة الحقّ تعالى عنده من تجليه عليه باسم المصوِّر. وقوله (**نحو مَضْجَعي**): المَضْجَع كمَقعد، موضع الاضطجاع ؛ فزيارة الطيف حاصلة له في موضع اضطجاعه. والاضطجاع: وضع الجنب بالأرض، أي: لصوقه بها؛ لأنّه خُلق منها فعاد إليها، فلا يكشف له أنّ تلك الصورة التي زارته صورة محبوبه، إلا إذا رجع إلى أصله بلصوقه بالأرض تواضعاً وذلاً وانكساراً. يعني: لو لم يزرني في ذلك الطيف كما ذكرنا. (**قضيتُ**): أي مُتُّ، من قضى نحبه، أي: مات. وإذا متُّ (**فلم أسْطِع**): أي أقدر. وأصله أستطيع، مِن استطاع؛ فحذفت التاء استثقالاً.

(**أراها**): أي أرى تلك المحبوبة. (**بمُقلتي**): أي بعيني؛ لأنّ الميت جماد، لا يمكن أنْ يرى بنفسه؛ لأنّها هي التي تملك بصره فتريه ما شاءت، فإذا أفرزها عنه لا يراها. قال العارف ابن غانم المقدسيّ[1]:

ومخطوبـــة الحـــسن محجوبـــة	فـــلا يـــألفنّ الـــسوى إلفهـــا
إذا رام عاشـــــــقها نظـــــــرة	ولم يـــستطع إذ عـــلا وصـــفها
أعارتـــه طرْفـــاً رآهـــا بـــه	فكـــان البـــصير لهـــا طرْفُهـــا

١٩- تَخَيُّـلَ زُورٍ كَـانَ زَوْرُ خَيَالِـهَا ... لِمُـشْبِهِهِ عَـنْ غَـيْرِ رُؤْيَـا وَرُؤْيَـةِ

(**التخيّل**): التوهُّم. و (**الزُّور**): بضمِّ الزاي، الكذب. (**كان زَوْر**): بفتح الزاي. بمعنى: الزيارة مصدر/ [٨٠/ ب] زار. وقوله (**خيالها**): أي المحبوبة. يعني: إنّ الصورة أراها بها محض تزوير عليها؛ لأنّها لا تشبه شيئاً، ولا يشبهها شيء، كما قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [٤٢/ الشورى/ ١١] ولكن هذا مقدار ما يمكن أنْ يراها به الممكن المخلوق. ثمّ قال: (**لِمُشْبِهِهِ**): أي لمشبه ذلك الخيال، فإنّه صورة

(١) علي بن محمّد بن علي، من ولد سعد بن عبادة الخزرجي، أحد أكابر الحنفيّة في عصره. أصله من بيت المقدس. ومولده ومنشأه ووفاته بالقاهرة ٩٢٠- ١٠٠٤هـ. انظر الأعلام للزركلي ج٥ ص١٢.

خياليّة أيضاً مثل صورة الخيال، قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [٦٧/الملك/٣] أي: كلُّه سواء في التخليق، وكلّه ممكن حادث. وقوله **(عن غير رؤيا)**: أي صدر ذلك التخيّل عن غير رؤيا مناميّة؛ لأنّي متحقّق بذلك يقيناً. وقولِه (ورؤيةٍ): أي عن غير رؤية في اليقظة؛ بل كان ذلك في عالم الانسلاخ عن النوم واليقظة في حالة ذوقيّة يعرفها العارف، لا تُنال بالعقل.

٢٠- بِفَرْطِ غَرَامِي ذِكْرَ قَيْسٍ بِوَجْدِهِ وَبَهْجَتِهَا لُبْنَى أَمَتُّ وَأَمَّتِ

(بِفَرْطِ): الباء للسببيّة، والفرط :الزيادة، أي: بزيادة. **(غرامي)**: أي شوقي الملازم لي. **(ذكْر)**: مفعول مقدّم لأَمَتُّ. و**(قيس)**: هو قيس بن الملَوَّح العامريّ المشهور بمجنون بني عامر. وقوله **(بوجده)**: متعلِّق بذكر. وقوله **(وبهجتِها)**: بالجر معطوف على فرط غرامي؛ أي: وببهجتها، والبهجة: الحُسْن والجمال، والضمير للمحبوبة. وقوله **(لُبنى)**: اسم محبوبة من محبوبات العرب. وقوله **(أَمَتُّ)**: بتشديد التاء مضمومة، من الإماتة. يعني: أنا أَمَتُّ ذكر قيس بني عامر بوجده، فما بقي حيّاً ذكره بوجده، وهذه الإماتة بسبب زيادة غرامي، وكذلك هذه المحبوبة الحقيقيّة بسبب بهجتها وجمالها وحُسنها. **(أَمَّتِ)**: بتشديد الميم، أي: صارت إماماً لِلُبْنى المحبوبة المشهورة عند العرب؛ فلُبنى مقتدية بها في البهجة والحُسن؛ لأنّها أثر من آثارها تابعة لها على كلِّ حال.

٢١- فَلَمْ أَرَ مِثْلِي عَاشِقاً ذَا صَبَابَةٍ وَلَا مِثْلَهَا مَعْشُوْقَةً ذَاتَ بَهْجَةِ

(مثلي): أي مماثلاً لي. **(عاشقاً)**: اسم فاعل من العشق، وهو زيادة المحبّة. و**(الصَّبَابَة)**: الشوق الشديد. يعني: أنا لم أَرَ مثل نفسي عاشقاً صاحب صبابة لهذه المحبوبة الحقيقيّة؛ لأنّ عشقي حقيقيّ لا مجازي، وعشق العشّاق كلّهم عشق مجازيّ يعدلون به عن المحبوبة الحقيقيّة إلى المحبوبة المجازيّة، فيعشقون الصور، ويتركون المصوِّر، ولا ظهور للصوَر إلا بالمصوِّر، ولا ظهور للمصوِّر إلا بالصور؛

لإطلاقه وكمال تنزّهه عن القيود والحدود في الحسّ والعقل. وقوله **(ولا مثلها)**: معطوف على مثلي، أي: ولم أرَمثلها. و**(معشوقة)**: حال من الضمير. يعني: من حيث أنّ كلّ عاشق لشيء في الوجود عاشق لها؛ إذْ هي المصوِّرة لذلك الشيء، وموجدة له؛ فعشق العشّاق كلّه لها، منها، علموا أو لم يعلموا. وكذلك قوله **(ذات بهجة)**: أي حُسن؛ فإنّ الحُسن كلّه لها؛ إذْ هي الظاهرة بالجمال الحقيقيّ المتفرق ظهوره بالتصاوير على أعيان التقادير في الحسن والعقل، من قوله عليه السلام: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال»[1] فكلُّ الجمال منه له، وكل المحبّة منه له ، ولم يرَ أحد مثل ذلك أصلاً .

٢٢- هِيَ البَدْرُ أَوْصَافاً وَذَاتِي سَمَاؤُهَا ... سَمَتْ بِي إِلَيْهَا هِمَّتِي حِيْنَ هَمَّتِ

(هي البدر): أي التام في الظهور بالنور. وقوله **(أوصافاً)**: تمييز لنسبة كونها بدراً. وللبدر أوصاف كثيرة منها: عُلوُّه، وارتفاعه. ومنها: كمال نورانيّته. ومنها: أنّه لا يُنال لأحد من أهل الأرض. ومنها: أنّه لا يضام أحد في رؤيته؛ فلا يحتجب أحد برؤية غيره له كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّكم سترون يتجلّى كما ترون البدر، هل تضامون في رؤيته»[2] الحديث. وفي رواية: «كما ترون الشمس»[2]. ولنا في هذا المعنى من مطلع قصيدة/ [٨١/ أ]:

يا طَلْعَة الشمس أو يا طَلْعَة القَمَر ... تختال في حُلَل الأشباح والصُّوَر

وليس في الحديث، ولا في نظمنا تشبيه له بالشمس، ولا بالقمر؛ لأنّه ليس كمثله شيء، وإنّما شبّه في الحديث رؤية برؤيته. وفي نظمنا تشبيه طلعة **[بطلعة]** أي: ظهور بظهور. وقوله **(وذاتي سماؤها)**: من قوله عليه السلام: «ووسعني قلب عبدي المؤمن»[3] وهو وسع معرفة لا وسع إحاطة. وقوله **(سَمَتْ)**: أي ارتفعت.

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٧.

(٢) انظر تخريجه ص٢٧٠.

(٣) انظر تخريجه ص٣٢٩.

(إليها): أي إلى تلك المحبوبة الحقيقيّة. (همّتي): أي باعث قلبي حين انبعث إلى كلّ شيء؛ لأنّها ظاهرة لي بإظهارها لكلّ شيء. وقوله (حين همّتِ): فعل ماض من الهمّ بالشيء؛ وهو العزم عليه، أي: في كلّ حين من الأحيان إذا همت همّتي فإنّما تسمو إليها لا إلى شيء سواها؛ إذ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [٢٨/ القصص/ ٨٨].

٢٣- مَنَازِلُهَا مِنِّي الذِّرَاعُ تَوَسُّداً   وَقَلْبِي وَطَرْفِي أَوْطَنَتْ أَوْ تَجَلَّتِ

(منازلها): جمع منزل، وهو الأمر الاعتباري الذي تنزل فيه، فيصير منزلاً بنزولها فيه، وقبل نزولها ليس هو بمنزل؛ بل هو أمر عدمي مقدّر بتقديرها أزلاً، ثابتاً بعلمها من غير وجود له؛ وإنّما له ثبوت لا نفي، وعدد المنازل. ولم يقل منزلها بالإفراد ليناسب أفراد الذراع؛ لأنّه أراد كثرة تجلّياتها في اتحاد إقباله عليها في مرتبة الذراع المشار إليها بقوله في الحديث القدسي: «مَنْ تقرَّب إليَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً»(١)؛ فالذراع موعد تقرُّب الربّ من عبده المتقرِّب إليه بالشبر الذي هو ثلث الذراع، وهو النفس. والثلث الثاني الروح. والثالث الجسم. فقرّب الذراع منه تعالى؛ ولكنّه قال منّي: إشارة إلى أنّ التقرّب واحد منهما، ولا بدّ أنْ يكون تقرّب العبد إلى الرّبّ بالربِّ لا بالنفس، فإذا كان بالربّ فهو من الربّ حقيقة، وإنْ كان من العبد صورة، وهو معنى قول الشيخ الأكبر رضي الله عنه: «قُمْ به عليه لا بك عليه»؛ ولهذا قال في الحديث بعد ذلك: «ومن تقرّب إليّ ذراعاً تقرَّبْتُ منه باعاً»(١) فجعل قرب الذراع من العبد أيضاً. ثمّ قال (تَوَسُّداً): وهو تمييز لكون منازلها منه الذراع. والتوسّد: الاتّكاء على الوسادة وهي المخدّة. كناية عن الجسم المركّب

(١) قطعة من حديث، أخرجه البيهقيّ في شعب الإيمان، فصل: الثاني عشر من شعب الإيمان، ١٠٤٣، بلفظ: «عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ يعني: بقول الله عزّ وجلّ: من عمل حسنة فجزاؤه عشر أمثالها، أو أزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها، أو غفر له، ومن تقرّب إليّ شبراً تقرّبت منه ذراعاً. ومن تقرّب ذراعاً تقرّبت من باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطايا لم يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة».

الكثيف تتوسده الروح فتتوكّأ عليه، فمنازلها في حالة التوسّد المذكورة مرتّبة الذراع من الربّ تعالى، أو منه. ثمّ قال (**وقلبي وطرفي**): أي منازلها **أيضاً قلبي** من قوله في الحديث القدسي: «ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1]. (**وطرْفي**): أي عيني من قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [١٠/ يونس/ ١٠١] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٦/ الأنعام/ ٣] وهذه الظرفيّة ظرفيّة معلوم في علم، وعلم في عالمٍ؛ فإنّ علم العالم مظروف في العالم ظرفيّة معنويّة، كما أن في السموات والأرض، وما فيهما كان في علم الله ليس كينونة شيء في شيء؛ بل كينونة معلوم في علم، مثل كينونة علم في عالم. ثمّ لمّا ظهرت السموات والأرض من علم الله بتوجيه وجوده تعالى عليهما فتكونا بالكلمة الوجوديّة التي هي قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [٣/ آلعمران/ ٤٧] أي: أوجد فيوجد، ظهر الوجود الواحد الحقّ متوجِّهاً على ما في علمه، منسوباً إليه وجوده تعالى. ولمّا ظهرمن كلّ شيء ولا شيء؛ إذْ كلّ شيء هالك إلا وجهه ظهر أنّه تعالى في كلِّ شيء قلب، كون كلّ شيء فيه سبحانه، ولا تغيير حصل فيه تعالى عمّا كان عليه أزلاً، ولا تغيير أيضاً حصل في كلّ شيء عن حالته، وهو في علمه تعالى؛ ولكنه يقلِّب القلوب والأبصار فيحكم بالإيجاد، ويحكم بالإعدام، والله يحكم، لا معقِّب لحكمه. ثمّ بين منازل القلب ومنازل الطرف بقوله (**أَوطَنَتْ**): بالطاء المهملة، أي: أقامت في الوطن، وهو منزل الإقامة، وهو راجع إلى القلب. يعني: لا تنفك عن القلب وإنْ اختلفت تجلِّياتها/ [٨١/ ب] عليه فتنقلب بتقلّب التجلِّيات؛ لأنّه كلّ يوم هو شأن فتتعدّد منازلها منه. وقوله (**أو تجلَّتِ**): أي انكشفت، وهو راجع إلى الطرف، فتنكشف للطرف بتجلّيات مختلفة، فتتعدَّد منازلها منه أيضاً كذلك، ويصحُّ أن يكون تعددت منازلها بتعدد الذراع والقلب والطرف؛ فكلّ واحد منزل لها.

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٩ .

٢٤- فَمَا الوَدْقُ إلّا مِنْ تَحَلُّبِ مَدْمَعِي وَمَا البَرْقُ إلّا مِنْ تَلَهُّبِ زَفْرَتي

(**الوَدْق**): المطر. و(**التَّحَلُّب**): بالحاء المهملة مصدر تَحَلَّبَ المطر، أي: سال. و(**المَدْمَع**): بإسكان الدال المهملة، مصدر ميمي. بمعنى: الدمع. وقوله (**وما البرق إلا من تلهُّب**): أي اشتعال واضطراب. (**زفرتي**): اسم مصدر من الزفير، وهو الشهيق، وقيل الزفير إدخال النفَس، والشهيق إخراجه. وهذه شكاية حاله في مقام المحبّة الإلهيّة بعد ذكر ما هو فيه من القرب الربّانيّ؛ فإنّه من جهة أنّ الحقّ تعالى يحبّه ينعم عليه بالتجلّيات والمعارف والحقائق. ومن جهة أنّه يحبّ الحقّ تعالى، يبتليه الحقّ تعالى بالبكاء والنحيب والشهيق واللهيب.

٢٥- وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّعَشّقَ مِنْحَةً لِقَلْبِي فَمَا إنْ كَانَ إلّا لِمِحْنَتِي

(**أرى**): بفتح الهمزة، أي: أعلم، وهي الرؤية بالقلب. (**أن التعشُّق**): أي تكلُّف العشق (**مِنْحَة**): بكسر الميم، أي: عطيّة، وهبة من هبات الله تعالى لقلبي. وقوله (**فما إنْ كان**): بكسر الهمزة، زائدة لتأكيد النفي المفهوم من ما. و قوله (**إلا لـمِحْنتي**): المحنة بكسر الميم: البليَّة كقول الشاعر:

العِشق أوّل ما يكون لحاجة تأتي بها وتسوقها الأقدار

حتّى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار

فإنّ (**التعشّق**): يقتضي حصول المحبّة الإلهيّة في القلب، وهي قربة وطاعة من أفضل القربات وأشرف الطاعات. ومن هنا يرى العبد السالك أنّ ذلك منحة له، وعطيّة وهبة من الله تعالى؛ وإنّما ذلك وأمثاله من القربات والطاعات بلاء من الله تعالى، ومحنة للعبد. كما أنّ الذنوب والمخالفات بلاء من الله تعالى ومحنة للعبد أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٧/ الأعراف/ ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [٢١/ الأنبياء/ ٣٥] فالحسنات والخير بلاء ومحنة، وهو البلاء الحسن الذي قال تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً

حَسَنًا﴾ [٨/ الأنفال/ ١٧] وهو بلاء الأنبياء والأولياء والصالحين، كما جاء في الحديث: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل»[1]. ويلتحق بذلك البلاء المشترك بأحوال الدنيا والسيئات. والشرّ بلاء ومحنة أيضاً، وهم لبقية الناس؛ فبنو آدم كلّهم مبتلَوْن في جميع أحوالهم: الدينيّة والدنيويّة إنْ علموا وإنْ لم يعلموا.

٢٦- مُنَعَّمَةً أَحْشَايَ كَانَتْ قُبَيْلَ مَا دَعَتْهَا لِتَشْقَى بِالْغَرَامِ فَلَبَّتِ

(**مُنَعَّمَةً**): بالنصب خبر مقدّم لكانت. و(**أحشايَ**): اسمها، أي: كانت أحشايَ منعَّمةً، أي: مستريحة براحة الغفلة والجهل، متلذِّذة في الدنيا باللذائذ الوهميّة، وذلك (**قُبيل**): مصغّر قبل. و(ما): مصدريّة. و(**دعتها**): فعل ماض من الدعاء، بمعنى النداء. والضمير المرفوع المستتر للمحبوبة الحقيقيّة. والمنصوب الظاهر للأحشاء. وهذا النداء كناية عن انكشاف نِعَم الله تعالى ومحاسن أفعاله للعبد، فإنّ هذا نوع من الجمال الإلهيّ الذي يقتضي المحبّة من العبد لربّه، وهو دعاء ونداء للعبد السالك بأن يحبَّ ربّه. ثمّ قال (**لتشقى بالغرام**): أي بالشوق الملازم، وهذا الشقاء من قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [٢٠/ طه/ ١] وذلك لمّا قام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الليل حتى تورَّمت قدماه فقيل له في ذلك؛ فإنّ الشقاء في اللغة الشدّة والعسر. وقوله (**فَلَبَّتِ**): بكسر التاء لأجل القافية، وأصلها السكون لتأنيث الفاعل، وهو ضمير الاحشاء. ومعنى لبَّتِ: أجابت لمّا دُعيَت له.

٢٧- فَلَا عَادَ لِي ذَاكَ النَّعِيْمُ وَلَا أَرَى مِنَ العَيْشِ إِلّا أَنْ أَعِيْشَ بِشَقْوَتِي/ [٨٢/ أ]

(**لا**): نافية. و(**عاد**): أي رجع. و(**ذاك النعيم**): أي الذي كنت متنعِّماً به من قبل، وهو إخبار بمعنى الإنشاء، جملة دعائيّة. وقوله (**ولا أرى من العيش**): أي الحياة. (**إلّا أنْ أعيش بشَقوتي**): وهي شقوة الغرام التي تقدَّم ذكرها؛ فإنّه اختارها

---

(١) انظر تخريجه ص ٤١٨.

على نعيم الغفلة، والجهل بالله ،واللذائذ الفانية، والشهوات المضمحلّة، الدنيويّة، وهي صفة الصادقين، وحالة الأولياء المقرَّبين.

٢٨- أَلَا فِي سَبِيْلِ الْحُبِّ حَالِـي وَمـا بِكُـمْ أَنْ أُلَاقِـي لَـوْ دَرَيْـتُمْ أَحِبَّتِـي

(ألا): حرف استفتاح، ومعناها التنبيه. وقوله **(في سبيل الحبِّ)**: أي طريق المحبّة. **(حالي)**: أي ما أقاسيه وأُكابده من البلاء المذكور. يعني: لا في سبيل هوى نفسي وغَرَضِها محبَّة منِّي لدخول الجنَّة أو النجاة من النار، أو لتحصيل المقامات العالية، والأحوال السَّنِيّة عند الله تعالى، كما هو شأن المحجوبين، قال الشيخ أرسلان قدّس الله سرَّه في رسالته المشهورة: «الناس تائهون عن الحقّ بالعقل، وعن الآخرة بالهوى». يريد بالهوى الأغراض النفسانيّة والحظوظ الشهوانيّة؛ فإنّ الآخرة لا تُنال بهذا السعي؛ فإنّه ليس سعيها؛ وإنّما سعيها الإخلاص في الأعمال، والتخلُّص من جميع حظوظ النفس، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ الآية [١٧/الإسراء/١٩]. وقوله **(وما)**: موصولة، أو نكرة موصوفة، معطوفة على حالي. **(عسى)**: هي فعل إشفاق هنا من مكروه ما يقاسيه، والاشفاق: الحذر. وقوله **(بكم)**: أي بسببكم. **(أنْ)**: مصدريّة. **(أُلاقي)**: أي أجد في المستقبل من البلاء. ثمّ قال **(لو)**: وهي للتمنّي. **(دَرَيْتُم)**: أي علمتم. والمراد: دراية ذوقيّة، وعلماً بطريق المقاساة والمكابدة، لا مجرَّد دراية وعلم؛ فإنّ الحقّ تعالى عليم بكلّ شيء، خبير بالكلّ. ولكن إذا خلق للعبد ذوق الألم فلا يكون هو الذي يذوق ذلك الألم؛ بل هو تعالى العالم به على الوجه التام، وليس العالم بالشيء ذائقاً له، فمعنى دريتم: ذقتم عين ما أذوق؛ إذ لا يتصف تعالى بما يخلق لعبده. ثمّ قال **(أحبّتي)**: أي يا أحبّتي، جمع حبيب؛ وإنّما جمعه لكثرة ظهوره تعالى بأسمائه وصفاته المختلفة، فهذا المحبّ يحبّ محبوبه الظاهر له في كلّ اسم من أسمائه، وكلّ صفة من صفاته: أسماء الجلال، وأسماء الجمال، وأسماء الكمال.

٢٩- أَخَذْتُمْ فُؤَادِي وَهْوَ بَعْضِي فَمَا الذِي[1] يَـضُرُّكُمُ لَـوْ تُتْبِعُـوهُ بِجُمْلَتِـي

وفي نسخة (وهو بعضي عندكم فما ضرّكم أن تتبعوه). فقوله **(أخذتم فؤادي)**: أي قلبي، بسبب ظهور استيلائكم عليه، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [١٠/ يونس/ ٣١] جمع فؤاد، وهو القلب، فيملك تعالى كلّ سمع، وكلّ بصر، وكلّ فؤاد؛ وهو الاستيلاء؛ وهو معنى الأخذ للفؤاد المذكور هنا. ثمّ قال **(فما الذي)**: ما استفهاميّة. يعني: أي شيء. **(يضرُّكمُ)**: بضمِّ الميم لاستقامة الوزن. **(لو تُتْبعوه)**: أي تتبع الفؤاد. **(بِجُمْلَتي)**: أي بقيّة أعضائي وجوارحي. يعني: في الأخذ المذكور؛ فتأخذوا جملتي أيضاً بأن تُظهروا لي استيلاءكم على جملتي كما أظهرتم استيلاءكم على فؤادي؛ وهذا معنى عنديّة الربّ الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [٧/ الأعراف/ ٢٠٦] وقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ [١٣/ الرعد/ ٤٣].

٣٠- وَجِدْتُ بِكُمْ وَجْداً قُوَى كُلِّ عَاشِقٍ لَوِ احْتَمَلَتْ مِنْ عِبْئِهِ البَعْضَ كَلَّتِ

(وجِدْتُ): بكسر الجيم في الحزن، وبفتحها في الحبّ. **(بكم)**: أي بسببكم. (وَجْداً) في المحبّة. قال في القاموس: «وَجَدَ به وَجْداً في الحبِّ فقط، وكذا في الحُزن، لكن بكسر ماضيه». وقوله (قُوى): بضمِّ القاف، جمع قُوَّة. **(كلّ عاشق)**: من الناس. **(لو احتملت)**: أي تلك القوى كلِّها/ [٨٢/ ب]. **(من عِبْئِه)**: أي عبء ذلك الوجد. والعِبْء بكسرالعين المهملة وسكون الباء الموحّدة وبالهمز: الحمل الثقيل من أي شيء كان. والضمير للوجد. وقوله **(البعض)**: مفعول احتملت. **(كَلَّتِ)**: فعل ماض من الكلال، وهو التعب، والبلاغة في جمع قُوى وإضافتها إلى كلّ عا شق، وذكر مِنْ التبعيضيّة، وإفراد العبء المضاف إلى ضمير الوجد، أي: عبء من أعبائه. وقوله **(البعض)**: أي من ذلك العبء، وإنّما كان كذلك لأنّ كلّ عاشق مناطُ عشقِهِ أمرٌ كونيّ، فانٍ، زائل، مضمحلّ؛ وهو المحبوب

---

[1]:البيت في (ق): أخذتم فؤادي وهو بعضي نحوكم فما ضرّكم لو كان بعضي جملتي

المجازيّ. وأمّا هو فمناط عشقه الحقّ تعالى من حيث ظهوره بأسمائه الحسنى، وهو باقٍ على الدوام، وهو المحبوب الحقيقيّ.

٣١- بَرَى أَعْظُمِي مِنْ أَعْظَمِ الشَّوْقِ ضِعْفُ مَا بِجَفْنِي لِنَوْمِي أَوْ بِضُعْفِي لِقُوَّتِي

بَرَى السهم يَبْرِيْهِ [بَرْياً] وابْتَرَاه: نَحَتَه، وبَرَاهُ السفر يَبْرِيه بَرْياً: هَزَلَه، كذا في القاموس. و(**الأَعْظُم**): جمع عظْم، أي: نحتها وهزلها. وقوله (**من أعظَم الشوق**): صفة لموصوف محذوف؛ هو فاعل برى، أي: شوق من أعظم الشوق، أو صفة لما. و(**ضِعْف**) فاعل برى. و(ما) بمعنى شوق، أي: ضِعف شوق، وضِعْفُ الشيء بالكسر: مثله أو الضعف المثل إلى ما زاد. ويقال: لَكَ ضِعْفُه، يريدون مثليه، وثلاثة أمثاله؛ لأنّه زيادة غير محصورة، كذا في القاموس. (**بِجَفْني**): أي كائن فيه لنومي. يعني: إنّ الشوق الذي نحت عظامي وبراها مقدار الشوق الذي في جفني لنومي مرتين وأكثر. وقوله (**أَوْ بِضُعْفِي**): أي ضُعْف ما في ضَعْفِي، بفتح الضاد المعجمة، أو ضمّها؛ وهو ضد القوّة (**لقوّتي**): أي شوق لقوّتي. والمعنى: إنّ الشوق الذي برى عظامي ضُعف الشوق الذي في ضَعفي لقوّتي مرتين أيضاً أو أكثر. وفي ذلك إخبار منه أنّ جفنه لا نوم له، وهو مشتاق إلى النوم غاية الاشتياق. وإنّ ضَعْفَه، وعجزه، ومرضه كائن فيه، حاصل له. وذلك مشتاق إلى القوّة غاية الاشتياق. وهذا كلّه شكوى الحال لتطول المناجاة مع الحبيب المتعال، مع أنّه يعلم أنّه عليم بجميع الأحوال كقول موسى عليه السلام: ﴿هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [٢٠/ طه/ ١٨] ليقول له وما تلك المآرب. فيطيل الجواب التذاذاً بالخطاب.

٣٢- وَأَنْحَلَنِي سُقْمٌ لَهُ بِجُفُونِكُمْ غَرَامُ التَّيَاعِي بِالفُؤَادِ وَحُرْقَتِي

(**أنحلني**): أي جعلني نحيلاً مهزولاً من شدّة المحبّة. (**سُقْمٌ**): أي مرض وضعف، وهو فاعل أنحلني. (**له**): أي لذلك السُّقم المذكور. (**بجفونكم**): جمع

جَفْن، وهو غطاء العين. كناية صور المخلوقات المحسوسة والمعقولة؛ **فإنّ كلّ** صورة من ذلك غطاء على العين الإلهيّة من التجلّي بكلّ اسم من الأسماء الحسنى، كما قال الشيخ الأكبر قدّس الله تعالى سرّه:

مــرضي مــن مريــضة الأجفــان　　　علــلاني بــذكرها علــلاني

وسقم تللك الجفون هو زيادة ضعف المخلوق، كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [٣/ النساء/ ٢٨] وقال: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [٣٠/ الروم/ ٥٤] **وقال:** ﴿ لا يقدرون على شيء مما كسبوا ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٦٤] **وهذا الضعف فيهم من جملة** الجمال الإلهي الظاهر في الأكوان. وقوله (**غرام التياعي**): **الالتياع هو الاحتراق من** الهم والحزن. يعني: لذلك السقم والضعف والعجز الذي في جفونكم **التي هي** صور مخلوقاتكم المغطية لعيون تجلّياتكم بأسمائكم المختلفة. (**غرام احتراقي**): **أي** الشوق الملازم لي بسبب احتراقي في محبّتكم. يعني: هو عاشق لأعينكم **مثلي أيضاً؛** لأنّي صور مثل تلك الصور المغطية لتلك الأعين المختلفة بالتجلّيات **بالأسماء** الحسنى، ومن هنا قالوا: «إنّ المحبّة حجاب عن المحبوب». وقوله /[٨٣/ أ] (**بالفؤاد**): متعلّق بالالتياع. (**وحُرقتي**): معطوف على التياعي للبيان. **وفي القاموس:** «اللّوْعَة حُرْقَةٌ في القلب، وأَلَم من حُبّ، أو هَمٍّ، أو مرض، ولاَعَه الحُبُّ: **أَمْرَضَه».** فتكون الحرقة على هذا هي الألم والمرض؛ فهي غير مطلقها في هذا الموضع.

٣٣- فضَعْفِي وَسُقْمِي ذَا كَرَأْيِ عَوَاذِلِي　　　وَذَا لَحِدِيْثِ النَّفْسِ عَنكُمْ بِرَجْعَتِي

(**الضَّعْف**): بفتح الضاد المعجمة وبضمّها: أيضاً ضدّ القوّة. و(**السُقْم**): **على** وزن قُفْل: المرض. وقوله (**ذا**): هو اسم إشارة إلى **الضَّعْف**. وقوله (**كرأي**): الكاف للتشبيه، والرأي: النظر والفكر. يعني: ضَعْفِي مثل رأي عواذلي؛ **فإنّ** رأيهم ضعيف، أَشَدُّ ضعفاً، وهم جمع: عَذول، وهو الذي يعذله، **بالذال المعجمة،** أي: يلومه على المحبّة؛ وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى؛ **حيث يلوم المحبَّ** في محبَّته لربِّه من حيث لا يشعر أنّ محبّته لربّه، ويظنّ أنّها **لكون من الأكوان من**

عدم معرفته بالربّ، ولا بتجلّياته، وعدم معرفته بصدور المخلوقات عنه تعالى بالقدرة والإرادة. وظنَّه أنّ كلاً من الربّ والعبد قائم بنفسه، غير أنّه يقول بافتقار العبد إلى الربّ في ابتداء حال وجوده فقط، إلى غيرذلك من أنواع الجهل بالله ؛ فيفسد رأي العواذل كلّهم، ويضعُف فيكون ضعْف المحبّ مُشبّهاً بضعيف رأي العواذل؛ لأنّه مشبّه به، فهو أقوى في صفة الضعف من المشبّه. وقوله (وذا): إشارة إلى السُّقم، كحديث النفس عنكم، متعلِّق (برجعتي): أي رجوعي عنكم، وتركي لكم الذي يطلبه العاذل مِنّي. يعني: إنّ سُقْمي الذي اعتراني في محبَّتكم يشبه حديث نفسي بالرجوع عنكم أسقم من سقمي؛ لأنّه مشبّه به، وهو أشد من المشبّه في صفة السقميّة؛ فيقال: حديث سقيم، كما يقال: قول ضعيف.

٣٤- وَهَا جَسَدِي مِمَّا وَهَى جَلَدِي لِذَا[1]   تَحَمُّلُهُ يَبْلَى وَتَبْقَى بَلِيَّتِي

(الواو): للعطف على ما قبله. وكلمة **(ها)**: بالقصر للتنبيه؛ لأنّه أمر غريب. و**(جَسَدي)**: مبتدأ. وقوله **(ممَّا)**: ما مصدريّة. و**(وهى)**: فعل ماض من الوَهِي: وهي الشَّقُّ في الشيء، وَهَى كوَعَى ووَلِيَ: تَخَرَّقَ، وانْشَقَّ، واسْتَرْخَى رِبَاطُه، كذا في القاموس. يعني: جسد مؤلَّف، مركَّب من الوَهْي الذي هو أمر معنويّ؛ فجسدي كذلك أمر معنويّ متصوِّر في صورة حِسِّيَّة، و**(الجَلَد)** محركة: الشِّدَّة، والقوّة، وهي القوّة التي بالله ، كما قال: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [١٨/ الكهف/ ٢٣] وقال: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [٢/ البقرة/ ١٦٥] فمتى نُسبت القوّة إليه اضمحلّتْ وضعفت، فخَلُق جسدُه من ذلك الضعف والاضمحلال. ثمّ قال **(لذا)**: أي لأجل هذا الأمر. **(تَحَمُّله)** أي تَحَمُّل جسدي. يعني: تكلُّف حمله للأمور الشرعيّة وغيرها. **(يبلى)**: مثل يرضى من البِلى، بكسر الباء الموحَّدة والقصر، وهو الفناء والاضمحلال. **(وتبقى بليَّتي)**: أي ما ابتلاني به ربِّي من الجزاء في الآخرة؛ هو الثواب أو العقاب.

---

(١) في (ق): لدى.

٣٥- وَعُدْتُ بِمَا لَمْ يُبْقِ مِنِّيَ مَوْضِعاً لِضُرٍّ لِعُوَّادِي حُضُوْرِي كَغَيْبَتِي

(عدتُ): أي صِرْتُ. (بما): أي بالأمر العظيم الذي (لَمْ يُبْقِ): بضمّ الياء التحتيّة، أي: يترك. (منّي): أي من جميعي؛ ظاهراً وباطناً. (موضعاً لضُرٍّ): أي محلاً يكون قائماً به نوع من الضرّ. والضُّرّ الشّدّة، والضرر، وسوء الحال، والأذى والألم؛ فإنّ الضُّرَّ عَرَضٌ، والعَرَض لا يقوم بنفسه؛ بل لا بدّ له من محلّ يقوم به. فإذا لم يبق منه محل يقوم به الضرّ فقد فني واضمحلّ، ولم يبقَ له وجود أصلاً. وذلك الأمر العظيم الذي فعل به ذلك هو تجلٍّ وانكشاف الوجود الحقّ له؛ فإنّه وجود واحد، حي بنفسه، قائم بنفسه، عَلِم/ [٨٣/ ب] ما لا يعلمه سواه ممّا لا نهاية له، مرتباً على أكمل ما يكون من التراتيب، فحكم أزلاً بجميع ما علمه، فقدّر كلّ شيء مما علمه بمقداره المعلوم، وقضى بذلك، وتوجّه أزلاً على جميع ما علمه، وحكم به وقدّره، وقضى على طبق ما هوعليه كلّ شيء في نفسه، فاستحضره من علمه مرتباً كذلك بترتيبه الأزلي، فظهر كلّ شيءٍ كذلك بنور وجوده الحقّ في نفس الأمر سوى وجوده الحقّ، والكلّ فانٍ مضمحلّ؛ فإذا تحقّق العارف في نفسه بهذا الأمر كان فانياً مضمحلاً في نفسه. وكذلك جميع العوالم عنده كلّها فانية مضمحلّة، والوجود الحقّ مشهود له ظاهراً في كلّ شيء، ولا شيء عنده سوى الوجود الحقّ الواحد الأحد. ثمّ قال (لعُوّادي): جمع عائد؛ وهو الزائر للمريض. متعلّق بحضوري، أي: كوني حاضراً عندهم، يشهدون وجودي جهلاً منهم بي وبربّي؛ لأنّهم لا يعرفوني، ولا يعرفون ربّي كغيبتي عنهم؛ بحيث أنّ العوّاد الزائرين له إذا أرادوه كان حضوره عندهم، وغيبته عنهم سواء؛ لعدم وجوده. وهذا عنده في بصيرته؛ فهو فانٍ، مقدّر الصور، مضمحلّ في نظر نفسه وتحقّقه بربه، وإنْ كانوا هم يجدونه كما يجدون أنفسهم؛ لأنّ كلامه عن نفسه من مقامه في نفسه.

٣٦- كَأَنِّي هِلَالُ الشَّكِّ لَوْلَا تَأَوُّهِي خَفِيتُ فَلَمْ تَهْدِ العُيُونُ لِرُؤْيَتِي

(هلال الشكِّ): هو الذي يتحدّث الناس برؤيته [و] لـم تثبت رؤيته. يعني: أنا

عند نفسي بمنزلة هلال الشكّ، أتحدّث في نفسي برؤيتي ولم تثبت رؤيتي عندي؛ لأنّ عندي المرئي لي هو الوجود الحقّ المطلق عن صورتي الظاهرة والباطنة، وعن صورة كلّ شيء أدركه حساً أوعقلاً. ثمّ قال (**لولا تأوّهي**): التأوّه مصدر تأوّه الرجل تأوّهاً، إذا قال أوّاه. يعني: تألُّمي وتوجّعي من نسبة الوجود إليّ، ومشاركة الحقّ تعالى في الاتصاف بالوجود في أوقات قيام الأحكام الشرعيّة لاعتنائه بها مراعاة لحقوق العبادة، وقبول التكاليف التي كلّفه الله تعالى بها، وأمره أن يقوم فيها بنفسه، ولا بدّ لها من فاعل تصدر هي منه عن قصد ونيّة في الأوامر والنواهي. فيضطر حينذاك إليه؛ فيتأوّه من ذلك، ويتألّم، ويتوجّع على مفارقة حالته الأولى التي هو فيها. وقوله (**خَفِيْتُ**): أي لم أظهر، ولم أتبين عند نفسي لنفسي لشهودي الوجود كلّه للحقّ تعالى، لا لنفسي، ولا لكل ما سواه تعالى، ولم أظهر، ولم أتبيّن على ما أنا عليه من المشهود عند أحد من الناس أيضاً. وقوله (**فلم تُهد**): بضمّ التاء المثنّاة الفوقيّة وسكون الهاء، فعل مضارع مبني للمفعول، متفرّع على خفائه وعدم ظهوره بما فيه من الشهود، أي: لم يهد الله تعالى (**العيون**): نائب الفاعل، أي: عيون الناس لرؤيتي على ما أنا عليه من الشهود والتحقيق بحقيقة الوجود؛ وإنّما تراني العيون معتوهاً، أو مجنوناً، لا يوثق بكلامي، ولا يُلتفت إليّ لعدم انضباطي وانتظامي. فإذا دخلتُ في عبادة لم أقدر على ضبط أحوالها وأدائها على وجه كمالها؛ وهي أحوال المجاذيب الذين رُفع عنهم قلم التكاليف لعدم ضبطهم الأحكام، وقلّة تمكُّنهم من مراعاة الحلال والحرام، وللشيخ الأكبر قدّس الله سرُّه في الفتوحات المكيّة باب مستقلّ في شأنهم، وهو الباب الرابع والأربعون. وقد استوفى هناك أسرارهم وأنوارهم.

٣٧- فَجِسْمِي وَقَلْبِي مُسْتَحِيْلٌ وَوَاجِبٌ   وَخَدِّيَ مَنْدُوْبٌ بِجَائِزِ عَبْرَتِي

(**مستحيل**): من استحال الشيء: إذا انقلب عن حاله التي كان عليها فاضمحلّ وانمحق. راجع [٨٤/أ] إلى الجسم لفنائه في التجلِّي. و(**الواجب**): بمعنى الساقط، يقال: وَجَبَ يَجِبُ وَجْبَةً: سَقَطَ، وَوَجَبَ القلبُ وَجْباً ووَجِيْباً

ووَجَبَاناً: خَفَق، كذا في القاموس. وهو راجع إلى القلب على طريق اللفّ والنشر المرتّب؛ فأصل التجلّي الإلهي على القلب؛ فيقتضي سقوطه، وهو الهبوط من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [٢/ البقرة/ ٧٤] وهي قلوب الغافلين عن التجلّي الإلهي، الجاهلين بالله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ٧٤] وهي قلوب العارفين بالتجلّي الإلهي المتحقّقين به. وقوله (وخَدِّي مندوب): اسم مفعول، من النَّدْبَة أثر الجرح الباقي على الجلد، ونَدِب الجُرْح كَفَرِح صَلُبَتْ فيه نَدْبَتُه كذا في القاموس. وقوله (بجائز): من جاز، بمعنى سار ومَرَّ. (عَبْرَتي): بفتح العين المهملة، الدمعة قبل أن تفيض. يعني: إنّ خدّه مجروح بكثرة سيلان دموعه من بكائه من خشية الله تعالى.

٣٨- وَقَالُوا جَرَتْ حُمْراً دُمُوْعُكَ قُلْتُ مِنْ ... أُمُوْرٍ جَرَتْ فِي كَثْرَةِ الشَّوْقِ قَلَّتِ

٣٩- نَحَرْتُ لِضَيْفِ الطَّيْفِ(١) فِي جَفْنِيَ الكَرَى ... قِرَىً فَجَرَى دَمْعِي دَمَاً فَوْقَ وَجْنَتَي

ضمير قالوا للأحبَّة. و(حُمْراً): حال مُقَدَّم من الفاعل وهو دموعك. وقوله (من أمور): جمع أمر؛ وهو الشأن المهم في طريق المحبّة الإلهيّة. وقوله (جَرَتْ): أي صدرت لي من المحبوب الحقيقيّ، كالصَّدِّ والهجران، وإظهار الغضب عليّ، والابتلاء الحسن في أحوال الدنيا والبدن. وقوله (كثرة الشوق قَلَّتِ): بتشديد اللام، من القلّة؛ ضدّ الكثرة، أي: تلك الأمور كثيرة في نفسها، غيرأنّها قليلة بالنسبة إلى كثرة الشوق. ثمّ قال معتذراً عن حمرتها، والدمع من عادته أنْ يكون أبيض كالماء، فأشار إلى أمر واحد من تلك الأمور الكثيرة التي اقتضت حُمْرَة الدمع فقال (نَحَرْتُ) أي ذَبَحْتُ (لضيف الطيف): وهو خيال المحبوب الذي يزور المُحبّ كالضَّيف الزائر، قال في القاموس: «الطَّيْفُ: الخيال الطائف في المنام،

(١) في (ق): السُهدِ

أو مجيئه في النوم». انتهى. ولا شك أنّه أمر موهوم تتخيَّله روحانيّة المحبّ من غلبة المحبّة والشوق، قال الشاعر:

خاطبتُ طَيفَ خيالٍ مَرَّ بي ومَضَى كيف اهتديت وجنحُ الليلِ مسدولُ
فقالَ آنَسْتُ ناراً من جَوانِحِكُمْ يُضِيءُ منها لدى السارين قِنديلُ
فقلتُ يا نارَ الهوى وليس لها عينٌ تُعاينُ ماذا القَوْلُ مَقبولُ
فقال نِسْبَتُنا في الحُكم واحدةٌ أنا الخيالُ ونارُ الشوقِ تخْييلُ

ومعنى الطيف هنا ما يقع في القلب من الصور عند توجُّهه إلى شهود الحقّ تعالى؛ فإنّ الناس نيام، كما ورد في الخبر، فما يجدونه بمنزلة الخيال الذي يجده النائم، فإذا استيقظ بالموت ذهب ما كان يجده كأن لم يكن. ثمّ قال في (جَفْني): أي في جفن عيني؛ وهو محلّ ذلك النحر الذي هو الذبح. و(**الكرى**) بمعنى النوم، مفعول نحرتُ، والمعنى: ذبحت النوم في جفني للضيف الذي جاءني؛ وهو طيف المحبوب. وقوله (**قِرَى**): بكسر القاف، قال في القاموس: «قَرَى الضيفَ، قِرَى بالكسر والقصر؛ والفتح والمدّ: أضافه» . ثمّ قال (**فجَرى دمعي دماً**): حال من دمعي وهذا بيان سبب حُمْرة الدمع فوق وَجْنَتَي، وهي: ما ارتفع من الخدّ.

٤٠ - فَلَا تُنْكِرُوا أَنْ مَسَّنِي ضَرُّ بَيْنِكُمْ عَلَيَّ سُؤَالِي كَشْفَ ذَاكَ وَرَحْمَتِي

(**فلا تنكروا**): خطاب للأحبّة المُتَحَدَّث عنهم في البيتين قبله. وقوله (**أنْ مَسَّني**): بفتح الهمزة، أي: لأنْ مسَّني. والضَّرُّ بالفتح: مصدر، وبالضمّ: اسم بمعنى الشدّة والضرر/ [٨٤/ ب] وسوء الحال، وإضافة إلى (**بينكم**): والخطاب للأحبّة. والبَيْن: الفرقة والبُعْد. وقوله (**عَلَيّ**): بتشديد الياء التحتيّة متعلّق بـ(تنكروا). و(**سؤالي**): مفعول تنكروا، أي: طلبي منكم. وقوله (**كشف**): مفعول سؤالي؛ لأنّه مصدر. يعني: إزالة ذاك إشارة إلى ضَرُّ بينِكم. (**ورحمتي**): معطوف على كشف. والمعنى: لا تنكروا يا أحبَّتي عليّ إذا طلبتُ منكم أنْ تكشفوا عنّي ما مسَّني من ضرّ فِرْقَتكم وبُعدكم؛ فإنّ أيوب عليه السلام قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ

ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [٢١/الأنبياء/٨٣] ولغيره أسوة به؛ فإنّه فتح باب الاقتداء بشكاية الحال للأحبّة.

٤١- فَصَبْرِي أُرَاهُ تَحْتَ قَدْرِي عَلَيْكُمُ   مُطَاقاً وَعَنْكُمْ فَاعْذِرُوْا فَوْقَ قَدْرَتِي

(أُرَاهُ): بضمّ الهمزة، أي: أعتقده. (تحت قدري): أي قدرتي فوقه، فأنا قادرعليه. وقوله (عليكم): متعلّق بصبري. والصبر عليهم، أي: على صدِّهم وإعراضهم عنه وهجرانهم له. وقوله (مُطاقاً): بضمّ الميم، اسم مفعول من الإطاقة، وهي القدرة على الشيء، حال من الضمير في أُراه. وقوله (وعنكم): متعلّق بصبري أيضاً، أي: وصبري عنكم. والصبرعنهم هو السلو عن محبَّتهم ونسيانهم من قلبه. وقوله (فاعذروا): جملة معترضة بين المبتدأ الذي هو صبري عنكم، وبين خبره الذي هو قوله (فوق قدرتي): أي بحيث لا أقدر عليه، ولا أستطيعه فاعذروني في ذلك.

٤٢- وَلَـمَّا تَوَافَيْنَـا عِـشَاءً وَضَـمَّنَا   سَـواءُ سَـبِيلَيْ ذِي طَـوَى وَالثُّنَيَّـةِ

(توافينا): أي وافى كلّ مِنَّا الآخر، يُقال: وافيت القوم: أتيتهم. كناية عن إقباله على حضرة الحقّ تعالى؛ فإنّه عين إقبال الحقّ تعالى عليه. وقوله (عِشَاءً): العِشاء أوّل الظلام، وفي ذلك اختلاط النور الباقي بعد غروب الشمس بالظلمة. كناية عن ظهور العدم المقدّر، المصوَّر بنور الوجود الحقّ من حيث أسماؤه الحسنى بعد غروب شمس الذات الأحديّة. وقوله (وضَمَّنا): بتشديد الميم، أي: جمع كلّ واحد منّا. وقوله (سواء): فاعل ضمَّنا مضاف إلى (سَبِيلَي): أي وسط طريقين؛ فإنّ سواء السبيل وسط السبيل. و(سَبِيلَيْ): بالتثنية، وحذف النون للإضافة إلى (ذي طُوى): مثلث الطاء المهملة، قرية قرب مكّة. كناية عن الحضرة الإلهيّة من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [٢٠/ طه /١٢]. وقوله (والثُّنَيَّة): بضمّ الثاء المثلّثة وصيغة التصغير: العقبة. كناية عن النفس الإنسانيّة من قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [٩٠/ البلد١١-١٣] وهي عتق

النفس بمعرفتها المُستلزِمة معرفة ربّها من رقِّ الأغيار، فالعشاء المذكور هو اختلاط نور الوجود الحقّ بظلمة عُدْم النفس، والله غنيّ عن العالمين من حيث الذات، فحيث الذات لأكوان، كما قال عليه السلام: «كان الله ولا شيء معه» يعني: من حيث الذات، «وهو الآن على ما عليه كان»[1].

٤٣ - وَمَنَّتْ وَمَا ضَنَّتْ عَلَيَّ بِوَقْفَةٍ تُعَادِلُ عِنْدِي بِالْمُعَرَّفِ وَقْفَتِي

(مَنَّتْ): تفضَّلت وأحسنت. (وما ضَنَّتْ): أي ما بَخِلَتْ. وقوله (عَلَيَّ): متنازع فيه بالتعلق بين مَنَّتْ وضَنَّت. وكذلك قوله (بوَقْفَة): فمعناه مَنَّتْ عليّ بوقفة، وما بخلت عليّ بوقفة. وكنّى بالوقفة هنا عن قوة العارف إذا تحقّق بفناء نفسه، واضمحلال رسومه، فوجد أنه كلّه لم يكن، وتحقّق بوجود ربّه، وثبوت أسمائه وصفاته. وأنّه لم يزل ولا يزال على ما هو عليه أزل الأزال، ويستمر له هذا الشهود والعيان مدّة قليلة من الزمان؛ فهي وقفة العرفان، لا شُبهة فيه لإنسانه. ثم قال (تعادل): بمعنى تساوي وتماثل. يعني: تلك الوقفة المذكورة عندي في مقام الكمال لدى الفحول من الرجال. وقوله (بالمُعَرَّف): بضمِّ الميم وفتح العين المهملة وتشديد/ [٨٥/ أ] الراء مفتوحة وبالفاء، متعلّق بوقفتي، وهو الموقف بعرفات. وكون تلك الوقفة تعادلها عندي في تمام الجمع بها؛ ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: «الحج عرفة»[2]. وهذه الوقفة المذكورة يتمّ بها حج المعرفة الإلهيّة إلى بيت الذات المقدّسة للسالك المخلص[3].

---

(١) أخرجه القاري علي بن سلطان الهروي في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع،٢٢٠. وقال: حديث: كان الله ولا شيء معه، وفي رواية: ولا شيء غيره. وفي رواية: ولم يكن شيء قبله: ثابت، انظر المصنوع في الحديث الموضوع للقاري علي بن يوسف بن سلطان الهروي، تحقيق عبد الفتّاح أبو غدّة ج١ص١٢٢.

(٢) قطعة من حديث، أخرجه أحمد في المسند، حديث عبد الرحمن بن يعمر،١٩٢٨٧. كما أخرجه الحاكم في مستدركه، باب أوّل كتب المناسك، ١٧٠٣.

(٣) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ:« بلغ». أي بلغت مقابلة هذه النسخة على المؤلّف.

٤٤-عَتَبْتُ فَلَمْ تُعْتِبْ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ لِقاً وَمَا كَانَ إِلّا أَنْ أَشَرْتُ وَأَوْمَتِ

(عَتَبْتُ): من العَتْب، وهو الملامة. (فلم تُعْتِبْ): بضمّ التاء المُثنّاة الفوقيّة وسكون العين المهملة وكسر التاء الثانية المثنّاة الفوقيّة. ومعنى تُعتِب: تزيل العتب، وترفع الشكوى، قا ل في المصباح: «أعتبني: الهمزة للسلب، أي: أزال الشكوى والعتاب». وقال في الصحاح: «أعتبني فلان إذا عاد إلى مَسَرَّتي راجعاً عن الإساءة»[1]. وفاعل تُعْتِب ضمير راجع إلى حضرة الحقّ تعالى؛ إذْ هي المحبوبة الحقيقيّة في الأبيات قبله، من قبيل قول الشاعر:

أُعاتِبُ ذا المَوَدَّة من صديقٍ إذا ما رابني منه اجتنابُ
إذا ذهب العتاب فليس وُدٌّ ويبقى الودُّ ما بقي العتابُ

وقوله (كأَنْ): بفتح الهمزة وسكون النون مخففة من كأنَّ، بفتح الهمزة وتشديد النون، واسمها ضمير الشأن محذوف، والأصل كأنّه. وقوله (لم يكن لِقاً): هذه الجملة خبر كأن التي هي من أخوات إنّ. و(اللِّقا): الاجتماع. يعني: كأنّه لم يكن لنا اجتماع في الحضرة العلميّة الأزليّة، وفي باقي الحضرات الإلهيّة. وقوله (وما كان): يعني بيني وبينها بعد العتب. (إلّا أنْ أشرتُ): مصرّحاً إليها بالذلّ مِنّي والمسكنة والافتقار بطريق الاضطرار كما قال القائل:

كلُّ أوقاتي اضطرارٌ إلى الله وما لي وقتٌ بغير اضطرارِ

(وأَوْمَتِ): بسكون التاء المكسورة لأجل القافية من الإيماء، يُقال: أَوْمَأْتُ إليه إيماءً: أشرت إليه بحاجب، أو يد، أو غير ذلك. كذا في المصباح. فالإيماء من الحضرة المذكورة. كناية عن إشارتها بعدم قبوله إمّا بحاجبها ـ وهو أحد الأشخاص الإنسانيّة المحجوب عنها بنفسه من الغافلين ـ أو بيدها في أثر قدرتها من إنسان، أوغيره. فإيماؤها أخفى من إشارته، قال في المصباح: «فالإشارةُ تُرادِف

(١) انظر مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، مادّة عتب.

النطقَ في فَهْم المعنى كما لو استأذنه في شيء، فأشار بيده أو رأسه أنْ يفعل أو لا يفعل، فيقوم مقام النطق».

٤٥- أَيَا كَعْبَةَ الحُسْنِ التِي لِجَمَالِهَا قُلُوْبُ أُولِي الأَلْبَابِ لَبَّتْ وَحَجَّتِ

خاطب الحضرة المذكورة منادياً لها بقوله (**أيا كَعْبَةَ**) الكعبة: هي بيت الله الشريف، سُميت بذلك لارتفاعها في القدر على جميع البيوت. وأضافها إلى الحُسْن. والحُسْن يكون في المخلوقات لا غير. والمعنى: يا أيّتها الحضرة المقصودة من حيث تجلّيها في قلوب العارفين الكاملين، فقلوبهم بيوتها، وكلّ قلب من تلك القلوب بيت لها؛ فهو كعبة حُسْن تسعى إليها قلوب المريدين وتطوف به، وتلثم أركانها. ثمّ وصف تلك الكعبة بقوله (التي لجمالها): والجمال كما قال سيبويه: هو رقّة الحُسْن. والأصل جماله، بالهاء، مثل صَبُح صَبَاحه؛ لكنّهم حذفوا الهاء تخفيفاً لكثرة استعمال، كذا في المصباح. فالجمال هو رقّة الحسن، أي: ما لَطُفَ من الحُسْن. والحُسْنُ ما كَثُفَ منه؛ ولهذا ورد في وصف الله تعالى: أنّه جميل يحبّ الجمال. فقوله (**لجمالها**): أي جمال تلك الحضرة من حيث هي. (قلوب): جمع قلب. (**وأولي**): أي أصحاب، والألباب جمع لبّ، وهو: صفاء العقل وخالصه. وقوله (لَبّتِ): أي أجابتْ إجابة بعد إجابة؛ وذلك بأن تقول لبيك. و(حَجَّتِ): أي قصدت ، قال في المصباح: «حَجَّ حَجّاً، من باب قتل: قَصَدَ، فهو حاجٌّ. هذا أصله، ثمّ قُصِرَ استعماله في الشرع على قَصْدِ الكعبة للحج أو العمرة، ومنه يُقال: ما حَجَّ ولكن دَجَّ؛ فالحَجُّ: القَصْدُ/ [٨٥/ ب] للنّسُك، والدَجّ للتجارة، والاسم: الحِجُّ، بالكسر».

٤٦- بَرِيْقُ الثَّنَايَا مِنْكِ أَهْدَى لَنَا سَنَا بُرَيْقِ الثَّنَايَا فَهْوَ خَيْرُ هَدِيَّةِ

(**بريقُ**): مبتدأ، وهو بفتح الباء الموحّدة مصدر بَرَقَ الشيءُ بَرْقاً وَبَرِيْقاً وبَرَقَاناً: لَمَعَ، كذا في القاموس. و(**الثَّنَايَا**): مضاف إليه، جمع ثَنِيَّة من الأضراس الأربع التي في مقدَّم الفم، ثِنْتان من فوق وثِنْتان من أسفل. وقوله (**منكِ**): بكسر الكاف خطاب للحضرة المذكورة في الأبيات قبله. وكنّى ببريق أي لمعان الثنايا الأربع من

المحبوبة المذكورة عن الأسماء الإلهيّة الأربعة التي هي أركان الإيجاد والتأثير في العوالم، وهي: الاسم الحيّ، والعليم أعلى، والمريد والقدير أسفل. وقوله (**أهدى لنا**): بطريق التمثيل ليُعرف الغائب بالشاهد. وقوله (**سَنَا**): أي ضياءً، مفعول أهدى، مضاف ذلك السنا إلى (**بُرَيق**): بضمّ الباء الموحَّدة مصغّر بَرْق مضاف إلى (**الثَّنَايا**): جمع ثَنِيَّة، وهي العقبة، أو طريقها، أو الجبل، أو الطريق فيه أو إليه، كذا في القاموس. وكنّى بـ سَنَا ـ أي ضياء بُرَيق الثنايا المذكورة ـ عن إيجاد العوالم على اختلاف تكاوينها؛ فإنّها ظاهرة عن أمر الله ، مكوَّنة بالأسماء الأربعة الإلهيّة كلمح البرق، وكلمح البصر، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [٦٠/ الروم/ ٢٥] فإذا قامت السماء والأرض بأمره، وأمره كلمح بالبصر؛ فالسماء والأرض كلمحٍ بالبصر، ودخل في السماء والأرض كلّ علوي روحانيّ، وكلّ سفليّ جسمانيّ، وذلك عالم الملك والملكوت. وقوله (**فهو**): أي ذلك الذي أهداه إلينا (**خير هديّة**) لأنّ به تعرف الحقيقة المتجلّية وهو النعم كلّها.

٤٧ - وَأَوْحَى لِعَيْنِي أَنَّ قَلْبِي مُجَاوِرٌ حِمَاكِ فَتَاقَتْ لِلجَمَالِ وَحَنَّتِ

(**أوحى**): أي أشار، وفاعله ضمير راجع إلى سنا بريق الثنايا في البيت قبله. وقوله (**لَعَيْني**): أي عين البصر أوعين البصيرة. وقوله (**أنّ قلبي مجاور**) من المجاورة، وهي الاعتكاف في المسجد، كذا في القاموس. و(**حِماكِ**): مفعول مجاور، والكاف خطاب للحقيقة المذكورة، والحِمى هو المحمي من تطرق الأغيار إليه. كناية عن جملة الأكوان مما يلي المكوّن؛ فإنّه لا متصرف في ذلك سوى الحقيقة المذكورة، وهو محمي بها عن الأغيار، والأغيار في هذه الحضرة؛ فإنّ الأغيار من جملتها، ومجاورة القلب لذلك مراقبته للخلق الجديد مع الأنفاس. وقوله (**فتاقت**): أي عيني، من التوق، وهو الاشتياق (**للجمال**): أي جمال تلك الحقيقة الظاهرة بتجلّيها في آثار أفعالها. (**وحَنَّتِ**): أي عيني من الحنين، وهو الشَّوق

وشِدَّة البكاء والطَّرَب، أو صوت الطرب عن حُزن أو فَرح. حَنَّ يَحِنُّ حَنيناً: استطرب. كذا في القاموس.

٤٨ - وَلَوْلَاكِ مَا اسْتَهْدَيْتُ بَرْقاً وَلَا شَجَتْ فُؤَادِي فَأَبْكَتْ إِذْ شَدَتْ وُرْقُ أَيْكَةِ

(ولولاكِ): بكسر الكاف، خطاب للحقيقة المشار إليها في الأبيات قبله. وقوله (ما استهديتُ برقاً): أي طلبتُ الهداية لي من البرق اللَّمُوع؛ وهو برق الأكوان يهدي إلى حقيقة المكوِّن بالكشف عن تجلِّياته بأسمائه الحسنى. وقوله (ولا شَجَتْ): من الشجو، وهو الحزن. (فؤادي): أي قلبي. وقوله (فأبكت إذْ شَدَتْ): بالدّال المهملة من الشدو، وهو الغناء والترنُّم. وقوله (وُرْقُ): بضمِّ الواو وسكون الراء، جمع ورقاء، وهي الحمامة. وهو فاعل شجت وأبكت وشدّت على التنازع. و(الأيكة): الشجرة الملتفّة الأغصان، وكنّى بالوُرْق- جمع ورقاء- عن الروحانيّات الكاملات من أرواح المشايخ المحقّقين. وبالأيكة عن الجسم الإنسانيّ المختلف المزاج والطبيعة. وجَمَعَ الوُرْق لكثرة اختلاف مشارب/ [٨٦/ أ] الأرواح. وأفرد الأيكة لاتِّحاد التركيب الجسمانيّ من العناصر والطبائع؛ فكلّ ورقاء على غصن من تلك الشجرة الواحدة.

٤٩ - فَـذَاكَ هُـدَىً أَهْـدَى إِلَيَّ وَهِـذَهِ عَلَى العُوْدِ إِذْ غَنَّتْ عنِ العُوْدِ أَغْنَتِ

الإشارة بذلك إلى البرق في البيت قبله. (هُدىً): بضمِّ الهاء وفتح الدال المهملة مصدر هداه يهديه هُدىً: دلَّه وأرشده إلى المطلوب. و (هُدى): مفعول مقدَّم لقوله. (أهدى): من الهديّة، كغنيّة: ما أتحف به، وجمعها هدايا. وقوله (إليّ): بتشديد الياء متعلِّق بأهدى. يعيني: على طبق ما طلبت منه. وقوله (وهذه): أي الوُرْق المذكورة. بمعنى: الحمائم الروحانيّات الكاملة. (على العود): متعلق بغنَّتْ، أي: عُوْد الأيكة؛ وهو الغصن من الشجر الملتفة. وقوله (إذْ غنَّت): أي ترنّمتْ عن العُود، وهو آلة الطرب، متعلِّق بـ (أغْنَتْ): أي صيِّرتْ السامع لها غنيّاً عن سماع آلة الطرب.

٥٠- أَرُوْمُ وَقَدْ طَالَ المَدَى مِنْكِ نَظْرَةً   وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ دُوْنَ مَرْمَايَ طُلَّتِ

(**أروم**): أي أطلب، والحال أنّه (**قد طال المدى**): على وزن فتىً، وهو الغاية، أي: غاية مطلبي. وقوله (**مِنْكِ**): بكسر الكاف، خطاب للحقيقة المذكورة. (**نَظْرة**): مفعول أروم. وقدّم الجار والمجرور لإفادة الحصر، أي: لا أطلب نظرة من كلّ ما سواك. ثمّ قال مستعظماً لما يرومه من محبوبته المذكورة. و(**كم**): خبريّة تفيد الكثرة. (**ومن دماء**): بيان لكثرة. وقوله (**دون مرمايَ**): المرمى مكان الرمي، ومعناه المقصود. وقوله (**طَلَّتِ**): بالطاء المهملة. يقال: طُلّ الدّم، بفتح الطاء، وبضمِّها، وهو أكثر، أي: هُدر. يعني: كم من دماء رجال ادّعوا النظر إلى هذه المحبوبة فهُدرت دماؤهم بحكم شريعتها إنكاراً عليهم من علماء الرسوم مع الخلاف في جواز ذلك عندهم، والمعتمد جواز ذلك عندهم. والمعتمد جوازه في الدنيا والآخرة، وأنكرت المعتزلة جوازه فيهما، وفي وقوعه للنبيّ صلّى الله عليه وسلَّم ليلة المعراج خلاف، والمسألة محقّقة في محلّها في شرح الديباجة[1]، ما له تعلّق في هذا المحلّ.

٥١- وَقَدْ كُنْتُ أُدْعَى قَبْلَ حُبِّيْكِ بَاسِلاً   فَعُـدْتُ بِـهِ مُسْتَبْسِلاً بَعْـدَ مَنْعَـةِ

(**أُدْعَى**): بضمِّ الهمزة مبني للمفعول، ونائب الفاعل ضمير المتكلِّم. وقوله (**قبل حُبِّيْكِ**): أي حُبِّي إياكِ. والكاف حرف خطاب للمحبوبة المشار إليها في الأبيات قبله. وقوله (**باسلاً**): مفعول ثانٍ لأُدعى، والباسل: الأسد والشجاع. وقوله (**فَعُدْتُ**): بمعنى صرتُ به، أي: بحبِّي إياكِ. (**مستبسلاً**): بسكون الباء المَوَحَّدة اسم فاعل من استبسل: طرح نفسه في الحرب، يريد أنْ يَقتل أويُقتل طلباً للموت. وقوله (**بعد مَنْعَةِ**): بفتح الميم وسكون النون. قال في القاموس: «هو في عِزٍّ ومَنَعَة محرَّكة وتُسَكَّن، أي: مَعَه من يَمْنَعُه من عشيرته.

---

(١) انظر شرح الديباجة ص٢٥٧.

٥٢- أُقَادُ أَسِيراً وَاصْطِبَارِي مُهَاجِرِي وَأَنْجَدُ أَنصَارِي أَسىً بَعْدَ لَهْفَتِي

(أُقاد): بضمِّ الهمزة، فعل مضارع مبني للمفعول. يعني: لا حول لي ولا قوّة عن ذوق منِّي وتحقّق. والقائد هو الحقّ تعالى إلى حيث يريد. والقائد من أمام فيُرى، بخلاف السائق، فإنّه من وراء فلا يُرى، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [٥٠/ ق/ ٢١] فكان سائقاً؛ لأنّها نفس جاهلة غافلة. وقوله (أسيراً): حال من نائب الفاعل أُقاد؛ إذْ هو ضمير المتكلّم. (واصطباري): الواو للحال، واصطباري مبتدأ، ومهاجري خبره، والجملة في محل نصب على أنّها حال من ضمير أُقاد. والاصطبار: مصدر اصطبر، بمعنى تكلُّف الصبر. وقوله (مُهاجري): بضمّ الميم من الهَجر، بمعنى الترك والمقاطعة. وقوله (وَأَنْجَدُ): أفعل تفضيل من النجدة؛ وهي الإعانة، أي: أكثر نجدة. وأضاف أَنْجَد إلى (أنصاري :(جمع ناصر، بمعنى أنجد وأعون. /[٨٦/ ب] الناصرين لي على ما أجده من بلاء المحبّة. (أسىً): أي حُزناً (بعد لَهْفَةِ): واللَّهفة التحسُّر والاستغاثة. والمعنى: إنّ الحُزن والتحسُّر وكثرة الاستغاثة أنجد ما يكون لي من الأنصار على تحمّل ما أجده من المشقّات والبلاء في طريق المحبّة.

٥٣- أَمَا لكِ عنْ صَدٍّ أمالَكِ عن صدٍ لِظَلْمِكِ ظُلْماً منكِ مَيْلٌ لِعِطْفَةِ

[أما]: الهمزة للاستفهام، وما نافية. و(لكِ): جار ومجرور، خبر مقدّم، والكاف مكسورة خطاب للمحبوبة المشار إليها في الأبيات قبله. وقوله (عن صدٍّ): متعلّق بميل. والصَّدُّ مصدر صدّه عن كذا: منعه وصرفه؛ وهو إعراض المحبوبة عن مُحِبِّها وعدم اعتنائها به وبأحواله . وقوله (أمالَكِ): بكسر الكاف، فعل ماض خطاب للمحبوبة أيضاً يُقال: أمالَه عن كذا: صرفه عنه. وقوله (عن صدٍّ): وحُذفت الياء لتنوينه، والصَّدي على وزن فَرِح صفة مشبّهة بمعنى العطشان، قال في القاموس: «صَدِيَ كَرَضِيَ، صَدَىً؛ فهو صَدٍ وصَدْيان». وقوله (لِظَلْمِكِ): بكسر الكاف أيضاً والظَّلْم بفتح الظاء المعجمة وسكون اللام : ماء الأسنان

وبَرِيقها. والجار والمجرور متعلّق بقوله عن صدّ، أي: هو صادٍ، أي: عطشان. (لِظَلْمِكِ): أي ريقكِ وماء فمكِ. كناية عن العلوم الإلهيّة اللدنيّة. وقوله (ظُلْماً): بضمّ الظاء المعجمة، مفعول من أجله، علّة لإمالتها عن ذلك الظلم؛ وهو وضع الشيء في غير موضعه. وقوله (منكِ): بكسر الكاف خطاب أيضاً للمحبوبة. والجار والمجرور متعلّق بواجب الحذف، وصف لقوله ظلماً، أي: ظلماً كائناً منكِ. والظلم منها مستحيل شرعاً بحكم قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [١٨/الكهف/٤٩] وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [٤١/فصّلت/٤٦] وهذا المستحيل عليه تعالى من حيث هو، لا من حيث تجلّيه بظهور آثاره بأن يخلق الصور الإنسانيّة باسمه المصوِّر، ويقوم على نفوسها بما كسبت من ظلم وعدل وغير ذلك، كما قال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٣/الرعد/٣٣] فإنّ المخلوقات كلّها هو المستولي على ظاهرها وباطنها، والمتصرِّف فيها في جميع أفعالها، وهي لا تقدر على شيء مما كسبت، كما قال سبحانه: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ [١٤/إبراهيم/١٨] يعني: لا يقدرون قدرة خلق وإيجاد؛ لأنّ هذه القدرة مخصوصة به تعالى، لا تكون لأحد غيره أصلاً، ولا يمكن أن تكون أصلاً، وإلا لما كان تعالى واحداً في صفاته وأسمائه؛ بل يلزم على ذلك أنّ له شريكاً في صفة القدْرة، فيكون لغيره قدرة كقدرته سبحانه؛ وهو محال عقلاً وشرعاً؛ وإنّما قدرته واحدة لا تعدُّد لها، ولا شبيه لها، ولا مثيل. وهو تعالى منفرد بها في ملكه ومملكوته أزلاً وأبداً كذاته العليّة وباقي صفاته وأسمائه، وهذه القدرة الواحدة التي له تعالى خلق بها جميع مخلوقاته، ويخلق لمخلوقاته بها جميع ما قدره وقضاه عليهم أزلاً من ظلم وغيره من أفعالهم بعد أنْ يخلق فيهم قدرة على ذلك، وإرادة لذلك، كما خلق لهم أعيناً، وهو يخلق لهم الإبصار بها، وخلق لهم آذاناً، وهو يخلق لهم الاستماع بها، وخلق لهم أيدي، ويخلق لهم التناول بها، وخلق لهم أرجلاً، ويخلق لهم المشي بها، وإن شاء خلق لهم تلك الجوارح كلّها كاملة، وخلق فيها القوى المعتاد خلقها فيها، ولا يخلق لهم ذلك الأمر المقصود [إلّا]: من تلك

الجوارح، والناس الناظرون إلى الحقّ تعالى في كلّ ما خلق ينسون المخلوقات؛ فينسبون الأفعال إلى من هي صادرة عنه حقيقة، وهو المؤثر فيها، ويسمّونها بما سمّاها به تعالى من الظلم، والكفر، والفسق، والعدل، والإيمان، والطاعة. وهو الوجود الحقّ سبحانه وتعالى، فيخاطبونه بكلّ لسان، وبكلّ طريقة؛ إذ لا سواه عندهم، والكلّ صادر عنه/ [٨٧/ أ] لا عن غيره، وأمّا الناظرون إلى الخلق في كلّ ما يجدون؛ فإنّهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فينسبون الأفعال إلى غير مَنْ هي صادرة عنه على طريقة المجاز، وهو العبد المخلوق، وهم الغافلون عن الله تعالى، المشاهدون لمخلوقاته، وهذا الشأن ليس على طريقهم. وقوله (**ميلٌ**): مبتدأ مؤخَّر للخبر المقدّم الذي هو قولك (**أَمَالَكِ**): والتقدير أمالكِ ميلٌ. يقال: مال إليه ميلاً: عَدَلَ. يعني: أمالكِ يا أيتها المحبوبة الحقيقيّة ميلٌ عن الصدّ والإعراض. (**لعطفةٍ**): أي للانعطاف والإقبال علينا.

٥٤- فَبَلُّ غَلِيْلٍ مِنْ عَلِيْلٍ عَلَى شَفَاً يُبِلُّ شِفَاءً مِنْهُ أَعْظَمُ مِنَّةِ

(**البَلُّ**): مصدر بلّ، جعله نداوة. (**والغليل**): بالغين المعجمة كأمير، العطش، أو شدّته، أو حرارة الجوف. وقوله (**من عليل**): بالعين المهملة، أي: مريض. و(**مِنْ**): بيانيّة. وقوله (**على شَفا**): بفتح الشين المعجمة والقصر، هو هنا بقيَّة الروح. وقوله (**يُبِلُّ**): بضمّ الياء المثنّاة التحتيّة وكسر الباء الموحدة وتشديد اللام، فعل مضارع من أَبَلَّ ـ بتشديد اللام ـ المريض من مرضه: بَرَأَ. وقوله (**شَفَاً**): بالنصب مفعول من أجله ليبلّ. وقوله (**منه**): متعلِّق بمحذوف صفة لشفاً، أي: شفاء موصوفاً بأنّه منه، أي: من الغليل بالغين المعجمة. وقوله (**أَعْظَمُ**): خبر المبتدأ الذي هو بلّ غليل، وأعظم: مضاف إليه. (**مِنَّةٍ**): أي فضل من المحبوبة على المحبّ.

٥٥- وَلَا تَحْسَبِي أَنِّي فَنِيْتُ مِنَ الضَّنَى بِغَيْرِكِ بَلْ فِيْكِ الصَّبَابَةُ أَبْلَتِ

(**أنّي فَنيت**): من الفناء في المحبّة، وهو الاضمحلال في الوجود الخارجي المستفاد من الوجود الحقيقيّ القديم بطريق تجلّيه على التقادير العلميّة اللدنيّة،

وهو الرجوع إلى الأصل والكشف والتحقّق بالمعرفة. وقوله (**من الضنى**): أي السقم، على معنى أنّ السقم هو الذي أوصلني إلى ذلك الفناء بأنْ كان ذلك السقم حاصلاً لي. (**بغيرك**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة المشار إليها في الأبيات قبله، أي: بسبب غيركِ، ثمّ أضرب عن ذلك بقوله (**بل فيكِ**): بكسر الكاف أيضاً، أي: في محبّتك أصابني ذلك السقم، فأوصلني إلى الفناء المذكور. وقوله (**الصبابة**): وهي زيادة الشوق. (**أَبْلَتِ**): بكسر التاء للقافية، أي: جعلتني بالياً، أي: فانياً، مضمحلاً، والجملة من المبتدأ؛ وهو الصبابة. والخبر هو جملة أبلتِ من الفعل والفاعل؛ وهو الضمير الراجع إلى الصبابة ومتعلّقه وهو الجار والمجرور في قوله (**فيكِ**): بيان للمعنى المذكور، وإضراب عمّا سبق.

٥٦- جَمَالُ مُحَيَّاكِ المَصُوْنُ لِثَامُهُ عَنِ اللَّثْمِ فِيْهِ عُدْتُ حَيّاً كَمَيِّتِ[1]

(**جمال**): أي حُسْن. (**مُحيّاكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة. و(**المُحيّا**): الوجه، من قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] أي: ذات الله تعالى محيطة بكلّ شيء من قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [٤١/ فصّلت/ ٥٤] قال في القاموس: «الوَجْهُ مُسْتَقْبَلُ كلّ شيء ونَفْسُ الشيء». وقوله (**المَصون لِثَامُهُ**): أي المحفوظ نقابه وحجابه، وصف للوجه. كناية عن كلّ شيء فانٍ، كلّ شيء ساتر للوجه ستراً عن الغافل الجاهل، لا عن العارف المحقّق؛ لأنّ العارف فانٍ مضمحلّ، والغافل الجاهل لايعرف ذلك، ولا يسلمه، ولا يدخل ذلك في عقله، وإذا سمعه أنكره، أو فهمه على خلاف ما يريده العارف المحقّق. وكون الوجه مستوراً عنه لأنّه ليس من محارم هذه المحبوبة الحقيقيّة حتى تكشف وجهها له فيراها لعدم تقواه القلبيّة وإن كان على كمال التقوى في الظاهر قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [٢٢/ الحج/ ٣٢] فالنسب المعتبر الذي

(١) انظر تخريجه في الصفحة ٣٥٥ والحاشية ٤٨ من المقدّمة.

يقتضي المحرميّة المقتضية لكشف الوجه له، إنّما هو/ [٨٧/ ب] التقوى في الباطن، وينشأ منها التقوى في الظاهر، كما ورد في الحديث قوله تعالى في القيامة: «اليوم أرفع أنسابكم وأضع نسبي؛ أين المتّقون»[1]. وقوله (**عن اللثم**): متعلّق بالمصون، أي: التقبيل، كناية عن التمتع بالنقاب والحجاب من كلّ شيء؛ التمتّع المقصود من قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ**﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٢] وهو محاسن كلّ شيء ثمّ قال: ﴿**وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ**﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٢] فيشمل المأكول وغيره، وكلّها حجب وأستار على الوجه الربّانيّ كما ذكرنا. ثمّ قال: ﴿**قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا**﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٢] وهم العارفون المحقّقون المؤمنون الإيمان الكامل. ثمّ قال: ﴿**خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ**﴾ [٧/ الأعراف/ ٣٢] يعني: يشاركهم فيها غيرهم في الحياة الدنيا، ولكن لا يكمل النعيم فيها كما يكمل للذين أمنوا. وأمّا يوم القيامة فلا يشاركهم فيها غيرهم أصلاً. وقوله (فيه): أي في ذلك الجمال المذكور، متعلق بـ (**عُدْتُ**): قُدِّم عليه للحصر. و(**عُدْتُ**): أي صرت أي(**حياً**): أي ذا حياة حقيقيّة. (**كَمَيِّتِ**): أي شبيهاً بالمَيِّت من حيث أنّه لا حركة لي من نفسي، ولا سكون لي في باطني وظاهري من نفسي عن كشف مني، وشهود لحالي، تحقّقا بلا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

٥٧- وَجَنَّبَنِي حُبِّيْكِ وَصْلَ مُعَاشِرِي وَحَبَّبَنِي مَا عِشْتُ قَطْعَ عَشِيْرَتِي

(**جَنَّبني**): بالجيم والنون المشدّدة المفتوحة والباء الموحّدة، أي: صيّرني متجنّباً، أي: متباعداً. وقوله (**حُبِّيكِ**): بكسر الكاف، أي: حُبّي إياكِ. (وَصْل): أي مواصلة. (مُعَاشِرِي): بضمّ الميم، أي: من كان معاشراً لي، أي: مصاحباً، وإذا تجنَّب مواصلة من يعاشره بسبب اشتغال قلبه بمحبّتها فكيف لا يتجنّب مواصلةَ غير المُعاشِر له، وهو مقام العزلة والتجرّد عن الأغيار من أحوال السالكين

---

(١) ورد على هامش المخطوط قول الناسخ: «بلغ». أي: بلغ مقابلة على المؤلّف.

الأخيار في ابتداء الطريق بمحض العناية والتوفيق. وقوله (وحبَّبَني): بالحاء المهملة وتشديد الباء الموحّدة الأولى مفتوحة، وفتح الباء الموحّدة الثانية، أي: حُبِّبَ إلي، وفاعله ضمير راجع إلى (حُبِّيكِ): أي حبّي إياك. وقوله (ما): مصدريّة ظرفيّة. (عشْتُ): فعل ماض، أي: مدّة عيشتي أي حياتي في الدنيا. وقوله (قَطْعَ): بالنصب مفعول حُبِّب، أي: مقاطعة عشيرتي، قال في القاموس: «عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنَوْنَ، أو قبيلته، والجمع عشائر».

٥٨- وَأَبْعَدَني عنْ أَرْبُعِي بُعْدُ أَرْبَعٍ ... شَبابي وعَقْلي وارتِياحي وصِحَّتي

(أَبْعَدني): أي صَيَّرني بعيداً. (عن أَرْبُعِي): بفتح الهمزة وسكون الراء وضمّ الباء الموحّدة وكسر العين المهملة: جمع رَبع، والربع الدار بعينها حيث كانت، والمحلّة، والمنزل. يعني: عن منازلي وما كنت فيه من العادات والطبائع في الباطن، وعن دُوري ومَحَلّاتي وما كنت أسكن فيه وآوي إليه في الظاهر. وفاعل أبعدني ضمير راجع إلى حُبِّيْكِ، أي: حبّي إياكِ في البيت قبله. وقوله (بعد أربع): أي بعد إبعاده لي عن أوصاف أربع. الأوّل: شبابيّ، أي: عصر شبيبتي، فصرت أعجز عن تعاطي كلّ شيء. والثاني: عقليّ؛ فصرت لا أعي ولا أدرك شيئاً. والثالث: ارتياحيّ. والارتياح النشاط والاهتمام بالأمور. والرابع: صحّتي، أي: عافيتي في بدني؛ فما حال إنسان فقد شبابه فشاخ وانهرم وفقد عقله ؛ فجُنّ وذهِل، وعَدِم إدراكه، وزال نشاطه وابتهاجه في الأمور، وذهب عافية بدنه؛ فمرض وسقم. ثمّ بعد هذه الأربعة خرج عن أوطانه، وساح في الأرض على هذه الحالة بسبب محبَّته لهذه المحبوبة الحقيقيّة.

٥٩- فَلِي بَعْدَ أَوْطَانِي سُكُونٌ إِلَى الفَلَا ... وَبِالوَحْشِ أُنْسِي إِذْ مِنَ الإِنْسِ وَحْشَتِي

(فلي): بفاء التفريع على ما قبله. (بعد أوطاني): جمع وطن؛ وهو منزل الإقامة. وقوله (سكون):/ [٨٨/ أ] أي: قرار، يُقال: سَكَنَ سُكُوناً: قَرَّ ونزل. وقوله (إلى الفلا): جمع فلاة؛ وهي المفازة لا ماء فيها، فلا يدخلها أحد من إنسان، أو حيوان،

أو طير لعدم الماء فيها. وقوله (**وبالوحش**): وهو حيوان البرِّ كالوحيش. (**أُنسي**): أي استئناسي. والأُنس: بضمّ الهمزة وسكون النون ضدّ الوحشة، وكان ذلك لكمال توحُّشِه فيستأنس بما يناسبه في التوحُّش والنفرة عن الناس. وقوله (**إذْ**): تعليليّة. (**من الإنس**): بكسر الهمزة وسكون النون. والإنس هم البشر، كالإنسان: ذكوراً وإناثاً. (**وحشتي**): قال في القاموس: «الوَحْشَةُ: الهَمُّ والخَلْوَة والخَوْف». وذلك إشارة إلى كمال تجرّده ونفرته عن الناس.

٦٠- وَزَهَّدَ فِي وَصْلِي الغَوَانِيَ إذْ بَدَا   تَبَلُّجُ صُبْحِ الشَّيْبِ فِي جُنْحِ لِـمَّتِي

(**زهّد**): بتشديد الهاء من الزُّهْدُ ضدّ الرَّغبة، يقال: زَهَد فيه: إذا أعرض عنه، وزَهَدَ عنه إذا رغب فيه. وقوله (**في وصلي**): أي مواصلتي والقرب إليّ. وقوله (**الغواني**): مفعول زَهَّدَ. و(**الغواني**): جمع غانية؛ وهي المرأة الحُسْنى التي استغنت بحُسْنها عن الزينة، كناية عن حضرات الأسماء الإلهيّة، والتجلّيات الربّانيّة. وقوله (**إذْ**): ظرفية بمعنى حين. (**بدا**): ظهر. (**تبلُّج**): بتشديد اللام. فاعل زهّد وبدا بطريق التنازع. والتبلُّج مصدر تَبَلَّج، أي: أشرق وأضاء. وقوله (**صُبح**): مضاف إليه، وهو مضاف إلى الشيب، كناية عن ظهور نور الوجود الحقّ. وقوله (**في جُنح**): بضمّ الجيم وكسرها وبسكون النون وبالحاء المهملة والطائفة من الليل، وأضافه إلى قوله (**لِمّتِي**): بكسر اللام وتشديد الميم؛ وهي الشَّعَر المُجاوز لشحمة الأذن. كناية عن الشعور بمعنى الادرك. يقال: شَعَرَ به: إذا أدركه بنفسه، وهو حديث النفس؛ فإنّه ينبت فيها كما ينبت الشَّعَرُ في البدن، وهو أسود، فإذا شاب فأشرق وأضاء كان ذلك بظهور نور العلم اللدنيّ الإلهيّ، والفيض الإلهاميّ الربّانيّ. وإذا ظهر نور الوجود الحقّ أعرضتْ عنه غواني الأسماء الحسنى الإلهيّة التي هي لا عين الذات الإلهيّة، ولا غيرها؛ فيفنى السالك حينئذ وتضمحلّ رسومه بالكليّة، وتغيب الأسماء الإلهيّة في الذات العليّة؛ فلا يبقى إلا نور الحقّ، والوجود الحقيقيّ الأزليّ الأبديّ على ما هو عليه أزلاً وأبداً .

٦١- فَرُحْنَ بِحُزْنٍ جَازِعَاتٍ بُعَيْدَ مَا فذَرِحْنَ بِحَزْنِ الجِزْعِ بِي لِشَبِيْبَتِي

(رُحْنَ): أي ذهبن، والنون المفتوحة الساكن ما قبلها ضمير جماعة النسوة راجع إلى الغواني في البيت قبله. ورواحهن كناية عن رجوعهن إلى حقيقة الذات الأقدس في نظر المحبّ لفنائه، وفناء كلّ شيء عنده؛ فلا يبقى ما تتعلّق الأسماء الإلهيّة بالتأثير فيه. و(الحُزْن): بضمّ الحاء المهملة، خلاف الفرح. وقوله (جازعات): حال من ضمير جماعة النسوة، من جَزِع الرجل جَزَعاً من باب تَعِب؛ فهو جَزِع وجَزوع مبالغة إذا ضعُفت قوَّته عن حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً، كما في المصباح. وجَزَع الأسماء الإلهيّة كناية عن زيادة طلبهن للتأثير في الأشياء، وكمال توجّههن على إيجاد العوالم، فإذا انكشف للسالك فناؤه في الوجود الحقّ ـ سبحانه ـ اختفين عنه في ذات الوجود الحقّ بحيث لم يبق عنده غير ذات الوجود الحقّ، ولا شيء انفصل عنه، ولا شيء اتّصل به، ولا دخل فيه شيء، ولا خرج عنه شيء. وقوله (بُعَيد): بضمّ الباء الموحّدة تصغير بَعْد. (وما): مصدريّة. و(فَرِحْنَ): أي سُررنَ. يعني: تلك الغواني. (بِحَزْن): أي في حَزْن، بفتح الحاء المهملة، ضدّ السهل. و(الجِزع): بكسر الجيم، منعطف الوادي. كناية عن باطن الجسم الإنسانيّ؛ فإنّ الأسماء الإلهيّة متوجّهة على الروح، والروح متوّجة على باطن يالجسم الإنسانيّ بالقوى العَرَضيّة المبثوثة/ [٨٨/ ب] فيه. وقوله (بي): متعلّق بفرحنَ. وفرحهن كناية عن تصرفهنّ فيه بتوجيه الروح الأمري، وإعطاء كلّ اسم مقتضاه. وقوله (لشبيبتي): أي لأجلها، وهي حالة صغره وجهله مقام العرفان زمن رعونته وغفلته عن التحقّق بعالم الإمكان.

٦٢- جَهِلْنَ كَلُوَّامي الهَوَى لا عَلِمْنَهُ وخَابُوا وإنِّي مِنْهُ مُكْتَهِلٌ فَتِي

ضمير (جَهِلْنَ): للغواني أيضاً. وجَهْلُهُنَّ كناية عن توجيه كلّ اسم إلهيّ على ما هو متوجّه إليه من الأثر المخصوص بمقتضى توجيه المسمّى الحقّ سبحانه، فهو تعالى يعلم السالك وجميع صفاته وأحواله على التمام؛ ولكن لا يتّصف سبحانه

بشيء من صفاته، ولا بحال من أحواله، وقوله (**كَلُوَّامي**): أي مثل لُوَّامي، جمع لائم على المحبّة؛ فإنّهم أيضاً لا يتّصفون بشيء من صفاتي، ولا بحال من أحوالي؛ فهم لا يعرفون أمري. وقوله (**الهوى**): مفعول جهلنَ. يعني: المحبّة؛ إذ هي وصفي وحالي، لا وصفهم وحالهم، وإنْ كان ذلك الهوى الذي أكابده أثراً من آثار الأسماء الإلهيّة؛ وهو من جملة معلوماته على أنّه وصفي، لا وصفها، ومكابدتي له من جملة معلوماتها؛ فهو حالي لا حالها، فهنَّ جاهلات به ذوقاً وإحساساً كاللوائم عليه وإنْ كُنَّ وكان اللوام أيضاً عالمين به، ولكن غير ذائقين له. ثمّ قال (**لا علمْنَه**): الضمير للغواني، والجملة دعائيّة، أي: لا علمنه علم ذوق له، واتّصاف به؛ لأنّ ذلك من شأن الممكنات، والأسماء قديمات أزليّات ليسوا بممكنات حتّى يذقنه ويتّصفن به. وقوله (**وخابوا**): بضمير الجمع المذكّر الراجع إلى اللّوام قال في الصحاح: «خاب الرجل خَيبة إذا لم ينل ما طلب». يعني: ولا نالوا ما طلبوا منّي من ترك الهوى والمحبّة. ثمّ قال (**وإنّي منه**): أي من الهوى. (**مكتهل**): أي في سنِّ الكهولة، قال في المصباح: «الكَهْل: مَنْ جاوز الثلاثين ووخطه الشيب، وقيل: من بلغ الأربعين». يعني: إنّه من جهة الهوى والمحبّة كبير مجاوز للمدّة الطويلة. وقوله (**فَتِي**): بفتح الفاء وكسر التاء المثنّاة الفوقيّة، وأصل الياء مشددة فخففت للقافية، وهو من جهة قوَّته وشدَّته فتيّ، قال في المصباح: «الفَتِيّ من الدواب خلاف المُسنّ، وهو كالشاب في الناس». وذلك كقول الشيخ إبراهيم بن رفاعة قدّس الله سرَّه من قصيدة له:

صِرتُ شيخاً وما تغيَّر حالي   عن هواكم وهمَّتي كالشباب

٦٣- وَفِي قَطْعِيَ اللّاحِي عَلَيْكِ وَلَاتَ حِيْـ   ـنَ فِيْكِ جِدَالٍ كَانَ وَجْهُكِ حُجَّتِي

(**قطع اللاحي**): أي اللائم على المحبّة بمعنى تبكيته، قال في القاموس: « قَطَعَ فلاناً بالحجّة بَكَّتَهُ كَأَقْطَعَهُ». وقوله (**عَلَيْكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة الحقيقيّة المشار إليها في أثناء الكلام المتقدّم، والجار والمجرور متعلّق باللّاحي.

وقوله (**ولات حين فيكِ جدال**): قال الرضيّ في شرح الكافية، في إعمال لا عمل ليس: «وقد تلحق لا التاء نحو لات فتختصّ بلفظ الحين مضافاً إلى نكرة نحو لات حين مناص. وقد تدخل على لفظة أوان. ولفظة أوان هنا أيضاً، قال الفرّاء: تكون مع الأوقات كلّها، وأنشد: «لات ساعة مندم»[1]. والتاء في لات للتأنيث. وحين خبرها منصوب. واسمها محذوف، أي: لات الحين حين مناص. وقال الرضي في موضع آخر: «واعلم أنّ الفصل بين المضاف والمضاف إليه في الشعر بالظرف والجار والمجرور غير عزيز، وبغيرهما عزيز جداً. وحكى ابن الأعرابي: هو غلام ـ إنْ شاء الله ـ ابن أخيك، وقد يفصل في السعة بينها قليلاً بالقسم نحو: هذا غلام ـ والله ـ زيدٍ، وذلك لكثرة دوره في الكلام»[2]. فقوله (**فيكِ**): جار ومجرور فصل به بين المضاف وهو حين، والمضاف إليه وهو جدال، وأصله ولات حين جدال/ [٨٩/ أ] فيكِ بكسر الكاف،خطاب للمحبوبة المشار إليها في الأبيات قبله. يعني: في قطعي اللاحي بالحجّة، وإلزامه بها على إثبات عذري في المحبّة، وثبوتها عندي اضطراراً منِّي من دون اختياري، والحال إنَّ الحين ليس حين جدالٍ ومخاصمة في محبّة المحبوبة؛ لأنّها حاضرة لا غيبة لها عن المحبّ. وقوله (**كان وجهكِ**): بكسر الكاف. يعني: في وقت قطعي اللّاحي عليك، وإلزامي له، والوجه هنا هو الذات العليّة من قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [٢/ البقرة/ ١١٥] وقوله (**حُجَّتي**): أي برهاني ودليلي على ثبوت عذري في محبَّتها؛ وهو- لَعَمْري- برهان قاطع، ودليل ساطع؛ فإنّ مَنْ تحقّق بالفناء عن الأغيار، حتى عن نفسه، وعرف أنّ كلّ شيء هالك إلا وجهه معرفة كشف وشهود، عرف الحقّ الواحد الوجود، وتبيَّن له أنّ الإحسانات والعطايا بأكملها منه، وحصول الأغراض والمرادات بأسرها صادرة عنه، وتحقّق بهذا الجمال الحقيقيّ؛ فمن لازمة المحبّة لفاعل ذلك بالضرورة، لا بالاختيار، فيثبت عذر المحبّ بالاضطرار.

---

(١) انظر شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الإستراباذي، ج١ ص٧٠٢.

(٢) المصدر ذاته ج١ ص٧٦٥.

٦٤- فَأَصْبَحَ لِي مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ عَاذِلاً   بِهِ عَاذِراً بَلْ صَارَ مِنْ أَهْلِ نَجْدَتِي

(**فأصبح**): أي اللاحي. (**لي**): متعلِّق بـ(**عاذراً**). وقوله (**من بعد ما كان عاذلاً**): أي لائماً. وقوله (**به**): أي بسبب الوجه المذكور الذي هو أقوى حجة في المحبّة متعلِّق بقوله (**عاذراً**). وقوله (**بل صار**): أي ذلك اللّاحي عندما رأى الوجه المذكور. (**من أهل نجدتي**): أي معاونتي ومساعدتي في مهمات أموري، فأشار بذلك أنَّ اللّاحي إنّما يلوم المحبِّين بسبب جهله بالمحبوب، وعدم رؤيته. فلو رآه بعين المحبّ ـ العين الحقيقيّة الصحيحة ـ لترك لومه وصار محبّاً، وعذر أهل المحبّة. وكذلك المنكرون على أهل الله فيما يجدونه من العلوم الإلهيّة، ويفهمونها من الآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة الوارد ذلك من الشارع تعليماً للمتّقين، وتفهيماً لقلوب المريدين؛ فلو رأت عيون اللّواحي ما رأته عيون المحبِّين من النور الإلهيّ الظاهر، والجمال الربّانيّ القاهر لعذروهم، وتركوا لومهم، ولكن طمس الله تعالى قلوبهم بالإنكار، وأوقعهم في حبوس الوساوس والأفكار، قال صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ بلغه عن الله فضيلةٌ فلم يصدِّق بها لم ينلها»[1] أخرجه السيوطيّ في جامعه الصغير. وذكر الشيخ الأكبر قدّس الله سرَّه في الفتوحات المكّيّة ما معناه أنّ موسى عليه السلام لما أنكر على الخضر ما جاء به من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبنيان الجدار من غير أنْ يحيط بذلك علماً فهل علم بعد ذلك علم الخضر أم لا. لم أجد ما يدلّ عليه. انتهى.

قلت: الظاهر أنّه لم يعلم ما أنكره على الخضر من العلم للحديث المذكور؛ ولكنّ علوم الله تعالى كالبحار الزواخر، وموسى عليه السلام على علم علمه الله تعالى إيّاه لم يعلم به الخضر، والخضر على علم علَّمه الله تعالى إياه لم يعلِّمه موسى كما جاء في الحديث الصحيح.

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصليّ في مسنده، باب: من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدّق بها، ٣٣٤٩. وقال الهيثميّ في مجمع الزوائد ج١ ص١٧٩: رواه أبو يعلى والطبرانيّ في الأوسط، وفيه بزيع أبو خليل، وهو ضعيف.

٦٥- وَحَجِّيَ عَمْرِي هَادِياً ظَلَّ مُهْدِياً ضَلَالَ مَلَامِي مِثْلُ حَجِّي وَعُمْرَتِي

(حَجِّي): مصدر حَجَّه يحجّه وهو الغلبة بالحُجَّة، وهو مبتدأ. وقوله (عَمْري): بفتح العين المهملة وسكون الميم قسم بالعَمْر، وهو الحياة ، قال في القاموس: «العَمْر بالفتح وبالضمّ وبضمَّتين: الحياة». قيل: ومنه لَعَمْرُك، فَعَمْري مبتدأ، وخبره محذوف، تقديره قسمي. وقوله (هادياً): مفعول حَجِّي. والهادي: اسم فاعل من الهداية؛ بمعنى: الدلالة على طريق يوصل إلى المطلوب. يعني: رجلاً هادياً؛ وهو اللاحي في البيت الذي يزعم أنّه هادي بلومه المحبّين، وعذله لهم، إلى أنْ قامت عليه الحُجّة في المحبّة برؤية وجه المحبوب/[٨٩/ ب] فصار عاذراً، وصار من أهل مساعدتهم ومعاونتهم على ما هم فيه. وقوله (ظلّ): اسمها ضمير راجع إلى قوله هادياً وخبرها مُهدياً. و(المُهْدي): بضمّ الميم اسم فاعل من أهدى هديّة. وقوله (ضلال ملامي): مفعول مُهدياً، وجملة (ظلّ مهدياً ضلال ملامي): في موضع نصب وصف لقوله هادياً. وقوله (مثلُ): خبر المبتدأ الذي هو حجِّي، ومثلُ مضاف إلى (حَجِّي): أي زيارتي لبيت الله الحرام. (وعُمرتي): معطوف على حجّي. والمعنى: عمري قسمي إنَّ إلزامي الحجّة لهذا اللاحي الذي يزعم في نفسه أنّه يهديني إلى الصواب بلومه لي في المحبّة الإلهيّة من حيث لا يشعر، وإنّما هو في نفس الأمر يهدي لي ضلال لومه ثواب إلزامي له، وأجر هدايتي يعادل ثواب حجّي وأجر عمرتي في سبيل الله تعالى، كما ورد: «لأنْ يهدي بك الله رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس»(١).

٦٦- رَأَى رَجَباً سَمْعِي الأَبِيِّ وَلَوْمِي الـ ـمُحَرَّمُ عَنْ لُؤْمٍ وَغِشِّ النَّصِيْحَةِ

(رأى رَجَباً): وهو رجب الأصمّ؛ فهو من قبيل ذكر حاتم، وإرادة الجود. وفاعل رأى ضمير راجع إلى قوله هادياً في البيت قبله. يعني: رأى اللاحي

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: ذكر عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب،٦٥٣٧، بلفظ: «يا علي، لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير مما طلعت عليه الشمس».

سمعي، وهو المفعول الأوّل مؤخّر. (الأبيّ): بتشديد الياء وصف لسمعي، أي: الممتنع من سماع اللوم. وقوله (رجباً): مفعول ثانٍ لرأى مقدّماً، أي: أصمّ، من قبيل الجناس المعنوي، كما قال الشاعر:

ابـــــنُ عَـــــذابٍ إذا تغنّـــــى فإننـــــا منـــــه في أبيـــــه

قد شرحنا هذا النوع من أنواع البديع في شرح البديعيّة لنا، ومثّلنا له. وقوله (ولومي): مبتدأ، و(المُحَرَّمُ): بالرفع خبر المبتدأ، والواو للحال، والجملة في محل نصب على الحاليّة من ضمير سمعي، أو لومي معطوف على سمعي. والمُحَرَّمَ بالنصب وصفه، أي: رأى لومي المحرّم عليه بعد التزامه بالحجّة، وكان لا يعلم قبل ذلك. وقوله (عن لؤم): بالهمز؛ وهو ضدّ الكرم. والجار والمجرور متعلّق بقوله رجباً؛ لأنّه بمعنى الأصمّ، أي: أصمّ عن لؤم. و(غِشّ): بكسر الغين معطوف على لؤم. و(النّصيحة): مضاف إليه.

٦٧- وَكَـمْ رَامَ سِـلْوَانِي هَـوَاكِ مُـيَمِّماً سِـوَاكِ وَأَنَّـى عَنْـكِ تَبْـدِيْلُ نِيَّتِـي

(كَم): خبريّة. وضميرها المضاف إليها محذوف، أي: كم مرّة. وقوله (رَامَ): أي قَصَدَ. يعني: اللّاحي المذكور. (سِلْوَانِي): بكسر السين المهملة، أي: نسياني. (هَواكِ): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة. يعني: من قبل أنْ أُلزمه بالحجّة. وقوله (مُيَمِّماً): اسم فاعل، حال من فاعل رام، أي: قاصداً (سِواكِ): بقصر الكاف، أي: غيركِ. وقوله (وأنّى): بتشديد النون مفتوحة وألف مقصورة، بمعنى كيف، والتقدير: كيف يكون. (عنكِ): بكسر الكاف. (تبديل نيّتي): يعني لا تتبدَّل نِيَّتي، ولا تتغيَّر عنك، ولا يمكنني ذلك. وإذا كانت نيَّته لا تتبدَّل فأحواله لا تتبدّل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [١٣/ الرعد/ ١١].

٦٨- وقَالَ تَلَافَ مَا بَقِيَ مِنْكَ قُلْتُ مَا أُرَانِي إلّا لِلتَّـــــلَافِ تَلَفُّتِـــــي

فاعل قال ضمير راجع إلى اللّاحي. و(تَلَافَ): فعل أمر من التلافي؛ وهو التدارك. و(ما): موصولة. و(بقي): صلته، والعائد الضمير المستتر فيه. وقوله

(مِنْكَ): بفتح الكاف، خطاب للمحبّ. والباقي منه هو الرمق، قال في القاموس: «الرَمَقُ مُحَرَّكَة: بقيّة الحياة». (**قُلتُ**): يعني في جوابه. (**ما أُرَاني**): بضمّ الهمزة بمعنى أظنني، وبفتح الهمزة بمعنى أجدني. وقوله (**إلّا**): أداة استثناء، وهو مفرّغ. وقوله (**للتلاف**): من تَلِفَ كَفَرِحَ، هلك، وأتلفه: أفناه. والجار والمجرور متعلّق بقوله (**تلَفُّتي**): يقال تَلَفَّتَ، بتشديد الفاء: إذا لوى وجهه يميناً أو شمالاً. والمعنى: إنّي لا أتلفّتُ إلا للتلف، والهلاك، والفناء، لأنّ الفناء هو طهارة/[٩٠/ أ] السالك عن دنس الأغيار، قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [٥٦/ الواقعة/ ٧٩] فلولا طهارة القلب من كلّ ما سوى الحقّ تعالى ما عرف الحقّ تعالى أحد، ولنا في مطلع قصيدة:

إنَّ الفَنــــاءَ طهـــــارةُ الإنـــــسانِ لـــصلاةِ معرفـــةِ البعيـــدِ الـــداني

٦٩- إبَـائِي أَبَـى إلّا خِـلَافِي نَاصِـحَاً يُـحَاوِلُ مِنِّـي شِـيْمَةً غَـيْرَ شِـيْمَتِي

(**إبائي**): بكسر الهمزة، أي: امتناعي، من قولهم: فلان يطبعه أبيٌّ، بالتشديد: يأبى رذائل الأخلاق. وقوله (**أبى**): أي كره. وقوله (**إلّا**) أداة استثناء، والاستثناء مُفَرَّغ. (**وخلافي**): مفعول أَبى، أي: مخالفتي. و(**ناصحاً**): مفعول خلافي؛ ومعناه طبعي الأَبِي كره كلّ شيء إلا مخالفة الناصح الذي ينصح على المحبّة؛ فإنّ طبعي لا يكره المخالفة للناصح؛ لأنّي مُنجبِلٌ على الحبّ والهوى، ومعتاد على مكابدة الشوق والجَوَى. وقوله (**يحاول**): الجملة صفة ناصحاً. وقال في القاموس: «احْتَوَلُوهُ: احْتَاشُوا عليه، وحَاوَلَه حِوالاً ومُحَاوَلَةً: بمعنى يقصد ويروم». (**مِنِّي شِيمة**): بالكسر، أي: طبيعةً وعادة. (**غير شيمتي**): أي طبيعتي وعادتي التي انطبعت فيها، واعتَدْتُ عليها، وذلك أمر ممتنع لا يكون أصلا فيه.

٧٠- يَلَـذُّ لَـهُ عَـذْلِي عَلَيْـكِ كَـأَنَّمَا يَـرَى مَنَّـهُ مَنِّـي وَسَـلْوَاه سَـلْوَتِي

(**لَذَّ**): بتشديد الذال المعجمة صار لذيذاً. وقوله (**له**[1]): أي للناصح المذكور

---

(١) نقص من المخطوط.

في البيت قبله. و(**عَذلي**): أي لومي على الهوى، وهو فاعل يلذُّ. وقوله (**عليكِ**): بكسر الكاف، خطاب للمحبوبة. وقوله (**كأنّما يرى**): أي الناصح. و(**مَنّهُ**): بتشديد النون، والضمير راجع إلى الناصح. والمَنُّ: كلُّ طَلٍّ ينزل من السماء على حجر أو شجر، ويَحْلُو، وينعقد عَسَلاً، ويَجِفُّ جَفافَ الصَمْغِ. والمعروف بالمَنِّ: ما وَقَع على شجر البلوط، كذا في القاموس. وقوله (**مَنّي**): بفتح الميم وتشديد النون، مِنْ: مَنَّ الحبلَ: قَطَعَهُ. يعني: قطعه لي عن المحبّة. وقوله (**سَلْوَاهُ**): قال في القاموس: «السَّلْوى بفتح السين المهملة: طائر، واحدته سَلْوَاة. وقوله (**سلوَتِي**): أي نسياني المحبّة قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [٢/ البقرة/ ٥٧] أي: الترنجبين[١] والسُّمّانى، قيل: كان ينزل عليهم المَنُّ مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع. ويبعث الجنوب عليهم السُّمّانَى، ذكره البيضاوي في تفسيره. والمعنى: يرى طيره الذي يأكل لحمه ويلتذّ بأكله. والسلوة عن المحبّة ونسيانها يعني: يرى شرابه اللذيذ قطعي عن المحبّة وتركها، ومأكله اللذيذ سلواني محبّة المحبوبة كما أرى أنا شرابي اللذيذ، ومأكلي اللذيذ من حيث روحانيَّتي وجسمانيّتي هو المحبّة للمحبوبة.

٧١- وَمُعْرِضَةٍ عَنْ سَامِرِ الجَفْنِ رَاهِبِ الـ ... ـفُؤَادِ المُعَنَّى مُسْلِمِ النَّفْسِ[٢] صَدَّتِ

(**ومُعرضةٍ**): مجرور بواو ربَّ، والمُعْرِضَة: اسم فاعل للمؤنّث، من أعرض زيد عن عمرو: إذا صدّ عنه، وهي المحبوبة الحقيقيّة، وإعراضها كناية عن كمال تنزهها وتجرّدها عن الموادّ كلّها؛ فإنّ وجودها بنفسها لا بمادة روحانيّة، ولا نفسانيّة، ولا عقليّة، ولا جسمانيّة، بخلاف العوالم كلِّها؛ فإنّها لا توجد إلا بإحدى مادة من المواد المذكورة؛ ولهذا نقول: إنّ وجود كلّ ما سوى الحقّ تعالى إنّما هو بإشراق وجود الحقّ تعالى، الوجود الحقيقيّ، القائم بنفسه، المجرّد عن جميع الموادّ المذكورة وغير المذكورة

(١) الترنجبين: الكمأة. والسلوى طائر كالسماني. انظر تفسير البيضاوي: ج١ص٩٤.
(٢) في (ق): القلب.

مما لا نعلمه نحن، كما قال سبحانه: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١٦/ النحل/ ٨] بحيث أنّ ذلك الإشراق يشمل كلّ مادّة من الموادّ المعدومة في نفسها، الموجودة بذلك الإشراق؛ فيظن الغافل المحجوب أنّ الشيء الذي هو كناية عن تلك المادّة - أي مادّة كانت - وجد، وتلك المادة في نفسها فانية مضمحلّة على ما هي عليه في نفسها لم يتغير كما كان ذلك الإشراق المذكورعلى/[٩٠/ ب] ما هو عليه أيضاً لم يتغيّر أزلاً وأبداً، والكتاب والسنَّة طافح ببيان ذلك. وكذلك الكشف والعيان شاهد بذلك عند أهل المعرفة والإيقان، والله يقلّب القلوب والأبصار وهو معنى الإعراض المذكور. وقوله (عن سامر): بالسين المهملة، اسم فاعل، أي: ساهر، قال في القاموس: «سَمَرَ سَمْراً وسُمُوراً لم ينم». و(الجَفْن): غطاء العين. يعني: عينه لم تنم عن مشاهدة تلك المحبوبة المعرضة عنه، تشاهدها في كلّ مادّة على حدٍّ ما ذكرنا، ولا تقدر العين أن تشهدها مجرَّدة كما هي عليه في نفسها، فإعراضها عنه لم يزل مع شهوده لها. وقوله (راهب): أي خائف. (الفؤاد): أي القلب. (المُعَنَّى): بتشديد النون مفتوحة، اسم مفعول من عاناه: قاساه، أي: القلب القاسي لأنواع الأتعاب والمشقات. يعني: قلبه خائف من تلك المحبوبة المعرضة عنه؛ وهو يقاسي في محبّتها أنواع الأتعاب والمشقات من عواذلها ولوّامها والمنكرين عليه من الجاهلين بأحواله. وقوله (مُسْلِمِ): من الإسلام؛ وهو كمال التسليم لهذه المحبوبة في جميع مأموراتها ومنهيّاتها، قبولاً وامتثالاً، لا بحسب قدرته وطاقته، بإضافة ذلك إلى النفس وهي النفس المطمئنّة، الراجعة إلى ربّها بعد فنائها واضمحلالها. وقوله (صدَّتِ): بكسر التاء للقافية، وأصلها السكون. والمعنى: إنّ إعراض هذه المحبوبة أصليٌّ لمقتضى كمالها الذاتيّ؛ ولهذا قال (ومُعْرِضَة). وصدودها بعد تحقّق وجود المحبّ فافترقا.

٧٢- تَناءَتْ فكانتْ لَذّةَ العَيْشِ وَانْقَضَتْ بِعُمْرِي فَأَيْدِي البَيْنِ مُدَّتْ لِمُدَّتِي

(تناءت): أي تباعدتْ عنِّي تلك الحبيبة المعرضة بإزالة الخاطر المستقيم لأمر اقتضاه الوقت لابدّ من نفاذه. ثُمّ قال (فكانت لذّة العيش): أي لذّة الحياة الدنيا؛

تعالى، وبالصبح عن ظهور الحقّ تعالى له، كما ورد في الأثر: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[1] فالانتباه يحصل بالموت الاختياري، وهو طلوع فجر الأحديّة من أفق الروح الأمريّة. فإذا كان نومه كصبحه، وصبحه معدوم، فنومه معدوم كذلك؛ فهو لم ينم من طلبه للحقّ تعالى، وهو محجوب عن الحقّ تعالى، فهو معذب. ثمّ قال (حيث كانت مسرّتي): أي في مكان فيه مسرّتي. وأخبر أنّ مسرّته معدومة بقوله (فلم ير طرفي بعدها ما يسرّني) فلذلك نومه معدوم، كما أنّ صبحه معدوم. وهذه الأبيات شكاية حاله في ابتداء سلوكه.

٧٥- وَقَدْ سَخِنَتْ عَيْنِي عَلَيْهَا كَأَنَّهَا بِهَا لَمْ تَكُنْ يوماً مِنَ الدَّهْرِ قَرَّتِ

(سَخِنَتْ): العين كفَرِحَتْ، لم تَقَرّ، وأسخن الله عينيه: أبكاه بكاءً حارّاً، وهو بكاء الحزن. و قَرَّتِ العين بالفتح: تَقَرُّ، بالكسر والفتح، قَرَّة بالفتح، وتضمّ، وقُرُوراً: بَرَدَتْ؛ وهو بكاء الفرح؛ فإنّه دمع بارد. كنّى بسخونة العين عن تجلّي المحبوبة الحقيقيّة عليه بالجلال والقبض؛ فإنّ ذلك يورثه الحجاب، والأعمال النفسانيّة الحارة. وكنّى بقُرُور العين عن تجلّي الجمال والبسط. ومنه برد اليقين الذي يقع في قلوب الصدّيقين، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «وجُعلت قُرَّة عيني في الصلاة»[2] وهو برد الدمع الذي هو كناية عن الصلاة الكاملة الصادرة من العين الحقيقيّة التي ظهرت به صلى الله عليه وسلم فكَنى عنها بقوله: عيني.

٧٦- فَإِنْسَانُهَا مَيْتٌ وَدَمْعِيَ غَسْلُهُ وَأَكْفَانُهُ مَا ابْيَضَّ حُزْنَاً لِفُرْقَتِي

(فإنسانها): الضمير راجع إلى العين في البيت قبله. وإنسان العين كناية عن المثال الذي يرد في سواد العين، وهو الناظم، من قبيل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [٢٠/ طه/ ٣٩]

---

(١) انظر تخريجه ص٢٨٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، ١٤٤٠١، بلفظ: «حبّب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجُعلت قرّة عيني في الصلاة». كما أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: حبّ النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في، ٢٦٢٧. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وهي اللذّة المعبَّر عنها بحلاوة التوحيد التي مَنْ ذاقها فالْتَذَّ بها نَسِيَ أهله وأمواله ودنياه وأخراه. وقد قصد المتنبِّي المبالغة في كلامه كما هو عادة الشعراء فقال:

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ ... هُنَّ فيه أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ

وقوله (**وانقضت**): أي تلك اللَّذَّة. (**بِعُمري**): بضَمِّ العين المهملة وسكون الميم، متعلِّق بانقضت. يعني: لا يَعُدُّ مِنْ عمره إلّا ذوقه لتلك اللّذّة. فلمّا تباعدت عنه بإسدال الحجاب انقضت لذّتُه فانقضى عمره. ثمّ قال (**فأيدي**): جمع يد. (**البَيْن**): أي البُعد. (**مُدّتْ**): بضمّ الميم والدّال المهملة مشدّدة، وضمير مدَّتْ لأيدي البين. وقوله (**لِمُدَّتِي**): متعلِّق بمَدّت. يعني: فتناولت عمري، فلذلك انقضى عمري مع انقضاء لذّة العيش.

٧٣- وَبَانَتْ فَأَمَّا حُسْنُ صَبْرِي فَخَانَنِي ... وَأَمَّا جُفُونِي بِالبُكَاءِ فَوَفَّتِ

(**بانتْ**): أي بَعُدَتْ تلك الحبيبة المذكوره (**فأمّا حُسْن صَبري**): أي صبري الحَسَن، وهو الصبر الجميل الذي لا شكوى معه ولا ضجر. (**فخانني**): أي لم يَفِ لي ببقائه على حاله. (**وأمّا جفوني**): أي عيوني. فكنّى عنها بالجفون لكونها أغطيتها، إشارة إلى أنّه في ذلك الحين لم يغن؛ فهو مع الغطاء، وهو الحجاب النفسانيّ الذي يقتضيه بُعد المحبوبة عنه. وقوله (**بالبكاء**): أي بما يظهر عن تلك الجفون من الدموع كناية عن الأعمال النفسانيّة. وقوله (**فَوَفَّتِ**): أي أدَّتْ ذلك على الوفاء.

٧٤- فَلَمْ يَرَ طَرْفِي بَعْدَهَا مَا يَسُرُّنِي ... فَنَوْمِي كَصُبْحِي حَيْثُ كَانَتْ مَسَرَّتِي

الفاء: تفريعيّة عمّا قبله، وهو بينونة المحبوبة، أي: بُعْدُها عنه بإرسال الحجاب. **والطَّرْف** كناية عن العين النفسانيّة. وقوله (**بعدها**): أي بعد احتجاب تلك المحبوبة عنه. (ما) / [٩١/ أ] أي: شيئاً، مفعول يرى. وجملة يسرّني صفة ما. يعني: جميع ما أراه وأنا محجوب عنها لا يسرّني شيء منه أصلاً؛ لأنّها مقصودي، وموضع سروري دون كلّ شيء. ثمّ قال (**فنومي كصبحي**): كنَّى بالنوم عن الغفلة عن الحقّ

وهو مقام القرب. وقوله (مَيْتٌ): مخفف مَيِّت، وهو الموت الاختياري كما ورد في الأثر: «موتوا قبل أنْ تموتوا»(١). وقوله (ودمعي) : أي ما يظهر عنّي من الأعمال . (غَسله) بفتح الغين المعجمة وضمِّها ، أي طهارته من دنس الأغيار.

(**وأكفانه**): أي أكفان ذلك الميْت. (**ما ابيضَّ**): أي صار أبيض من شعره . (**حُزْناً**): أي من جهة الحزن. (**لفُرقتي**): أي فراق أحبّته؛ وذلك الذي ابيض شعره من الشعور، وهو الإدراك؛ فإنّ إدراكه كان أسود بملاحظة الأكوان، فلمّا عرف ومات الموت الاختياري في معروفه ابيضّ إدراكه، فصار لا يرى الأكوان السود بظلمة العدم؛ وإنّما يرى تجلِّي النور الحقّ على كلّ شيء، وزالت ظلمة الأكوان من شعوره فإدراكه.

٧٧- فَلِلْعَيْنِ وَالأَحْشَاءِ أَوَّلَ هَلْ أَتَى   تَـلَا عَائِـدِي الآسِي وَثالِـثَ تَبَّـتِ

(**فَلِلْعَيْنِ**): أي عيني. و(**الأحشاء**): بالجرّ عطف على العين. وقوله (**أوّلَ هل أتى**): راجع للعين. وذلك قوله تعالى:﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [٧٦/ الإنسان/ ١] يعني: إنسان تلك العين لم يكن شيئاً مذكوراً. وقوله (**تلا**): أي قرأ. (**عائدي**): من العيادة، وهي زيارة المريض. (**والآسي**): بمدِّ الهمزة، نعت للعائد، وهو الطبيب. يعني: إنَّ الطبيب الذي جاء يعودني إذ لا يمكنه مداواتي؛ لأنّ طبّه لا ينفع في علاج مرضي قرأ حين رأى إنسان عيني الميت: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ الآية. وحين رأى تلهّب أحشائي واحتراقها بنيران العشق قرأ ثالث(٢) ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [١١١/ المسد/ ١].

٧٨- كَأنّا حَلَفْنَا لِلرَّقِيْبِ عَلَى الجَفَا   وَأَنْ لَا وَفَـا لكِـنْ حَنِثْـتُ وَبَـرَّتِ

/ [٩١/ ب] (**كأنّا**): أي كأنّي وكأنّ المحبوبة. (**حلفنا**): كلانا (**للرقيب**): وهو الذي يرقب اجتماعنا فيسعى في فرقتنا حال لقائنا. كناية عن الشيطان الذي

(١) انظر تخريجه ٢٨٢.

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

يوسوس في الصدور فيلقي الأوهام والشكوك في معاني البطون والظهور، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ الآية [٤٣/ الزخرف/ ٣٦]. وقوله على (**الجفا**): أي كلّ منّا يجفو صاحبه، أي: يتجنّبه ويتباعد عنه. وقوله (**وأنْ لا وَفَا**): معطوف على الجفا، أي: وعدم الوفا، وهذا الحَلْف التقديري للرقيب حتى يطمئنّ قلبه بعدم اجتماعنا فيترك مراقبتنا. وقوله (**لكن حَنِثْتُ**): في حَلْفِي ذلك؛ فلم أَجْفُ المحبوبة، ووفيت لها عهد المحبّة، و بَرَّتِ هي. يعني: في حَلْفِها ذلك فَجَفَتْنِي، ولم تَفِ لي بعهد المحبّة، وبسبب حنثي في يميني ووفائي بالعهد استمر الرقيب يرقبني؛ لأنّه لا تخلُّص منه إلا بالسكْر في المحبّة، والاضمحلال عن الأغيار، كما قال العفيف التلمسانيّ قدّس الله سرّه من أبيات:

ومهما يكن للصحو فيكَ بَقِيَّة ... يجد نحوك اللاحي سبيلاً إلى الظلم

٧٩- وَكَانَتْ مَوَاثِيْقُ الإِخَاءِ أَخِيَّةً ... فَلَمّا تَفَرَّقْنَا عَقَدْتُ وَحَلَّتِ

(**المواثيق**): جمع مَوْثِق كَمَجْلِس، أو ميثاق، وهي العهود والإخاء، بكسر الهمزة وبالخاء المعجمة والمدّ، مصدر آخيتُ زيداً إخاءً عاهدته على مثل أخوّة النسب من الحقوق. وقوله (**أَخِيّة**): بفتح الهمزة وكسر الخاء المعجمة وتشديد الياء، وهي كالحلقة، تشدّ فيها الدّابّة والطُّنُب. والمعنى: كانت عهود أُخُوتي مع المحبوبة الحقيقيّة وهي الحضرة العليّة ثابتة مربوطة بحلقة القلب الدائرة الروحانيّة من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [١٥/ الحجر/ ٢٩] وقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [١٧/ الإسراء/ ٨٥]؛ فدائرة الأمر الإلهيّ محل الربط، وهذا الإخاء من إشارة قوله صلّى الله عليه وسلّم: «المرء مرآة أخيه»[1] فكلّ منهما يرى نفسه في مرآة هذه

(١) من الأمثال التي ذكرها أبو هلال العسكري في كتابه: جمهرة الأمثال، باب التفسير، ج١ ص٧٣.
ولكن يؤيده ما أخرجه أبو داوود في سننه، باب بالنصيحة والحياطة، ٤٩٢٠، بلفظ: المؤمن مرآة المؤمن. والمؤمن أخو المؤمن من حيث لقيه، يكفّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه.

الأُخُوّة المعنويّة. ثمّ قال (فلمّا تفرَّقنا): أي بالنفخ الروحانيّ في الهيكل الجسمانيّ. (عَقَدْتُ): أي ربطت تلك المواثيق الأكيدة بحلقة القلب المذكورة، وحلَّت هي ذلك الربط لبقائها على ذلك التجرّد الأزليّ فبعُدت للمناسبة بيني وبينها.

٨٠- وَتَاللهِ لَمْ أَخْتَرْ مَذَمَّةَ غَدْرِهَا وَفَاءً وَإِنْ فَاءَتْ إلى خَتْرِ ذِمَّتِي

أي: أقسم بالله أنّي. (لم أختر): من الاختيار وهو ترجيح أحد الجانبين. (مَذَمَّة): مصدر ميمي من الذمّ، ضدّ المدح. وقوله (غَدرها): بالغين المعجمة والدال المهملة، عدم الوفاء بالعهد، أي: كان عدم اختياري ذم الغدر منها وفاءً مِنِّي بعهدها؛ فإنّ المُحبّ المخلص في المحبّة لا يتغيَّر وإنْ نقض المحبوب عهده. وهذا النقض كناية عن تبعيد العبد من حضرة العلم الأزليّ إلى إظهاره في عينيه بإيجاده واجداً لنفسه على طبق ما هو عليه في الحضرة العلميّة. قال العارف الجيليّ قدّس سرّه في هذا المقام:

تعالوا بنا حتّى نعود كما كنّا ولا عهدَنا خُنتم ولا عهدكم خُنّا

وقوله (وإنْ): وصليّة في الكلام. (فاءت): أي رجعت. (إلى خَتْر): بفتح الخاء المعجمة وسكون التاء المثنّاة الفوقيّة والراء، وهو النقض، والغدر، والخديعة. و(الذِّمّة): العهد، وما أحسن قول القائل:

والله لو قُطِّعتُ في حبِّكم ما ازددتُ إلّا لكمُ حبّا
ولو فعلتم كلّ ما ساءني ما كان عندي لكم ذنباً

٨١- سَقَى بِالصَّفَا الرَّبْعِيُّ رَبْعاً بِه الصَّفا وَجَادَ بِأَجْيَادٍ ثَرَىً مِنْهُ ثَرْوَتِي

(الصفا): الأوَّل من مشاعر مكّة بِلِحْف جبل أبي قبيس، والباء في قوله بالصّفا بمعنى في. (ربعيٌّ): بالرفع، فاعل. (سقى): وهو المطر الذي ينزل في زمن الربيع. كناية عن العلوم الإلهيّة اللدنيّة. وقوله (ربعاً): مفعول سقى، وهو المنزل. كناية

عن قلب العارف المحقّق فإنّ/ [٩٢/ أ] منزلة المحبوبة من قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «ووسعني قلب عبدي المؤمن»(١). وكون ذلك الربع في الصفا، أي: في المقام الروحانيّ، والسرِّ الإنسانيّ. كما أنّ المروة أحد مشاعر مكّة كناية عن الجسم الطاهر من العصيان المنسوب إلى السرِّ الظاهر من حقيقة الإنسان، والإشارة إلى ذلك في السعي من الصفا والمروة في الحج الروحانيّ من مقام الإحسان. وقوله (به): أي فيه الصفا، هو ضدُّ الكدر، بذهاب أوهام الأغيار، والالتهاب أفهام الأسرار. وقوله (وجاد): معطوف على سقى، يقال: جاد بمعنى أمطر، وضميره راجع إلى الربعيّ قبله. (بأجياده): وهي أرض مكّة، أو جبل فيها؛ كناية عن الجسم العنصري للإنسان الكامل. وقوله (ثري): مفعول جاد. والثري بالمثلثة التراب. كناية عن أصل جسم الكامل الذي نشأ منه كاملاً بتربيته في حجر أحكامه، وهو الحقيقة المحمّدية النورانيّة التي هي هيولى الأكوان من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [١٨/ الكهف/ ١١٠] وقوله (منه): أي من ذلك الثرى. (ثروتي): أي غَنائي، وهو حصول الفتح له في ذوق التجلِّيات الإلهيّة.

٨٢- مُخَــيَّمَ لَــذّاتِي وَسُــوْقَ مَــآرِبِي   وَقِبْلَــةَ آمَــالِي وَمَــوطِنَ صَــبوَتِي

(مُخَيَّمَ): بضمِّ الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الياء التحتيّة، من خَيَّم زيدٌ بالمكان: إذا أقام فيه. و(اللَّذّات): جمع لَذَّة، وهي ما ينشأ عن إدراك الملائم؛ وذلك حظ الروح، كما أنّ الشهوة حظ النفس لتعلّقها بالجسم؛ على معنى أنَّ لذّاته الروحانيّة مقيمة في ذلك الثرى المذكور في البيت قبله. ثمّ قال (وسوق مآربي): أي مقاصدي وحاجاتي؛ على معنى أن مقاصده وحاجاته تباع وتشترى فيه، من قوله عليه السلام: «إنّ الله هو المُعطي وأنا القاسم»(٢)، ولنا من هذا المعنى قولنا في قصيدة نبويّة:

---

(١) انظر تخريجه ص٣٢٤.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب قوله تعالى: فإن لله خمسه، ٣١١٦، عن =

يــا أبــا القاســمِ يــا قاسِــمَ مــا ... يَهَــبُ اللهُ عـــلى طُـــولِ المَـــدَى

ثمّ قال (**وقبلة آمالي**): القِبلة بكسر القاف، الجهة. والآمال: جمع أمل، وهو الرجاء، أي: جميع ما أُؤمِّله وأتمنّاه متوجّهاً إليها، أي: تلك القبلة التي هي ذلك الثرى المذكور، وهو يتمنّى ويترجّى الدخول بها إلى الحضرة الإلهيّة، ولا يدخل إليها إلّا من جهة هذه القِبلة كما قال القطب البكريّ قدّس الله سرّه من أبيات نبويّة:

وأنـــتَ بـــابُ الله أي امـــرىءٍ ... أتـــاه مـــن غَـــيركَ لا يـــدخُلُ

وقوله (**وموطِنَ صَبْوَتِي**): الصبْوة في الأصل جهلة الفتوّة، وهنا معنى زيادة العشق والمحبّة من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «لن يكمل إيمان أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه وأهله والناس أجمعين»[1]، وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ٦]. وسبب ذلك كشفه عن الأكوان أنّها من نوره صلّى الله عليه وسلّم، ووجد أنّ كلّ محبَّة هي محبَّته صلَّى الله عليه وسلَّم في تعييناته الروحانيّة والجسمانيّة على التخييل والتمثيل.

٨٣- مَنَازِلَ أُنْسٍ كُنَّ لَمْ أَنْسَ ذِكْرَهَا ... بِمَنْ بُعْدُهَا وَالقُرْبُ نَارِي وَجَنَّتِي

(**منازِلَ**): منصوب على أنّه خبر كُنَّ. وضمير جمع المؤنَّث لما تقدّم في البيت قبله من قوله: مُخَيَّمَ، وسوق، وقبلة، وموطن؛ فإنّها أربعة منازل محيطة بالحقيقة الإنسانيّة تنزلها وتقيم بها: إمّا على الكشف في الكاملين، وإمّا على الجهل والغفلة في القاصرين. و(**الأُنس**): بضمّ الهمزة خلاف الوحشة. وقوله (**لم أُنس ذكرها**):

=

معاوية، بلفظ: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي، وأنا القاسم. ولا تزال هذه الأمّة ظاهرين على من خالفهم حتّى يأتي أمر الله وهم ظاهرون.

(١) لم نعثر عليه في مصادرنا بهذا اللفظ؛ وإنّما يؤيّده ما رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: وجوب محبّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، ١٧٨، عن أنس بن مالك، بلفظ: لا يؤمن أحدُكم حتّىَ أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

أي تذكرها، ومقتضى الحقيقة الإنسانيّة النسيان من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[٢٠/ طه/ ١١٥] وقول القائل:

و مـا سُـمِّي الإنـسانُ إلّا لنَـسيِهِ ولا القلـبُ إلّا أنّـه يتقلَّـبُ

ولهذا ورد في القرآن: ﴿فَذَكِّرْ﴾ ولم يرد فعلِّم. قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [٨٧/ الأعلى/ ٩] ﴿ فذكّر / [٩٢/ ب] إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [٨٨/ الغاشية/ ٢١] ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [٨٠/ عبس/ ١١] ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [٨٩/ الفجر/ ٢٣] وقال لموسى ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [١٤/ إبراهيم/ ٥] ونحو ذلك. والتعليم في الأصل من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [٩٦/ العلق/ ٤- ٥] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [٥٥/ الرحمن/ ١-٢] ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [٤/ النساء/ ١١٣]. وقوله (بمَنْ): أي بسبب المحبوبة التي (**بُعْدُها**): بضمّ الباء الموحّدة، أي: البُعْد عنها. (**والقُرْب**): بالرفع معطوف على بُعدها. (**ناري**): راجع إلى بعدها. (**وجَنّتِي**): راجع إلى القرب، فهو لف ونشر مرتّب، قال تعالى: ﴿وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾ [٨٩/ الفجر/ ٣٠] أي: قربي في الدنيا، ونعيمي في الآخرة. وذلك حظ النفس المطمئنّة على لقائه تعالى وشهوده في تجلّياته.

٨٤- وَمِنْ أَجْلِهَا حَالي بِهَا وَأُجِلُّهَا عَنِ المَنِّ مَا لَمْ تَخْفَ والسُّقْمُ حِلّتَي

(**من أجلها**): أي تلك المحبوبة. (**حالي**): أي ما أنا فيه من الأحوال المشقة في مقاساة شدائد المحبّة. وقوله (**بها**): أي بسببها. وقوله (**وأُجِلُّها**): بضمّ الهمزة وكسر الجيم فعل مضارع، أي: ارتفع مقامها عن المنّ عليها بما ألاقيه في طريق محبّتها، كما ورد في الدعاء المأثور: «اللهمّ يا ذا المَنِّ ولا يمنُّ عليه»[1]. وقال تعالى:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه، باب: ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ٢٩٥٣٠، بلفظ: «عن عبد الله بن مسعود قال: ما دعا قطّ عبدٌ بهذه الدعوات إلّا وسّع الله عليه في معيشته: يا ذا المنّ فلا يُمَنُّ عليه، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطَّوْل والإنعام، لا إله إلّا أنت، ظهر =

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [٤٩/ الحجرات/ ١٧] فقوله ذلك جملة معترضة بين المبتدأ والخبر الذي قوله (ما): أي حال عظيمة. (لم تخفَ): على أحد من الناس لظهورها، أوعن هذه المحبوبة لعلمها بها ورؤيتها لها. ثمّ قال. (والسُّقم): بضمِّ السين المهملة وسكون القاف، والواو للحال، والتقدير: كيف تخفى والحال أنّ السُّقم (حُلَّتي): أي ثوبي الذي ألبسه ظاهراً، من قبيل قول البوصيري رحمه الله تعالى:

وكيفَ تُنْكِر حُبّاً بعد ما شهدتْ ... به عليك عُدُول الدمع والسَّقمِ

وأثبتَ الوَجد خَطّي عَبْرةٍ وَضَنىً ... مثلَ البَهارِ على خديكَ والعَنَمِ

٨٥-غَرَامِي بِشَعْبٍ عَامِرٍ شِعْبَ عِامِرٍ ... غَرِيمِي وَإِنْ جَارُوا فَهُمْ خَيْرُ جِيْرَتِي

(**الغرام**): الولوع، والشوق الدائم الملازم. وقوله (**بشَعْبٍ**): أي بسبب شَعْبٍ، بفتح الشين المعجمة، أي قبيلة عظيمة من قبائل العرب. (**عامر**): نعت لِشَعْب، من عَمَرَ المكان عِمَارة، أي: عامرين. (**شِعْب**): بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة فيها، منصوب على أنّه مفعول عامر؛ لأنّه اسم فاعل. والشِّعب: الطريق في الجبل، مضاف إلى عامر الثاني، وهو اسم قبيلة يقال لهم (بنو عامر): وهو شِعب بني عامر. وكنّى بهذه القبيلة عن إخوانه وأشياخه من أهل الله العارفين الكاملين المُعمِّرين أوقاتهم بذكر الله تعالى على الكشف والشهود؛ وهم القائمون له في صدق العبوديّة بدوام الركوع والسجود. وقوله (**غريمي**): خبر المبتدأ الذي هو غرامي. والغريم هو الخصم الملازم الذي يخاصم ويشتدّ في

=

اللاجئين، وجار المستجيرين ومأمن الخائفين؛ إنْ كتبتني عندك في أمّ الكتاب شقيّاً فامحُ عنّي اسم الشقاء، وأثبتني عندك سعيداً، موفّقاً للخير؛ فإنّك تقول في كتابك: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

الخصومة. وقوله (**وإنْ**): شرطيّة تجزم فعلين، و(**جاروا**): فعل الشرط، وضمير الجمع لشَعب بفتح الشين، أي: قبيلة، نعتها أوّلاً بالمفرد باعتبار اللفظ، ثمّ أرجع إليها ضمير جمع المذكر باعتبار المعنى. وقوله (**فهم خير جيرتي**): أي المجاورين لي في المقام والرتبة. وهذه الجملة جواب الشرط. والمعنى: أنا أحتمل جميع ما يعاملوني به.

٨٦- وَمِنْ بَعْدِهَا مَا سُرَّ سِرِّي لِبُعْدِهَا   وَقَدْ قَطَعَتْ مِنْها رَجَائِي بِخَيْبَتِي

(**مِنْ بَعْدِها**): بفتح الباء الموحّدة، ضدّ قبلها، أي: من بعد تلك القبيلة المشار إليها في البيت قبله. (**ما سُرَّ**): بضمّ السين المهملة، فعل ماض مبني للمفعول، من السرور. وقوله (**سِرِّي**): نائب الفاعل. وقوله (**لبُعْدِهَا**): بضمّ الباء الموحّدة، أي: لأجل بُعد تلك القبيلة عنّي. وقوله (**وقد قطعتْ**): أي تلك القبيلة. (**منها**): مُتعلِّق برجائي. و(**رجائي**) مفعول/ [٩٣/ أ] قطعتْ. يعني: قطعت الترجي منها لكلّ شيء. (**بِخَيْبَتِي**): أي بحرماني ويأسي، متعلِّق بقطعتْ. وفيه إشارة إلى أنّه قبل ذلك كان يترجّى المعونة والإمداد من حيث تلك الأرواح النازلة في كوامل الأشباح، حتى انكشفت له حقائق تجلِّيات الأسماء الإلهيّة في مظاهر هاتيك الأعيان الإنسانيّة، فانقطع رجاؤه منها بالخيبة، واليأس، والحرمان. وتوجيه إلى حقيقة الغيب المطلق في تجلِّيات الرحمن.

٨٧- ومَا جَزَعِي بِالجِزْعِ عَنْ عَبَثٍ وَلَا   بَـدَا وَلَعَـاً فِيْهَـا وُلُـوْعِي بِلَـوْعَتِي

(**الجَزَع**): محرَّكة نقيض الصبر، و(**الجِزْعُ**): بكسر الجيم وسكون الزاي، مُنعَطَف الوادي، ومحلّة القوم. كنّى بذلك عن مقام السادة، المكنّى عنهم بالقبيلة فيما تقدّم. يعني: ما قلّة صبري ـ بسببهم ـ عن ملاقاتهم صادر عني عن عبث منّي بلا فائدة؛ وإنّما ذلك لكونهم مظاهر تجلِّيات الغيب المطلق والحقّ؛ فعين التوجه عليهم عين التوجّه عليه. وقوله (**ولا بَدا**): أي ظهر. (**وَلَعَاً**): مُحرَّكة منصوب على

أنّه مفعول من أجله، علّة لبدا. وقوله (**فيها**): أي في تلك القبيلة المذكورة التي كنَّى عنها هنا بالجِزْع. وقوله (**ولوعي**): فاعل بدا. والوُلُوع بالشيء ـ بضمِّ الواو ـ: التحرُّش به. وقوله (**بِلَوْعَتي**): أي بسبب لوعتي، واللوعة حرقة القلب وتألّمه، من: همٍّ، أوحبٍّ، أو مرض.

٨٨- **عَلَى فَائِتٍ مِنْ جَمْعِ جَمْعٍ تَأَسُّفِي وَوُدٌّ عَلَى وَادِي مُحَسِّرٍ حَسْرَتِي**

(**على فائِتٍ**): جار ومجرور، خبر مقدّم. وقوله (**تأسُّفي**): مبتدأ مؤخّر، وقدّم الخبر للاهتمام والحصر. يعني: على أمر فائت لا على غيره. وقوله (من جَمْع): بيان لذلك الفائت، أي: الذي يكون ساعة ويفوت. وجَمْع الأوَّل: ضدّ الفَرْق؛ وهو شهود الوحدة في عين الكثرة، ولا بقاء له إلّا في غَلَبَة الروحانيّة على الجسمانيّة، والفرق شهود الكثرة في عين الوحدة، وذلك من غَلَبَة الجسمانيّة على الروحانيّة، وأصل ذلك كلام الله تعالى النفسانيّ القديم الذي هو عين العلم الأزليّ من وجه: نزل قرآناً؛ فهو جَمْع، ونزل فُرقاناً؛ فهو فرق. ولا يقدر على شهوده قرآناً إلّا الأنبياء عليهم السلام فشهده محمّد صلَّى الله عليه وسلَّم قرآناً، وكذلك ورثته الكاملون. وشهده أيضاً فرقاناً كعوام الخلق، وشهده آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم صحائف. وشهده موسى توراة، وداوود زبوراً، وعيسى إنجيلاً، والكلّ كلام الله تعالى القديم النفسانيّ المُنزل لا يختلف إلّا بالحروف والأصوات المرقومة في صفحات الصور والمعاني. وكذلك ورثة هؤلاء الأنبياء عليهم السلام. وشهدوه كذلك من أممهم، ومن هذه الأمّة من مشكاة محمّد صلَّى الله عليه وسلَّم الجامع الخاتم. وكذلك شهدوه فرقاناً هم وأممهم. وقوله (**جَمْعٍ**): الثاني عَلَم على المزدلفة؛ مكان بين عرفات ومنى، مشتق من الازدلاف، وهو القرب، قال في القاموس: «المُزْدَلِفَة»: موضع بين عرفات ومِنَى؛ لأنّه يُتقَرَّب فيها إلى الله تعالى، أو لاقتراب الناس إلى مِنى بعد الإفاضة، أو لمجيء الناس إليها في زُلَفٍ من الليل، أي: ساعات الليل الآخذة من النهار، أو لأنها أرض مستوية مكنوسة، وهذا أقرب».

وقوله (وودٍّ): بالجرِّ معطوف على فائت. والوُدّ مثلث الواو: المحبّة. وقوله (**على وادي مُحَسِّر**): بكسر السين المهملة، اسم مكان قريب المزدلفة. سُمِّي بذلك لأنّ فيل أبرهة حَسِرَ هناك، أي: أعيا، وبرك لمّا جاء به لهدم الكعبة. وكنّى بالوُدِّ على وادي مُحَسِّر عن المحبّة الحاصلة له مع العجز والإعياء عن حمل مشقاتها، وإنْ كانت أدنى من مقامه لحنينه إلى البداية في مقام النهاية. وقوله (**حسرتي**): واحدة الحسرات، وهي التلهُّف، مبتدأ/ [٩٣/ ب] مؤخَّر، وخَبره قوله (وودّ) بتقدير: وعليّ ودّ.

٨٩- وَبَسْطٍ طَوَى قَبْضُ التَّنَائِي بِسَاطَهُ لَنَا بِطُوَىً وَلَّى بِأَرْغَدِ عِيْشَةِ

(**وَبَسْطٍ**): بالخفض والتنوين، والواو للعطف على وُدٍّ في البيت قبله، أي: حَسْرَتِي على بسطٍ أيضاً، أوالواو هي واو ربّ، أي: ربَّ بسطٍ ، **والبسط**: الإنشراح والمسرّة؛ وهو ضدّ القبض كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [٢/ البقرة/ ٢٤٥] وهما تجلِّيان إلهيّان. فالبَسط إعطاء العبد حقيقته العلميّة على تمامها. والقبض ظهور الاستيلاء الإلهيّ على تلك الحقيقة؛ لنقصان ظهورها، وقد يُسمى القبض تجلِّياً، والبَسط استتاراً، ويسمى القبض جلالاً، والبسط جمالاً باختلاف أحوال السالكين. وقوله (**طوى**): خلاف نشر، والقبْض خلاف البسط كما ذكرنا. (**والتنائي**): بمعنى التباعد عن حقيقة العبد السالك؛ بحيث يفقد نفسه بغلبة ظهور الاستيلاء الإلهيّ عليه. وقوله (**بِساطه**): بكسر الباء الموحّدة؛ وهو ما يُبْسَط، والضمير للبسط. وقوله (**لنا**): الجار والمجرورمتعلّق بوَلَّى، والباء في قوله (**بطُوى**): ظرفيّة، بالضمِّ والكسر، ويُنَوَّن: اسم وادٍ بالشام؛ كَنّى به عن مقام الفرق. وقوله (**ولَّى**): بتشديد اللام، قال في القاموس: «وَلَّى تَوْلِيَة: أَدْبَرَ، كتوَلّى». وقوله (**بأرغد عيشة**): أي بعيشة هي أرغد المعايش، قال في القاموس: «العَيْش الحياة، عَاشَ يَعِيْشُ عَيْشاً ومَعَاشاً ومَعِيْشاً ومَعِيْشَة وعِيْشَة، بالكسر. والمَعِيشة: ما

تعيش به من المَطْعَم والمَشْرَب، وما تكون به الحياة». و(**أَرْغَد**): أفعل تفضيل، يُقال: عِيْشَة رَغَد بالغين المعجمة، واسعة، طيِّبة.

٩٠- أَبِيْـتُ بِجَفْـنٍ لِلـسُّهَادِ مُعَـانِقٍ تُصَافِحُ صَدْرِي رَاحَتِـي طُوْلَ لَيْلَتِـي

يقال: بات يفعل كذا، يَبِيْتُ ويَبَاتُ بَيْتاً وبَيَاتاً ومَبِيْتاً وبَيْتُوْتَةً، أي: يفعله ليلاً، ومن أَدركه الليل فقد بات، كذا في القاموس. (**بِجَفْنٍ**): أي مصاحباً به. (**للسهاد**): أي السهر. (**معانق**): وصف للجفن، أي: ملازم له. كناية عن عدم غفلته في مراقبة ربّه في ظلمة الأكوان. وقوله (**تصافح صدري**): من التصفيح؛ وهو التصفيق، كذا في القاموس.(راحتي): أي كفِّي فإنّ الراحات هي الأكفّ. وقوله (**طولَ ليلتي**): بنصب طول على الظرفيّة لمعانقة الجفن للسهاد، ولمصافحة الراحة للصدر، وذلك من كمال الوجد الغالب عليه.

٩١- وَذِكْرِ أُوَيْقَاتِي الَّتِي سَلَفَتْ[1] بِها سَـمِيْرِيَ لَـوْ عَـادَتْ أُوَيْقَـاتِي الَّتِـي

(**وذِكرِ**): بالخفض معطوف على قوله في البيت قبله بجفن. يعني: أبيت مصاحباً بـ (**ذِكْرِ**): أي تذكّر. (**أُويقاتي**): تصغير أوقاتي للتعظيم، أو للتحبيب. جمع وقت، وهو الزمان. وقوله (**التي سلفت**): أي مضت لي، نعت للأُويقات. والضمير في قوله بها راجع إلى المحبوبة المشار إليها فيما سبق من الأبيات في قوله: (**بمن بعدها والقرب ناري وجنّتي**). ثمّ قال: (**سَمِيْرِيَ**): أي يا سميري، وهوالمسامر له، أي: المُحَدِّث له بالليل، من السَّمَر، بالتحريك، وهو حديث الليل. كناية عن المتجلِّي عليه بصورة نفسه من قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ [١٣/ الرعد/ ٣٣] ويصحّ أنْ يكون قوله (**وذِكْرِ**): الواو للاستئناف، وذِكْرِ: مبتدأ مضاف إلى أُويقاتي، وسميريَ: خبر المبتدأ، أي: ذلك الذكر سميري.

---

(١) في (ق): وصلت.

وقوله (**لوعادت**): لو للتمَنّي، وعادت: رجعت أُويقاتي (التي): أي التي سلفت، ففيه الاكتفاء، وردّ العجز على الصدر. ولعل تمنّي إعادة الأوقات السالفة هو معنى المساعدة هنا.

٩٢- رَعَى اللهُ أياماً بِظِلِّ جَنابِهَا سَرَقْتُ بِهَا فِي غَفْلَةِ البَيْنِ لَذَّتِي

(**رَعَى**): أي حَفِظَ اللهُ . (**أياماً**): أي تجلّيات إلهيّة بحضرات كونيّة. كنّى عنها بقوله (**بظلّ جنابها**): أي جناب تلك المحبّة. والظّلّ: أثر الإرادة والمشيئة من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ / [٩٤/ أ] رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [٢٥/ الفرقان/ ٤٥] الآية. وقوله (**سَرَقْتُ** بها): أي بتلك الأيام. (في غفلة البين): أي البعد والفراق. وقوله (لذّتي): أي التذاذي، واللَّذَّة: حظّ الروح كما أنّ الشهوة حظّ الجسم.

٩٣- وَمَا دَارَهَجْرُ البُعْدِعَنها بِخَاطِرِي لَدَيْهَا بِوَصْلِ القُرْبِ فِي دَارِهِجْرَتِي

يُقال: ما دار الشيء في خاطري، أي: ما خطر ببالي. و(**هَجْرُ**): بفتح الهاء، أي: ترك البعد. (**عنها**): أي عن المحبوبة. (**بخاطري**): أي في بالي، من خَطَرَ له يَخْطُرُ خُطُوراً: ذكره بعد نسيان. وقوله (لديها): أي وأنا عند المحبوبة. (**بوصل القرب**): أي الوصل الذي هو عين القرب. (في دار هِجرتي): بكسر الهاء، ودار الهِجرة هي مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم. كناية عن الحقيقة النوريّة الأصليّة المحمّديّة التي خلق الله تعالى منها كلّ شيء بوجه الأمر الإلهيّ القائم به كلّ شيء؛ فإنّ من دخل في هذه الحقيقة الأصليّة التحق بها، فكان متصلاً واحداً، وصار كلامه بلسانها، كما قال المصنِّف في التائيّة الكبرى:

وإنّي وإنْ كنتُ ابنَ آدمَ صورةً فَلِي فيه مَعنىً شاهدٌ بأُبُوّتي[1]

إلى مثل تلك من الأبيات.

---

(١) انظر البيت ٦٣١ في قصيدة نظم السلوك (التائيّة الكبرى).

٩٤- وَقَدْ كَانَ عِنْدِي وَصْلُهَا دُوْنَ مَطْلَبِي   فَصَارَ تَمَنِّي الهَجْرِ فِي القُرْبِ قُرْبَتِي

(وقد كان): يعني في الزمان السابق حيث كان في دار الهجرة كما ذكرنا في البيت قبله. وقوله **(عندي)**: أي بالنسبة إلى ما أجد أنا في نفسي. وضمير وصلها راجع إلى المحبوبة. وقوله **(دون مطلبي)**: أي أدنى مما أطلب وأتمنّى؛ لالتحاقه بالحقيقة المحمّديّة التي مطلبها أعلا المطالب كلّها. والوصل بالنسبة إليها أدنى حال من أحوالها؛ لأنّ الالتحاق المذكور أعلى منه؛ لذهاب الاثنينيّة فيه بدخول الفرع في أصله. وقوله **(فصار تمنّي الهجر)**: يعني اختلف عليه الحال بانفصاله عن حاله الأوّل؛ فرجع إلى اثنينيّته من قبيل قوله تعالى لنبيِّه عليه السلام: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية. [٣٩/ الزمر/ ٦٥] وقوله صلى الله عليه وسلَّم: «إنّه لَيُغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرّة»[1]. وهذا مشرب السِّرّ المحمّديّ، والمقام الأحمدي، وهكذا الورثة المحمّديّون، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [٣٣/ الأحزاب/ ١٣] ولمّا قال الشاعر:

كلَّ يومٍ تتلوَّن   غيرُ هذا بِكَ أحسن

قال الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه:

كلَّ يومٍ تتلوَّن   إنّ هذا بِكَ أحسن

فإنّ التمكُّن في التلوُّن أحسن وأكمل. وقوله **(في القرب)**: أي في مقام القرب، وهو التمكّن في العرفان بالتحقّق بحقائق العيان. وقوله **(قُربتي)**: بضمِّ القاف، أي: وصلتي بالمحبوبة لتفصيل حضراتها، وتبيين مراتب ذاتها.

٩٥- وَكَمْ رَاحَةٍ لِي أَقْبَلَتْ حِينَ أَقْبَلَتْ   وَمِنْ رَاحَتِي لَـمَّا تَوَلَّتْ تَوَلَّتِ

(كَمْ): اسم ناقص مبني على السكون. أو مؤلّفة من كاف التشبيه وما، ثمّ

---

(١) انظر تخريجه ص ٢٧٤.

قُصرتْ وأُسكنت، وهي للاستفهام. ويُخفض ما بعدها حينئذٍ كَرُبَّ، وقد يُرفع، تقول: كمْ رجلٌ كريمٌ قد أتاني كذا في القاموس. وهي هنا تفيد معنى التكثير. و(**الراحة**): خلاف التعب. (**لي**): أي كائنة لي صفة لراحة. وقوله (**أَقْبَلَتْ**): أي تلك الراحة حين أقبلت. يعني: المحبوبة. وإقبالها: تجلِّيها على قلبه، وانكشاف الأمر له، إنّما هي لا هو على وجه اليقين. وقوله (**ومن راحتي**): أي من كفّي ويدي. (**لمَّا تولَّتْ**): أي أعرضتْ عنّي تلك المحبوبة. (**تولَّتِ**): أي أعرضت تلك الراحة التي لي.

٩٦- كَأَنْ لَمْ أَكُنْ مِنها قَرِيباً وَلَمْ أَزَلْ بَعِيداً لأيٍّ ما لَهُ مِلْتُ مَلَّتِ

(**كَأَنْ**): مُخَفَّفة من كأَنَّ المشدّدة التي للتشبيه. وقوله (**لم أكن منها**): أي من هذه المحبوبة/[٩٤/ ب] (قريباً) ولم أزل. يعني: على ما كنت من قبل بعيداً عنها لسرعة أمرها في تقلُّب القلوب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [٥٤/ القمر/ ٥٠]. وقوله (**لأيّ ما**) أي: لأيّ شيء من الأشياء، أيّ شيء كان مِلْتُ، فأيّ شرطيّة منوَّنة مجرورة اللام. وما زائدة لتأكيد معنى الشرط؛ فإنّ ميل الإنسان بقلبه إلى شيء من مطلق الأشياء حجاب له عن هذه المحبوبة، فلا يقدر معه أنْ يشهدها أصلاً، وذلك الحجاب هو قوله (**مَلَّتِ**): بتشديد اللام وكسر التاء الساكنة للقافية، من الملل، وهو السآمة، أي: سئِمَتْ من شهودي لها فاحتجبتْ عنّي.

٩٧- غَرَامِي أَقِمْ صَبْرِي انْصَرِمْ دَمْعِي انْسَجِمْ
عَدوِّي احْتَكِمْ دَهْرِي انْتَقِمْ[1] حَاسِدِي اشْمَتِ

(**الغرام**): الولوع والشوق الدائم. وأقِمْ فعل أمر من الإقامة، خلاف الرحيل، والتقدير ياغرامي أقم عندي ملازماً لي. ثمّ قال (**صبري**): أي يا صبري على الأحبّة.

---

(١) الشطرة الثانية في (ق): «عدوّي انتقم دهري احتكم حاسدي اشمت».

(**انصرم**): من الانصرام بمعنى الانقطاع. ويا (**دمعي انسجم**): من الانسجام، وهو انسكاب الدمع والمطر ونحوه. ثمّ قال (**عدوِّي**): أي يا عدوِّي، وهو شيطانه المقارن له الذي يدعوه إلى السوء والطغيان، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [٣٥/ فاطر /٦] الآية. وقوله (**انتقم**): فعل أمر من الانتقام، بمعنى المعاقبة، أي: انتقمْ منِّي وعاقبْني على مقدار ما تقدر قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [١٧/ الإسراء/ ٦٤] الأية. كما قيل لأبي مدين قدّس الله سرَّه: «كيف أنت مع الشيطان؟ فقال: أرأيتم لو بال أحدكم في البحر فهل ينجس؟ قالوا: لا. قال فكذلك الشيطان معنا». ثمّ قال (**دهري**): أي يا دهري. (**احتكم**): أمر من الاحتكام، قال في القاموس: «حَكَّمَهُ في الأمر تَحْكِيماً: أَمَرَه أنْ يَحْكُمَ فَاحْتكَم، وتَحَكَّمَ: جاز في حُكْمِه». انتهى. يعني: يا دهري امضِ حكمك فيَّ، ونفِّذ عليَّ كلَّ ما يقتضيه أمرك؛ فإنني راضٍ بجميع أقدارك وأقضيتك، في الخير والشرّ، والنفع والضرّ. ثمّ قال (**حاسدي**): أي يا حاسدي، وهو الذي يتمنّى زوال النعمة عنه. كناية عن معاصره الذي يعمل بعمله، فإنّه يتمنّى زوال النعمة عنه، ورجوعها إلى نفسه، حتى لا يبقى له عليه شفوف منزلة، أو رفعة مرتَّبة، ويبقى هو المنفرد بتلك الرتبة، دون غيره. ثمّ قال (**اشمتِ**): بكسر التاء للقافية، وهو فعل أمر من الشماته، وهي فرح الإنسان ببليّة غيره. وكنّى بذلك عن كمال الثبات والرسوخ؛ بحيث لا يتحرّك لشيء من ذلك أصلاً كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [١٤/ ابراهيم/ ٢٧].

٩٨- وَيَا جَلَدِي بَعْدَ النَقَا لَسْتَ مُسْعِدِي وَيَــا كَبِـدِي عَــزَّ اللِّقَــا فَتَفَتَّــتِ

(**الجَلَد**): بالتحريك الشدّة والقوَّة. وقوله (**بعد النَّقَا**): بفتح النون والقاف مقصوراً، هو في الأصل قطعة من الرمل مُحْدودبة، وهو هنا اسم مكان في مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم. يعني: مفارقتي مكان النقا. (**لستَ مُسْعدي**): من

أسعده: إذا أنجده وأسعفه؛ يشير إلى تشوّقه إلى الالتحاق بالحقيقة المحمّديّة بعد محو الرسوم ونسيان العلوم، وبطون الموجود الموهوم لظهور الحيِّ القيُّوم. وقوله (وياكبدي عَزَّ): قلَّ فلا يكاد يوجد. (اللقا): يعني ملاقاة الأحبّة. (فَتَفَتَّتِ): من التفتُّت وهو القطع والتكسير. وسبب عزَّة اللقاء كثرة التمتُّع بحجاب العظمة والكبرياء والتّفَرُّد بالجلال فلا شيء معه.

٩٩- وَلـمَّا أَبَتْ إلّا جِمَاحاً وَدَارُهَا انْـ ـتِزَاحـاً وضَـنَّ الـدَّهْرُ مِنْهـا بأَوْبَـةِ

(أَبَتْ): أي كرهتْ أن تعمل، أي: المحبوبة التي عزَّ لقاؤها. (إلا جماحاً): على وزن رمال، مصدر جَمَحَ الفرس: إذا غلب صاحبه. يعني: لا تعمل معنا إلّا امتناعاً، وزيادة نفور/[٩٥/أ] لعظمتها وكبريائها وتفرُّدها في جلاله. وقوله (ودارُها): بالرفع معطوف على الضمير في قوله أبتْ. وأشار بدارها إلى حضرتها النزيهة ورتبتها السامية. كناية عن حضرة أسمائها وصفاتها. وقوله (انتزاحاً): أي بعداً عنّا؛ لأنّا آثارها؛ فلا نعرفها إلّا بها، قال تعالى: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [٢١/الأنبياء/٢٧] مع أنّهم ملائكة مقرَّبون فكيف البشر المحجوبون. وقوله (وضَنَّ): بالضاد المعجمة، أي: بخل. (الدهر مِنها): أي من تلك المحبوبة. (بأوبة): أي رجوع إلى مثل تجلِّيها الأوّل الذي به أوجدتنا من عدمنا، فالتبستْ علينا بنا؛ فاحتجنا إلى الرجوع إلى عدمنا الأصليّ بالفناء في وجودها الحقيقيّ، ورجوع تجلِّيها الأوّل لنوجد به فنكون بها لا بنا.

١٠٠- تيَقَّنْتُ أَنْ لا دَارَ مِن بَعْدِ طَيْبَةٍ تَطِيْـبُ وَأَنْ لا عِـزَّةً بَعْـدَ عَـزَّةِ[1]

وفي نسخة «أنْ لا منزلاً بعد طَيْبَةٍ». وهي مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم. و(الدّار): من الدوران. يعني: لا تدور الأمور إلّا عليها، فإنّها دائرة محمّديَّة تدور

(١) ورد البيت في (ق): «تيَقَّنْتُ ألّا منزلاً بعدَ طَيْبَةٍ يطيبُ وأن لا عِزّةً بعد عَزَّةٍ» وهو غير مستوٍ.

عليها جميع الدوائر الكونيّة، قال القطب البكريّ[1] كما أنشدنيه ولده الكامل زين العابدين محمّد البكريّ الصِّدِّيقي قدّس الله سرَّهما العزيز:

دوائِرُ أوهامٍ بها شُغِلَ الفِكْرُ فظاهرها خلق وباطنها أمر

وكونها منزلاً لنزول الحقائق الكونيّة بها. وقوله (تطيب): أي تلك الدار لَمنْ دارعليها وسكنها، فدارت به محيطة له، أو يطيب ذلك المنزل لَمَنْ ينزله مِن قولهم: طاب له المنزل إذا زكا عنده، ووجد فيه لذّة، أو من الطيب، وهو الرائحة الحسنة العطرة؛ لأنّ صاحب هذا المقام يجد فيه مطلوبه الروحانيّ من الجناب الربّانيّ، كما يجد رائحة المسك من غير رويَّة له، والرائحة أثر من آثار الشيء يتكيَّف بها الهواء كما تتكيَّف الروح بالآثار الطبيعيّة والعنصريّة، قال الشاعر:

إنَّ آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وقوله (وأَنْ): بفتح الهمزة مثل أنّ الأولى معطوفة عليها مع مدخولها. (عِزَّة): بكسر العين المهملة وبالزاي، ضدّ الذلّة، أي: لا اعتزاز. (بعد عَزَّة): بفتح العين المهملة وبالزاي، اسم علم للمحبوبة المشهورة. كناية عن المحبوبة الحقيقيّة التي أشار إليها في هذه الأبيات. يعني: بعد الاعتزاز بها والافتخار بالانتماء إلى محبّتها، والانتماء إلى معرفتها؛ فإنّها العِزّ كلَّ العِزِّ للعبد السالك في الدنيا والآخرة. قال

---

(١) هو محمّد البكريّ، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصدّق رضي الله عنه، لقّب بأبيض الوجه، صاحب المعارف الإلهيّة والحقائق الربّانيّة، له ديوان مشهور. قال المناويّ في الطبقة العاشرة فيمن مات في التسعمئة: محمّد الصديق البكريّ، شيخ الإسلام، علم الحرمين ومصر والشام. أخذ علوم الشرع والتصوّف عن أبيه شيخ الإسلام أبي الحسن. وتفقّه على الشهاب عميرة البرلسي. كان فصيح اللسان، له دروس في التفسير وصحيح البخاريّ والتصوّف، يعلو مجلسه الوقار والسكينة؛ فلا لغو، ولا لغط، ولا غيبة؛ وإنّما الفوائد العلميّة فقط. أعقب أربعة أبناء، وهم: أبو المواهب وأبو السرور وتاج العارفين وزين العابدين جدّ صديق النابلسيّ زين العابدين ومضيفه في رحلته. انظر الحقيقة والمجاز في رحلة الشام والحجاز ص١٩٤ و١٩٥.

الشيخ - يعني المصنِّف العارف الكامل شرف الدين عمر بن الفارض قدّس الله سرّه - عملتُ هذه الأبيات الثلاثة ـ التي سيذكرها ـ بعدما فرغتُ من نظم القصيدة التي تليها، أي: تلي هذه القصيدة التائيّة الصغرى. (وهي): أي تلك القصيدة التي فَرَغَ منها، ثمّ نَظَمَ هذه الأبيات اسمها نَظْم السلوك، بتسمية النبي صلّى الله عليه وسلَّم لها بذلك في الواقعة كما قدّمناه في شرح الديباجة، فمن أراد أنْ يصلها، أي: يصل هذه الأبيات الثلاثة بها، أي بهذه التائيّة الصغرى التي فرغنا هنا من شرحها فليقل بعدها، أي :بعد تمام أبياته.

١٠١ - سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ المَعَاهِدِ مِنْ فَتىً عَلَى حِفْظِ عَهْدِ العامريّةِ مَا فَتِي

نكَّر السلام للتعظيم. وقوله (**على تلك المعاهد**): إشارة إلى ما تقدّم من حضرات الحقيقة المحمّديّة. (**والمعاهد**): جمع معهد، وهو المنزل المعهود به الشيء؛ فإنّ عهد الربوبيّة أخذ على الذرّات البشريّة حين أُخرجتْ من ظهر آدم عليه السلام يوم الميثاق. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية [٧/ الأعراف/ ١٧٢] والحقيقة [٩٥/ ب] الآدميّة من الحقيقة المحمّديّة النوريّة الأصليّة التي هي أول خلق الله . وقوله (**مِنْ فتىً**): يعني نفسه. والفتي الشاب السخيّ الكريم، من الفتوّة الجامعة لمكارم الأخلاق بطريق الميراث للمقام المحمّديّ الذي قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٦٨/ القلم/ ٤] . وقال هو عليه السلام: «بعُثتُ لأُتمم مكارم الأخلاق»[1] وقوله (**على حفظ عهد العامريّة**): هي المحبوبة المنسوبة إلى بني عامر، القبيلة المعروفة، كناية عن المحبوبة الحقيقيّة المشار إليها فيما سبق من الأبيات بنحو ذلك. وقوله (**ما فتي**): أي ما برح وما زال. يعني: هو مقيم على ذلك العهد.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، باب: ذكر أخبار سيد المرسلين، وخاتم النبيّين، ٤٢٢١. هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

١٠٢- أَعِدْ عِنْدَ سَمْعِي شَادِيَ القَوْمِ ذِكْرَ مَنْ
بِهِجْرَانِهَا وَالوَصْلِ جَادَتْ وَضَنَّتِ

(أَعِدْ): فعل أمر من الإعادة، وهي تكرار الشيء. وقوله (عند سمعي): أي بحيث أسمع ذلك. وقوله (شادي القوم): أي يا شادي القوم. والشادي بالشين المعجمة والدال: المغني. والقوم كناية عن جماعة العارفين. ومغنّيهم هو الذي ينشدهم كلام العارفين بربِّهم على معنى العلوم الإلهيّة، والمعارف الكشفيّة، والحقائق اليقينيّة. وقوله (ذكر): مفعول أعدْ. يعني: كرره حتى أسمعه سمع الامتثال المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[٨/ الأنفال/ ٢١]. وقوله (مَن): أي التي؛ كناية عن المحبوبة الحقيقيّة. (بهجرانها): أي إعراضها عنّي. (والوصل): أي وصلها لي؛ فالهجران إرخاء حجاب الغفلة، والوصل كشف ذلك الحجاب باليقظة من نوم تلك الغفلة. (جادت): أي سمحت، راجع إلى هجرانها؛ يعني: سمحتْ بهجرانها. (وضَنَّتْ): بالضاد المعجمة، أي: بخلت، راجع إلى الوصل.

١٠٣- تُضَمِّنُهُ مَا قُلتُ والسُّكْرُ مُعْلِنٌ لِسِرِّي وما أَخْفَتْ بِصَحْوي سَرِيرَتِي

جملة (تُضَمِّنُهُ): من الفعل والفاعل؛ وهو الضمير المستتر، والمفعول؛ وهو الضمير البارز: في محل نصب حال من شادي القوم في البيت قبله. ومعنى تضمّنه تجعل في ضمنه؛ أي: ضمن ذلك المحبوبة الحقيقيّة. (ما قلتُ): أي المعنى الذي قلته في أبيات القصيدة التي تقدَّمتْ، فقد طلب من الشادي المذكور إنشاد الكلام بالمعنى؛ لأنّه المقصود عند العارفين كيفما كانت الألفاظ غزليّة، أو رياضيّة، أو في صف الأطلال، أو مديح الرجال، أوغير ذلك مما يحمل المعاني الإلهيّة وقال: في سمع أهل هذه الطائفة العليّة. ثمّ قال: (والسُّكرُ) أي: الغيبة بالاستغراق في مطالعة التجلّيات الإلهيّة في الصور الكونيّة، بحيث تغيب عنه الغيريَّة بالكلِّيّة،

وتحضر عنده الأفعال الربّانيّة. وقوله (مُعْلِنٌ): أي كاشف. (لِسرِّي): أي لما أخفيه وأكتمه في قلبي من المحبّة الإلهيّة والأشواق. وقوله (وما): معطوف على سِرِّي الذي [ما]، أو أمر عظيم. (أَخْفَتْ): أي أخفته، صلة الموصول، أو صفة النكرة. وقوله (بصَحْوِي): أي بسبب صحوي من ذلك السُّكْر المذكور؛ يعني: في وقت صحوي. (سريرتي) فاعل أخفت، والسريرة: هي ما يُكْتم، قال في القاموس: «السِّرُّ ما يُكْتم». والله أعلم وأحكم.

* * *